بحوث

فى الملل و النحل

الحنابلة

الجزالسابع

جعفر السبحانى التبريزى

بسم الله الرحمن الرحیم

بحوث فی الملل و النحل

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعهٔ:

موسسهٔ النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
بحوث فی الملل و النحل - الجزء السابع (الزیدیة) ----- ۷
اشارة ----- ۷
مقدمة ----- ۷
القسم الاَوّل : فهرس إجمالی لفصول القسم ----- ۸
اشاره ----- ۹
الفصل الاَوّل فرق الشیعة بین الحقائق والاَوهام ----- ۹
الفصل الثانی حیاة زید فی عصر الاَئمة الثلاثة ----- ۳۲
الفصل الثالث فی خطبه، وکلماته ----- ۴۱
الفصل الرابع مشایخه وتلامیذه ----- ۵۶
الفصل الخامس الآثار العلمیة الباقیة عن زید ----- ۶۲
الفصل السادس دراسة مسند الاِمام زید ----- ۶۶
الفصل السابع هل کان زید معتزلیّ المبدأ والفکرة ----- ۸۰
الفصل الثامن هل کان زید إماماً ----- ۸۴
الفصل التاسع هل دعا إلی نفسه ----- ۹۲
الفصل العاشرموقف أئمة أهل البیت ----- ۹۹
الفصل الحادی عشر الخط الثوری ----- ۱۰۳
الفصل الثانی عشر موقف علماء الشیعة ----- ۱۰۸
الفصل الثالث عشر الثورات الناجمة عن ثورة ----- ۱۱۳
القسم الثانی : فهرس إجمالی لفصول القسم ----- ۱۳۵
اشاره ----- ۱۳۵
الفصل الاَوّل عرض إجمالی للثائرین بعد الاِمام زید ----- ۱۳۵
الفصل الثانی أصحاب الانتفاضة ----- ۱۳۸

الفصل الثالث أئمة الزيدية ودولتهم فى اليمن ----- ۱۵۲

الفصل الرابع أئمة الزيدية ودولتهم فى طبرستان ----- ۱۵۶

الفصل الخامس الدولة الزيدية فى المغرب ----- ۱۵۷

الفصل السادس الاَعلام المجتهدون من الزيدية ----- ۱۶۰

الفصل السابع شخصيات زيدية ذات اتجاهات خاصة ----- ۱۷۹

الفصل الثامن فرق الزيدية فى كتب تاريخ العقائد ----- ۱۸۸

الفصل التاسع فى عقائد الزيدية ----- ۱۹۳

الفصل العاشر فى اُمور متفرقة ----- ۲۰۹

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۲۲۱

بحوث فى الملل و النحل - الجزء السابع (الزيدية)

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸

عنوان و نام پديدآور : بحوث في الملل و النحل : دراسه موضوعيه مقارنه للمذاهب الاسلاميه تاليف جعفر السبحاني مشخصات نشر : قم اداره الحوزه العلميه بقم الجماعه المدرسين في الحوزه العلميه بقم موسسه النشر الاسلامي ۱۴۱۴ق = - ۱۳۷۲.

فروست : (موسسه النشر الاسلامي جامعه المدرسين بقم ۷۲۰، ۷۲۱، ۷۲۲، ۷۲۳، ۷۲۵: مرکز مدیریت حوزه علمیه قم ۱، ۲۶)

شابک : بها:۳۴۰۰ريال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ريال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ريال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ريال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : ج ۱ (چاپ دوم ۱۳۷۱)؛ بها: ۱۸۰۰ ریال یادداشت : جلد اول و چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳؛ بها: ۴۰۰۰ ریال‌جلد پنجم (چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳)؛ بها: ۵۵۰۰ ریال (موسسه النشر الاسلامي جامعه مدرسين بقم)۷۲۴

یادداشت : جلد اول (چاپ چهارم ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴؛ بها: ۶۵۰۰ ریال یادداشت : ج ۴(چاپ پنجم ۱۴۱۷ق = ۱۳۷۵)؛ ۷۶۰۰ ریال یادداشت : ج ۷(چاپ اول ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۸(چاپ اول موسسه الامام الصادق ۱۴۱۸ق = ۱۳۷۶)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۱۴۱۲ ۵ق = ۲۵۰۰ :۱۳۷۱ ریال یادداشت : ج ۶ (چاپ چهارم ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲): ۳۴۰۰۰ ریال یادداشت : کتابنامه مندرجات : ج ۱. تاريخ عقائد اهل الحديث و الحنابله و السلفيه .-- ج ۲. تاريخ الامام الاشعري و انصاره و عقائدهم .-- ج ۳. و يتناول تاريخ و عقائد الماتريديه و المرجئه .-- ج ۴. حياه ابن‌تيميه و ابن‌عبدالوهاب و عقائدهما .-- ج ۶. تاريخ الشيعه نشاتهم عقائدهم و شخصياتهم .-- ج ۷. يتناول شخصيه و حياه الامام الثائر زيدبن علي و تاريخ الزيديه و عقائدهه -- ج ۸. الاسماعيليه و فرق الفطيحه ...--

موضوع : اسلام -- فرقه‌ها

شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم دفتر انتشارات اسلامی شناسه افزوده : حوزه علمیه قم مرکز مدیریت رده بندی کنگره : BP۲۳۶/س۲ب۳ ۱۳۷۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۵

شماره کتابشناسی ملی : م۷۳-۲۱۵۵

مقدمة

مقدمة بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، والصّلاة والسلام على نبيّه وصفيّه محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد: فهذا هو الجزء السابع من موسوعتنا فى الملل والنحل نقدّمه إلى القرّاء الكرام راجين منهم النقد والاِصلاح، فإنّ العصمة للّه ولمن عصمه.

ونخصّ هذا الجزء ببيان مذهب الزيدية المنتمية إلى الاِمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ــ عليهم السلام ــ ذلك الاِمام الثائر الّذى ضمَّ إلى ثورته العارمة بوجه الظلم والطغيان، التجافىَ عن الدنيا، والزهدَ فى صفرها وبيضها، والتهجّد آناء الليل وغياهبه بالصلاة وتلاوة القرآن، وكان فقيهاً فى الدين، محدّثاً فى الاِسلام، مفسّراً للقرآن، ولم يكن له فى الفقه منهج كما لم يكن له فى مجال الأُصول والعقائد مذهب خاص سوى ما عليه العترة الطاهرة ـ عليهم السلام ـ عامة، من أُصول التوحيد والعدل وبطلان الجبر

والتشبيه، وقد نشرت منه آثار فى الحديث والتفسير والفقه وسيوافيك تفصيلها.

نعم تأثّر المذهب الزيدى الحاضر بمبادئ الاعتزال كثيراً كما تأثّر بفقه ببعض المذاهب الاَربعة، وأمّا ما هو السبب لتأثّره بآراء المعتزلة فى العقائد،

(۴)

وتفتّحه مع مدرسة الرأى فى الفقه، فيحتاج إلى بسط فى الكلام وسنوقفك على جليّة الحال فى المستقبل.

وبما أنّ لزيد الشهيد بين الاُمة الإسلامية، وعند أئمة العترة الطاهرة مكانة خاصة، ومنزلة كبيرة لم تكن لسائر أئمة الزيدية، من الحسنيّين والحسينيّين الذين شايعوا زيداً فى الخروج على الخلفاء، ومارسوا خطّه فى الجهاد، ـ وكانت مساعى الجميع مشكورة ـ لم نجد بدّاً من فتح بابين، يتكفّل أحدهما، لبيان حياة زيد وآثاره وجهاده ونضاله، ويختص الآخر، ببيان حياة أئمة الزيدية والإيعاز إلى الدول الّتى أسّسوها، والاُصول التى اختاروها فى مجال العقيدة، والمنهج الذى سلكوه فى استنباط الاَحكام الشرعية إلى غير ذلك من مباحث جانبيّة، تسلّط الضوء على الموضوع.

ولاَجل إيضاح تاريخ زيد وأتباعه قسمنا الكتاب إلى قسمين:

١ـ ما يرجع إلى زيد من ولادته إلى شهادته وذلك فى ضمن أربعة عشر فصلاً.

٢ـ يتكفل ببيان السائرين على دربه وما يمت إليهم بصلة .

وقبل أن ندخل فى صلب الموضوع نشير إلى بعض الفرق التى خلقتها السياسة فى أوساط الشيعة فى عصر الاَئمة الثلاثة: السجّاد والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ بوجه موجز، مع الإشارة إلى الفرق الواقعية وإن كانت قليلة. المؤلف

٢٩ ربيع الثانى ١۴١۵ (۵)

القسم الاَوّل:

وإليك مجمل ما فيه من فصول:

الفصل الاَوّل:فرق الشيعة بين الحقائق والاَوهام.

الفصل الثانى:فى حياة زيد فى عصر الاَئمّة الثلاثة ــ عليهم السلام .ــ

الفصل الثالث: فى خطبه، وكلماته، وأشعاره، ومناظراته، وعبادته.

الفصل الرابع: فى مشايخ زيد وتلاميذه فى الحديث والتفسير.

الفصل الخامس: الآثار العلمية الباقية عن زيد.

الفصل السادس: دراسة مسند الإمام زيد سنداً ومضموناً.

الفصل السابع: هل كان زيد معتزلى المبدأ والفكرة.

الفصل الثامن: هل كان زيد أماماً فى الاَُصول والعقائد، والفروع والاَحكام.

الفصل التاسع: هل دعا إلى نفسه أو دعا إلى الرضا من العترة.

الفصل العاشر: موقف أئمّة أهل البيت من خروج زيد وجهاده.

الفصل الحادى عشر: الخط الثورى المدعَم من قبل أئمّة أهل البيت.

الفصل الثانى عشر: موقف علماء الشيعة من زيد الشهيد.

الفصل الثالث عشر: الثورات الناجمة عن ثورة الإمام الحسين ــ عليه السلام .ــ

الفصل الرابع عشر: ثورة زيد كانت استمراراً لثورة الحسين ــ عليه السلام . (ــ ۶) (٧)

القسم الاَوّل : فهرس إجمالى لفصول القسم

اشاره

القسم الاَوّل : فهرس إجمالی لفصول القسم الأوّل، الأربعة عشر

الفصل الاَوّل فرق الشيعة بين الحقائق والاَوهام

الفصل الاَوّل فرق الشيعة بين الحقائق والاَوهام إنّ من ثمرات وجود النبی المعصوم بين الاَُمّة هو رأب الصدع بعد ظهوره بينهم، وفصل القول، عند اندلاع النزاع، والقضاء على الفتنة فی مهدها، وکان رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يلمّ الشمل، ويُزيل الخلاف عند بروزه فلاَجل ذلک کان اختلاف الصحابة فی عصره ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ غير موَثر فی تفرق الاَُمّة، لاَنّه صلوات اللّه عليه وآله بحنکته، واعتقاد الاَُمّة بعصمته، کان يأخذ بزمام الاَُمور، ويکسح أسباب الشقاق من جذوره.
فعندما اعترض عليه ذو الخويصرة عند توزيع الغنائم بين المسلمين بقوله: إعدل يامحمّد فإنّک لم تعدل، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن لم أعدل، فمن يعدل» ثم أعاد اللعين وقال: هذه قسمة ما أُريد بها وجه اللّه، فعند ذاک لم يجد النبی ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بُدّاً من أن يعرّفه للاَُمّة الاِسلامية وقال: «سيخرج من ضئضىَ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين، کما يمرق السهم من الرمية» (۱)

---

(۱) مضت اسناد الرواية فی: ۵|۴۸۰ ـ ۵۰۲، من هذه الموسوعة

(۸)

وليست قصة ذی الخويصرة وحيدة فی بابها، فقد حدثت حوادث وکوارث فی زمانه کادت تفرّق الاَُمّة ولکنّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قضى عليها بعلمه وحلمه وحکمته، ولا يقصر حديث الاِفک (۱)عن قصة ذی الخويصرة، أو قعود بعض الصحابة عن الخروج مع رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فی جيش العسرة، أو ما حدث فی أيّام مرضه، حيث طلب دواة وقرطاساً حتى يکتب کتاباً لاتضل الاَُمّة بعده، فخالف بعضهم، ووافق البعض الآخر، فقضى النبی ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ على الاختلاف وقال: «قوموا عنّی، لا ينبغی عندی التنازع» (۲). إلى غير ذلک من حوادث مريرة فی عصر الرسالة، فقد استقبلها القائد الکبير برحابة صدر فی غزواته وفی إقامته فی المدينة.
وقد کانت وحدة الاَُمّة الاِسلامية رهن قائد مطاع معصوم، لا يخضع لموَثرات الهوى، وتکون الاَُمّة مأمورة باتّباعه قال تعالى": وَما کَانَ لِمُوْمِنٍ وَلا مُوْمِنَةٍ إذا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أمْراً أنْ تَکُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أمرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبينا ("الاَحزاب ـ ۳۶) .
ولئن تفرقت الاَُمّة إلى فرقتين أو أکثر فإنّما تفرّقوا بعد رحيله، وسرُّ الاختلاف يکمن فی تناسی الاَُمّة الاِمام المعصوم الذی نصبه النبی مرجعاً عند الخلاف، غير أنّ المهتمّين بأمر الرسول ونصوصه تعلّقوا به تعلّقاً دينياً ولاَجل ذلک قلّ الاختلاف بينهم أو لم يتحقق إلى عصر الصادقين ــ عليهما السلام ــ وما يذکر من الفرق فی عهدهما، لا صلة لهم بالاِسلام فضلاً عن التشيّع وإنّما کان التفرّق آنذاک ارتداداً عن الاِسلام وخروجاً عن الدين کما سيتضح________________.
(۱) اقرأ تفصيل القصة وتشاجر الحيّين: الاَوس والخزرج فی مسجد النبی بحضرته فی صحيح البخاری: ۵ |۱۱۹ باب غزوة بنی المصطلق، والسيرة النبوية: لابن هشام: ۳|۳۱۲. وذکرها الشهرستانی فی الملل والنحل فی فصل بدايات الخلاف: ۱|۲۱.
(۲) لاحظ صحيح البخاری: ۱|۲۲، کتاب العلم، و۲|۱۴، والملل والنحل: للشهرستانی: ۱|۲۲ عند البحث فی بدايات الخلاف.

(۹)

يقول أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازی صاحب کتاب الزينة: «کانت طائفة من (۱) الشيعة قبل ظهور زيد بن علی مجتمعين على أمر

واحد، فلمّا قتل زيد انحازت منهم طائفة إلى جعفر بن محمّد وقالوا بإمامته» (۲).

إنّ الشيعة هم الذين شايعوا علياً وولديه الحسن والحسين ــ عليهم السلام ــ وكانوا متمسّكين بإمامتهم وقيادتهم ولم يبرز أيُّ اختلاف دينى بينهم إلى زمن الإِمام الصادق ــ عليه السلام ، ــ لاَنّ الاعتقاد بوجود المعصوم، كان يدفعهم إلى سوَاله ورفع الإِبهام عن الملابسات فى وجوه المسألة، وأمّا تاريخ الكيسانية الناجمة فى عصر الإِمام السجاد ــ عليه السلام ــ فسندرسها حسب التاريخ وكلمات أصحاب المقالات.

هذا ما يلمسه الإِنسان من قراءة تاريخ الشيعة، ولكن نرى أنّ أصحاب المقالات يذكرون للشيعة فرقاً كثيرة، وهم بين غلاة وغيرها.

قال الشهرستانى تبعاً لعبد القاهر البغدادى (۳): والشيعة خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاةوإسماعيلية (۴). ثم ذكر لكل فرقة طوائف كثيرة ولعل الغاية من إكثار الفرق تطبيق حديث الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فى انقسام أُمّته إلى ثلاث وسبعين فرقة، عليهم.

ونحن نقف أمام هذا التقسيم وقفة غير طويلة، فنذكر أمرين:

الاَوّل: إنّ الغلاة ليسوا من الشيعة، ولا من المسلمين، وإنّ عدهم من الطوائف الإِسلامية جناية على المسلمين والشيعة، وعلى فرض كونهم فرقاً، فلم يكن لهم أتباع ولم يكتب لهم البقاء إلاّ أياماً قلائل________________.

(۱) كذا فى النسخة، ولعل لفظة «من» زائدة أو بيانيّة.

(۲) أبو حاتم الرازى: كتاب الزينة: ۲۰۷.

(۳) عبد القاهر البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۱. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.

(۴) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۴۷.

الثانى: إنّ الكيسانية لم تكن فرقة نجمت بين الشيعة، وإنّما خلقتها أعداء أئمة أهل البيت، ليستغلّوها ويقضوا بها على تماسك الشيعة ووحدتهم، وأكثر ما يمكن أن يقال فى المقام: إنّه كانت هناك شكوك وأوهام عرت بعض البسطاء ثم أُزيلت، فتجلى الصبح لذى عينين، وإليك الكلام فى كلا المقامين:

* * *

الغلاة ليسوا من المسلمين:

قد ذكر أصحاب الفرق فرقاً للشيعة باسم الغلاة ومع أنّهم يصرّحون بأنّهم ليسوا من فرق المسلمين ولكن يذكرونها فرقاً للشيعة ويحملون أوزار الغلاة على الشيعة. والشيعة طائفة من المسلمين فكيف يصح عدّ الغلاة منهم !!.

قال البغدادى: «فأمّا غلاتهم الذين قالوا بإلهية الاَئمة وأباحوا محرّمات الشريعة وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة كالبيانية، والمغيرية، والجناحية، والمنصورية، والخطابية، والحلولية، ومن جرى مجراهم فماهم من فرق الإِسلام وإن كانوا منتسبين إليه» (۱).

وقال أيضاً: الكلام فى ذلك (الفرق الإِسلامية) يدور على اختلاف المتكلمين فيمن يعد من أُمّة الإِسلام وملّته ـ إلى أن قال: ـ فإن كان على بدعة الباطنية، أو البيانية، أو المغيرية، أو المنصورية، أو الجناحية،أو السبئية، أو الخطابية من الرافضة، أو كان على دين الحلولية أو على دين أصحاب التناسخ أو على دين الميمونية، أو اليزيدية من الخوارج أو على دين الخابطية، أو الحمارية من

---

(۱) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۳ـ ۲۴.

القدرية، أو كان ممن يحرّم شيئاً ممن نصّ القرآن على إباحته باسمه، أو أباح ما حرّم القرآن باسمه فليس هو من جملة أُمّة الإِسلام ـ

إلى أن قال:ـ فالفرق المنتسبة إلى الإِسلام فى الظاهر مع خروجها عن جملة الاَمّة، عشرون فرقة هذه ترجمتها:
سبئيـة، وبيانية، وحربية، ومغيرية، ومنصورية، وجناحية، وخطّابية، وغرابية، ومفوضـية، وحلولية، وأصـحاب التناسخ، وخابطية، وحمارية، ومقنّعيـة، ورزاميـة، ويزيديـة، وميمونيـة، وباطنية، وحلاّجية، وعذافرية، وأصـحاب إباحة، وربما انشـعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق أصنافاً كثيرة (١).

أقول: إنّ البحث فى هذا الفصل فى كتب الملل والنحل هو التحدث عن الفرق الإِسلامية ولا تكون الفرقة، إسلامية إلاّ إذا كان المقسم (الإِسـلام) موجوداً فيها، فالإِسـلام هو الشـهادة على توحيده ورسالة نبيّه وحشـر الخلق يوم المعاد، والتصديق بما جاء به النبى الاَكرم ــ صلى الله عليه وآله وسـلم ــ على وجه الإِجمال، فمن أنكر واحـداً من هذه، فليس بمسـلم ولا يحمل عقيدة إسـلامية، وهذه الفرق التى جاء بها الاَشـعرى فى كتاب مقالات الإِسـلاميين وتبعه البغدادى فى الفرق بين الفرق ليسوا من الإِسلام ولا الشيعة بشىء وإنّما هى فرق مرتـدة عن الإِسـلام ولايمكن الحكم عليهم بالإِسـلام، فالاَولى حـذف هوَلاء المرتدين عن كتب الملل والنحل، والبحث عنهم تاريخياً فقط.

لا شك أنّ هوَلاء تنزلوا من علياء الإِسـلام إلى حضـيض الكفر وما جرَّتهم إلى ذلك إلاّ مطامع وشهوات استهوتهم إلى هذه المقالات الباطلـة ومن حسن الحظ أنّه لم تكتب عليهم حيـاة معروفـة إنّمـا كـانت أيّاماً قلائل قطعت معرّتَهم حمامُهم فلم يبق منهن ذكر إلاّ بين أسطر التاريخ.

على أنّ قسماً منهم قاموا بهذه الدعايات من قبل السياسات الزمنية روماً________________

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق: ٢٣٢.

(١٢)

لتشـتيت كلمـة الشـيعة أو المسـلمين، لكـن سـرعان مـا قلب عليهم الـدهر ظهر المجنّ لمـا تمكنت السـياسة من الحصـول على غايـاتها المنشودة فأُخذوا وقتلوا تقتيلاً.

هكـذا يعامل مع كل عميل يعمل لصالـح المسـتكبر. على أنّه لم يكن لمنهجهم معتنق قابل للـذكر إلاّ شـذاذ الآفاق أو ساقة الناس فمن مال إليهم لغايـة دنيويـة أو لشـكوك وأوهام عرت لهم لا يتجاوز عـددهم عدد الاَصابع إلاّ شـيئاً طفيفاً حتى أصبح الجميع فى حديث الاَمس الدابر.

والذى يتحمّل وزر ذكر هوَلاء من الفرق الإِسـلامية الشيعية هو الشيخ المتكلّم الجليل الحسن بن موسى النوبختى (١)الشيعى من أعلام القرن الثـالث المتوفّى حوالى عـام ٣١٠هـ فى كتـابه «فرق الشـيعة» ثـم الشـيخ الاَشـعرى (٢)فى كتـابه «مقالات الإِسـلاميين واختلاف المصلّين»، وتبعهمـا مـن جاء بعـدهما كالبغـدادى فى «الفرق بين الفرق» (٣)والإِسـفرائينى فى «التبصـير » (۴)والشهرسـتانى فى «الملل والنحل» (۵).

وإنّى لاَـضن بالحبر والورق على تسـطير عقائـد هوَلاء وكفرياتهم الـذين قضـى عليهم الـدهر وشـرب، ولكن لاَجل إيقاف القارىَ على إجمال ما كانوا يعتقدونه نذكر أسماء الفرق مع التعريف الإِجمالى لمبادئهم حتى يقف على صدق ما قلناه.

قـال الاَشـعرى: فمنهم الغاليـة وإنّمـا سـمّوا الغاليـة لاَنّـهم غلوا فى على ـ عليه السـلام ـ وقـالوا فيه قولاً عظيماً وهم خمس عشـرة فرقـة:

---

(١) الحسن بن موسى النوبختى: فرق الشيعة: ٣۶، وما بعدها.

(٢) الإِمام الاَشعرى: مقالات الإِسلاميين واختلاف المصلين: ۵، وما بعدها.

(٣) البغدادى: الفرق بين الفرق: ٢٢۵، وما بعدها.

(۴) الإِسفرائينى: التبصير: ١٢٣، وما بعدها.

(۵) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۵۰، وما بعدها.

(۱۳)

الأُولى: البيانية:

وهوَلاء يزعمون أنّ أبا هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية (۱)نص على إمامة بيان بن سمعان التميمى ونصبه إماماً، يقولون بأنّ اللّه عزّ وجلّ على صورة الاِنسان وأنّه يهلك كلّه إلاّ ـ وجهه وادّعى «بيان» أنّه يدعو (كوكب) الزهرة فتجيبه وأنّه يفعل ذلك بالاسم الاَعظم فقتله خالد بن عبد اللّه القسرى، وقيل: إنّ كثيراً منهم يثبت لبيان بن سمعان، النبوة (۲).

وقال النوبختى: فكان «بيان» تبّاناً يتبن التبن فى الكوفة وأخذه خالد بن عبد اللّه القسرى هو وخمسة عشر رجلاً من أصحابه، فشدّهم بأطنان القصب وصبّ عليهم النفط فى مسجد الكوفة وألهب فيهم النار فأفلت منهم رجل فخرج بنفسه ثم التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار فكرّ راجعاً إلى أن ألقى نفسه فى النار فأُحرق معهم (۳) .

أقول: إنّ البيانية ـ على فرض صحّة وجودها ـ مشتقة من القول بإمامة محمد ابن الحنفية بعد شهادة السبط الاَكبر الحسين بن على سلام اللّه عليهما وانتقال الاِمامة منه إلى ابنه أبى هاشم، فلما مات أبو هاشم اختلفوا فى وصيّه إلى أقوال فمن قائل بأنّه ابن أخيه الحسن بن على بن محمد الحنفية، إلى آخر بأنّه أخوه على بن محمد، وعليّ أوصى إلى ابنه الحسن فالاِمامة عندهم فى بنى الحنفية لاتخرج إلى غيرهم، إلى ثالث أنّه عبد اللّه بن عمرو بن الكندىّ، وأنّ الاِمامة خرجت من بنى هاشم وتحرّكت روح أبى هاشم إلى عبد اللّه الكندى، إلى رابع بأنّه أوصى إلى بيان ابن سمعان التميمى (۴________________).

(۱) كل فرقة تنتمى إلى أبى هاشم فهى من فروع الكيسانية الممسوخة والفرق الثلاث الأُول: البيانية، الجناحيّة، والحربية، من هذا الصنف.

(۲) الاِمام الاَشعرى: مقالات الاِسلاميين: ۵ ـ ۶.

(۳) النوبختى: فرق الشيعة: ۲۸، طبع بيروت، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، ولاحظ الفرق بين الفرق: ۲۳۶.

(۴) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۵۱ ـ ۱۵۲.

(۱۴)

الثانية: الجناحية:

أصحاب عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر ذى الجناحين، يزعمون أنّ عبد اللّه بن معاوية كان يدّعى أنّ العلم ينبت فى قلبه كما ينبت الكماة والعشب وأنّ الاَرواح تناسخت وأنّ روح اللّه جلّ اسمه كانت فى آدم ثم تناسخت حتى صارت فيه، قال: وزعم أنّه ربّ وأنّه نبى فعبدته شيعته وهم يكفرون بالقيامة ويدعون أنّ الدنيا لاتفنى ويستحلّون الميتة والخمر وغيرهما من المحارم ويتأوّلون قول اللّه عزّ وجلّ ": لَيسَ عَلَى الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إذا ما اتَّقَوا ("۱).

هذا ولم يذكر الاَشعرى اشتقاقهم من أى فرقة ولكن جاء به النوبختى، وقال: «فرقة قالت أوصى أبو هاشم عبد اللّه بن محمد الحنفية إلى عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب الخارج بالكوفة، وهو يومئذ غلام صغير فدفع الوصية إلى صالح بن مدرك وأمره أن يحفظها حتى يبلغ عبد اللّه بن معاوية فيدفعها إليه فهو الاِمام وهو العالم بكل شىء حتى غلوا فيه وقالوا: إنّ اللّه عزّ وجلّ نور وهو فى عبد اللّه بن معاوية قتله أبو مسلم فى حبسه» (۲)

الثالثة: الحربية:

هم أصحاب عبد اللّه بن عمر بن حرب، ويسمّون الحربية، يزعمون أنّ روح أبى هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية تحولت فيه وأنّ أبا هاشم نصّ على إمامته (۳) . ويرجع جذور هذه الفرق إلى القول بإمامة محمد الحنفية ثم أبى هاشم كما تقدم.

(۱) الأَشعرى: مقالات الإِسلاميين: ۶.والآية ۹۳ من سورة المائدة.

(۲) النوبختى: فرق الشيعة: ۳۲، ولاحظ الفرق بين الفرق: ۲۴۵.

(۳) الأَشعرى: مقالات الإِسلاميين: ۶، لاحظ الفرق بين الفرق: ۲۴۳.

(۱۵)

الرابعة: المغيرية:

هوَلاء أتباع المغيرة بن سعيد العجلى وكان يظهر فى بدء أمره موالاة الإِمامية ويزعم أنّ الإِمامة بعد على والحسن والحسين ــ عليهم السلام ــ إلى سبط الحسن محمد (المعروف بالنفس الزكية الذى توفى عام ۱۴۵هـ) وزعم أنّه المهدى المنتظر، ثم إنّه أظهر مقالات فاسدة منها دعواه النبوة، دعواه علمه بالاسم الأَعظم، وزعم أنّه يحيى بها الموتى ويهزم بها الجيوش ومنها إفراطه فى التشبيه وذلك أنّه زعم أنّ معبوده رجل من نور وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة ـ إلى أن قال: ـ وكان المغيرة مع ضلالاته يأمر بانتظار محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على (۱).

ويظهر من النوبختى أنّه كان يقول بإمامة الأَئمة إلى أبى جعفر الباقر ـ عليهم السلام ـ (۵۷ ـ ۱۱۴هـ) فلما توفى أبو جعفر محمد بن على، دعا المغيرة إلى إمامة محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم وأظهر ما أظهر فبرئت منه أصحاب أبى عبد اللّه جعفر بن محمد ــ عليهما السلام ــ ورفضوه فزعم أنّهم رافضة وأنّه هو الذى سمّاهم بهذا الاسم وقال: إنّ خالد بن عبد اللّه القسرى أخذ المغيرة فسأله عن عقائده فأقر بها ودعا خالداً إليها فاستتابه خالد فأبى أن يرجع عن قوله فقتله وصلبه (۲).

الخامسة: المنصورية:

أصحاب أبى منصور، يزعمون أنّ الإِمام بعد أبى جعفر محمد بن على بن الحسين ــ عليهم السلام ــ أبو منصور وأنّ أبا منصور، قال: آل محمد هم السماء________________

(۱) الأَشعرى: مقالات الإِسلاميين: ۹.

(۲) النوبختى: فرق الشيعة: ۶۳، وفيما ذكره تأمل واضح على أنّ خالد بن عبد اللّه القسرى من عُمال آل أُمية، فكيف قتل من كان يدعو بالنفس الزكية الذى خرج فى أوائل العباسيين وقتل عام ۱۴۵هـ؟!. إلاّ أن تكون له دعوة خفيّة بعد استشهاد زيد وابنه يحيى عام ۱۲۶ هـ.

(۱۶)

والشيعة هم الأَرض وأنّه هو الكسف الساقط من بنى هاشم تأويلاً ـ لقوله سبحانه": وإن يَرَوْا كِسفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَركُوم ("الطور ـ ۴۴) وقد ذكر الأَشعرى عقائدهم الفاسدة التى لا تمت صلة بالديانات الإِلهية (۱).

قال البغدادى: وكفرت هذه الطائفة بالقيامة والجنّة والنار وتأوّلوا الجنّة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس فى الدنيا واستحلّوا مع هذه الضلالة خنق مخالفيهم، واستمرت فتنتهم على عادتهم إلى أن وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى زمانه على عوارت المنصورية فأخذ أبا منصور العجلى وصلبه، وهذه الفرقة كالمتقدمة عليها غير معدودة من فرق الإِسلام لكفرها بالقيامة والجنّة والنار (۲).

السادسة: الخطابية المطلقه:

أصحاب أبى الخطاب بن أبى زينب، يقولون: إنّ الإِمامة فى أولاد علىّ إلى أن انتهت إلى جعفر الصادق، ويزعمون أنّ الأَئمة كانوا آلهة، وكان أبو الخطاب يزعم أوّلاً أنّ الأَئمة أنبياء، ثم زعم أنّهم آلهة، وأنّ أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء اللّه وأحباءه، وكان يقول: إنّ جعفراً إله، ولما بلغ ذلك جعفراً ــ عليه السلام ــ لعنه وطرده. وكان أبو الخطاب يدّعى بعد ذلك، الإِلهية لنفسه وزعم أتباعه أنّ جعفراً إله غير أنّ أبا الخطاب أفضل منه وأفضل من على (۳).

وخرج أبو الخطاب على أبى جعفر فقتله عيسى بن موسى فى سبخة الكوفة، ثم إنّ الذين جاءوا بعد أبى الخطاب انقسموا إلى فرق ذكرها الأشعرى وقد عبر عن مؤسس الفرقة بالخطابية المطلقة لتتميز عن الفرق اللاحقة________________.

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۹ ـ ۱۰.

(۲) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۴۳.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۴۷.

(۱۷)

السابعة: الخطابية المعمرية:

يزعمون أنّ الإمام بعد أبى الخطاب رجل يقال له «معمر» وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب. قال: واستحلّوا الخمر والزنا واستحلّوا سائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة (۱) وقد لعنه الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ وسيأتيك نصه.

الثامنة: الخطابية البزيعية:

أصحاب بزيع بن موسى يزعمون أن جعفر بن محمد ــ عليه السلام ــ هو اللّه، وزعموا أن كل ما يحدث فى قلوبهم وحى، وأنّ كل مؤمن يوحى إليه، وزعموا أنّ منهم من هو خير من جبرئيل وميكائيل وأن أحدهم إذا بلغت عبادته، رفع إلى الملكوت (۲) .

التاسعة: الخطابية العميرية:

أصحاب عمير بن بيان العجلى، وهذه الفرقة تكذب من قال منهم: إنّهم لا يموتون ويزعمون أنّهم يموتون ولا يزال خَلَفٌ منهم فى الأرض أئمة أنبياء وعبدوا جعفراً كما عبده اليعمريون وزعموا أنّه ربّهم وقد كانوا ضربوا خيمة فى كناسة الكوفة ثم اجتمعوا إلى عبادة جعفر فأخذ يزيد بن عمر بن هبيرة« عمير بن البيان» فقتله فى الكناسة وحبس بعضهم (۳).

العاشرة: الخطابية المفضلية:

لأنّ رئيسهم كان صيرفياً يقال له المفضل يقولون بربوبية جعفر كما قال________________

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۱، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ۸۷، البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۴۸.

(۲) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۲، النوبختى: فرق الشيعة: ۴۳.

(۳) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۲، النوبختى: فرق الشيعة: ۴۴.

(۱۸)

غيرهم من أصناف الخطابية وانتحلوا النبوة والرسالة وإنّما خالفوا فى البراءة من أبى الخطاب لأنّ جعفراً أظهر البراءة منه(۱).

الحادية عشرة:

من أصناف الغالية يزعمون أنّ روح القدس هو اللّه عزّ وجلّ وكانت فى النبى ثم فى على ثم فى باقى الأئمة الاثنى عشر، ولم يذكر الإمام الأشعرى اسم مؤسس الفرقة كالفرقة التالية (۲).

الثانية عشرة:

يزعمون علياً هو اللّه، ويكذبون النبى ويشتمونه ويقولون: إنّ علياً وجّه بِهِ ليبين أمره فادّعى الأمر لنفسه (۳) .

الثالثة عشرة:

هم أصحاب «الشريعى» يزعمون أنّ اللّه حلَّ فى خمسة أشخاص فى النبى وفى على والحسن وفى الحسين وفى فاطمة فهؤلاء آلهة عندهم وليس يطعن أصحاب الشريعى على النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ... (ــ ۴) .

الرابعة عشرة: السبائية:

أصحاب عبد اللّه بن سبأ، يزعمون أنّ علياً لم يمت وأنّه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا(۵) .

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۳، البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۵۰.

(۲)۳ـ۴ـ۵ـ الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۴، ۱۵، ۱۶، ولاحظ فى الوقوف على عقائد هذه الفرق كتب أصحاب المقالات والملل والنحل، وكأنّ المتأخرين عن الأشعرى عمدوا إلى تحرير ما ذكره، ولانطيل المقام بذكر المصادر.

(۱۹)

وقد تعرفت فى الجزء السادس على أنّ عبد اللّه بن سبأ على النحو الذى يذكره أصحاب التواريخ والمقالات أُسطورة تاريخية.

الخامسة عشرة: المفوضة:

يزعمون أنّ اللّه عزّ وجلّ وكّل الأُمور وفوّضها إلى محمّد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأنّه أقدره على خلق الدنيا فخلقها ودبرها وأنّ اللّه لم يخلق من ذلك شيئاً، ويزعمون أنّ الأئمة ينسخون الشرائع ويهبط عليهم الملائكة... (۱).

ونحن بدورنا نعلّق على هذه الفرق التى ذكروها فرقاً للشيعة وبالتالى فرقاً للإسلام بأمرين:

الأوّل: من المظنون جداً ـ أنّ هذه الفرق على فرض التأكد من وجودها فى عصورها ممّا صنعتها يد السياسة الأثيمة لتشويش سمعة الأئمة الطاهرين ـ عليهم السلام ـ بين المسلمين ومحق روعتهم، وقد استعانت فى ذلك، برجال كانوا غامرين فى حبّ التصدر والفخفخة، وجنون العظمة، ولما كانت دعوتهم على خلاف العقل والنقل، والفطرة الإنسانية، لم يُقم المجتمع الإسلامى لهم وزناً ولم يعيشوا إلّا أيّاماً قلائل وقد قامت أئمة أهل البيت بدورهم على إيقاظ الأُمّة عند استفحال الفساد وتبرّأوا من أصحاب هذه المقالات وعقائدهم. وسيوافيك كلامهم فى حقّ هؤلاء الغلاة فانتظر.

الثانى: نحن نعاتب المشايخ: النوبختى والأشعرى والبغدادى والإسفرائينى، والشهرستانى والرازى وغيرهم من كتّاب تاريخ العقائد، وأصحاب المقالات، حيث نسبوا هؤلاء إلى الشيعة مع تصريحهم بأنّهم غلاة كفار، لايمتّون إلى الإسلام والمسلمين بصلة، وأقلُّ، كلمة يمكن أن يقال فى حقهم إنّ الجنون________________

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين:۱۶.

(۲۰)

والمجون، وحب الجاه والمقام أسفت بهؤلاء إلى هوة المذلة واللعنة ثم الفناء المطلق فليس لأحد أن يطعن الشيعة بانتماء هؤلاء إليهم، فما أحسن قول القائل:

غيرى جنى وأنّا المعاقب فيكم * فكأنّنى سبابة المتندّم" قُلْ هذِهِ سَبِيلى أدعُوا إلى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وَسُبحانَ اللّهِ وَما أنا مِنَ المُشرِكِين ("يوسف ـ ۱۰۸) .

وليس انتماؤهم إلى الشيعة إلّا كانتماء النصارى القائلين بالتثليث إلى المسيح ــ عليه السلام ــ وهل يؤخذ البرىء بجرم المعتدى؟!. لا واللّه.

موقف الأئمة من الغلاة:

إنّ موقف أئمة أهل البيت من هؤلاء المرتدّين موقف النبى الأكرم من مشركى عصره والأعصار الآتية فقد طردوهم، ولعنوهم وكفّروهم وحذّروا شيعتهم من مكائدهم ومصائدهم، وإليك قسماً من الروايات الواردة فى حقّ سعيد بن المغيرة، وأبى الخطاب، ولفيفاً من رجال العيث والفساد الذين كانوا يتظاهرون بالانتماء إلى أهل البيت ــ عليهم السلام ــ ولم يكونوا منهم بشىء.

وبما أنّ كتاب الرجال للشيخ الكشى الذى يعد من علماء القرن الرابع أحسن كتاب وضع فى مجال التوثيق والجرح على أساس الروايات الواردة عن المعصومين ــ عليهم السلام ــ فى حقّ الرواة، نقتبس الروايات من هذا الكتاب وإن كان لها مصادر أُخرى.

(۲۱)

المغیرة بن سعید فی روایات أئمة أهل البیت ـ علیهم السلام ـ:

۱ ـ روی الکشی عن جعفر بن عیسی وأبی یحیی الواسطی قال: قال أبو الحسن الرضا ــ علیه السلام: «ــ کان المغیرة بن سعید یکذب علی أبی جعفر ـ علیه السلام ـ فأذاقه اللّه حرّ الحدید».

۲ ـ أخرج الکشی عن عبد اللّه بن مسکان عمّن حدثه من أصحابنا عن أبی عبد اللّه ــ علیه السلام ــ قال: سمعته یقول: لعن اللّه المغیرة بن سعید إنّه کان یکذب علی أبی، فأذاقه اللّه حرّ الحدید. لعن اللّه من قال فینا ما لا نقوله فی أنفسنا، ولعن اللّه من أزالنا عن العبودیة للّه، الذی خلقنا وإلیه مآبنا ومعادنا وبیده نواصینا.

۳ ـ أخرج الکشی عن محمد بن عیسی بن عبید: أنّ بعض أصحابنا سأل یونس بن عبد الرحمن وأنا حاضر، فقال له: یا أبا محمد ما أشدَّک فی الحدیث وأکثر إنکارک لما یرویه أصحابنا فما الذی یحملک علی ردّ الَاحادیث؟ فقال: حدثنی هشام بن الحکم أنّه سمع أبا عبد اللّه ــ علیه السلام ــ یقول: لا تقبلوا علینا حدیثاً إلاّ ما وافق القرآن والسنّة أو تجدون معه شاهداً من أحادیثنا المتقدمة، فإنّ المغیرة بن سعید لعنه اللّه دسّ فی کتب أصحاب أبی أحادیث لم یُحدِّث بها أبی فاتقوا اللّه ولاتقبلوا علینا ما خالف قول ربّنا تعالی وسنّة نبینا ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ فإنّا إذا حدّثنا قلنا قال اللّه عزّ وجلّ وقال رسول اللّه.

۴ ـ أخرج الکشی عن هشام بن الحکم أنّه سمع أبا عبد اللّه ــ علیه السلام ــ یقول: «کان المغیرة بن سعید یتعمَّد الکذب علی أبی ویأخذ کتب أصحابه، وکان أصحابه المستترون فی أصحاب أبی، یأخذون الکتب من أصحاب أبی فیدفعونها إلی المغیرة فکان یدسّ فیها الکفر والزندقة ویُسندها إلی أبی ثم یدفعها إلی أصحابه فیأمرهم أن یبثّوها فی الشیعة فکل ما کان فی کتب أصحاب أبی من الغلو فذاک مما دسّه المغیرة فی کتبهم».

(۲۲)

۵ ـ أخرج الکشی عن علی بن الحسان عن عمّه عبد الرحمن بن کثیر قال: قال أبو عبد اللّه ــ علیه السلام ــ یوماً لَاصحابه: «لعن اللّه المغیرة بن سعید ولعن اللّه یهودیة کان یختلف إلیها یتعلّم منها السحر والشعبذة والمخاریق، إنّ المغیرة کذب علی أبی فسلبه اللّه الاِیمان وإنّ قوماً کذبوا علیّ، ما لهم، أذاقهم اللّه حرّ الحدید، فو اللّه ما نحن إلاّ عبید الذی خلقنا واصطفانا، مانقدر علی ضرّ ولا نفع إن رُحمنا فبرحمته وإن عُذّبنا فبذنوبنا، واللّه مالنا علی اللّه من حجّة ولامعَنا من اللّه براءة وإنّا لمیتون ومقبورون، ومنشرون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسوَولون، ویلهم مالهم، لعنهم اللّه آذوا اللّه وآذوا رسوله ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ فی قبره وأمیر الموَمنین وفاطمة والحسن والحسین وعلیّ بن الحسین ومحمد بن علی، وها أنا ذا بین أظهرکم، لحم رسول اللّه وجلد رسول اللّه، أبیت علی فراشی خائفاً وجلاً مرعوباً، یأمنون وأفزع، وینامون علی فرشهم، وأنا خائف ساهر، وَجِل اتقلقل بین الجبال والبراری أبرأ إلی اللّه ممّا قال فیّ الَاجدع البّراد عبد بنی أسد أبو الخطاب، لعنه اللّه، واللّه لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلک لکان الواجب الاّ تقبلوه فکیف وهم یرونی خائفاً وجلاً استعدی اللّه علیهم وأتبرّأ إلی اللّه منهم أشهدکم إنّی امروَ ولدنی رسول اللّه وما معی براءة من اللّه، إن أطعته رحمنی وإن عصیته عذّبنی عذاباً شدیداً أو أشد عذابه».

۶ ـ أخرج الکشی عن سلمان الکنانی: قال: قال لی أبو جعفر ــ علیه السلام: ــ هل تدری ما مثل المغیرة؟ قال: قلت: لا، قال: مثله مثل بلعم بن باعور، قلت: ومن بلعم قال: الذی قال اللّه عزّ وجلّ": الّذِی آتَیناهُ آیاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّیطانُ فَکانَ مِنَ الغاوین ("۱).

إلی غیر ذلک من الروایات التی وردت فی ذمّه ونقلها الکشی فی رجاله(۲ــــــــــــــــــــــــ)

(۱) الَاعراف: ۱۷۵.

(۲) الکشی: الرجال: ۱۹۴ ـ ۱۹۸.

(۲۳)

أبو زینب وأتباعه فی روایات أئمة أهل البیت :

قال الكشى فى رجاله: محمد بن أبى زينب اسمه مقلاص بن الخطاب البرّاد الاَجدع الاَسدى ويكنّى أبا إسماعيل ويكنّى أيضاً أبا الضبيان:

١ ـ أخرج الكشى عن عيسى بن أبى منصور قال: سمعت أبا عبد اللّه ـ عليه السلام ـ يقول وذكر أبا الخطاب فقال: اللهم العن أبا الخطاب فإنّه خوّفنى قائماً وقاعداً وعلى فراشى، اللهم أذقه حرّ الحديد.

٢ ـ أخرج الكشى عن بريد العجلى عن أبى عبد اللّه ــ عليه السلام ــ قال: سألته قول اللّه عزّ وجلّ " هل أُنَبِّئُكُم على مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطين * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أفّاكٍ أثِيم ("١) قال: هم سبعة: المغيرة بن سعيد، وبيان، والصائد النهدى، والحارس الشامى، وعبد اللّه بن حارث، وحمزة بن عمار البربرى وأبو الخطاب (٢).

٣ ـ أخرج الكشى عن بشير الدهان عن أبى عبد اللّه ــ عليه السلام ــ قال: كتب أبو عبد اللّه ــ عليه السلام ــ إلى أبى الخطاب بلغنى أنّك تزعم أنّ الزنا رجل، وأنّ الخمر رجل، وأنّ الصراط رجل، وأنّ الصيام رجل، والفواحش رجل، وليس هو كما تقول، أنا أصل الحقّ، وفروع الحقّ طاعة اللّه، وعدوّنا أصل الشر وفروعهم الفواحش، وكيف يطاع من لا يعرف وكيف يعرف من لا يطاع»؟

٤ ـ أخرج الكشى عن الحمادى رفعه إلى أبى عبد اللّه أنّه قيل له: روى عنكم أن الخمر والميسر والاَنصاب والاَزلام رجال؟ فقال: «ما كان اللّه عزّ وجلّ ليخاطب خلقه بما لا يعلمون________________».

(١) الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) جرى الاِمام ــ عليه السلام ــ فى تفسير الآية بهوَلاء السبعة، مجرى الجرى وتطبيق الكلّى على مصاديقه الكثيرة.

(٢٤)

٥ ـ أخرج الكشى عن سدير عن أبى عبد اللّه ــ عليه السلام ــ قال: كنت جالساً عند أبى عبد اللّه وميسر عنده ونحن فى سنة ثمان وثلاثين ومائة فقال ميسر بياع الزطى: جعلت فداك عجبت لقوم كانوا يأتون معنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم، قال: «ومن هم؟» قلت: أبو الخطاب وأصحابه، فكان متكئاً فجلس فرفع اصبعه إلى السماء ثم قال: «على أبى الخطاب لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين فاشهدوا باللّه أنّه كافر، فاسق مشرك وأنّه يحشر مع فرعون فى أشد العذاب غدواً وعشياً، ثم قال: أما واللّه إنّى لانفس (١)على أجساد أُصيبت معه النار».

٦ ـ أخرج الكشى عن المفضل بن يزيد قال: قال أبو عبد اللّه ــ عليه السلام ــ وذكر أصحاب أبى الخطاب والغلاة فقال لى: «يامفضل لاتقاعدوهم ولاتواكلوهم ولاتشاربوهم ولاتصافحوهم ولاتوارثوهم».

٧ ـ أخرج الكشى عن مرازم قال: قال أبو عبد اللّه: « قل للغالية توبوا إلى اللّه فإنّكم فسّاق كفّار مشركون».

٨ ـ أخرج الكشى عن أبى بصير قال: قال لى أبو عبد اللّه ــ عليه السلام: «ــ يا أبا محمد ابرأ ممن يزعم أنّا أرباب» قلت: برئَ اللّه منه، فقال: «ابرأ ممن زعم أنّا أنبياء» قلت: برئَ اللّه منه.

٩ ـ أخرج الكشى عن قاسم الصيرفى قال: سمعت أبا عبد اللّه يقول: «قوم يزعمون أنّى لهم إمام واللّه ما أنا لهم بإمام، مالهم لعنهم اللّه كلما سترتُ ستراً هتكوه، هتك اللّه ستورهم».

١٠ ـ أخرج الكشى عن الحسن الوشاء عن بعض أصحابنا عن أبى عبد اللّه ـ عليه السلام ـ قال: «من قال بأنّنا أنبياء فعليه لعنة اللّه ومن شك فى ذلك فعليه لعنة اللّه________________».

(١) نَفسَ به وعليه: ضنَّ به.

(٢٥)

١١ ـ أخرج الكشى عن زرارة عن أبى جعفر قال: سمعته يقول: «لعن اللّه «بيان التبان» وأنّ «بياناً» لعنه اللّه يكذب على أبى أشهد أنّ أبى على بن الحسين كان عبداً صالحاً».

۱۲ ـ أخرج الكشى عن أبى يحيى الواسطى قال: قال أبو الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ: «كان بيان يكذب على على بن الحسين ــ عليه السلام ــ فأذاقه اللّه حر الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبى جعفر ــ عليه السلام ــ فأذاقه اللّه حرّ الحديد.

وكان محمد بن بشير يكذب على أبى الحسن موسى فأذاقه اللّه حرّ الحديد.

وكان أبو الخطاب يكذب على أبى عبد اللّه فأذاقه اللّه حرّ الحديد والذى يكذب علىّ، محمد بن فرات» قال أبو يحيى: وكان محمد بن فرات من الكتاب فقتله إبراهيم بن شكلة.

۱۳ ـ أخرج الكشى عن عبد اللّه بن سنان قال: قال أبو عبد اللّه ـ عليه السلام ـ: «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أصدق البرية لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ أصدق من برأ اللّه، من بعد رسول اللّه وكان الذى يكذب عليه ويعمل فى تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد اللّه ابن سبأ لعنه اللّه».

ذكر أبو عبد اللّه ــ عليه السلام ــ الحارث الشامى وبيان فقال: كانا يكذبان على على بن الحسين ــ عليه السلام، ــ ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعاً والسرىّ وأبا الخطاب ومعمراً وبشار الأشعرى وحمزة البربرى وصائد النهدى فقال: «لعنهم اللّه إنّا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأى، كفانا اللّه مؤنة كل كذّاب، وأذاقهم اللّه حر الحديد».

(۲۶)

۱۴ ـ أخرج الكشى عن ابن أبى يعفور قال: كنت عند أبى عبد اللّه ـ عليه السلام ـ فاستأذن عليه رجل حسن الهيئة، فقال: اتق السفلة فما تقارّت فى الأرض حتى خرجت فسألت عنه فوجدته غالياً.

إلى غير ذلك من الروايات التى جمعها الكشى فى رجاله

(۱)وقد اكتفينا بهذا المقدار وإلاّ ـ فالروايات التى تذم هؤلاء الغلاة الكفّار كثيرة. وقد أشار الإمام فى ثنايا كلامه أنّهم كانوا بصدد تشويه سمعة الأئمة بالكذب عليهم حيث قال: فيسقط صدقنا بكذبهم علينا عند الناس_______________.

(۱) الكشى: الرجال: ۲۹۰ ـ ۳۰۸، ولقد قابلنا الأحاديث مع الطبعة التى حقّقها العلاّمة المصطفوىّ، ومع ذلك لا تخلو أيضاً من هفوات.

(۲۷) الكيسانية والإبهامات المحدقة بها قد علمت أنّ الغلاة ليسوا من المسلمين ولا من الشيعة ولا يصح عدّهم من الفرق الإسلامية، وإنّ هذا الخطأ صدر من النوبختى والأشعرى وجاء الباقون فساروا على سيرتهما. نعم يظهر من كتب الفرق أنّ فرقاً للشيعة برزت إلى حيّز الوجود قبل ثورة زيد بن على. وفرقاً أُخرى ظهرت بعد ثورته. ولعل القسم الأوّل منحصر فى الكيسانية التى يدعى أصحاب المقالات أنّها ظهرت بعد ثورة الحسين ــ عليه السلام ــ أيام إمامة ولده زين العابدين ــ عليه السلام، ــ وبدورنا نذكر بعض نصوصهم حول الكيسانية. ثم نرجع إلى تحرير المتحصل منها، ولأجل ذكر النصوص فى بدء البحث نستغنى عن الإرجاع إلى المصادر عند التحليل فنقول:

۱ ـ قال الأشعرى: الكيسانية وهى إحدى عشرة فرقة، وإنّما سمّوا كيسانية لأنّ المختار الذى خرج وطلب بدم الحسين بن على ودعا إلى محمد ابن الحنفية كان يقال له كيسان، ويقال إنّه مولى لعلى بن أبى طالب ـ رضى اللّه عنه ـ.

الفرقة الأُولى من الكيسانية يزعمون أنّ على بن أبى طالب ــ عليه السلام ــ نصّ على إمامة ابنه محمد ابن الحنفية، لأنّه دفع إليه الراية بالبصرة.

والفرقة الثانية: منهم يزعمون أنّ على بن أبى طالب نصّ على إمامة ابنه الحسن بن على وأنّ الحسن بن على نصّ على إمامة أخيه الحسين بن على وأنّ الحسين بن على نصّ على إمامة أخيه محمد بن على وهو محمد ابن الحنفية.

والفرقة الثالثة: من الكيسانية هى الكربية أصحاب أبى كرب الضرير

(٢٨)

يزعمون أنّ محمد ابن الحنفية حيّ بجبال رضوى، أسد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانه، يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه. ومن القائلين بهذا القول كُثَيِّر الشاعر وفى ذلك يقول:

ألّا إنّ الاَئمة من قريش * ولاة الحقّ أربعة سواء

على والثلاثة من بنيه * هم الاَسباط ليس بهم خفاء

فسبط، سبطُ إيمانٍ وبرّ * وسبطٌ غيّبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخيل يَقْدُمها اللواء

تغيّب لا ـ يُرى فيهم زمان * برضوى عنده عسل وماء الفرقة الرابعة: يزعمون أنّ محمد ابن الحنفية إنّما جعل بجبال رضوى عقوبة لركونه إلى عبد الملك بن مروان وبيعته إيّاه.

والفرقة الخامسة: يزعمون أنّ محمد ابن الحنفية مات وأنّ الإِمام بعده ابنه أبو هاشم: عبد اللّه بن محمد الحنفية (١).

والفرقة السابعة: قالت إنّ الإِمامة بعد موت أبى هاشم لابن أخيه الحسن بن على بن محمد ابن الحنفية.

والفرقة الثامنة: قالت إنّ أبا هاشم أوصى إلى أخيه على بن محمد، وعليّ أوصى إلى ابنه الحسن، فالإِمامة عندهم فى بنى الحنفية لاتخرج إلى غيرهم (٢).

والفرقة التاسعة: يزعمون أنّ الإِمام بعد أبى هاشم محمد بن على بن عبد________________

(١) الاَشعرى: مقالات الإِسلاميين: ١٨ ـ ٢٠، وقد سقط من الطبع الفرقة السادسة من الكيسانية ولذلك ابتدأنا بالسابعة، ولما كانت نسخة مقالات الإِسلاميين مشوشة فى بيان الفرقة السابعة والثامنة أخذناهما من كتاب الملل والنحل للشهرستانى.

(٢) هاتان الفرقتان نقلناهما من الملل والنحل للشهرستانى ثم نتابع النقل من مقالات الإِسلاميين.

(٢٩)

اللّه ابن العباس قالوا: وذلك أنّ أبا هاشم مات بأرض الشراة (١)منصرفة من الشام فأوصى هناك إلى محمد بن على بن عبد اللّه بن العباس وأوصى محمد بن على إلى ابنه إبراهيم بن محمد، ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبى العباس، ثم أفضت الخلافة إلى أبى جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض، ثم رجع بعض هوَلاء عن هذا القول وزعموا أنّ النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ نصّ على العباس بن عبد المطلب ونصبه إماماً، ثمّ نصّ العباس على إمامة ابنه عبد اللّه ونصّ عبد اللّه على إمامة ابنه على بن عبد اللّه، ثم ساقوا الإِمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبى جعفر المنصور.

الفرقة العاشرة: يزعمون أنّ أبا هاشم أوصى إلى بيان بن سمعان التميمى وانّه لم يكن له أن يوصى بها إلى عقبه.

الفرقة الحادية عشرة: يزعمون أنَّ الإِمام بعد أبى هاشم عبد اللّه بن محمد ابن الحنفية وعليّ بن الحسين بن على بن أبى طالب(٢)

وقال النوبختى: وفرقة قالت بإمامة محمد ابن الحنفية، لاَنّه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسمّوا الكيسانية، وإنّما سمّوا بذلك لاَنّ المختار ابن أبى عبيدة الثقفى كان رئيسهم وكان يلقب «كيسان» وهو الذى طلب بدم الحسين بن على صلوات اللّه عليهم وثأره حتى قتل من قتلته وغيرهم من قَتَل، وادّعى (المختار) أنّ محمد ابن الحنفية أمره بذلك وأنّه الإِمام بعد أبيه، وإنّما لقّب المختار كيسان لاَنّ صاحب شرطته المكنّى بأبى عمرة كان اسمه كيسان، وكان أفرط فى القول والفعل والقتل من المختار جداً، وكان يقول: إنّ محمد ابن الحنفية وصيّ على بن أبى طالب، وأنّه الإِمام وأنّ المختار قيّمه وعامله ويُكفر من تقدّم________________

(١) كذا فى النسخة المطبوعة والصحيح «السراة» وهى موضع بالشام.

(٢)٢ ـ الاَشعرى: مقالات الإِسلاميين: ٢٠ ـ ٢١.

(٣٠)

علياً ويُكّفِر أهل صفين والجمل، وكان يزعم أنّ جبرئيل ــ عليه السلام ــ يأتى المختار بالوحى من عند اللّه عزّ وجلّ فيخبره ولا يراه. وروى بعضهم أنّه سمّى بكيسان مولى على بن أبى طالب ــ عليه السلام ــ وهو الذى حمله على الطلب بدم الحسين بن على ــ عليهما السلام ــ ودلّه على قتلته، وكان صاحب سرّه ومؤامرته والغالب على أمره(۱)

وقالت فرقة من الكيسانية إنّ محمد بن الحنفية ـ رحمه اللّه تعالى ـ هو المهدى، وهو وصىّ على بن أبى طالب ــ عليه السلام ــ ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولايُشهّر سيفه إلاّ بإذنه، وإنّما خرج الحسن بن على ـ عليهما السلام ـ إلى معاوية محارباً له بإذن «محمّد» وأودعه وصالحه بإذنه، وأنّ الحسين إنّما خرج لقتال يزيد بإذنه، ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلاّ وأنّ من خالف محمد ابن الحنفية كافر مشرك وأنّ محمد استعمل المختار بن أبى عبيدة على العراقيين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين ــ عليه السلام ــ وثأره وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا، وسمّاه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه ومذهبه فيهم فهم يسمّون (المختارية) ويدعون (الكيسانية) (۲).

معتقدهم :

إنّ الكيسانية على كثرة فرقهم يجمعهم شيئان:

أحدهما: القول بإمامة محمد ابن الحنفية.

والثانية: القول بالبداء على اللّه عزّ وجلّ، وقالت طائفة منهم بأنّه المهدى المنتظر فى الرضوى (۳______________).

(۱) النوبختى: فرق الشيعة: ۲۲ ـ ۲۴.

(۲) النوبختى: فرق الشيعة: ۲۶.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۵۲.

(۳۱)

الإبهامات حول هذه الفرقة :

قد عرفت كلمات أصحاب المقالات وكتاب العقائد والظاهر منهم ومن غيرهم افتراض فرقة إسلامية شيعية نجمت بعد وقعة الطف (۶۱ ـ ۶۷هـ) والتفّت عدّة من الشيعة حول محمد ابن الحنفية واتّخذوه قائداً (فى حياة الإمام زين العابدين ــ عليه السلام) ــ وقد لبّى هو وولده أبو هاشم ووصيه، ولم يكن هناك أى اعتراض واستنكار من رجالات البيت الهاشمى فاستتب الأمر لابن الحنفية وابنه ومن بعده واستفحل أمرهم إلى عصر أبى جعفر المنصور العباسى، وقد كان العباسيون يستمدون شرعية دولتهم وخلافتهم من انتمائهم إلى تلك الفرقة وكانت لهم أُصول عقائد يتميزون بها عن سائر الفرق.

لكن الإبهامات التى تحدق بهذه الفرقة من جوانب شتى يدفع الإنسان إلى التأكد الكثير من وجود هذه الفرقة الإسلامية فى الساحة وبروزهم إليها باسم الدين وإليك بيانها:

۱ ـ الاختلاف فى المسمّى بكيسان :

إنّ الكيسانية منسوبة إلى «كيسان» وقد اختلفوا فى المسمّى به إلى أقوال فمن قائل: إنّه اسم محمد ابن الحنفية، إلى آخر: إنّه اسم مولى لعلى، إلى ثالث: إنّه اسم نفس المختار بن أبى عبيدة الثقفى، إلى رابع: إنّه اسم صاحب شرطته المكنى بـ«أبى عمرة» وكان اسمه كيسان (۱).

۲ ـ الاختلاف فيمن نصب محمداً الحنفية للإمامة :

إنّ القائد الذى تنتهى إليه تلك الفرقة هو محمد الحنفية، فقد______________

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱۸، والبغدادى: الفرق بين الفرق: ۳و ۳۸، والنوبختى: فرق الشيعة: ۲۲.

(۳۲)

اختلفوا فى مرشحه للإمامة إلى قولين: فمن قائل بأنّ المعيّن، هو الإمام على، إلى آخر أنّه الإمام الحسين وهو الذى نصبه للخلافة.

۳ ـ الاختلاف فى مبدأ قيادته :

كما اختلفوا فى الموصى والمعيّن، اختلفوا فى مبدأ قيادته، فمن قائل بأنّه الإمام المنصوب من جانب الإمام على وهو الإمام بعد رحيل والده دون أخويه، إلى آخر بأنّه الإمام بعد استشهاد الحسين ــ عليه السلام .ــ

۴ ـ الاختلاف فى كونه حياً أو ميتاً :

اختلفوا فى كونه حياً أو ميتاً، فقد نسب إلى جماعة أنّهم قالوا بكونه المهدى المنتظر وأنّه حى بجبال رضوى، يصونه الأسد والنمر، معه العسل والماء، وفى مقابلهم من قال بموته، وأنّ الإمامة انتقلت إلى فرد آخر.

۵ ـ اختلافهم فى كونه حيّاً كرامة أو عقوبة :

اختلف القائلون بكونه حياً، فهل هو حى كرامة، بشهادة أنّه يصان بالأسد والنمر عن اليمين والشمال ويأتيه رزقه غدواً وعشياً إلى وقت خروجه كما قال به كثير الشاعر، أو أنّه حى عقوبة لركونه إلى عبد الملك بن مروان وبيعته إيّاه.

۶ ـ الاختلاف فى الإمام بعد أبى هاشم :

توفى محمد الحنفية عام ثمانين أو واحد وثمانين وتوفى ابنه أبو هاشم «عبد اللّه ابن محمد الحنفية» سنة ثمان أو تسع وتسعين وعرفه ابن شهر آشوب بأنّه كان ثقة جليلًا من علماء التابعين روى عنه الزهرى وأثنى عليه وعمرو بن دينار وغيرهما (۱)

وقد اختلفت الأقوال فى وصيه إلى قائل بأنّه أوصى إلى الحسن بن على بن ـــــــــــــــ

(۱) المامقانى: تنقيح المقال: ۲|۲۱۲ برقم ۷۰۴۲.

(۳۳)

محمد الحنفية، إلى آخر بأنّه أوصى إلى أخيه، على بن محمد الحنفية، وأنّه أوصى إلى ابنه الحسن، إلى ثالث أنّه أوصى إلى محمد بن على بن عبد اللّه بن العباس، إلى رابع بأنّه أوصى إلى بيان بن سمعان، إلى خامس أنّه أوصى إلى عبد اللّه بن عمرو بن حرب.

۷ ـ الاختلاف فى المعتقد :

إنّ الكيسانية على كثرة فرقهم يجمعهم شيئان: أحدهما: القول بإمامة محمد ابن الحنفية والثانية: القول بأنّه المهدى المنتظر مضافاً إلى القول بالبداء(۱).

أقول: إنّ القول بالبداء ليس من عقائد هذه الطائفة وإنّما هو عقيدة إسلامية جاء بها القرآن الكريم ونصت به السنّة النبوية (۲)ولو فسرت على وجه صحيح لعلم أنّ المسلمين بأجمعهم متفقون على القول بها.

وإنّما نشأ النزاع من تفسيره على وجه باطل، أعنى: الظهور بعد الخفاء على اللّه تعالى، ولا ـ يقول به أحد من المسلمين، وتفسيره الصحيح قائم بكلمتين: إحداهما يرجع إلى مقام الثبوت، والأُخرى إلى مقام الإثبات، أمّا الأُولى، فالبداء عبارة عن تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة، كما كان الحال كذلك فى قوم يونس، وأمّا الثانية فهى الإظهار بعد الإخفاء، وأمّا علمه سبحانه فلا يتغير ولايتبدل وأوضحنا حقيقتها فى الجزء السادس من هذه الموسوعة (۳).

قد نقل فى كتب الملل والنحل أنّهم استدلوا على كون محمد ابن الحنفية إماماً بقول على ــ عليه السلام ــ له يوم البصرة وقد أقدم بالراية: «أنت ابنى حقاً ـــــــــــــــ» !

(۱) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۵۲.

(۲) الإمام البخارى: الصحيح: ۴|۲۰۸، كتاب الأنبياء، باب ۵۱ حديث أبرص وأعمى وأقرع.

(۳) بحوث فى الملل والنحل: ۶|۳۰۴ ـ ۳۲۷.

(۳۴)

وأنت خبير بأنّ أحقّية البنوّة هو كونه شبيه والده فى الشجاعة لا أنّه إمام بعده أو بعد السبطين.

كما نقل أنّهم استدلوا على كونه مهدياً غائباً بقول النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم:«ــ لن تنقضى الاَيام والليالى حتى يبعث اللّه رجلاً من أهل بيتى اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى».

ولكن الاستدلال فى غاية الضعف لاَنّ اسم والد محمد هو على لا عبد اللّه. نعم كان على صلوات اللّه عليه عبداً للّه وصفيّاً لا علَمياً.

على أنّه لو صحّ الاستدلال فالنفس الزكية، أعنى: محمد بن الحسن بن عبد اللّه بن الحسن المثنى، أولى منه.

واستدلوا أيضاً على أنّ خروج المختار كان بإذنه.

يلاحظ عليه: أنّ الاِذن بالخروج لايدلّ على أنّه ادّعى الاِمامة ودعا الناس إليها، وقد روى الشيخ المفيد أنّه سئل محمد ابن الحنفية عن ظهور المختار وادّعائه أنّ خروجه بأمره فأجاب:

واللّه ما أمرته بذلك لكن لا أُبالى أن يأخذ بثأرنا كل أحد، وما يسوءنى أن يكون المختار هو الذى يطلب بدمائنا.

فاعتمد السائلون على ذلك وكانوا كثيرين. وقد رحلوا إليه بهذا المعنى بعينه، فنصروا المختار على الطلب بدم الحسين ــ عليه السلام ــ.

وأخيراً نقول إنّ الاِمامة إمّا بالنصّ أو بالبيعة، فإن كان الاَوّل فأين النصّ؟ وإن كانت بالبيعة فأين بايعه أهل الحل والعقد؟

وتوضيح المقال بذكر أمرين:

الاَوّل: أنّ محمد الحنفية وليد البيت العلوى وربيبه الذى وصفه أمير المؤمنين، بقوله: «إنّ المحامدة تأبى أن يعصى اللّه عزّ وجلّ » قال الراوى، قلت:

(٣٥)

ومن المحامدة؟ قال ــ عليه السلام: «ــ محمد بن جعفر، ومحمد بن أبى بكر، ومحمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أمير المؤمنين ابن الحنفية» (١)وكان أعرف الناس بعظم مقام الاِمامة وخطورتها وأنّها لا تصلح إلّا لمن ثبت فى حقّه النص، من صاحب الرسالة أو من بايعه الناس، أو خصوص أهل الحل والعقد ومع ذلك كيف يلبّى دعوة نفر أو نفرين للقيام بأعباء الاِمامة ولم يكن هناك تنصيص ولا بيعة من وجوه المسلمين ولم يكن الرجل من الانتهازيين أو من أبناء البيت الساقط الذين كانوا يدوسون كل الاُصول الاِسلامية، للحصول على الغايات ويستهويهم النهمة والشره لاختلاس الاَموال أو حيازة جاه.

ونحن نُجلُّ محمد ابن الحنفية عن الرغبة إلى حيازة المقام الذى لا يصلح إلّا لمن اجتمع لديه الشرط من التنصيص أوّلاً، أو البيعة ثانياً. والذى يؤيد ذلك أنّه لم تشاهد منه دعوة إلى نفسه، بإلقاء الخطابة والمحاضرة، أو بعث الرسل إلى الاَطراف والاَكناف، أو تصدى أمر، يعد من شؤون الحكومة، ولو كان كذلك لكان له أنصار وأعوان، ولما ألقى عليه القبض، ابن الزبير لغاية أخذ البيعة والتهديد بالاِحراق عند رفضها. كما أنّه كان يتعاطف مع عبد الملك بن مروان ـ عملاً بواجبه ـ حتى أدركته المنية عام ثمانين أو واحد وثمانين.

الثانى: لو أغمضنا عن ذلك فهل كان هناك جماعة، مؤمنون بإمامته وقيادته؟ وأنّ الفراغ الذى حصل، لدى الشيعة بشهادة السبط، مُلئَ ببيعة أهل العراق ولفيف من أهل المدينة ومكة له، أو لا ؟.

والحقّ هو الثانى وأنّ كثير من الشيعة كانوا حيارى فى أمر الاِمامة لاَجل الضغط من جانب الحكومة الاَموية إلّا الاَخصّاء ولكن كانت الشيعة بأجمعهم________________

(١) المامقانى: تنقيح المقال: ٢|٥٧ برقم ١٠٢٣٠، نقلاً عن رجال الكشى.

(٣٦)

يتعاطفون مع أهل البيت وعلى مقدمتهم الشخصيتان البارزتان: محمد ابن الحنفية، و على بن الحسين زين العابدين ــ عليه السلام ــ من دون أن يتخذ ابن الحنفية إماماً وقدوة للشيعة.

ففى هذه الظروف نهض إنسان غيور، وشجاع مقدام، وسيف بتّار، لَاخذ ثار الإِمام الحسين ألا وهو المختار بن أبى عبيدة الثقفى الذى كان يحب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ منذ نعومة أظفاره إلى أن ألقى حمامه فى طريق أخذ ثارهم، ونال أُمنيته باجتثاث جذور أعدائهم، وسفك دمائهم، فأشفى صدور قلوب المؤمنين وعلى رأسهم أئمة أهل البيت والهاشميون والهاشميات بأجمعهم.

لقد كان الاتصال الوثيق مع أكابر أهل البيت يوم ذاك رصيداً كبيراً للثائر لغاية التفاف شيعة العراق حول المختار ولولا ذلك لما تمكن من إنهاضهم إلى ميادين القتال. وبما أنّ محمد ابن الحنفية ـ رض ـ كان كبير العلويين فى السن لم يكن له بد من التعاطف معه وكان له مثل ذلك سيد الساجدين، ولَاجل المواصلة والمكاتبة مع العظيمين جلب اهتمام الشيعة لنفسه، وأقام نهضة كبيرة أخذ بها ثأر الحسين ــ عليه السلام ــ لا بل كانت ناراً أحرقت أُمنيات بنى أُمية وأبادت آثارهم واجتثت جذورهم.

ولما كانت ثورته ثقيلة على مناوئى أهل البيت ــ عليهم السلام ــ أرادوا إسقاطه من أعين الناس فتحاملوا عليه من جانب العقيدة فرموه باختراع المذهب حتى رموه بادّعاء النبوة ونزول الوحى حتى صاغوا له جملاً مضاهية لجمل الكهنة، ونسبوها إليه (۱). ولم يكن لهم غاية إلّا القضاء على نهضته وثورته.

يقول البغدادى: «فلمّا تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة والعراقين ـــــــــــــــــــــــــــ،

(۱) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۴۶.

(۳۷)

تكهّن بعد ذلك وسجع كإسجاع الكهنة، وحكى أيضاً أنّه ادّعى نزول الوحى عليه»(۱).

لم يكن المترقّب من البيت الاَموى وحماته الذين شربوا كأس المنون بيد الثائر المتفانى فى حب أهل البيت، إلّا رميه بادّعاء النبوة ونزول الوحى، ولنفترض أنّ الثائر الثقفى لم يكن رجلاً ـ دينياً، ولم ينهض بدافع إلهى، وإنّما ثارت ثورته، بدافع نفسى مادى، ولكنه كان رجلاً عملاقاً وسياسياً عبقرياً، قاد أعظم الثورات التى شاهدها التاريخ فى ذلك العصر وامتدت سلطته إلى أرمينيا، وهل مثله ـ وهو يحكم باسم الإِسلام والدين، وبتأييد من أئمة أهل البيت ــ عليهم السلام ـ ــ يدّعى النبوة ونزول الوحى ويتكلم بكلام الكهنة مع أنّ التاريخ ضبط خطبه وكلامه حتى نقلها البغدادى (۲)كلا، ولا، وما جاء به البغدادى، ليس إلّا نسبة مفتعلة.

«من يتحقّق فى سيرة المختار وحربه للاَمويين ودكه لجيش قائدهم عبيد اللّه ابن زياد، وفى عدائه للزبيريين ابتداء من انتزاع الحكم منهم فى أوّل ثورته حتى قتاله لمصعب الذى سيطر على الحكم بعد المختار، ـ من يتحقّق فى هذا ـ يستطع تحليل اتّهام المختار بالكذب والانحراف واستغلال الإِسلام وقتل الإِمام الحسين ــ عليه السلام ــ من أجل مصالحه الشخصية، وأن تنسب له أقاويل مضادة للإِسلام. وكيف لايتهم بالأُمور السالفة وأضرابها وقد أطبقت على عدائه دولتان، دولة ابن الزبير ودولة الاَمويين؟» (۳).

وهناك بعض التساؤلات على صعيد البحث نشير إليها:

الاَوّل: روى الشيخ الكلينى بسند صحيح عن أبى جعفر ــ عليه السلام ــ مناشدة محمد ابن الحنفية لعلى بن الحسين فى مسألة الوصاية والإِمامة حتى اتفقا ـــــــــــــــــــــــــــ

(۱) ۱ ـ البغدادى: الفرق بين الفرق: ۴۵ و ۴۶.

(۲) ۲ ـ البغدادى: الفرق بين الفرق: ۴۵ و ۴۶.

(۳) محمود البغدادى: النظرية السياسية: ۲۸۴.

(۳۸)

على تحكيم الحجر الاَسود وطلب الشهادة منه على أحدهما، فانطلقا حتى أتيا الحجر الاَسود، فقال على بن الحسين لمحمد ابن الحنفية: «إبدأ أنت فابتهل إلى اللّه عزّ وجلّ وسله أن ينطق لك الحجر ثم سل» فابتهل محمد فى الدعاء وسأل اللّه ثم دعا الحجر فلم يجبه، فعند ذلك تقدم على بن الحسين وقال: «أسألك بالذى جعل فيك ميثاق الاَنبياء وميثاق الاَوصياء وميثاق الناس أجمعين لما

أخبرتنا مَن الوصى والإِمام بعد الحسين بن على ــ عليهما السلام ؟» ــ فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه ثم أنطقه اللّه عزّ وجلّ بلسان عربى مبين فقال: اللّهم إنّ الوصى والإِمام بعد الحسين بن على ــ عليهما السلام ــ هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب وابن فاطمة بنت رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ــ قال فانصرف محمد بن على وهو يتولّى على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ(۱).

لكن الإِجابة عن هذا السوَال واضحة، فإنّا لو افترضنا صحة المضمون، واكتفينا فى مثل هذه الواقعة الخطيرة بالخبر الواحد، لنا أن نقول بأنّ المناشدة كانت لأَجل إفهام الآخرين بإمامة على بن الحسين حتى يوجه نظر الجماهير إلى الإِمام الحقيقى.

إنّ محمد ابن الحنفية أجل من أن لا ـ يعرف شروط الإِمامة وإنّها لم تكن متوفرة فى حقّه. إذ لو كانت بالنص فلم يكن هناك نصّ عليه، ولو كانت بالمبايعة والتصفيق بالأَيدى فلم تكن هناك مبايعة. ومع ذلك فهل يحتمل أن يشهد له الحجر بالإِمامة.

الثانى: إذا لم تكن هناك دعوة باسم الكيسانية وإنّما خلقها أعداء المختار لإِسقاطه من أعين الناس فبماذا يفسر ما أنشأه الشاعر كُثَيِّر عزّة_____________.

(۱) الكلينى: الكافى: ۱|۳۴۸ ح۵، كتاب الحجّة.

(۳۹)

ألا إنّ الأَئمة من قريش * ولاة حقّ أربعة سواء

على والثلاثة من بنيه * هم الأَسباط ليس بهم خفاء (۱) أو ما أنشأه السيد الحميرى:

ياشعب رضوى ما لمن بك لا يرى * وبنا إليه من الصبابة أولق

حتى متى؟ وإلى متى؟ وكم المدى * يابن الرسول وأنت حيٌّ ترزق (۲) والأَجابة عن هذا السوَال واضحة لأَنّا أيضاً نرافق القارىَ فى حكاية هذه الأَشعار عن ظهور عقيدة خاصة فى حقّ محمد ابن الحنفية، ولكنها لم تكن تتجاوز عن حدوث فتنة دينية أثارت شكوكاً تارة وأوهاماً أُخرى على بعض الناس ولم يمض شىء حتى ذهبت أدراج الرياح، ولاتعد مثل ذلك فرقة إسلامية لها دور على بعض الناس على أنّ شعر السيد لا يثبت هذا المطلب لأَنّه يقول: يا ابن الرسول ولم يكن محمد ابن الحنفية ابناً للرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم.ــ

الثالث: روى أنّ السيد الحميرى كان كيسانياً وله شعر فى هذا المذهب ولكنه رجع إلى الحقّ بفضل الإِمام جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ وقال:

تجعفرتُ باسم اللّه واللّه أكبر * وأيقنتُ أنّ اللّه يعفو ويغفر

ودنتُ بدينٍ غير ما كنتُ دايناً * به ونهانى سيد الناس جعفر

فقلت هب أنّى قد تهوّدتُ برهة * وإلاّ فدينى دين من يتنصر

فلست بغال ما حييتُ وراجع * إلى ما عليه كنت أخفى وأُضمر

ولا قائل قولاً لكيسان بعدها * وإن عاب جهال مقالى وأكثروا

ولكنه من قد مضى لسبيله * على أحسن الحالات يقضى ويوَثر (۳______________)

۱ ـ المسعودى : مروج الذهب : ۷۸ ـ ۷۹ ، طبعة دار الاندلس .

۲ ـ المسعودى : مروج الذهب : ۷۸ ـ ۷۹ ، طبعة دار الاندلس .

۳ ـ السيد المرتضى : الفصول المختارة : ۵۹۸ .

(۴۰)

إنّ شعره هذا يحكى عن وقوع شبهة لبعض أولياء أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فتصوروا المجاز حقيقة، ولكنهم رجعوا إلى شرعة

الحقيقة وشربوا من مائها العذب المعين.

وقد اتضح بهذا البحث الضافی علی أنّ المذهب الكيسانی تحدقه إبهامات وغموض فی مؤسسه وأتباعه وأهدافه تكاد تدفع الإنسان إلی أنّه مذهب مختلق من جانب الأعداء، ملصق بشيعة أهل بيت النبی ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ لغاية تشويش أذهان الشيعة أوّلاً وتحطيم سمعة السيف البّتار المختار بن أبی عبيدة ثانياً.

وهناك كلمة تدعم ما ذكرنا بأحسن وجه وهی أنّ الباعث الوحيد لترويج هذا المسلك هو العباسيون فی بداية أمرهم لأنّهم كانوا يستمدون شرعية خلافتهم من هذا الطريق إذ يدعون أنّ أبا هاشم أوصی إلی محمد بن علی بن عبد اللّه بن عباس.

قال الأشعری: قالوا إنّ أبا هاشم مات بأرض السراة منصرفاً من الشام فأوصی هناك إلی محمد بن علی بن عبد اللّه بن عباس، وأوصی محمد بن علی، إلی ابنه إبراهيم بن محمد ثم أوصی إبراهيم بن محمد إلی أبی العباس ثم أفضت الخلافة إلی أبی جعفر المنصور بوصية بعضهم إلی بعض (۱).

فالعباسيون لأجل إضفاء الشرعية علی خلافتهم كانوا يدعمون هذا المذهب ويصوّرونه أمراً واقعياً وصل إليهم من أئمة أهل البيت فمن الحسين ـ عليه السلام ـ إلی أخيه محمد ابن الحنفية إلی ابنه أبی هاشم إلی محمد بن علی بن عبد اللّه بن عباس إلی أن وصل إلی المنصور ذلك الحاكم الطاغی قاتل العلويين.

قال ابن خلدون فی مقدمته: وآخرون يزعمون أنّ أبا هاشم لما مات بأرض السراة منصرفاً من الشام، أوصی إلی محمد بن علی بن عبد اللّه بن عباس، وأوصی ـــــــــــــــــــــــــ

(۱) الاشعری : مقالات الاسلاميين : ۲۱ ، وفی النسخة «الشراة».

(۴۱)

محمد إلی ابنه إبراهيم المعروف بالإمام، وأوصی إبراهيم إلی أخيه عبد اللّه بن الحارثية الملقب بالسفاح، وأوصی هو إلی أخيه عبد اللّه أبی جعفر الملقب بالمنصور، وانتقلت فی ولده بالنص والعهد واحداً بعد آخر إلی آخرهم، وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بنی العباس، وكان منهم: أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الخلّال وغيرهم من شيعة العباسية وربما يعضدون ذلك بأنّ حقهم فی هذا الأمر يصل إليهم من العباس، لأنّه كان حياً وقت الوفاة وهم أولی بالوراثة بعصبيّة العمومة (۱).

والجدير بإلفات نظر القارئ هو قول ابن خلدون: « وربما يعضدون ذلك بأنّ حقهم فی هذا الأمر يصل إليهم من العباس» فإن ظاهره أنّ العباسيين يعضدون الكيسانية ويروجونها إذ من ذلك الطريق يصلون إلی شرعية حكمهم (۲).

وفی الختام نأتی بكلمتين للشيخ المفيد، قال:

۱ ـ أنّ جميع ما حكيناه من اعتقادات القوم، أمر حادث ألجأ القوم إليه الاضطرار، عند الحيرة، وفراقهم الحقّ، والأصل المشهور ما حكيناه من قول الجماعة المعروفة بإمامة أبی القاسم ـ محمد الحنفية ـ بعد أخويه والقطع علی حياته وأنّه القائم (وأمّا غير هذا القول فقد حدث بعد زمن، ألجأهم الاضطرار إليه).

۲ ـ انقرضت الكيسانية حتی لا يعرف منهم فی هذا الزمان أحد إلّا ما يحكی ولا تُعرف صحته، ويقول فی مورد آخر: «إنّ الكيسانية فی وقتنا هذا لا بقية لهم ولا يوجد عدد منهم، يقطع العذر بنقله، بل لا يوجد أحد منهم يدخل فی جملة أهل العلم بل لا نجد أحداً منهم جملة، وإنّما تقع مع الناس الحكاية عنهم خاصة (۳ـــــــــــــــــــــــــ) .

(۱) ابن خلدون: المقدمة: ۱|۲۵۰، طبع دار الفكر، بيروت.

(۲) لاحظ البغدادی: الفرق بين الفرق: ۴۰ ـ ۴۱.

(۳) الشيخ المفيد: الفصول المختارة: ۲۹۷ ـ ۳۰۵.

(۴۲) حول سائر فرق الشيعة قد ذكر أصحاب المقالات للشيعة فرقاً بصورة عامة وللزيدية والإمامية بصورة خاصة، أمّا فرق الزيدية

فسوف نتناولها فى مستقبل الكتاب ونثبت أنّ زيداً الثائر لم يكن إماماً فى العقائد ولافقيهاً صاحب منهج فى الفقه ولم يكن له أى ادّعاء فى ذينك المجالين حتى يكون إماماً فى أحدهما ويشكل فرقة خاصة باسم الزيدية، نعم بعدما قتل زيد فى المعركة وأدّى واجبه تفرّق أصحابه إلى فرق ومذاهب لا تمت بالثائر بصلة، فانتماء الفرق الزيدية إلى اتباع زيد الصق بهم من زيد ـ رضى اللّه عنه ـ وسيوافيك التفصيل فى محله.

إنّما الكلام عن الفرق التى ذكروها فرقاً للإمامية وقد كثروها وعدّوها خمس عشرة فرقة وهى:

۱ ـ الكاملية ۲ ـ المحمدية ۳ ـ الباقرية ۴ ـ الناووسية ۵ ـ الشمطية ۶ ـ العمارية ۷ ـ الإسماعيلية ۸ ـ المباركية ۹ ـ الموسوية ۱۰ ـ القطعية ۱۱ـ الاثنا عشرية ۱۲ ـ الهشامية ۱۳ ـ الزرارية ۱۴ ـ اليونسية ۱۵ ـ الشيطانية (۱).

وهوَلاء الذين ذكرهم البغدادى تبعاً للاَشعرى، وتبعهما الإسفرائينى فى كتابه «التبصير فى الدين» والشهرستانى فى «الملل والنحل» والرازى فى «اعتقادات المسلمين والمشركين» تدور بين الصحيح والمختلق، فإنّ كثيراً منها________________

(۱) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۳۵۰.

(۴۳)

فرق فى عالم الوهم والخيال نسجها مناوئوا أهل البيت لتشويه سمعة الشيعة الإمامية، ولنأتى بنموذج عنها وهم الفرق الاَربعة الاَخيرة، أعنى: الهشامية والزرارية واليونسية والشيطانية فإنّك لا ترى أثراً من هذه الفرق فى كتب الشيعة الإمامية.

أمّا الاُولى: أى المنسوبة إلى هشام بن الحكم فمختلقة، فإنّ هشام بن الحكم من متكلّمى الشيعة الإمامية وبطانتهم وممّن دعا له الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ فقال: « ماتزال موَيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

قال الشهرستانى: هذا هشام بن الحكم صاحب غور فى الاُصول لا يجوز أن يُغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإنّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون مايُظهره من التشبيه!! و ذلك أنّه ألزم العلاّف (۱).

سيوافيك أنّ ما نقله عنه من التشبيه يرجع إلى زمن شبابه قبل اتصاله بالإمام الصادق ــ عليه السلام ــ ويعتبر الرجل بخواتيم أعماله ومعتقداته.

يقول أحمد أمين: أكبر شخصية شيعية فى الكلام وكان جداً قوى الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه ونقلت له فى كتب الاَدب مناظرات كثيرة متفرقة تدلّ على حضور بديهته وقوة حجّته.

إنّ الشيخ الاَشعرى قد أطنب الكلام عنه وذكر له عقائد خرافية فى تجسيمه سبحانه وعطف عليه هشام بن صادق الجواليقى واشتراكهما فى التجسيم ومضاعفاته (۲) وذكره البغدادى بنفس النص مع تلخيص (۳)، وتبعهما من جاء بعدهما كالشهرستانى غير أنّ هوَلاء لابتعادهم عن التعرّف برجال الشيعة لم يعرفوا هشام بن الحكم حقّ المعرفة واشتبه عليهم الاَمر، فإنّ هشام كان بداية أمره

---

(۱) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۸۵.

(۲) الاَشعرى: مقالات الإسلاميين: ۱|۳۱ ـ ۳۴.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۶۵ ـ ۶۹.

(۴۴)

من تلامذة أبى شاكر الديصانى صاحب النزعة الإلحادية، ثم تبع جهم بن صفوان الجبرى المتطرف المقتول بـ «ترمذ» عام ۱۲۸هـ ولما التحق بالإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ودان بمذهب الإمامية ترك ما كان يعتقد به من تجسيم وتشبيه فقد تطبعت عقليته على معارف أهل البيت إلى حد كبير، ولا يخفى على إنسان ملمّ بالحديث والكلام أنّ التنزيه شعار أهل البيت ــ عليهم السلام ــ ولقد كفانا الشيخ عبد اللّه نعمة فى رسم حياة هشام رسماً واقعياً منزّهاً عن كل رأى مفتعل (۱).

وأمّا الثانيـة: أعنى الزرارية فهذه الفرقة المختلقة منسوبة إلى زرارة بن أعين من أجلّاء تلاميذ الاِمامين الباقر والصادق ــ عليهما السلام ــ يقول النجاشـى فى حقه: شيخ أصحابنا فى زمانه ومتقدّمهم وكان قارئاً، فقيهاً، متكلماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين (۲)وقد ذكرنا له ترجمة ضافية طبعت فى مقدمة مسنده، مات رحمه اللّه عام ۱۵۰هـ ولم يكن له أى شطح فى العقيدة أو اعوجاج فى الفكر، وإنّما كان يسير على ضوء إماميه الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ وقد أثنيا عليه بجمل ضافية، ومسنده المطبوع لَاصدق دليل على براءته فى الكلام واضطلاعه فى الفقه.

نعم أنّ الضغائن والحقد على هذا المتكلّم وعلى من سبقه ـ هشام بن الحكم ـ دفع المخالفين على رميهم بالانحراف الفكرى، قال البغدادى: ومنهم الزرارية أتباع زرارة بن أعين الرافضى، فى دعواها حدوث جميع صفات اللّه عزّ وجلّ وإنّها من جنس صفات اللّه عزّ وجلّ وزعموا أنّ اللّه تعالى لم يكن فى الَازل حياً، ولاعالماً ولا قادراً ولا مريداً ولاسميعاً، ولا بصيراً وإنما استحق هذه الَاوصاف حين أحدث لنفسه حياة وقدرة وعلماً وأرادة وسمعاً وبصراً. (۳________________)

(۱) لاحظ كتابه حياة هشام بن الحكم، طبع بيروت.

(۲) النجاشى: الرجال: ۱|۳۹۷ برقم ۴۶۱. ولاحظ مقدمة المؤلّف على مسنده.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۳۰.

(۴۵)

ما عزى إليه، نسبة مفتعلة، والرجل ممّن برع فى الفقه الَاكبر والَاصغر فى أحضان الاِمامين الباقر والصادق ــ عليهما السلام ــ وحاشا أنّ يقول مثله بحدوث الَاوصاف الثبوتية للّه.

وأمّا الثالثة: فهى اليونسية المنسوبة إلى يونس بن عبد الرحمن مولى على بن يقطين بن موسى، مولى بنى أسد، فقد كان حافظاً للحديث، فقيهاً فى الدين، متكلّماً على مذهب أهل البيت. يقول النجاشى:

كان وجهاً فى أصحابنا، متقدماً ،عظيم المنزلة، ولد فى أيام هشام بن عبد الملك ورأى جعفر بن محمد ــ عليهما السلام ــ بين الصفا والمروة ولم يرو عنه، وروى عن أبى الحسن موسى والرضا ــ عليهما السلام، ــ وكان الرضا ـ عليه السلام ـ يشير إليه فى العلم والفتيا له كتاب يوم وليلة وقد قال فى حقّه الاِمام العسكرى ـ عليه السلام ـ: «أتاه اللّه بكل حرف نوراً يوم القيامة» وكتب أُخرى ذكرها النجاشى(۱).

وقد نسب إليه البغدادى من أنّه كان يقول: إنّ اللّه تعالى يحمله حملة عرشه وإن كان هو أقوى منها (۲).

وأمّا الرابعة: فهوَلاء يريدون من الشيطان، محمد بن على بن النعمان بن أبى طريفة البجلى، كوفى صيرفى يلقّب بـ«موَمن الطاق» و«صاحب الطاق»، وإنّما لقبه المخالفون بشيطان الطاق، وكان دكانه فى طاق المحامل بالكوفة فيرجع إليه فى النقد فيرد رداً فيخرج كما يقول فيقال شيطان الطاق. له كتاب الاحتجاج فى إمامة أمير الموَمنين، وكتاب رد فيه على الخوارج، ومناظرات مع أبى حنيفة والمرجئة.

وقال ابن النديم: كان متكلماً حاذقاً. وله من الكتب: الاِمامة وكتاب المعرفة________________

(۱) النجاشى: الرجال: ۲|۴۲۱ ـ ۴۲۲.

(۲) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۲۲۸، والنسبة مفتعلة، والعدل والتنزيه من شعار أئمة أهل البيت، وما نقل أشبه بكلام المجسّمة من الحنابلة والحشوية.

(۴۶)

وكتاب الرد على المعتزلة فى إمامة المفضول، وكتاب فى أمر طلحة والزبير وعائشة (۱).

نسب إليه البغدادى من أنّ اّللّه تعالى إنّما يعلم الَاشياء إذا قدرها وأرادها، ولا يكون قبل تقديره الَاشياء عالماً بها، وإلّا ما صحّ تكليف

العباد (۲)

إنّ دراسة حياة هؤلاء الاَكابر تشهد على أنّهم من حفاظ أحاديث أهل البيت ومن مقتفى آثارهم، فعقيدتهم لاتختلف قدر شعرة مما كان عليه الاِمام الصادق والاِمام الكاظم ــ عليهما السلام.ــ

هؤلاء كانوا صواعق تنزل على رؤوس المنافقين وتدمر أوكار أفكارهم، فلم يجد الخصوم بدّاً من الازدراء بهم حتى لقّبوا بعضهم بالشيطانية تنابزاً بالاَلقاب.

نحن نسلم أنّ له رأياً فيما ترجع إلى الاستطاعة كما زعمها الاَشعرى فى مؤمن الطاق ومن تقدّمه (۳)

أفيصح أن يعد هؤلاء مؤسّسين لفرق إسلامية بحجّة أنّ لهم رأياً فى مسألة كلامه ولو صلح ذلك لبلغت عدد الفرق الاِسلامية المائة بل المئات، إذ ما من مسألة كلامية إلاّ فيها خلاف بين علماء الكلام.

هذا ما يرجع إلى الفرق الاَربعة التى ذكرها البغدادى فى آخر الفرق للاِمامية، ولنرجع إلى ماصدّر به فرق الاِمامية ونشرحها بالمشراط العلمى.

* * *

(۱) ابن النديم: الفهرست: ۲۶۴، وأيضاً: ۲۵۸.

(۲) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۷۱.

(۳) الاَشعرى: مقالات الاِسلاميين: ۴۳.

(۴۷)

قالوا: منهم الكاملية:

يقول البغدادى: هؤلاء أتباع رجل من الرافضة كان يعرف بأبى كامل، وكان يزعم بأنّ الصحابة قد كفروا بتركهم بيعة على، وكفر علىّ، بتركه قتالهم، وكان يلزمه قتالهم كما لزمه قتال أصحاب صفين، وكان بشار بن برد الشاعر الاَعمى على هذا المذهب، وروى أنّه قيل: له ماتقول فى الصحابة؟ قال: كفروا، فقيل له: فماذا تقول فى على؟ فتمثل بقول الشاعر:

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

وحكى أصحاب المقالات عن بشار أنّه ضم إلى ضلالته فى تكفير الصحابة وتكفير على معهم ضلالتين أُخريتين.

إحداهما: قوله برجعته إلى الدنيا قبل يوم القيامة، كما ذهب إليه أصحاب الرجعة من الرافضة.

الثانية: قوله بتصويب إبليس فى تفضيل النار على الاَرض، واستدلوا فى ذلك بقول بشار فى شعر له:

الاَرض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار (۱) يلاحظ عليه: بما ذكرنا فى أوّل الفصل من أنّ عد فرقة من المذاهب الاِسلامية مشروط بوجود المقسم فى القسم فلو لم يشم القسم رائحة المقسم فلا يصح عدّه قسماً منه، فإنّ التشيع بالمعنى الاصطلاحى هو الاعتقاد بأنّ علياً ـ عليه السلام ـ هو المنصوب للقيادة بعد رحيل الرسول الاَكرم ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ــ ومعنى ذلك لزوم متابعته والاقتفاء بأثره، وأنّه الرجل الاَمثل والاَفضل بعد رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ــ فإذا كان الرجل مبغضاً

(۱) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۵۴، والاِسفرائينى، التبصير: ۳۵، تحقيق كمال يوسف الحوت.

(۴۸)

ومكفّراً لعلى وإن كان مكفّراً لسائر الخلفاء، فهل يصح عدّه من الشيعة وعدّ مذهبه فرقة من فرق الشيعة الاِمامية؟!.

لا أدرى ولا المنجم يدرى ولا القراء يدرون !!

على أنّ الرجعة ليست بمعنى رجوع جميع الناس إلى الدنيا المستلزم لاِنكار البعث، بل المقصود رجوع عدد قليل من الصلحاء

والطواغيت عند ظهور المهدى ـ عليه السلام ـ ولعل عددهم لا يتجاوز عدد الاَصابع، وقد أوضحنا معناها فى الجزء السادس من هذه الموسوعة (۱).

ومنهم المحمدية:

هوَلاء ينتظرون محمد (النفس الزكية) بن عبد اللّه بن الحسن بن على بن أبى طالب، ولا يصدّقون بقتله ولا بموته، ويزعمون أنّه فى جبل حاجز من ناحية نجد إلى أن يوَمل بالخروج، وكان المغيرة بن سعيد العجلى مع ضلالاته فى التشبيه يقول لاَصحابه: إنّ المهدى المنتظر، محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن ابن على، ويستدل على ذلك بأنّ اسمه كاسم رسول اللّه واسم أبيه عبد اللّه كاسم أبى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ وقال فى الحديث عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قوله فى المهدى: «إنّ اسمه يوافق اسمى، واسم أبيه اسم أبى» فلما أظهر محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن على دعوته بالمدينة واستولى على مكة والمدينة، واستولى أخوه إبراهيم بن عبد اللّه على البصرة، واستولى أخوهما الثالث ـ وهو إدريس بن عبد اللّه ـ على بلاد المغرب، وكان ذلك فى زمان الخليفة أبى جعفر المنصور فبعث المنصور إلى حرب «محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن» بعيسى بن موسى فى جيش كثيف قاتلوا محمّداً بالمدينة وقتلوه فى المعركة، ثم أنفذ بعيسى بن موسى أيضاً إلى حرب «إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على» مع جنده، فقتلواإبراهيم بباب________________

(۱) السبحانى: موسوعة بحوث فى الملل والنحل: ۶|۳۶۳.

حمرين على الستة عشر فرسخاً من الكوفة، ومات فى تلك الفتنة إدريس بن عبد اللّه بن الحسن بأرض المغرب، وقيل: إنّه سُمَّ بها، ومات عبد اللّه بن الحسن بن الحسن والد أُولئك الاِخوة الثلاثة فى سجن المنصور، وقبره بالقادسية، وهو مشهد معروف يزار (۱).

يلاحظ عليه: من سبر تاريخ العلويين يذعن بأنّه كانت فى عصر الاِمام الصادق ـ عليه السلام ـ وأيام إمامته (۱۱۴ ـ ۱۴۸هـ) فكرتان تسودهم، فمن معتقد بأن طريق إنقاذ الاَُمة الاِسلامية من أيدى الاَمويين ثم العباسيين يكمن فى الكفاح المسلّح، إلى آخر بأنّ الظروف لاتسمح للكفاح المسلح وإنّما الواجب توعية الناس وتثقيفهم وتعليمهم وإعدادهم إلى الظرف المناسب.

وقد سلك زيد الثائر الدرب وفق المعتقد الاَوّل، وأعقبه أبناوَه:يحيى بن زيد وعيسى بن زيد، ثم الحسنيون عامة، ولذلك قام محمد بن إبراهيم بن الحسن المثنى بطرق هذا الباب وأثار ثورة مع إخوته كما عرفت، ولم يكن له ولا لاِخوته أو غيره أى دعوة إلى شخصهم وإنّما فرضوا على أنفسهم إزالة الحكومة الجائرة ثم تفويض الاَمر إلى الاَليق والاَمثل من أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ،وعلى ضوء ذلك فلا يصح لنا عد ثائر على الظلم موَسساً لمذهب ومكوناً لفرقة، وأمّا أنّ أمثال المغيرة بن سعيد من رجال العبث والفساد الذين استبطلوه بتعريفهم إيّاه للملاَ على أنّه المهدى المنتظر فلا يمت إلى الثائر بصلة، وقد تقدّم أنّ أئمة أهل البيت تبرّأوا من ابن سعيد وأذنابه عملاء الفسق والفساد.

ومنهم: الباقرية والجعفرية:

إنّ الاِمامية عن بكرة أبيهم يعتقدون بأنّ الاَئمة اثنا عشر خلفاء اللّه بعد وفاة________________

(۱) البغداى: الفرق بين الفرق: ۵۷ ـ ۵۸، وقد بسط الكلام فى هذه الفرقة الاِسفرائينى فى التبصير: ۳۵ ـ ۳۶.

 الرسول الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد ذكر الرسول الاَكرم أسماءهم لخُلَّص أصحابه، منهم جابر بن عبد اللّه الاَنصارى وغيره (۱)وقد تضافر عن الرسول حسب ما رواه أحمد فى صحيحه أنّه يملك هذه الاَُمّة اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بنى إسرائيل (۲)وروى البخارى عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبى: إنّه قال: «كلّهم من قريش» (۳)وروى مسلم عنه أيضاً يقول: سمعتُ رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «لا يزال الاِسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة» ثم قال كلمة لم أفهمها فقلت لاَبى: ماقال؟ فقال: كلّهم من قريش(۴).

إلى غير ذلك من الروايات الناصة على أنّ خلفاء الرسول اثنا عشر خليفة، وقد ذكرنا متون الروايات في الجزء السادس من هذه الموسوعة

(۵).

وقد اتفقت الإمامية على أنّ محمداً الباقر وجعفراً الصادق ــ عليهما السلام ــ من الأئمة الاثنى عشر بلا ريب أو شك، كما اتفقت الأُمّة على فضلهما وجلالتهما بلا ريب أو شك.

قال ابن خلّكان: أبو جعفر محمد بن زين العابدين الملقب بـ«الباقر» أحد الأئمة الاثنى عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق، كان الباقر عالماً سيّداً كبيراً، وإنّما قيل له الباقر، لأنّه تبقّر في العلم، أي توسّع، وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى * وخير من لبّى على الأجْبُلِ

(۶)

---

(۱) الحويزى: نور الثقلين: ۱|۴۱۴، فی تفسير قوله تعالى: (أطيعُوا اللّهَ وأطِيعُوا الرسولَ) (النساء ـ ۵۹).

(۲) أحمد بن حنبل، المسند: ۱|۳۹۸.

(۳) البخارى: الصحيح: ۹|۱۰۱، كتاب الأحكام الباب ۵۱ (باب الاستخلاف)

(۴) مسلم: الصحيح: ۶|۳.

(۵) السبحانى: بحوث فى الملل والنحل: ۶|۵۸ ـ ۶۲.

(۶) ابن خلّكان: وفيات الأعيان: ۴|۱۷۴.

(۵۱)

وهذا هو الشهرستانى يعرف الإمام جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ بقوله: وهو ذو علم غزير فى الدين، وأدب كامل فى الحكمة، وزهد بالغ فى الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدّة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ثم دخل العراق وأقام بها مدّة

(۱).

نعم كان الاعتقاد بظهور المهدى أمراً مسلماً بين المسلمين عامّة والشيعة خاصة، وربما تطرأ الشبهة للعوام فى حقّ بعض الأئمة، وقد نقل البغدادى أنّ من بين الشيعة من يقول: إنّ الإمام الباقر هو المهدى المنتظر، ويستدل بما روى عن النبى أنّه قال لجابر بن عبد اللّه الأنصارى: «إنّك تلقاه فاقرئه منى السلام» وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وكان قد عمى فى آخر عمره، وكان يمشى فى المدينة ويقول: ياباقر، ياباقر، متى ألقاك؟ فمرّ يوماً فى بعض سكك المدينة فناولته جارية صبياً كان فى حجرها، فقال لها: من هذا؟ فقالت: هذا محمد ابن على بن الحسين بن على، فضمه إلى صدره وقبّل رأسه ويديه ثم قال: يابنى، جدّك رسول اللّه يقرئك السلام. ثم قال جابر: قد نعيت إلى نفسى، فمات فى تلك الليلة

(۲).

وتبعه الإسفرائينى فى «التبصير»، ونسبا إلى بعض الشيعة أنّهم اعتقدوا بأنّ المهدى المنتظر هو أبو جعفر الباقر ــ عليه السلام ــ وليس فى كتب الشيعة من هذه الفرقة من أثر، ولعله كانت هنا شبهة لبعض الناس فماتت الشبهة بموتهم.

ومنهم: الناووسية:

قال الأشعرى: وهؤلاء يسوقون الإمامة إلى أبى جعفر محمد بن على، وأنّ

---

(۱) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۶۶.

(۲) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۶۰.

(۵۲) أبا جعفر نصّ على إمامة جعفر بن محمد، وأنّ جعفر بن محمّد حيّ لم يمت ولا يموت حتى يظهر أمره، وهو القائم المهدى وهذه الفرقة تسمّى الناووسية، لقبوا برئيس لهم يقال له: «عجلان بن ناووس» من أهل البصرة (۱).

وفى الحور العين:إنّهم أتباع رجل يقال له «ناووس» وقيل: نسبوا إلى قرية ناووس

. (۲)

إذا تردّد أمر مؤسس المذهب من أنّه هو «ناووس» أو ابنه عجلان، أو شخص ثالث منسوب إلى «ناووس» يكون أولى بأن يشك الإنسان فى أصله وغاية ما يمكن أن يقال طروء شبهة لشخص أو شخصين فى أمر المهدى فزعموا أنّه الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ لكن ماتت الشبهة بموت أصحابها ولايعد مثل ذلك فرقة، غير أنّ حبّ أصحاب المقالات لتكثير فرق الشيعة أوّلاً، وفرق المسلمين ثانياً لتجسيد حديث افتراق الأُمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة، جرّهم إلى عدّ هؤلاء فرقة.

والحاصل بما أنّه لم يذكر لهم دور فى الحياة، ولا حركة فى المجتمع، يظن أنّه حصلت شبهة فى مسألة المهدى، فزعم الرجل أنّه الإمام الصادق وتبعه واحد أو اثنان، ثم ماتت الفرقة بموت المشتبه فلا يعد مثل ذلك فرقة.

نحن نطلق الفرقة على جماعة لهم منهج فى العقيدة أو مذهب فى الفقه أو لهم دعايات وبلاغات وحركات فى المجتمع.

إلى هنا لم نجد للشيعة الإمامية فرقة صحيحة قابلة للذكر فهى بين خارجة عن الدين من رأس كالغلاة، ومغمورة فى أطباق الإبهام كالكيسانية، أو طارئة عليها الشبهة ولم يكتب لها البقاء إلاّ أياماً قلائل، والمظنون أنّ الشيعة الإمامية إلى عصر الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ كانوا متماسكين غير منفصلين________________.

(۱) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۲۵.

(۲) الحاكم الجشمى: الحور العين: ۱۶۲.

(۵۳)

قال الشهرستانى: إنّ الإمامية متفقون فى الإمامة وسوقها إلى جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السلام، ـ ومختلفون فى المنصوص عليه من أولاده، إذ كانت له خمسة أولاد، وقيل ستة: محمد وإسحاق وعبد اللّه وموسى وإسماعيل

.(۱)

* * *

الفرق الواقعية للشيعة بعد رحيل الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

لقد عرفت أنّ جماهير الشيعة كانوا متماسكين غير مختلفين، ولو طرأت هناك شبهة فلواحد أو اثنين فلم تكن مؤثرة على التحامهم.

نعم، توفى الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وكان الضغط على الشيعة شديداً وكان أبو جعفر المنصور ذلك الحاكم الطاغى يقتل العلويين بقسوة شديدة، ففى هذه الظروف أى عام ۱۴۸هـ لبى الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ دعوة ربّه ولم يكن فى إمكانه التصريح العام بالإمام الذى بعده، حتى أنّه لما مات أوصى إلى خمسة أشخاص منهم أبو جعفر المنصور ومنهم حاكم المدينة وثالثهم زوجته، وبذلك جعل الأمر مخفياً على الأعداء. وعند ذلك نشأ اختلاف بين الشيعة وتفرّقوا إلى فرق ثلاث:

الأُولى: السميطية:

قالوا بأنّ الإمام هو محمد بن جعفر والإمامة فى ولده، نسبت تلك العقيدة إلى رئيس لهم باسم يحيى بن سميط

(۲)ولم يكتب البقاء لهذه الفرقة وليس لها رسم ولا اسم بين كتب الشيعة الذين هم أعرف بفرقهم________________.

(۱) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۶۷.

(۲) الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ۲۷، البغدادى: الفرق بين الفرق: ۶۱، الإسفرائينى: التبصير: ۲۳.

وفى الحور العين: يحيى بن أبى شميط.

(۵۴) الثانية: الفطحية:

وهم القائلون بإمامة الاثنى عشر مع عبد اللّه الاَفطح ابن الصادق ـ عليه السلام ـ يدخلونه بين أبيه وأخيه (الإمام الكاظم ــ عليه السلام) ، ــ وعن الشهيد ـ رحمه اللّه ـ أنّهم يدخلونه بين الكاظم والرضا ــ عليهما السلام ــ وقد كان أفطح الرأس، وقيل: أفطح الرجلين، وإنّما دخلت عليهم الشبهة مما رووا عن الاَئمة: الإمامة فى الاَكبر من ولد الإمام، ثم منهم من رجع عن القول بإمامته لما امتحنوه بمسائل من الحلال والحرام ولم يكن عنده جواب، ولما ظهرت منه الاَشياء التى لا ينبغى أنّ تظهر من الإمام، ثم إنّ عبد اللّه مات بعد أبيه بسبعين يوماً، فرجع الباقون ـ الشذّاذ منهم ـ عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبى الحسن موسى ـ عليه السلام ـ .

وقد أسماهم أبو الحسن الاَشعرى بـ «العمارية» وقال: وأصحاب هذه المقالة منسوبون إلى زعيم منهم يسمى: عماراً، ولعل المراد منه هو: عمار بن موسى الساباطى من روَساء الفطحية. قال: الشيخ الطوسى: عمار بن موسى الساباطى وكان فطحياً له كتاب كبير جيد معتمد

.(۱)

الثالثة: الإسماعيلية:

وربّما يعبر عنهم بالقرامطة: وهم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر ولما مات إسماعيل فى حياة أبيه صارت الإمامة فى ابنه محمد بن إسماعيل، وهم فرقة كبيرة موجودة فى العصر الحاضر________________.

(۱) الاَشعرى: مقالات الإسلاميين: ۲۷، والبغدادى: الفرق بين الفرق: ۶۲. والنوبختى: فرق الشيعة: ۶۸، والطوسى : الفهرست: برقم ۵۲۷.

(۵۵) الرابعة: الواقفية:

إنّ الشيعة الإمامية القائلة بإمامة الاثنى عشر قالت بإنّ الإمام بعد جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ هو ابنه موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ ولهم على إمامته براهين وحجج مقنعة، فلما توفى وقفت عدّة على إمامة موسى ــ عليه السلام ــ ولم يقولوا بإمامة ولده على بن موسى الرضا ــ عليه السلام .ــ

قال الاَشعرى: وهذا الصنف يدعون الواقفة لاَنّهم وقفوا على موسى بن جعفر ولم يجاوزوه إلى غيره، وبعض مخالفى هذه الفرقة يدعونهم بالممطورة، وذلك أنّ رجلاً منهم ناظر يونس بن عبد الرحمن فقال له يونس: أنتم أهون علىّ من الكلاب الممطورة، فلزمهم هذا النبز وربما يطلق عليهم: الموسوية

.(۱)

هذه الفرق الاَربعة، السميطية، الفطحية، الإسماعيلية والواقفية هى الفرق الواقعية للشيعة بعد الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ وقد هلكت جميعها ولم يبق منهم إلاّ الإسماعيلية وأمّا النصيرية، أعنى: أصحاب محمد بن نصير الفهرى، فهم من الغلاة الذين لا يمتّون إلى الإسلام والتشيع بصلة، ظهرت فى عصر الإمام الهادى ــ عليه السلام ــ وهم أصحاب محمد بن نصير النميرىّ وقيل فيهم غير ذلك ومثلهم المفوضة ببعض معانيها. بما أنّ نطاق هذا الجزء يضيق عن التبسط سنبحث عن هذه الفرق فى مقدّمة الجزء الثامن المختص بالإسماعيلية بفضل من اللّه تبارك وتعالى________________.

(۱) الاَشعرى: مقالات الإسلاميين: ۲۸ ـ ۲۹.

الفصل الثانى حياة زيد فى عصر الاَئمة الثلاثة

الفصل الثانى حياة زيد فى عصر الاَئمة الثلاثة

ــ عليهم السلام ــ بَخَس المؤرخون حقوق آل البيت جميعاً، وحقوق زيد الثائر الشهيد خصوصاً ولم يذكروا من أحواله شيئاً كثيراً، مع أنّهم استقصوا بيان حياة الجائرين من بنى أُمية والعباس وذكروا مجالس المجون والخلاعة لهم، وما جرى بينهم وبين المغنّيات وسائر

الَاجلاف فيها. من القصص والهزليّات وهذا إن دل على شىء فإنّما يدلّ على اضطهاد أهل البيت حتى عند أهل القلم والبيان، فأخفوا آثارهم ومناقبهم. ولَاجل ذلك نذكر فى المقام ما وقفنا عليه فى طيات الكتب معتذرين عن قلة ما نهدى إلى سدنة ثائرنا ـ قدس اللّه نفسه الزكية ـ.

فنقول:

حياته فى عصر الإِمام زين العابدين ــ عليه السلام :ــ

أدرك زيد بن على من الَائمة الاثنى عشر، ثلاثة:

۱ـ والده على بن الحسين بن على بن أبى طالب ــ عليه السلام (ــ ۳۸ ـ ۹۴ هـ).

(۵۸)

۲ـ أخوه الَاكبر أبو جعفر محمد بن على بن الحسين ــ عليه السلام (ــ ۵۷ـ ۱۱۴هـ).

۳ـ ابن أخيه الإِمام جعفر بن محمد الصادق ــ عليه السلام (ــ ۸۳ ـ ۱۴۸هـ).

فلنذكر فيما يرجع إلى المحور الَاوّل من المحاور الثلاثة، نسبه وميلاده ومواصفاته الخلقية وما يمتّ إليه بصلة.

نسبه الوضّاح :

هو زيد الشهيد، بن زين العابدين على، بن سيد الشهداء الحسين، بن مولى الموحدين وسيد الوصيين على، بن حامى الرسول والذائد عن حريمه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أبى طالب، هوَلاء آباوَه فله أن يفتخر ويقول:

أُولئك آبائى فجئنى بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وأمّا أُمّه فاسمها حورية أو حوراء اشتراها المختار بن أبى عبيدة الثقفى وأهداها إلى على بن الحسين ــ عليهما السلام ــ روى أبو الفرج فى مقاتل الطالبيين: انّ المختار بن أبى عبيدة اشترى جارية بثلاثين ألفاً. فقال لها: أدبرى، فأدبرت، ثم قال لها: أقبلى، فأقبلت، ثم قال: ما أرى أحداً أحقّ بها من على بن الحسين، فبعث بها إليه، وهى أُم زيد بن على ــ عليه السلام ــ وأنجبت له زيداً وعمر، وعلياً وخديجة (۱) .

روى ابن قولويه (م ۳۶۹ هـ) قال: روى بعض أصحابنا، قال: كنت عند على بن الحسين ــ عليه السلام ــ فكان إذا صلّى الفجر لم يتكلّم حتى تطلع الشمس فجاءُوه يوم ولد فيه زيد، فبشّروه به بعد صلاة الفجر، قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: «أى شىء ترون أن أُسمّى هذا المولود؟» فقال كل رجل منهم: سمّه كذا، سمّه كذا. قال: فقال: «يا غلام علىّ بالمصحف»، فجاءُوا بالمصحف، فوضعه على

(۱) أبو الفرج :مقاتل الطالبيين: ۸۶، المكتبة الحيدرية، النجف الَاشرف (۱۳۸۵هـ ـ ۱۹۶۵م) .

(۵۹)

حجره. قال: ثم فتحه، فنظر إلى أوّل حرف فى الورقة، فإذا فيه": فَضَّلَ اللّهُ المُجاهِدِينَ على القاعِدِين أجراً عَظِيماً ("النساء ـ ۹۵) قال: ثم طبقه، ثم فتحه، فنظر فإذا فى أوّل الورقة": إنَّ اللّهَ اشتَرى مِنَ المُوَمِنِينَ أنفُسَهُم وأموالَهمْ بِأنَّ لَهُمُ الجنَّةَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التوراة والإنجيلِ والقُرآنِ ومَنْ أوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فاسْتَبشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الّذِى بايَعْتُم بِهِ وذلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيم ("التوبة ـ ۱۱۱) ثم قال: «هو واللّه زيد، هو واللّه زيد». فسمّى زيداً(۱).

وفى الروض النضير بعد نقل الآيتين، قال الإِمام: «عزّيت عن هذا المولود وأنّه لمن الشهداء» (۲)وإنّما اختار الإِمام هذا الاسم بعد التفاوَل بالقرآن والمفاجأة بالآيتين، فى صدر الورقةلما تضافر عن النبى والوصى والحسين بن على ـ عليهم السلام ـ أنّه قال مشيراً إلى الحسين ــ عليه السلام: «ــ إنّه يخرج من ولده رجل يقال له زيد، ويقتل بالكوفة، يصلب بالكناسة، ويخرج من قبره نبشاً، تفتح لروحه أبواب السماء وتبتهج به أهل السماوات» (۳)فأيقن أنّ المولود هو الذى تنبّأ به الرسول الَاعظم ــ صلى الله عليه وآله وسلم.ــ

ميلاده :

اختلف المؤرّخون فی ميلاده، ويرجع بعضُ الاختلافِ فی ميلاده، إلی الاختلاف فی مقتله، وأنّه هل استشهد سنة مائة وعشرين، أو مائة وإحدی وعشرين، أو مائة وثنتين وعشرين، أو مائة وثلاث وعشرين، وبما أنّ المشهور أنّه________________

(١) ابن إدريس: السرائر: ٣|٦٣٨، قسم المستطرفات، فيما استطرفه من روايات أبی القاسم بن قولويه وحميد بن أحمد المحلی (٥٨٢ـ ٦٥٢هـ) : الحدائق الوردية: ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) السياغی: الروض النضير: ١|١٠٠.

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا ــ عليه السلام : ــ ١|٢٥٠، الباب ٢٥، وحميد بن أحمد المحلی: الحدائق الوردية: ١٣٨ ـ ١٣٩، وسيوافيک تفصيل التنبّؤات فی محلها.

استشهد عن عمر يناهز (٤٢ سنة) ، وتلک الشهرة منضمة إلی الاختلاف فی نفس الميلاد، صارا سبباً للاختلاف الاَكثر فی ميلاده، وها أنّا نسرد أقوال المؤرخين والمترجمين، وعلی جميع الاَقوال يدور ميلاده بين سنة (٧٥) و (٧٩) وربما يبدو أنّ الحقّ غير ذلک، وسيوافيک آخر البحث:

١ـ قال محمد بن سعد: قتل يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة ويقال: سنة اثنتين وعشرين ومائة (١).

٢ ـ وقال البخاری: زيد بن علی بن الحسين بن علی بن أبی طالب الهاشمی عن أبيه، روی عنه عبد الرحمن بن الحارث ويقال: كنيته أبو الحسين، أخو محمد بن علی، وحسين بن علی قتل سنة ثنتين وعشرين ومائة (٢).

٣ ـ وقال ابن حِبّان فی الثقات: رأی جماعة من أصحاب رسول اللّه ــ صلی الله عليه وآله وسلم ــ وروی عنه ولده، وقتل سنة ثنتين وعشرين ومائة (٣).

٤ ـ وعن مصعب بن عبد اللّه الزبيری: قتل زيد بن علی بالكوفة. قتله يوسف بن عمر فی زمن هشام بن عبد الملک وقتل يوم الاثنين لثلاث خلت من صفر سنة عشرين ومائة، وهو يوم قتل، ابن اثنتان وأربعين سنة (٤).

٥ ـ وقال الذهبی: اختلف فی تاريخ مصرعه علی أقوال: فقال مصعب الزبيری: قتل فی صفر سنة عشرين ومائة وله اثنتان وأربعون سنة. وقال أبو نعيم: قتل يوم عاشوراء سنة اثنتين وعشرين ومائة، رواه ابن سعد.

وقال الزبير بن بكار: قال محمد بن الحسن: قتل زيد يوم الاثنين ثانی صفر________________

(١) ابن سعد: الطبقات: ٥|٣٢٦.

(٢) البخاری: التاريخ الكبير: ٢|٤٠٣ برقم ١٣٤١.

(٣) ابن حبان: الثقات: ٤|٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٤) المزی: تهذيب الكمال: ١٠|٩٨.

سنة اثنتين وعشرين ومائة (١)

٦ ـ وقال الصفدی: وكانوا قد صلبوه بالكناسة سنة إحدی واثنتين أو ثلاث وعشرين ومائة، وله اثنتان أو أربع وأربعون سنة ثم حرقوه بالنار، فسمّی زيد النار، ولم يزل مصلوباً إلی سنة ست وعشرين ثم أُنزل بعد أربع سنين من صلبه (٢)

٧ ـ وروی السياغی عن الاِمام المرشد باللّه فی أماليه أنّه ولد سنة ٧٥ واستشهد سنة ١٢٢هـ (٣).

وسيوافيک عن الطبری والجزری فی الفصل المختص بثورته أنّهما ذكرا تاريخ خروجه واستشهاده عام ١٢٢هـ

القول الحق فی ميلاده :

ولكن هنا احتمالاً آخر لا يتفق مع جميع الأقوال لكن تؤيده القرائن والروايات وهى أنّ أُم زيد كما تقدم ـ كانت أمة أهداها المختار إلى الإمام زين العابدين ـ عليه السلام ـ وقد خرج المختار عام ۶۶ وقتل عام ۶۷هـ وطبع الحال يقتضى أنّه أهداها إلى الإمام فى أحد العامين، ولا يمكن تأخره عنهما، وبما أنّ زيداً كان أوّل ولدٍ أنجبت فلا محيص عن القول بأنّ زيداً من مواليد سنة ۶۷هـ أو بعدها، ولو قلنا بتأخر ولادة زيد إلى عام ۷۵هـ وما بعده فلازم ذلك أن لا يمسّها الإمام إلى ذلك العام أو كانت لا تلد إلى تلك السنة أو أولدت ولكن لم يكن له حظ من البقاء والكل بعيد. وعلى ضوء ذلك يحتمل قوياً أنّ يكون ميلاد زيد هو________________

(۱) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ۱۰۷ ـ ۱۰۸ (حوادث سنة ۱۲۱ ـ ۱۴۰هـ) .

(۲) الصفدى: الوافى بالوفيات: ۱۵|۳۴. (إنّ «زيد النار» لقب زيد بن موسى بن جعفر الذى خرج فى عصر «المأمون» وأحرق بيوت بنى العباس: والظاهر أنّ الصفدى قد سها فى تسمية زيد بن على به).

(۳) السياغى: الروض النضير: ۱|۹۶.

(۶۲)

عام قتل المختار، أعنى: ۶۷هـ أو عام بعده، فلو أخذ فى مقتله بالقول المشهور، وأنّه استشهد عام ۱۲۲هـ يكون عمره عند ذاك حوالى ۵۵ سنة.

هذا وتؤيد ذلك روايات تنصّ على أنّ أُمّه حملت زيداً عام الأهداء وإليك نصّها:

۱ ـ روى الشيخ أبو القاسم فرات بن إبراهيم الكوفى ـ من أعلام أوائل القرن الرابع ـ فى تفسيره عن الجعفى عن أبيه، قال: كنت أُدمن الحجّ فأمرّ على على ابن الحسين ـ عليهما السلام ـ فأُسلِّمُ عليه ففى بعض حججى غدا علينا على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ ووجهه مشرق فقال: «جاءنى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى ليلتى هذه حتى أخذ بيدى فأدخلنى الجنّة، فزوّجنى حوراء فواقعتها فعلقته، فصاح بى رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم: ـ يا على بن الحسين سمِّ المولود منها زيداً».

قال: فما قمنا من مجلس علىّ بن الحسين ذلك اليوم، وعلى بن الحسين ـ عليهما السلام ـ يقصّ الروَيا حتى أرسل المختار بن أبى عبيدة بأُم زيد أرسل بها إليه المختار ابن أبى عبيدة هدية إلى على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ شراها بثلاثين ألفاً، فلما رأينا إشغافه بها تفرّقنا من المجلس، فلما كان من قابل حججت ومررت على على بن الحسين ـ (عليهما السلام.ـ أ) لأُسلِّم عليه فأخرج بزيد على كتفه الأيسر وله ثلاثة أشهر وهو يتلو هذه الآية ويومىَ بيده إلى زيد وهو يقول": هذا تَأوِيلُ رُوَيایَ مِن قَبلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّى حَقّاً("۱)

۲ ـ روى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفى وقال: وعن أبى حمزة الثمالى قال: كنت أزور على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ فى كل سنة مرّة فى وقت الحجّ، فأتيته سنة وإذا على فخذه صبىّ، فقام الصبى فوقع على عتبة الباب فانشجّ رأسه، فوثب إليه على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ مُهَروِلاً فجعل ينشف دمه بثوبه________________

(۱) فرات بن إبراهيم: التفسير: ۲۰۰، تحقيق محمد الكاظم.والآية ۱۰۰ من سورة يوسف.

(۶۳)

ويقول له: «يابنى أُعيذك باللّه أن تكون المصلوب فى الكناسة!» قلت: بأبى أنت وأُمى أىّ كناسة؟ قال: «كناسة الكوفة». قلت: جعلت فداك ويكون ذلك ؟ قال: «أى واللّه إن عشت بعدى لترينّ هذا الغلام فى ناحية من نواحى الكوفة مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً فى الكناسة ثم ينزل فيحرق ويدق ويذرى فى البر».

قلت: جعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ قال: «زيد». ثم دمعت عيناه، ثم قال: «ألا أُحدثك بحديث ابنى هذا، بينما أنا ليلة ساجد وراكع، ذهب بى النوم فرأيت كأنّى فى الجنة، وكأنّ رسول اللّه وعلياً وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ قد زوّجونى جارية من الحور العين، فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى وَوَلِّيت، وهاتف يهتف بى: لِيُهَنَّك زيد، ليهنّك زيد، ليهنّك زيد. فاستيقظت فأصبت جنابة، فقمت فتطهرت وصليت صلاة الفجر، فدقّ الباب وقيل لى: على الباب رجل يطلبك. فخرجت فإذا أنا

برجل معه جارية ملفوف كمها على يده، مخمرة بخمار، فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أَريد على بن الحسين. فقلت: أنا على بن الحسين. قال: أنا رسول المختار بن أبى عبيدة الثقفى وهو يقرئك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية فى ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار وهذه ستمائة دينار فاستعن بها على دهرك (۱) ودفع إلىّ كتاباً، فأدخلت الرجل والجارية وكتبت له جواب كتابه، وقلت للجارية: ما اسمك ؟ قالت: حوراء. فهيّووها لى وبتُّ بها عروساً فعلقت بهذا الغلام فسمّيته زيداً، وهو هذا، وسرّى ما قلت لك________________».

(۱) روى ابن الاَثير: أنّ المختار وجد فى بيت المال تسعة آلاف ألف فقسّمها بين أصحابه (الكامل: ۴|۲۲۶) ولعله عند ذاك بعث بهذه الدنانير إلى على بن الحسين ــ عليهما السلام، ــ فيكون عام الإهداء هو عام الخروج.

(۶۴)

قال أبو حمزة: فما لبثت إلاّ برهة حتى رأيت زيداً بالكوفة فى دار معاوية بن إسحاق فسلّمت عليه. ثم قلت: جعلت فداك ما أقدمك هذا البلد؟ قال: الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فكنت أختلفُ إليه فجئته ليلة النصف من شعبان فسلمت عليه وجلست عنده. فقال: يا أبا حمزة تقوم حتى تزور قبر أمير الموَمنين على ــ عليه السلام ؟ ـ ــ قلت: نعم جعلت فداك.

ثم ساق أبو حمزة الحديث حتى قال:

أتينا الذكوات البيض فقال: هذا قبر على بن أبى طالب ــ عليه السلام ــ ثم رجعنا فكان من أمره ما كان. فواللّه لقد رأيته مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً بالكناسة ثم أُحرق ودق وذُرى فى الهواء (۱)

۳ ـ ما رواه أبو القاسم على الخزاز قال: عن زيد بن على ــ عليه السلام ــ قال: كنت عند أبى على بن الحسين ــ عليه السلام ــ إذ دخل عليه جابر بن عبد اللّه الاَنصارى، (م۷۸هـ) فبينما هو يحدثه إذ خرج أخى محمد من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قال: أدبر، فأدبر، فقال: شمائل كشمائل رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ما اسمك يا غلام؟ قال: «محمد». قال: ابن من؟ قال: «ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب»، قال: أنت إذاً الباقر. قال: فأبكى (فانكبّ) عليه وقبّل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إنّ رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يقرئك السلام. قال: «على رسول اللّه أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام».

ثم عاد إلى مصلاّه، فأقبل يحدث أبى ويقول: إنّ رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال لى يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدى الباقر فاقرأه منى السلام فإنّه سميّى وأشبه الناس بى، علمه علمى وحكمه حكمى، سبعة من ولده أُمناء________________

(۱) الثقفى: الغارات: ۲|۸۶۰ ـ ۸۶۱؛ وابن طاووس: فرحة الغرىّ: ۵۱، المطبوع فى ذيل مكارم الاَخلاق.

(۶۵)

معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم الذى يملاَ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثمّ تلا رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم": ــ وَجَعَلناهُمْ أئمّةً يَهدُونَ بِأَمرنا وأوْحَيْنا إلَيْهِم فِعْلَ الخَيْراتِ وإقَامِ الصَّلاةِ وإيتَاءَ الزَّكاةِ وكَانُوا لَنا عابِدِينَ ("۱) .

المشهور أنّ جابر، توفى بين السبعين والثمانين من الهجرة(۲)

وهذه الروايات المسندة، التى رواها الاَثبات من العلماء، مع ما ذكرنا من القرينة يدفع جميع الاَقوال ويثبت أنّ ميلاده كان متقدماً على عقد السبعين كما عرفت.

إكمال :

ولعل ما يرويه الكلينى فى كافيه من تعبير عبد الملك تزويج الإمام السجاد، أمته راجع إلى أُم زيد التى كانت أمة وتزوجها الإمام بعد الاعتاق، وإليك النص:

كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وإن علىّ بن الحسين ــ عليه السلام ــ أعتق جارية له ثم تزوّجها، فكتب العين إلى عبدالملك.

ثم كتب عبد الملك إلى على بن الحسين ــ عليه السلام: « ــ أمّا بعد: فقد بلغنى تزويجك مولاتك، وقد علمت أنّه كان فى أكفّائك من قريش من تُمجّد به فى الصهر، وتستنجبه فى الولد، فلا لنفسك نظرت، ولا على ولدك أبقيت والسلام.

فكتب إليه على بن الحسين ــ عليه السلام: «ــ أمّا بعد: فقد بلغنى كتابك تعنّفنى بتزويجى مولاتى وتزعم أنّه قد كان فى نساء قريش من أتمجّد به فى________________

(١) الخزاز: كفاية الاَثر فى النص على الاَئمة الاثنى عشر: ٢٩٨.والآية ٧٣ من سورة الاَنبياء.

(٢) قال الشيخ الطوسى فى رجاله: أنّه توفى عام ٧٨، وبه قال ابن قتيبة فى معارفه، والطبرى فى ذيوله لاحظ: قاموس الرجال لشيخنا التسترى: ٢|٥١٩.

(۶۶)

الصهر، واستنجبه فى الولد، وأنّه ليس فوق رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ مرتقاً فى مجد، ولا مستزاد فى كرم. وإنّما كانت ملك يمينى خرجت منّى، أراد اللّه عزّ وجلّ منّى بأمر التمس به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنة، ومن كان زكياً فى دين اللّه فليس يخل به شيء من أمره، وقد رفع اللّه بالاِسلام الخسيسة، وتمّم به النقيصة، وأذهب اللوَم، فلا لوَم على أمرىَ مسلم إنّما اللوَم لوَم الجاهلية والسلام».

فلمّا قرأ، الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقرأه، فقال: يا أمير الموَمنين لشدّ ما فخر عليك على بن الحسين!! فقال: يا بنى لا تقل ذلك فإنّها ألسُن بنى هاشم التى تفلق الصخر، وتغرف من بحر، أنّ على بن الحسين ــ عليه السلام ــ يا بنى يرتفع من حيث يتّضع الناس(١).

مواصفاته الخلقية :

نقل السياغى عن الشيخ أبى محمد يحيى بن يوسف بن محمد الحجورى الشافعى: أنَّ زيداً كان أبيض اللون، أعين، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كث اللحية، عريض الصدر، أقنى الاَنف، أسود الرأس واللحية، إلاّ أنّه خالطه الشيب فى عارضيه.

كان مثل جده ــ عليه السلام ــ فى شجاعته وسخاوته وفصاحته وبلاغته وعلمه وحلمه ـ إلى أن قال: ـ وما أشبه حاله بقول من قال:

فما إن براه اللّه إلاّ لاَربع * يقرّ له القاصى بهنّ مع الدانى

إمامٌ لاَخيارٍ، وقلبٌ لجحفلٍ * وفارسُ ميدانٍ وصدرٌ لاِيوانِ________________

(١) الكلينى: الكافى: ٥|٣۴۴.

(۶۷)

إلى أن قال: ونحن نعلم بأنّ من بنى أُمية من خطب له فى ثمانين ألف منبر، فإذا مات، مات ذكره معه، وكان من بنى العباس من كانت دولته خمسين سنة وملك أقطار الاَرض من شرق وغرب فما كان ذكرهم إلاّ مدّة حياتهم (١).

روى أبو الفرج عن مولى آل الزبير، قال: كنّا عند على بن الحسين ـ عليه السلام ـ فدعا ابناً له يقال له: زيد، فكبا لوجهه، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «أُعيذك باللّه أن تكون زيداً المصلوب بالكناسة من نظر إلى عورته متعمداً أصلى اللّه وجهه النار» (٢).

وعن أبى خالد الواسطى وأبى حمزة الثمالى عن أبى جعفر ــ عليه السلام ــ أنّه قال لهما: «يا أبا خالد، وأنت يا أبا حمزة إنّ أبى دعا زيداً فاستقرأه القرآن، فقرأ عليه، فسأله عن المعضلات ثم دعا له وقبّل بين عينيه»، ثم قال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: «يا أبا حمزة إنّ زيداً أُعطى من العلم علينا بسطة» (٣).

والظاهر أنّ الراوى صحّف كلمة الاِمام وأضاف لفظة «علينا» وأنّ أبا جعفر قال: إنّ زيداً أُعطى من العلم بسطة مشيراً إلى قوله سبحانه: "وزادَهُ بَسْطَةً فى العِلْمِ والجِسْم ("البقرة ـ ٢۴٧) .

ولو صحّ ما ذكره السياغى فيرجع كونه ذا قراءة خاصة إلى عصره والده السجاد ــ عليه السلام: ــ فقال أبو سعيد الحميرى أنّه ضليع بعدّة علوم منها علم القرآن، ووجوه القراءات وله قراءة خاصة مفردة مروية عنه (۴).

ونقل الشيخ الطوسى فى الفهرست أنّ قراءته هى عين قراءة جده الإمام________________

(١) السياغى: الروض النضير: ١|٩٧، حميد بن أحمد المحلى: الحدائق الوردية: ١٣٨.

(٢) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ٨٩.

(٣) السياغى: الروض النضير: ١|١٠٢، حميد بن أحمد المحلى: الحدائق الوردية: ١٤٢.

(۴) الحور العين: ١٨۶.

(۶٨)

على ابن أبى طالب ــ عليه السلام (ــ ١).

قال محقّق تفسيره فى مقدمته: «ولعلّ أوّل من جمع قراءته بكتاب مستقل عمر بن موسى الوجيهى الذى كان معاصراً لزيد فقال عنها: «إنّ هذه القراءة سمعتها عن زيد بن على ــ عليه السلام » ــ وكان هذا الكتاب موجوداً بعد سنة إحدى وستين ومائتين فقد استنسخها إبراهيم بن مسكين فى السنة ذاتها ونقل عنه بعد ذلك يحيى بن كهمش.

وقد جمع قراءته أيضاً الحسن بن على الأهوازى. ولعل أبا حيان قد اطّلع عليها أو على قسم منها على الأقل، فقد استشهد منها فى كتابه البحر المحيط فذكر «أنّ الأهوازى... فى قراءة زيد بن على أنّه قرأ ربّ العالمينَ الرحمنَ الرحيمَ بنصب الثلاثة».

وجمعها أيضاً أبو حيان فى كتاب سمّاه: «النير الجلى فى قراءة زيد بن على».

ووردت قراءة زيد أيضاً كاملة فى كتب القراءة والتفسير لكنها مقرونة بغيرها من القراءات حسب ورود كل منها على الآية القرآنية الكريمة.

فقد جاءت بهذه الطريقة فى كتب القراءات كما فى كتاب «شواذ القراءة» للكرمانى، وأيضاً فى كتاب «معجم القراءات القرآنية».

وكذلك وردت كاملة فى كتب التفسير كما فى كتاب «البحر المحيط» لأبى حيان وكذلك ضمها الآلوسى لكتابه فى التفسير المسمّى «روح المعانى» (٢).

وقال الكاتب الچلبى: كتاب «النير الجلى فى قراءة زيد»لأبى على الأهوازى المقرى (٣________________) .

(١) الطوسى: الفهرست: ١۴٠.

(٢) الدكتور حسن محمد تقى الحكيم: تفسير الشهيد زيد بن على: ٣٧، المقدمة.

(٣) الكاتب الچلبى: كشف الظنون:٢|۶٢۴.

(۶٩)

وفى الختام:

نقل المقريزى عن عاصم بن عبيد اللّه أنّه قال: لقد أُصيب عندكم رجل ماكان فى زمانكم مثله، ولا أراه يكون بعده مثله (زيد بن على) لقد رأيته وهو غلام حدث، وأنّه ليسمع الشيء من ذكر اللّه فيغشى عليه، حتى يقول القائل ما هو بعائد إلى الدنيا... (١).

* * *

حياته فى عصر الإمام الباقر ــ عليه السلام :ــ

التحق الإمام زيد العابدين ــ عليه السلام ــ بالرفيق الأعلى، ونصّ على إمامة ولده البارّ، أبى جعفر محمد الباقر ــ عليه السلام ــ الذى دان بفضله وعلمه وورعه الدانى والقاصى، والموالف والمخالف قال ابن حجر: سمّى الإمام باقراً، لأنّه من بقر الأرض أى شقّها وإثارة مخبآتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة أو فاسد الطويّة والسريرة، ومن ثم قيل هو باقر العلم وشاهر علمه ورافعه(٢).

لقد استنارت بقية الصحابة ووجوه التابعين، من نوره، وارتووا من منهل علمه، فكان الاحتفال بمجالسه أكبر احتفال، يوم ذاك. توفى

الإمام زين العابدين ـ عليه السلام ـ وزيد بن على فى أوان حلُمه، أو بعده بقليل فضّمه الإمام الباقر إلى أولاده فكان يعطف عليه ويحنو إليه كالوالد الروَوف بالنسبة إلى أولاده إلى أن شبّ وترعرع، وبلغ فى العلم والعمل ما بلغ، وقد نصّ بذلك أكثر من كتب عن زيد_______________:

(۱) السياغى: الروض النضير: ۱ |۹۸، لاحظ الخطط للمقريزى: ۲|۴۱۹.

(۲) ابن حجر: الصواعق المحرقة: ۲۰۰، ط۲، مكتبة القاهرة (۱۳۸۵هـ ـ ۱۹۶۵م) .

(۷۰)

۱ ـ قال الشيخ فى فصل أصحاب الإمام الباقر ــ عليه السلام: «ــ زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو الحسن، أخوه ــ عليه السلام، ــ ذكره أيضاً فى أصحاب أبيه زين العابدين ــ عليه السلام (ــ ۱)

۲ ـ قال المزى: روى عن: أبان بن عثمان، وعبيد اللّه بن أبى رافع، وعروة بن الزبير وأبيه على بن الحسين وأخيه أبى جعفر محمد بن على الباقر (۲).

۳ ـ وذكره بهذا النصّ ابن حجر فى تهذيب التهذيب (۳).

۴ ـ وقال الذهبى: زيد بن على بن الحسين... الهاشمى العلوى أخو أبى جعفر... روى عن: أبيه وأخيه أبى جعفر وعروة وكان أحد العلماء الصلحاء بدت منه هفوة (۴) فاستشهد فكانت سبباً لرفع درجته فى آخرته (۵).

لقد عاش زيد تحت رعاية أخيه الكبير البار الحنون فتلقى منه الحديث والتفسير والأُصول والمعارف حتى فاق وبرع أقرانه.

قال ابن زهرة: وقد مات أبوه (زيد) عام ۹۴هـ أى وهو فى الرابعة عشرة من عمره فتلقى الرواية عن أخيه محمد الباقر ــ عليه السلام ــ الذى يكبره بسن تسمح بأن يكون له أباً إذ إنّ الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر ــ عليهما السلام، ــ كان مثل سن الإمام زيد رضى اللّه عنهم أجمعين________________.

(۱) الشيخ الطوسى: الرجال: باب الزاى: ۸۹ ـ ۱۲۲.

(۲) جمال الدين المزّى: تهذيب الكمال: ۱۰|۹۶.

(۳) ابن حجر العسقلانى: تهذيب التهذيب: ۳|۴۱۹.

(۴) أُنظر إلى كلام الرجل، وتسميته الخروج على الظلم والعدوان هفوة والمداراة مع الظالمين ثباتاً على الدين. ولا عتب لأنّه من الذين رأوا الخروج على الظالمين حراماً، على خلاف قول رسول اللّه من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً حرم اللّه، ناكثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنّة رسول اللّه، يعمل فى عباده بالإثم والعدوان، فلم يُغير عليه بفعل أو قول كان حقاً على اللّه أن يدخله مدخله (الطبرى: التاريخ: ۴|۳۰۴) وسيوافيك الكلام فى هذا المجال فى المستقبل.

(۵) الذهبى: تاريخ الإسلام: ۱۰۵ (حوادث سنة ۱۲۱ ـ ۱۴۰هـ) .

(۷۱)

وما كان من المعقول أن يجمع الإمام زيد وهو فى سن الرابعة عشرة كل علم آل البيت فلابد أن يكمل أشطراً من أخيه الذى تلقى علم أبيه كاملاً، وقد كان الباقر ــ عليه السلام ــ إماماً فى الفضل والعلم، وأخذ عنه كثيرون من العلماء ورووا عنه ومن هوَلاء أبو حنيفة شيخ فقهاء العراق، وقد نال الباقر ــ عليه السلام ــ فضل الإمامة العلمية، حتى أنّه كان يحاسب العلماء على أقوالهم وما فيها من خطأ وصواب(۱) .

كان الإمام الباقر ــ عليه السلام ــ ينظر إليه نظر أخٍ عطوف ويثنى عليه أحياناً ويطريه، ويأمر بعض أصحابه بإنشاء طرائف تمثل شخصية زيد ونفسيته وإليك بعض ما وقفنا عليه:

۵ ـ روى الصدوق فى الأَمالى عن أبى الجارود قال: إنّى لجالس عند أبى جعفر محمد بن على الباقر ــ عليهما السلام ــ إذ أقبل زيد

فلما نظر إليه وهو مقبل، قال: «هذا سيد أهل بيته والطالب بأوتارهم لقد أنجبت أَمٌّ، ولدتك يازيد» (۲).

۶ـ وعن جابر الجعفى قال سمعت أبا جعفر ــ عليه السلام ــ وقد نظر إلى أخيه زيد بن على فتلاـ هذه الآية": « فالّذِينَ هَاجَرُوا وأُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وأُوذُوا فِي سَبِيلى وقاتَلُوا وقُتِلُوا " ...الآية، وقال: هذا واللّه من أهل ذلك» (۳).

۷ـ وعنه أيضاً سألت محمد بن على ــ عليهما السلام ــ عن أخيه زيد فقال: «سألتنى عن رجل ملىء إيماناً وعلماً من أطراف شعره وقدمه وهو سيد أهل بيته»(۴).

دخل زيد على الإمام الباقر ــ عليه السلام ــ فلما رآه تلا": يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوامينَ للّهِ شُهداءَ بالقِسطِ "ثم قال: «أنت واللّه يا زيد من أهل ذلك» (۵ـــــــــــــــــــــ).

(۱) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية: ۲ |۴۶۵.

(۲) الصدوق: الأمالى: ۳۳۵، الحديث ۱۱.

(۳) السياغى: الروض النضير: ۴|۱۰۴.والآيتان من سورة آل عمران: ۱۹۵ وسورة المائدة: ۸.

(۴) السياغى: الروض النضير: ۴|۱۰۴.والآيتان من سورة آل عمران: ۱۹۵ وسورة المائدة: ۸.

(۵) السياغى: الروض النضير: ۴|۱۰۴.والآيتان من سورة آل عمران: ۱۹۵ وسورة المائدة: ۸.

(۷۲)

۸ـ روى الصدوق عن جابر الجعفى، قال: دخلت على الباقر ــ عليه السلام ــ وعنده زيد أخوه، فدخل عليه معروف بن خربوذ المكى، قال له أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: «يامعروف أنشدنى من طرائف ما عندك»، فأنشد:

لعمرك ! ما إن أبو مالك * بوان، ولا بضعيف قواه

ولا بألدّ «لدى قوله» (۱) * يعادى الحكيم إذا ما نهاه

ولكنه سيد بارع * كريم الطبايع حلو نثاه (۲) إذا سُدته، سُدتَ مِطواعة * ومهما وكلت إليه كفاه

قال: فوضع أبو جعفر ــ عليه السلام ــ يده على كتفى زيد، وقال: هذه صفتك يا أبا الحسين! (۳).

۹ـ روى أبو الفرج عن أبى جعفر ــ عليه السلام ــ أنّه قال له بعد التمثل بالأبيات السابقة: «ولقد أنجبت أُمّ ولدتك يا زيد. اللّهم أشدد أُزرى بزيد» (۴).

ـــــــــــــــــــــ* * *

(۱) ورواه فى الأغانى بالنحو التالى:

ولاـ بالألدَّ، لـه فـــارغ * يعادى أخاه إذا ما نهاه (الأغانى: ۲۴|۱۰۶) . (۲) بتقديم النون على الثاء المثلثة لاحظ تعليقة المحقّق على البحار: ۴۶|۱۶۹.

(۳) عيون أخبار الرضا ــ عليه السلام :ــ ۱|۲۵۱ ح۵ الباب ۲۵، أبو الفرج: الأغانى: ۲۴|۱۰۶، ورواه فى الأغانى بالنحو التالى:

ولـكـنّـه هيِّـن ليّـنٌ * كعاليـة الرمح عَردٌ نَساه قال المعلّق: عرد نساه شديد ساقه. (الأغانى: ۲۴|۱۰۶)

(۴) أبو الفرج: الأغانى: ۲۴|۱۰۷ ومر صدره فى حديث الصدوق.

(۷۳)

حياته فى عصر الإمام الصادق ــ عليه السلام :ــ

۱ـ لم يذكر التاريخ شيئاً من حياته فى عصر الإمام الصادق ــ عليه السلام، ــ غير تجواله فى البلاد، لدعم الخروج، وجمع العُدّة والعِدَّة، الذى سيمر عليك فى الفصول الآتية غير أنّه لو صحّ ما يرويه أبو الفرج الاصفهانى عن عبد اللّه بن جرير أنّه رأى أنّ جعفر بن محمد ــ عليه السلام «ــ يمسك لزيد بن على بالركاب ويسوى ثيابه على السرج» (۱)لدل على أنّ الإمام ــ عليه السلام ــ كان يكرمه

لكونه عمه ـ وهو بمنزلة الاَب ـ ولاَنّه أكبر منه سناً، خصوصاً على ما حقّقنا من أنّه من مواليد عام ۶۷ أو ۶۸، فيدل على تواضعه وكمال أدبه، وقد كان ذلك رائجاً بين بنى هاشم.

وقد كان بين زيد، وعبد اللّه بن الحسن المثنى مناظرة فى صدقات على ـ عليه السلام ـ فكانا يتحاكمان إلى قاض، فإذا قاما من عنده أسرع عبد اللّه إلى دابة زيد فأمسك له بالركاب (۲).

وقد كانت أواصر الحب والود بين الاِمام وعمه متبقية إلى يوم حمامه، ولما بلغ نعيه إلى المدينة أخذ الناس يفدون إلى الاِمام ويعزّونه.

۲ ـ روى أبو الفرج عن فضيل بن رسام: دخلت على جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ أُعزّيه عن عمّه ثم قلت له: ألا أُنشدك شعر السيد (الحميرى) فقال: «أنشد» فأنشدته قصيدته (العينية المعروفة) التى يقول فيها:

الناس يوم البعث راياتهم * خمس فمنها هالك أربع (۳_______________)

(۱) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ۸۷.

(۲) سيوافيك شرح المحاكمة بينهما.

(۳) أبو الفرج: الاَغانى: ۷|۲۵۱، وللقصة صلة، فمن أراد فليرجع إلى مصدرها.

(۷۴)

۳ ـ لمّا توفى الاِمام أبو جعفر الباقر ــ عليه السلام ــ أنشد زيد قصيدة ـ سنوافيك بها فى فصل خطبه وأشعاره ـ عزّى فيها الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ وقال:

أبا جعفر الخير أنت الاِمام * وأنت المرجى لبلوى غدى (۱)

ويظهر من بعض الروايات أنّه استشار الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ فى خروجه فقال له: «يا عم إن رضيت أن تكون المقتول (المصلوب) بالكناسة فشأنَك» فلمّا ولّى، قال جعفر بن محمد ــ عليهما السلام: «ــ ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه» (۲) .

روى الصدوق عن معمر بن خيثم: كنت جالساً عند الصادق ــ عليه السلام ــ فجاء زيد بن على بن الحسين فأخذ بعضادتى الباب، فقال له الصادق ـ عليه السلام ـ: «أُعيذك أن تكون المصلوب بالكناسة» (۳).

كل ذلك يدلّ على ودٍّ عميق للعمّ، وأدب لائق بأهل البيت.

---

(۱) ابن شهر آشوب: المناقب: ۴|۱۹۷، طبعة دار الاَضواء، بيروت.

(۲) عيون أخبار الرضا ــ عليه السلام : ــ ۱|۲۴۸ ح ۱، عنه البحار: ۴۶|۱۷۴ ح۲۷.

(۳) الصدوق: العيون: ۱، الباب ۲۵، الحديث: ۴، طبعة قم. وسنوافيك ببقية الرواية.

الفصل الثالث فى خطبه، وكلماته

الفصل الثالث فى خطبه، وكلماته وأشعاره، ومناظراته وعبادته كان زيد الشهيد فصيحاً، بليغاً يأخذ بجوامع الكلم ويستعملها فى مواردها وقد شهد به الصديق والعدو، قال الواقدى: وبلغ هشام بن عبد الملك مقامُ زيد بالكوفة، فكتب إلى يوسف بن عمر: أشخِصْ زيداً إلى المدينة فإنّى أخاف أن يخرجه أهل الكوفة لاَنّه حلو الكلام، شديد البيان، خليق بتمويه الكلام (۱)وإليك بعض ما أثر عنه من المواعظ والحكم والاَدب ونحوها:

۱ ـ روى أبو المؤيد موفق بن أحمد المدعو بـ«أخطب خوارزم»: «قيل لزيد ابن على: الصمت خير أم الكلام؟ فقال: قبح اللّه المساكتة، ما أفسدها للبيان، وأجلبها للعىّ والحصر، واللّه للمماراة أسرع فى هدم الفتى من النار فى يبس العرفج، ومن السيل إلى الحدور (۲) (۳_______________).

(۱) سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ۳۰۰، اليعقوبى: التاريخ: ۲|۳۲۵ الخوارزمى: مقتل الحسين: ۲|۱۱۹.

(۲) الحدور على وزن رسول هو المكان ينحدر منه. (لسان العرب: ۴|۱۷۲، مادة «حدر»).

(۳) محسن الاَمين: أعيان الشيعة: ۷|۱۲۳، نقلاً عن مقتل الحسين للخوارزمى.

فقد فضل الكلام على السكوت، وذم المماراة، فالكلام أفضل بشرط أن لا يكون مماراة.

۲ ـ إذا تلا زيد بن على قوله سبحانه": وإن تَتولَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم ثُمَّ لا يَكُونُوا أمْثَالَكُم("محمد ـ ۳۸) .

يقول: «إنّ كلام اللّه هذا تهديد وتخويف، ثم يقول: اللّهم لا تجعلنا ممّن تولّى عنك فاستبدلت به بدلاً» (۱).

۳ ـ قال زيد بن على لاَصحابه: «أُوصيكم بتقوى اللّه، فإنّ الموصى بها لم يدَّخر نصيحة، ولم يقصِّر فى الاِبلاغ، فاتقوا اللّه فى الاَمر الذى لا ـ يفوتكم منه شىء وإن جهلتموه وأجملوا فى الطلب، ولاتستعينوا بنعم اللّه على معاصيه، وتفكّروا، وأبصروا هل لكم قبل خالقكم من عمل صالح قدمتموه فَشَكَرَه لكم، فبذلك جعلكم اللّه تعالى من أهل الكتاب والسنّة، وفضّلكم على أديان أبائكم، ألم يستخرجكم نطفاً من أصلاب قوم، كانوا كافرين، حتى بثّكم فى حجور أهل التوحيد، وبث من سواكم فى حجور أهل الشرك، فبأى سوابق أعمالكم طهركم إلاّ بمنّه وفضله الذى يوَتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم» (۲).

۴ ـ وقال مبيّناً لما هو الغاية من الخروج: «وإنّما خرجت على بنى أُمية الذين قتلوا جدى الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت اللّه بحجر المنجنيق والنار» (۳).

۵ ـ روى عبد اللّه بن مسلم بن بابك قال: خرجنا مع زيد بن على إلى مكة، كان نصف الليل واستوت الثريا فقال: «يا بابكىّ، ما ترى هذه الثريا أترى أن_______________

(۱) محسن الاَمين: أعيان الشيعة: ۷|۱۲۳.

(۲) الاَمير أُسامة بن مرشد، لباب الآداب نقلاً عن المدائن كما فى زيد الشهيد للسيد الاَمين العاملى: ۹۲.

(۳) البغدادى: الفرق بين الفرق: ۳۵ ـ ۳۶.

أحداً ينالها؟» قلت: لا، قال: «واللّه لوددت أن يدى ملصقة بها فأقع إلى الاَرض أو حيث أقع، فأتقطّع قطعة قطعة وإنّ اللّه أصلح بين أمة محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم» (ــ ۱) .

۶ـ إنّ زيداً كتّب كتائبه، فلمّا خفقت راياته رفع يده إلى السماء فقال: «الحمد للّه الذى أكمل لى دينى، واللّه ما يسرنى إنّى لقيت محمّداً ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ولم آمر أُمّته بمعروف ولم أنههم عن منكر».

وفى رواية أُخرى: «واللّه إنّى لاَستحيى من رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إذا لقيته ولم آمر أُمته بالمعروف ولم أنههم عن المنكر واللّه ما أُبالى إذا أقمت كتاب اللّه وسنّة رسول اللّه إن أُجّجت لى نار وقذفتُ فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة اللّه عزّ وجلّ، واللّه لا ينصرنى أحد إلاّ كان فى الرفيق الاَعلى مع محمّد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات اللّه عليهم ـ ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمّد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ونحن بنوه، يا معشر الفقهاء وأهل الحجى أنا حجة اللّه عليكم هذه يدى مع أيديكم، على أن نقيم حدود اللّه ونعمل بكتابه...» (۲).

۷ـ كانت بيعته التى يبايع عليها الناس هى: «إنّا ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيه، وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفىء بين أهله بالسوية ورد الظالمين، وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا، وجهل حقنا. أتبايعون على ذلك؟» فإذا قالوا نعم، وضع يده على يده ثم يقول: «عليك عهد اللّه وميثاقه وذمته أو ذمة رسول اللّه لتفينّ ببيعتى، ولتقاتلنّ عدوى، ولتنصحنّ لى فى السر والعلانية» فإذا قال نعم مسح يده على يده، ثم قال: «اللهم اشهد» (۳_______________).

(۱) المجلسی: البحار: ۴۴|۳۲۹.

(۲) أخطب خوارزم: مقتل الحسین: ۲|۱۰۸.

(۳) الطبری: التاریخ: ۵|۴۹۲، ابن الأثیر: الکامل: ۴|۲۳۳، باختلاف یسیر فی الکلمات.

(۷۸)

۸ـ ومن کلامه: «إنّا ندعوکم إلی کتاب اللّه وسنّة نبیه وإلی السنن أنّ تحیی، وإلی البدع أن تدفع، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبیتم فلست علیکم بوکیل» (۱).

۹ـ ومن کلامه المعروف قاله لهشام أنّه: « لم یکره قوم قطُّ حدّ السیف إلاّ ذلّوا» (۲).

۱۰ـ وروی ابن عساکر أنّه قال: «واللّه ما کره قوم الجهاد فی سبیل اللّه إلاّ ضربهم اللّه تعالی بالذل» (۳)

۱۱ـ وقال أیضاً لهشام: «أنّه لیس أحد یکبر عن تقوی اللّه، ولا یصغر دون تقوی اللّه» (۴)

إلی غیر ذلک من الکلمات التی سیمرّ بعضها علیک فی المستقبل. غیر أنّ کل ذلک حکم قصیرة یباری فیها، ما ورثه عن مطلع الفصاحة والبلاغة جدّه الإمام أمیر المؤمنین.

ثم لزید خطب، ورسائل، نکتفی من کل منهما بواحد، والإمعان فیهما یعرف مقدرته علی إنشاء الکلام البلیغ، وإبداعه المعانی السامیة، فی جمل قصیرة وإلیک الخطبة ثم الرسالة:

۱۲ـ خطبته التی، یعرّف فیها موقفه من الخروج وأنّه لیس إلاّ الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، وإنهاض المسلمین لإزالة المروانیین عن منصة الحکومة الإسلامیة ورد الأمر إلی أهل بیت النبی وإلیک نصها:

«یا أیّها الناس إنّ اللّه قد بعث فی کل زمان خیرة، ومن کل خیرة منتجباً

(۱) الطبری: التاریخ: ۵ |۴۹۸؛ ابن الأثیر: الکامل: ۵|۲۴۳.

(۲) المفید: الإرشاد: ۲۶۹.

(۳) مختصر تاریخ دمشق: ۹|۱۵۱.

(۴) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۲۰۶، طبعة دار الأندلس، بیروت.

(۷۹)

خیرة منه قال": اللّهُ أعلَمُ حَیْثُ یَجعَلُ رِسالَتَه ("الأنعام ـ ۱۲۴) فلم یزل اللّه یتناسخ خیرته حتی خرج محمد ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ من أفضل تربة وأطهر عترة أُخرجت للناس، فلمّا قبض اللّه محمّداً ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ ولا عارف أمخرکم (۱) بعد زخورها وحصّن حصونک علی سائر الأحیاء بأنّ محمداً ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ کان قریشیاً، ودانت العجم للعرب بأنّ محمد ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ کان عربیاً حتی ظهرت الکلمة وتمت النعمة فاتّقوا اللّه عباد اللّه وأجیبوا إلی الحقّ وکونوا أعواناً لمن دعاکم إلیه، ولاتأخذوا سنّة بنی إسرائیل، کذّبوا أنبیاءهم، وقتلوا أهل بیت نبیهم.

ثم أنا أُذکرکم أیّها السامعون لدعوتنا، المتفهّمون لمقالتنا، باللّه العظیم الذی لم یذکر المذکورون بمثله، إذا ذکروه وجلت قلوبکم واقشعرَّت لذلک جلودکم، ألستم تعلمون أنّا ولد نبیکم المظلومون المقهورون، فلا سهمُ وُفینا، ولا تراث أُعطینا، وما زالت بیوتاً تهدم وحرمتنا تنتهک وقائلنا یعرف، یولد مولودنا فی الخوف، وینشأ ناشئنا بالقهر ویموت میّتنا بالذل؟

ویحکم إنّ اللّه قد فرض علیکم جهاد أهل البغی والعدوان من أُمتکم علی بغیهم، وفرض نصرة أولیائه الداعین إلی اللّه وإلی کتابه قال": ولَیَنصُرَنَّ اللّهُ مَن یَنصُرُهُ إنَّ اللّهَ لَقَویٌّ عَزیز ("الحجّ ـ۴۰) .

ویحکم إنّا قوم غَضِبْنا للّه ربّنا، ونقمنا الجور المعمول به فی أهل ملتنا، ووضعنا من توارث الإمامة والخلافة، وحکم بالهوی ونقض العهد، وصلّی الصلاة لغیر وقتها، وأخذ الزکاة من غیر وجهها ودفعها إلی غیر أهلها، ونسک المناسک بغیر هدیها، وأزال الأفیاء

والاَخماس والغنائم ومنعها الفقراء والمساكين وابن السبيل، وعطّل الحدود وأخذ منه الجزيل، وحكم بالرشا والشفاعات والمنازل، وقرب الفاسقين ومثل بالصالحين، واستعمل الخيانة وخوّن أهل الاَمانة_______________،

(۱) وفى نسخة: أنجزكم.

(۸۰)

وسلّط المجوس وجهز الجيوش، وخلد فى المحابس وجلد المبين وقتل الوالد، وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف بغير مأخوذ من كتاب اللّه وسنّة نبيه.

ثم يزعم زاعمكم الهزاز على قلبه، يطمع خطيئته إنّ اللّه استخلفه يحكم بخلافته، ويصد عن سبيله وينتهك محارمه ويقتل من دعا إلى أمره، فمن أشرّ عند اللّه منزلة ممّن افترى على اللّه كذباً أو صد عن سبيله أو بغاه عوجاً، ومن أعظم عند اللّه أجراً ممّن أطاعه وأدان بأمره وجاهد فى سبيله وسارع فى الجهاد، ومن أشرّ عند اللّه منزلة ممّن يزعم أن بغير ذلك يحقّ عليه ثم يترك ذلك استخفافاً بحقّه وتهاوناً فى أمر اللّه وإيثاراً لدنياه"، ومَنْ أحْسَنُ قَوْلاً ممّن دَعا إلى اللّهِ وعَمِلَ صالِحاً وقالَ إنّنى مِنَ المُسْلِمين ("فصلت ـ ۳۳)(۱)

۱۳ ـ روى حميد بن أحمد المحلى (۵۸۲ ـ ۶۵۲هـ) بالاِسناد المنتهى إلى أبى الجارود أن زيداً لمّا ظهر، خطب وقال: «الحمد للّه الذى منّ علينا بالبصيرة وجعل لنا قلوباً عاقلة، وأسماعاً واعية، وقد أفلح من جعل الخير شعاره، والحقّ دثاره ـ إلى أن قال: ـ فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير المفرّقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا وأناب إلى سبيلنا وجاهد بنفسه نفسه ومن يليه من أهل الباطل، ودعائم النفاق، فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن ردّ علينا دعوتنا وأبى إجابتنا واختار الدنيا الزائلة الآفلة، على الآخرة الباقية، فاللّه من أُولئك برىء، وهو يحكم بيننا وبينكم.

إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلاَن يستجيب لكم رجل واحد خير ممّا طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير الموَمنين على بن طالب ـ عليه السلام ـ بالبصرة والشام: لا ـ تتبعوا مُدبِراً ولا تُجهِزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً، واللّه على ما أقول وكيل_______________.

(۱) فرات بن إبراهيم الكوفى: التفسير: ۱۳۶ ـ ۱۳۷، ط ۱، تحقيق محمد الكاظم، موَسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الاِرشاد، طهران (۱۴۱۰ هـ ـ ۱۹۹۰م) .

(۸۱)

عباد اللّه لا ـ تقاتلوا على الشك فتضلّوا عن سبيل اللّه، ولكن البصيرة ثم القتال، فإنّ اللّه يجازى عن اليقين أفضل جزاء يجزى به على حقّ. عباد اللّه: البصيرة» قال أبو الجارود: يابن رسول اللّه، يبذل الرجل نفسه عن غير بصيرة؟ قال: «نعم أنّ أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا فالطمع أرداهم إلاّ القليل الذين لا تخطر الدنيا على قلوبهم، ولا لها يسعون فأُولئك منى وأنا منهم» (۱).

۱۴ ـ وها نحن ننشر فى المقام رسالته إلى علماء الاُمّة قبيل خروجه، فحاول فيها بكل وسيلة تشجيع الناس على رفض الظلم والمطالبة بالحرية والعدالة.

قام بتحقيقها وتصحيحها محمد يحيى سالم عزان عن أربع نسخ، نوّه بخصوصيتها فى مقدمتها ونشرها دار التراث اليمنى صنعاء عام ۱۴۱۲هـ

وإليك نصها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين حتى يرضى وصلّى اللّه وسلم وبارك وترحّم وتحنّن وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آل سيّدنا محمّد.

إلى علماء الاُمّة الذين وجبت للّه عليهم الحجّة.

من «زيد بن على» ابن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم.ـ

سلام على أهل ولاية اللّه وحزبه.

ثم إنّى أُوصيكم معشر العلماء بحظّكم من اللّه فى تقواه وطاعته، وأن لا تبيعوه بالمكس (۲)من الثمن، والحقير من البدل، واليسير من العِوَض، فإنّ كلّ_______________

(۱) حميد المحلى: الحدائق الوردية: ۱۴۱، الطبعة الثانية ـ ۱۴۰۵هـ ق. وقد جئنا بخلاصة الخطبة ومن أراد الوقوف على الجميع فعليه الرجوع الى المصدر.

(۲) المكس: النقص والظلم.

(۸۲)

شيء آثرتموه وعملتم له من الدنيا ليس بخَلَف ممّا زيّن اللّه به العلماء من عباده الحافظين لرعاية ما استرعاهم واستحفظهم من أمره ونهيه، ذلك بأنّ العاقبة للمتقين، والحسرة والندامة والويل الدائم للجائرين الفاجرين.

[الاعتبار من الأُمم السابقة]

فتفكّروا عباد اللّه واعتبروا، وانظروا وتدبّروا وازدجروا بما وعظ اللّه به هذه الأُمّة من سوء ثنائه على الأحبار والرهبان.

إذ يقول": لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَبّانِيُّونَ والأَحبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ("۱).

وإنّما عاب ذلك عليهم بأنّهم كانوا يشاهدون الظلمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرون بالمنكر، ويعملون الفساد فلا ينهونهم عن ذلك، ويرون حقّ اللّه مضيعاً، ومال اللّه دُولة يوكل بينهم ظلماً ودولة بين الأغنياء، فلا يمنعون من ذلك رغبة فيما عندهم من العَرَض الآفل، والمنزل الزائل، ومداهنة (۲)منهم على أنفسهم.

وقد قال اللّه عزّ وجلّ لكم": يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا إنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أموالَ النّاسِ بِالْباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَهَبَ وَالفِضَّةَ وَلايُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيم("۳)كيما تحذروا.

وإذا رأيتم العالم بهذه الحالة والمنزلة فأنزلوه منزلة من عاث فى أموال الناس بالمصانعة (۴)، والمداهنة، والمضارعة (۵)لظلمة أهل زمانهم، وأكابر_______________

(۱) المائدة: ۶۳.

(۲) المداهنة: المداراة والملاينة، وداهن على نفسه أبقى عليها.

(۳) التوبة: ۳۴.

(۴) المصانعة: الرشوة والمداراة.

(۵) المضارعة: التقرب والمقارنة.

(۸۳)

قومهم، فلم ينهوهم عن منكر فعلوه. رغبة فيما كانوا ينالون من السحت (۱) بالسكوت عنهم.

وكان صدودهم عن سبيل اللّه بالاتباع لهم، والاغترار بإدهانهم (۲) ومقارنتهم الجائرين الظالمين المفسدين فى البلاد. ذلك بأنّ أتباع العلماء يختارون لأنفسهم ما اختار علماوهم. فحذروا علماء السوء الذين سلكوا سبيل من ذَمّ اللّه وباعوا طاعة اللّه الجائرين.

إنّ اللّه عزّ وجلّ قال فى كتابه": إنّا أَنْزَلْنا التوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُوراً يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الّذِينَ أسْلَمُوا لِلّذِينَ هَادُوا وَالرّبّانِيّونَ والأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا الناسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآياتِى ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُون ("۳).

فعاب علماء التوراة والإنجيل بتركهم ما استحفظهم من كتابه، وجَعَلَهم عليه شهداء خشية الناس، ومواتاة (۴)للظالمين، ورضاً منهم بأعمال المفسدين. فلم يوثروا اللّه بالخشية فسخط اللّه عليهم لمّا اشتروا بآياته ثمناً قليلاً، ومتاعاً من الدنيا زائلاً. والقليل عند اللّه الدنيا

وما فیها من غضارتها (۵)وعیشتها ونعیمها وبهجتها، ذلک بأنّ اللّه هو علّام الغیوب.

قد علم بأنّ رکوب معصیته، وترک طاعته، والمداهنة للظلمة فی أمره ونهیه، إنّما یلحق بالعلماء للرهبة والرغبة من عند غیر اللّه، لاَنّهم علماء باللّه، وبکتابه وبسنّة نبیّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــــــــــــــــــــ. ــ

(۱) السحت: ما خبث من المکاسب.

(۲) الاِدهان والمداهنة بمعنی: المصانعة واللین، وقیل: الاِدهان الغش.

(۳) المائدة: ۴۴.

(۴) المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة.

(۵) غضارة الدنیا: النعمة والسعة والخصب.

(۸۴)

[الاَمر بالمعروف والنهی عن المنکر]

ولعمری لو لم یکن نال علماء الاَزمنة من ظلمتها، وأکابرها، ومفسدیها، شدة وغلظة وعداوة، ما وصّاهم اللّه تعالی وحذّرهم. ذلک أنّهم ما ینالون ما عند اللّه بالهوینا ولا یخلدون فی جنّته بالشهوات.

فکره اللّه تعالی للعلماء ـ المستحفظین کتبه وسنّته وأحکامه ـ ترک ما استحفظهم، رغبة فی ثواب من دونه، ورهبة عقوبة غیره. وقد میزکم اللّه تعالی حقّ تمیز، ووسمکم سمة (۱)لاـ تخفی علی ذی لب، وذلک حین قال لکم": والمُوَْمِنُونَ وَالمُوَْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أوْلِیَاءُ بَعْضٍ یَأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَیَنْهَوْنَ عَنِ المُنْکَرِ وَیُقِیمُونَ الصّلاةَ وَیُؤْتُونَ الزَکَاةَ وَیُطِیعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلئِکَ سَیرْحَمُهُمُ اللّهُ إنَّ اللّهَ عَزِیزٌ حَکِیم ("۲).

فبدأ بفضیلة الاَمر بالمعروف والنهی عن المنکر، ثم بفضیلة الآمرین بالمعروف والناهین عن المنکر عنده، وبمنزلة القائمین بذلک من عباده.

ولعمری لقد استفتح الآیة فی نعت الموَمنین بفریضة الاَمر بالمعروف والنهی عن المنکر. فاعتبروا عباد اللّه وانتفعوا بالموعظة.

وقال تعالی فی الآخرین": المُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ یَأْمُرُونَ بِالمُنکَرِ وَیَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ ("۳).

فلعمری لقد استفتح الآیة فی ذمّهم بأمرهم بالمنکر ونهیهم عن المعروف فاعتبروا عباد اللّه وانتفعواــــــــــــــــــــ.

(۱) السمة: العلامة.

(۲) التوبة: ۷۱.

(۳) التوبة: ۶۷.

(۸۵)

واعلموا أنّ فریضة اللّه تعالی فی الاَمر بالمعروف والنهی عن المنکر إذا أُقیمت له استقامت الفرائض بأسرها هَیّنُها وشدیدها.

وذلک أنّ الاَمر بالمعروف والنهی عن المنکر هو:

الدعاء إلی الاِسلام، والاِخراج من الظلمة، ورد الظالم، وقسمة الفیء والغنائم علی منازلها، وأخذ الصدقات ووضعها فی مواضعها، وإقامة الحدود، وصلة الاَرحام، والوفاء بالعهد، والاِحسان، واجتناب المحارم، کل هذا من الاَمر بالمعروف والنهی عن المنکر.

یقول اللّه تعالی لکم": وَتَعَاوَنُوا عَلَی البِرّ وَالتَقْوَی وَلاَتَعَاوَنُوا عَلَی الاِثْمِ وَالعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللّهَ إنَّ اللّهَ شَدِیدُ العِقَابِ ("۱)فقد ثبت فرض اللّه تعالی فاذکروا عهد اللّه الذی عاهدتموه ومیثاقه الذی واثقکم به إذ قلتم": سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللّهَ إنَّ اللّهَ عَلِیمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (۲).

[دور العلماء ومکانتهم]

عباد اللّه فإنّما تصلح الَامور على أيدى العلماء وتفسد بهم إذا باعوا أمر اللّه تعالى ونهيه بمعاونة الظالمين، الجائرين، فكذلك الجهّال والسفهاء إذا كانت الُامور فی أيديهم، لم يستطيعوا إلّا بالجهل والسفه إقامتها فحينئذ تصرخ المواريث، وتضج الَاحكام، ويفتضح المسلمون (۳).

وأنتم أيّها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة اللّه________________

(۱) المائدة: ۲.

(۲) المائدة: ۷.

(۳) يفتضح المسلمون بمعنى يفرط المسلمون. قال الزمخشرى: سمعتهم يقولون: افتضحنا فيك أی فرطنا فی زيارتك وتفقدك.

(۸۶)

منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم فی أعين الناس مهابة، وفی المدائن والَاسواق مكرمة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه. يُبدَأ بكم عند الدُعوَة، والتُحَفَة (۱)، ويشار إليكم فی المجالس، وتشفعون فی الحاجات، إذا امتنعت على الطالبين. وآثاركم متبعة، وطرقكم تسلك.

كل ذلك لما يرجوه عندكم من هو دونكم من النجاة فی عرفان حقّ اللّه تعالى. فلاتكونوا عند إيثار (۲)حقّ اللّه تعالى غافلين، ولَامره مضيّعين، فتكونوا كالَاطباء الذين أخذوا ثمن الدواء وأعطبوا المرضى. وكرعاة استوفوا الَاجر وضلّوا عن المرعى. وكحرّاس مدينة أسلموها إلى الَاعداء، هذا مثل علماء السوء.

لا ـ مالاً ـ تبذلونه للّه تعالى، ولانفوساً تخاطرون بها فی جنب اللّه تعالى، ولاداراً عطلتموها، ولازوجة فارقتموها، ولاعشيرة عاديتموها. فلاتتمنوا ما عند اللّه تعالى وقد خالفتموه.

فترون أنّكم تسعون فی النور، وتتلقاكم الملائكة بالبشارة من اللّه عزّ وجلّ؟ كيف تطمعون فی السلامة يوم الطامة؟! وقد أخرجتم الَامانة، وفارقتم العلم، وأدهنتم فی الدين. وقد رأيتم عهد اللّه منقوضاً، ودينه مبغوضاً، وأنتم لاتفزعون ومن اللّه لاترهبون.

فلو صبرتم على الَاذى، وتحملّتم المؤنة فی جنب اللّه لكانت أُمور اللّه صادرة عنكم، وواردة إليكم________________.

(۱) التحفة: بضم المثناة وتسكين المهملة: البر واللطف.

(۲) الإِيثار: التقديم والتفضيل، والمعنى هنا: فلا تكونوا غافلين عند إيثار وتقديم حقّ اللّه تعالى والدفاع عنه.

(۸۷)

عباد اللّه لا ـ تمكّنوا الظالمين من قِيَادِكم (۱)بالطمع فيما بأيديهم من حطام الدنيا الزائل، وتراثها الآفل، فتخسروا حظّكم من اللّه عزّ وجلّ.

عباد اللّه استقدموا إلى الموت بالوثيقة فی الدين، والاعتصام بالكتاب المتين، ولاتعجبوا بالحياة الفانية فما عند اللّه هو خير لكم، وإنّ الآخرة هی دار القرار.

عباد اللّه اندبوا الإِيمان ونوحوا على القرآن، فو الذى نفس «زيد بن على» بيده لن تنالوا خيراً لا يناله أهل بيت نبيّكم ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ــ ولا أصبتم فضلًا إلّا أصابوه فأصبتم فضله.

[إلى علماء السوء]

فيا علماء السوء أكببتم على الدنيا وإنّها لناهية لكم عنها، ومحذرة لكم منها، نصحت لكم الدنيا بتصرفها فاستغششتموها، وتَفَتحت لكم الدنيا فاستحسنتموها، وصدقتكم عن نفسها فكذبتموها.

فيا علماء السوء هذا مهادكم الذى مهدتموه للظالمين، وهذا أمانكم الذى أتمنتموه (۲) للخائنين، وهذه شهادتكم للمبطلين. فأنتم معهم فی النار غداً خالدون". ذلِكُم بِمَا كُنْتُم تَفْرَحُونَ فِی الَارْضِ بِغَيْرِ الحَقّ وَبِمَا كُنْتُم تَمْرَحُونَ("۳)

فلو كنتم سلّمتم إلى أهل الحقّ حقهم، وأقررتم لأهل الفضل بفضلهم لكنتم أولياء اللّه، ولكنتم من العلماء به حقاً، الذين امتدحهم اللّه عزّ وجلّ فى كتابه بالخشية منهم________________.

(۱) القياد كالمقود: ما يقاد به، واستعماله هنا مجاز ، والمعنى: لا تمكّنوا الظالمين من قودكم كما تقاد البهائم.

(۲) أتمنتموه بمعنى أمنتموه، حكاه فى اللسان عن ثعلب وقال: وهى نادرة.

(۳) غافر: ۷۵.

(۸۸)

فلا- أنتم علمتم الجاهل، ولا أنتم أرشدتم الضال، ولا أنتم فى خلاص الضعفاء تعملون، ولابشرط اللّه عليكم تقومون، ولا فى فكاك رقابكم [ولا السلب إلّا سلبكم].

يا علماء السوء اعتبروا حالكم، وتفكّروا فى أمركم، وستذكرون ما أقول لكم.

يا علماء السوء إنّما أمنتم عند الجبارين بالإِدهان، وفزتم بما فى أيديكم بالمقاربة، وقربتم منهم بالمصانعة (۱)، قد أبحتم الدين، وعطّلتم القرآن، فعاد علمكم حجّة للّه عليكم، وستعلمون إذا حشرج الصدر، وجاءت الطامة، ونزلت الداهية.

يا علماء السوء أنتم أعظم الخلق مصيبة، وأشدهم عقوبة، إن كنتم تعقلون، ذلك بأنّ اللّه قد احتج عليكم بما استحفظكم إذ جعل الأُمور ترد إليكم، وتصدر عنكم.

الأحكام من قبلكم تلتمس، والسنن من جهتكم تختبر. يقول المتبعون لكم: أنتم حجّتنا بيننا وبين ربّنا. فبأى منزلة نزلتم من العباد هذه المنزلة؟

فوالذى نفس «زيد بن على» بيده لو بيّنتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحقّ الذى تعرفون، لتضعضع بنيان الجبارين، ولتهدّم أساس الظالمين، ولكنّكم اشتريتم بآيات اللّه ثمناً قليلاً، وأدهنتم فى دينه، وفارقتم كتابه.

هذا ما أخذ اللّه عليكم من العهود والمواثيق، كى تتعاونوا على البر والتقوى، ولا- تعاونوا على الإِثم والعدوان، فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزيّنتم لهم الجور، وشددتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقارنة، فهذا حالكم.

فيا علماء السوء فمحوتم كتاب اللّه محواً، وضربتم وجه الدين ضرباً________________،

(۱) المصانعة: المداراة والمداهنة.

(۸۹)

فند(۱) واللّه نديد البعير الشارد، هرباً منكم.

فبسوء صنيعكم سفكت دماء القائمين بدعوة الحقّ من ذرية النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ــ ورفعت رؤوسهم فوق الأسنّة، وصُفِّدُوا فى الحديد، وخلص إليهم الذل، واستشعروا الكرب وتسربلوا الأحزان، يتنفسون الصعداء (۲)، ويتشاكون الجهد.

فهذا ما قدّمتم لأنفسكم، وهذا ما حملتموه على ظهوركم، فاللّه المستعان، وهو الحكم بيننا وبينكم، يقضى بالحق وهو خير الفاصلين.

[دعوة إلى الجهاد]

وقد كتبت إليكم كتاباً بالذى أُريد من القيام به فيكم. وهو: العمل بكتاب اللّه، وإحياء سنّة رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم.ــ فبالكتاب قوام الإِيمان، وبالسنّة يثبت الدين. وإنّما البدع أكاذيب تخترع، وأهواء تتّبع، يتولّى فيها وعليها رجال رجالاً صدّوهم عن دين اللّه، وذادوهم عن صراطه، فإذا غيّرها المؤمن، ونهى عنها المُوَحّد، قال المفسدون: جاءنا هذا يدعونا إلى بدعة!!

وأيم اللّه ما البدعة إلّا التى أحدث الجائرون، ولا الفساد إلّا الذى حكم به الظالمون.

وقد دعوتكم إلى الكتاب. فأجيبوا داعى اللّه، وانصروه، فوالذى بإذنه دعوتكم، وبأمره نصحت لكم، ما ألتمس أثرة على مؤمن، ولا ظلماً لمعاهد، ولوددت أنّى قد حميتكم مراتع (۳)الهلكة، وهديتكم من الضلالة، ولو كنت أوقد________________

(۱) ند البعير: شرد ونفر.

(۲) في القاموس: بالضم بعده سكون، وفي لسان العرب: بالضم بعده تحريك بالفتح: النفس بتوجع، وفي شرح القاموس الاَوّل أصح.

(۳) مراتع: مواضع.

(۹۰)

ناراً فأقذف بنفسي فيها، لا يقربني ذلك من سخط اللّه، زهداً في هذه الحياة الدنيا، ورغبة منّي في نجاتكم، وخلاصكم. فإن أجبتمونا إلى دعوتنا كنتم السعداء والموفورين حظاً ونصيباً.

عباد اللّه انصحوا داعي الحقّ وانصروه إذ قد دعاكم لما يحييكم. ذلك بأنّ الكتاب يدعو إلى اللّه، وإلى العدل والمعروف، ويزجر عن المنكر.

فقد نظرنا لكم وأردنا صلاحكم، ونحن أولى الناس بكم. رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم «ــ جدّنا»، والسابق إليه المؤمن به «أبونا»، وبنته سيدة النسوان «أُمّنا»، فمن نزل منكم منزلتنا. فسارعوا عباد اللّه إلى دعوة اللّه، ولا ـ تنكلوا عن الحق، فبالحق يُكبت (۱)عدوّكم، وتمنع حريمكم، وتأمن ساحتكم.

وذلك أنّا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن، والمدائن، والفيء، والغنائم، ونثبت الاَمين المؤتمن، غير الراشي والمرتشي، الناقض للعهد. فإن نظهر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربّنا، وأدّينا الحقّ إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأي هذا يكره المؤمن، وفي أي هذا يرهب المسلم، وقد قال اللّه عزّ وجل لنبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم": ــ وَلَا تُجادِلْ عَنِ الّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَيُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أثِيماً ("۲).

وإذا بدأت الخيانة، وخربت الاَمانة، وعمل بالجور، فقد افتضح الوالي. فكيف يكون إماماً على المؤمنين من هذا نعته وهذه صفته؟!

اللّهم قد طلبنا المعذرة إليك، وقد عرّفتنا إنّك لاتصلح عمل المفسدين، فأنت اللّهم وليّنا، والحاكم فيما بيننا وبين قومنا بالحقّ.

هذا ما نقول، وهذا ما ندعو إليه، فمن أجابنا إلى الحقّ فأنت تثيبه وتجازيه________________،

(۱) يكبت: يرد العدو ويغيضه.

(۲) النساء: ۱۰۷.

(۹۱)

ومن أبى إلاّ عتوّاً وعناداً فأنت تعاقبه على عتوّه وعناده.

فاللّه اللّه عباد اللّه أجيبوا إلى كتاب اللّه، وسارعوا إليه، واتخذوه حكماً فيما شجر بينكم، وعدلاً فيما فيه اختلفنا، وإماماً فيما فيه تنازعنا، فإنّا به راضون، وإليه منتهون، ولما فيه مسلمون، لنا وعلينا. لانريد بذلك سلطاناً في الدنيا، إلاّ سلطانك، ولانلتمس بذلك أثرة على مؤمن، ولا مؤمنة، ولاحر، ولا عبد.

عباد اللّه فأجيبونا إجابة حسنة تكن لكم البشرى.

يقول اللّه عزّ وجلّ في كتابه": فَبَشِّرْ عِبَادِ * الّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ ("۱) .

ويقول": وَمَنْ أحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إلى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقالَ إنّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ ("۲).

[مكانة أهل البيت ــ عليهم السلام]ــ

عباد اللّه فاسرعوا بالإنابة وأبذلوا النصيحة، فنحن أعلم الاُمّة باللّه، وأوعى الخلق للحكمة، وعلينا نزل «القرآن»، وفينا كان يهبط «جبريل» ــعليه السلام، ــ ومن عندنا اقتبس الخير. فمن علم خيراً فمنّا اقتبسه، ومن قال خيراً فنحن أصله، ونحن أهل المعروف، ونحن الناهون عن المنكر، ونحن الحافظون لحدود اللّه.

عباد اللّه فأعينونا على من استعبد أُمّتنا، وأخرب أمانتنا، وعطّل كتابنا، وتشرف بفضل شرفنا. وقد وثقنا من نفوسنا بالمضي على أُمورنا،

والجهاد فى سبيل خالقنا، وشريعة نبينا ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ــ صابرين على الحق، لا نجزع من نائبة من ظلمنا، ولا نرهب الموت إذا سلم لنا ديننا________________.

(۱) الزمر: ۱۷ ـ ۱۸.

(۲) فصلت: ۳۳.

(۹۲)

فتعاونوا، وانصروا، يقول اللّه عزّ وجلّ فى كتابه": يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أقدامَكُمْ ("۱).

ويقول اللّه عزّ وجلّ": وَلَيَنْصُرَنَّ اللّه مَنْ يَنْصُرُهُ إنَّ اللّه لَقَوىٌّ عَزيزٌ * الّذِينَ إنْ مَكَّنّاهُمْ فِى الَارضِ أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزّكاةَ وَأَمَرُوا بِالمعَرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ولِلّهِ عاقِبَةُ الُامورِ ("۲).

عباد اللّه فالتمكين قد ثبت بإثبات الشريعة، وبإكمال الدين يقول اللّه عزّ وجلّ": فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أنْتَ بِمَلُوم ("۳).

وقال اللّه عزّ وجلّ فيما احتج به عليكم": اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الِاسلامَ دِيناً ("۴).

عباد اللّه فقد أكمل اللّه تعالى الدين، وأتم النعمة، فلا تنقصوا دين اللّه من كماله، ولا تبدّلوا نعمة اللّه كفراً فيحل بكم بأسه وعقابه.

عباد اللّه إنّ الظالمين قد استحلّوا دماءنا، وأخافونا فى ديارنا، وقد اتّخذوا خذلانكم حجة علينا فيما كرهوه من دعوتنا، وفيما سفهوه من حقّنا، وفيما أنكروه من فضلنا عناداً للّه، فأنتم شركاوَهم فى دمائنا، وأعوانهم فى ظلمنا، فكل مال للّه أنفقوه، وكل جمع جمعوه، وكل سيف شحذوه (۵)، وكل عدل تركوه، وكل جور ركبوه، وكل ذمة للّه تعالى أخفروها (۶) وكل مسلم أذلّوه، وكل كتاب نبذوه، وكل

___

(۱) محمد: ۷.

(۲) الحج: ۴۰ـ ۴۱.

(۳) الذاريات: ۵۴.

(۴) المائدة: ۳.

(۵) شحذوه: أحدّوه.

(۶) أخفره: نقض عهده.

(۹۳)

حكم للّه تعالى عطّلوه، وكل عهد للّه تعالى نقضوه، فأنتم المعينون لهم على ذلك بالسكوت عن نهيهم عن السوء.

عباد اللّه إنّ الَاحبار والرهبان من كل أُمّة مسوَولون عما استحفظوا عليه، فأعدّوا جواباً للّه عزّ وجلّ على سوَاله.

اللهم إنّى أسألك بنبيّنا محمّد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ تثبتاً منك على الحقّ الذى ندعو إليه وأنت الشهيد فيما بيننا، الفاصل بالحقّ فيما فيه اختلفنا، ولاتستوى الحسنة ولا السيئة.

والسلام على من أجاب الحقّ، وكان عوناً من أعوانه الدالّين عليه.

تمّ ذلك بحمد اللّه ومنّه.

* * *

مناظراته :

إنّ لزيد الشهيد مناظرات جرت بينه وبين هشام وأُناس أُخر وفيها دلالة واضحة على قوة منطقه، ونضاجة فكره وبالَاخص على حضور بديهته نقتطف ما يلى:

۱ ـ روى موفق الدين عن معمر بن خيثم: قال لى زيد بن على: كنت أُبارى هشام بن عبد الملك وأُكايده فى الكلام، فدخلت عليه

يوماً فـذكر بنى أُميـة، فقال: واللّه هم أشـدّ قريش أركاناً، وأشـدّ قريش مكاناً، وأشدّ قريش سـلطاناً، وأكثر قريش أعواناً، كانوا روَوس قريش فى جاهليّتها، وملوكهم فى إسـلامها فقلت له: على من تفخر؟ أعلى بنى هاشم، أوّل من أطعم الطعامَ وضرب الهامَ وخضعت لها قريش بإرغـام، أم على بنى المطلب سيد مُضر جميعاً، وإن قلت معـد كلّها صـدَقت، إذا ركب مشـوا، وإذا انتعـل احتفـوا، وإذا تكلّم سكتوا، وكان يطعم الوحوش فى روَوس

(۹۴) الجبـال والطير، والسـباع والاِنس فى السـهل، حافر زمزم، وساقى الحجيـج، أم على بنيه أشـرف رجال، أم على نبى اللّه ورسوله حمله اللّه على البراق، وجعل الجنـة عن يمينه، والنار عن شـماله فمن تبعه دخل الجنة، ومن تأخّر عنه دخل النار، أم على أمير الموَمنين وسـيد الوصـيين على بن أبى طـالب ــ عليه السـلام ــ أخى رسول اللّه وابن عمه المفرِّج الكرب عنه وأوّل من قـال لا ـ إله إلاّ ـ اللّه بعد رسول اللّه لم يبارزه فارس قط إلاّ قتله، وقال فيه رسول اللّه ــ صـلى الله عليه وآله وسلم ــ مالم يقله فى أحد من أصحابه ولا لاَحد من أهل بيته، قال: فاحمر وجهه (۱).

۲ ـ دخل زيد على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام أهل الشام وأمر أن يتضايقوا فى المجلس حتى لا يتمكن من الوصول إلى قربه، فقـال له زيـد: إنّه ليس من عبـاد اللّه أحـد فـوق أن يوصـى بتقـوى اللّه، ولا ـ من عبـاد اللّه أحـد دون أن يوصـى بتقوى اللّه، وأنا أُوصـيك بتقوى اللّه يا أمير الموَمنين فاتقه، فقال له هشام: أنت الموَهل نفسك للخلافـة، الراجى لها؟ وما أنت وذاك لا أُمّ لك وإنّما أنت ابن أمـة، فقال له زيـد: إنّى لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند اللّه من نبىّ بعثه وهو ابن أمة، فلو كان ذلك يقصـر عن منتهى غاية، لم يبعث، وهو إسـماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السـلام ـ فالنبوة أعظم منزلـة عند اللّه أم الخلافة يا هشام؟ وبعد فما يقصـر برجل أبوه رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وهو ابن على بن أبى طالب، فوثب هشام عن مجلسه (وزيد فى عمدة الطالب ووثب الشاميون) ودعا قهرمانه فقال: لا يبيتن هذا فى عسكرى (الليلة) فخرج زيد وهو يقول: إنّه لم يكره قط أحد حد السيوف إلاّ ذلّوا (۲).

۳ ـ قد وشـى بزيد إلى هشام، فسأله عن ذلك فقال: أحلف لك. قال هشام: فإذا حلفت أفأُصدقك؟! قال: إتق اللّه. قال هشام: أومثلك يا زيد يأمر مثلى بتقوى________________

(۱) موفق الدين الخوارزمى : مقتل الحسين: ۲ | ۱۱۷ .

(۲) المفيد: الاِرشاد: ۲۶۸،طبعة النجف الاَشرف.

(۹۵) اللّه، قال: لا أحد فوق أن يوصـى بتقوى اللّه، ولا أحد دون أن يوصـى بتقوى اللّه. قال هشام: بلغنى أنّك تريد الخلافة وأنت لا تصـلح لها لاَنّك ابن أمـة قال: قد كان إسـماعيل بن إبراهيم ابن أمة وإسـحق ابن حرة، فأخرج اللّه من صـلب إسـماعيل النبىّ الكريم، فعندها قال له هشام: قم، قال: إذاً لا ترانى إلاّ حيث تكره (۱).

۴ ـ روى خالـد بن صـفوان اليمامى، قال: أتينا زيـد بن على وهو يومئـذ بالرصافة، رصافة هشام بن عبد الملك، فدخلنا عليه فى نفر من أهل الشام وعلمائهم وجاءُوا معهم برجل انقاد له أهل الشام فى البلاغة، والبصر بالحجج، وكلّمنا زيد بن على فى الجماعة وقلنا: إنّ اللّه مع الجماعـة وأنّ أهل الجماعة حجّة اللّه على خلقه، وأنّ أهل القلّة هم أهل البدعة والضـلالة، قال: فحمد اللّه وأثنى عليه وصـلّـى على محمد ــ صـلى الله عليه وآله وسـلم ــ ثم تكلّم بكلام ما سمعت قرشيّاً ولا عربيّاً أبلغ موعظة، ولا أظهر حجّة ولا أفصح لهجة منه، قال: ثم أخرج إلينا كتاباً قاله فى الجماعـة والقلـة، ذكر من كتاب اللّه فلم يـذكر كثيراً إلاّ ذمّه ولم يـذكر قليلاً إلاّ مدحه، والقليل فى الطاعة هم أهل الجماعة، والكثير فى المعصـية هم أهل البدع. قال خالد بن صـفوان: فيئس الشامى فما أحلى ولا أمر (كذا) وسـكت الشاميون فمـا يجيبون بقليـل ولا ـ كثير، ثم قـاموا من عنـده فخرجوا وقالوا لصاحبهم: فعل اللّه بك وفعل، غررتنا وفعلت، زعمت أنّك لا تـدع له حجّـة إلاّ كسـرتها فخرست، فلم تنطق، فقال لهم: ويلكم كيف أكلّم رجلاً إنّما حاجّنى بكتاب اللّه أفأسـتطيع أن أرد كلام اللّه؟! فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك: ما رأيت فى الدنيا رجلاً قرشياً ولا عربياً يزيد فى العقل والحجج غير زيد بن على ــ عليهما السلام ــ

(۲)________________.

(۱) مختار البيان والتبيين كما فى زيد الشهيد للاَمين: ۴۸ ـ ۴۹.

(۲) حميد المحلى: الحدائق الوردية: ۱۴۲ ـ ۱۴۳؛ السياغى: الروض النضير: ۱|۱۰۰.

(۹۶) أشعاره :

هذه نتف من مناظراته وفيها غنى وكفاية، فلنعطف عنان البحث إلى ما جادت به قريحته فى مواقف مختلفة ويبدو أنّه لا ينظم الشعر إلاّ فى مجالات قليلة، يصبّ ما فى نفسه من جوى وشكوى، وحماس فى قالب النظم وإليك بعض ما وقفنا عليه:

۱ ـ روى أبو الفرج عن زكريا قال: أردت الخروج إلى الحجّ فمررت بالمدينة، فقلت: لو دخلت على زيد بن على، فدخلت فسلمت عليه فسمعته يتمثّل:

ومن يطلب المال الممنّع بالقنا * يعش ماجداً أو تخترمه المخارم

متى تجمع القلب الذكى وصارماً * وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم * فهل أنا فى ذا يالهمدان ظالم

يقول: فخرجت من عنده وظننت أنّ فى نفسه شيئاً وكان من أمره ما كان

(۱)

۲ ـ روى الخزاز عن ابن بكير أنّه قال لزيد: يابن رسول اللّه هل عهد إليكم رسول اللّه متى يقوم قائمكم؟ قال: يا بن بكير، إنّك لن تلحقه، وإن هذا الاَمر يليه ستة أوصياء بعد هذا، ثم يجعل اللّه خروج قائمنا فيملاَها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، قلت يا بن رسول اللّه ألست صاحب هذا الاَمر؟ فقال: أنا من العترة، فعدت فعاد إلىّ، فقلت: يا بن رسول اللّه هذا الذى قلته عنك أو عن رسول اللّه؟ فقال: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، لا ـ ولكن عهد، عهِدَه إلينا رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ثم أنشأ يقول________________:

(۱) أبوالفرج: مقاتل الطالبيين: ۸۹.

(۹۷)

نحن سادات قريش * وقوام الحقّ فينا

نحن الاَنوار التى من * قبل كون الخلق كنّا

نحن منّا المصطفى ال * ـمختار والمهدى منّا

فبنا قد عرف اللّه * وبالحق أقمنا

سوف يصلاه سعيراً * من تولى اليوم عنّا

(۱)

۳ ـ روى ابن شهر آشوب فى المناقب أنّه رثى الاِمام الباقر ــ عليه السلام ــ بأبيات وقال:

ثوى باقر العلم فى ملحد * إمام الورى طيب المولد

فمن لى سوى جعفر بعده * إمام الورى الاَوحد الاَمجد

أبا جعفر الخير أنت الاِمام * وأنت المرجى لبلوى غد

(۲)

۴ ـ اجتمع مع هشام فأهانه، فخرج عن مجلسه وهو يقول: «من أحب الحياة ذل» ثم أنشأ يقول:

مهلاً بنى عمنا عن نحت أثلتنا * سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا

لاتطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وان نكفّ الاَذى عنكم وتوَذونا

واللّه يعلم أنّا لا نحبّكم * ولانلومكم أن لا تحبّونا

كلّ امرىءٍ مولعٌ فى بغض صاحبه فنحمد اللّه نقلوكم وتقلونا

(۳)

(۱) الخزاز القمى: كفاية الاَثر: ۲۹۶ ـ ۲۹۷.

(۲) ابن شهر آشوب: المناقب: ۴|۱۹۷، طبعة دار الاَضواء، بيروت.

(۳) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق: ۹|۱۵۶.

(۹۸)

۵ ـ روى ابن الاَثير لما أهانه هشام، وقال: أُخرج، قال: أخرج ثم لا أكون إلاّ حيث تكره، فقال له سالم: يا أبا الحسين لا يظهرن هذا منك، فخرج من عنده وسار إلى الكوفة ولمّا خرج من مجلس هشام أنشد:

شرّده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حرّ الجلاد

منخرق النعلين يشكو الوجى * تنكثه أطراف مرو حداد

قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

إن يحدث اللّه له دولة * تترك آثار العدا كالرماد

(۱)

۶ ـ روى السيد محسن الاَمين فى أعيان الشيعة نقلاً عن الخوارزمى فى مقتله: إنّ أبا الحسين لما رأى الاَرض قد طوقت جوراً ورأى قلة الاَعوان، وتخاذل الناس، كانت الشهادة أحب الميتات إليه فخرج وهو يتمثل بهذين البيتين:

إن المحكم ما لم يرتقب حسداً * لو لم يرهب السيف أو وخز القنا صفا

من عاذ بالسيف لاقى فرجة عجباً * موتاً على عجل أو عاش فانتصفا

(۲)

۷ ـ روى ابن الاَثير، قال محمد بن عمر بن على بن أبى طالب لزيد: أذكرك اللّه يا زيد، لما لحقت بأهلك ولا تأتى أهل الكوفة، فإنّهم لا يفون لك، فلم يقبل، فقال له: خُرِجَ بنا أُسراء على غير ذنب من الحجاز، إلى الشام ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق، إلى قيس ثقيف يلعب بنا ثم قال:

(۱) المسعودى: مروج الذهب: ۳|۲۰۶.

(۲) الاَمين: أعيان الشيعة: ۷|۱۱۶.

(۹۹)

بكرت تخوّفنى الحتوف كأنّنى * أصبحت عن عرض الحياة بمعزل

فأجبتها إنّ المنية منهل * لا بد أن أُسقى بكأس المنهل

إنّ المنية لو تُمثَّل مُثّلتْ * مثلى (كذا) إذا نزلوا بضيق المنزل

فاقنى حياءك لا أبا لُكِ وأعلمى * إنّى امروَ سأموت إن لم أُقتل

(۱)

۸ ـ روى المرتضى فى الفصول المختارة عن الحسين بن زيد، قال: حدثنى مولاى قال: كنت مع زيد بن على ـ عليه السلام ـ بواسط

فذکر قوم الشیخین وعلیاً فقدّموهما علیه، فلمّا قاموا قال لی زید: قد سمعت کلام هؤلاء وقد قلت أبیاتاً فادفعها إلیهم وهی:

من شرّف الأقوام یوماً برأیه * فإنّ علیاً شرّفته المناقبُ

وقول رسول اللّه والحقّ قوله * وإن رغمت منهم أُنوف کواذب

بأنّک منّی یاعلی معالنا * کهارون من موسی أخ لی وصاحب

دعاه ببدر فاستجاب لأمره * وما زال فی ذات الإله یضارب

فما زال یعلوهم به وکأنّه * شهاب تلقاه القوابس ثاقب

(۲)

۹ ـ قال السید الأمین: وممّا نسب إلیه قوله:

لو یعلم الناس ما فی العرف من شرف * لشرفوا العرف فی الدنیا علی الشرف

وبادروا بالذی تحوی أکفهم * من الخطیر ولو أشفوا علی التلف

(۳________________)

(۱) ابن الأثیر: الکامل: ۵|۲۳۳، طبعة دار صادر.

(۲) المرتضی، الفصول المختارة من العیون والمحاسن:۲۵.

(۳) تاریخ ابن عساکر: ۶|۲۰.

(۱۰۰)

۱۰ ـ روی عن نسمة السحر أنّ هذین البیتین له:

یقولون زیداً لا یزکی بما له * وکیف یزکی المال من هو باذله

إذا حال حول لم یکن فی أکفنا * من المال إلاّ رسمه وفواضله

(۱)

۱۱ ـ روی الدیلمی: أنّه لما جری بینه وبین هشام کلام خرج ـ علیه السلام ـ وهو یقول:

حکم الکتاب وطاعة الرحمن * فرضا جهاد الجائر الخوان

کیف النجاة لأُمّة قد بدلت * ما جاء فی الفرقان والقرآن

فالمسرعون إلی فرائض ربّهم * برئوا من الآثام والعدوان

والکافرون بحکمه وبفرضه * کالساجدین لصورة الأوثان

(۲) لکل أُناس مقبر بفنائهم * فهم ینقصون والقبور تزید

فما إن تزال دار حیٍّ قد أُخربت * وقبرٌ بأفناء البیوت جدید

هم جیرة الأحیاء أمّا مزارهم * فدانٍ وأمّا الملتقی فبعید

(۳)

۱۲ ـ تمثل زید بالأبیات التالیة وقد تمثل بها علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ یوم صفین والحسین بن علی ـ علیهما السلام ـ یوم قتل وهی لضرار بن الخطاب الفهری________________:

(۱) الأمین العاملی: زید الشهید: ۹۴، نقلاً عن نسمة السحر فیمن تشیع وشعر.

(۲) السیاغی، الروض النضیر: ۱|۱۰۷.

(۳) ابن عبد ربّه: العقد الفرید: ۳|۲۳۶.

(۱۰۱)

مهلاً بنى عمنا ظلامتن * إنّ بنا سورة من الفلق

لمثلكم نحمل السيوف ولا * تغمز أحسابنا من الدقق

إنّى لأنمى إذا انتميت إلى * عز عزيز ومفتر صدق

بيض بساط كان أعينهم * تكحل يوم الهياج بالعلق

(۱)

لما خرج زيد بن على كتب للكميت: اخرج عنّا يا أعيمش ألست القائل :

ما أُبالى إذا حفظت أبا القا * سم فيكم ملامة اللوام فكتب إليه الكميت:

تجود لكم نفسى بما دون وثبة * تظل بها الغربان حولى تحجل

(۲)

* * *

هـذا زيد، وهذه كلمه وخطبه، وحججه ومناظراته، وشـعره وقريضه وعند ذاك تقف على صدق ما رواه الخوارزمى فى مقتله عن خالد بن صفوان قال: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة فى بنى هاشم إلى زيد بن على ـ رضى اللّه عنه ـ (۳).

أمّا الفصاحة والخطابة فقد عرفت نماذج من كلامه، وأمّا العبادة، فيكفى فى________________

(۱) الأغانى:۱۹|۱۹۱.

(۲) الأغانى: ۱۷|۳۴.

(۳) الخوارزمى: المقتل: ۲|۱۱۹.

(۱۰۲) تهالكه فيها: ما رواه فرات بن إبراهيم عن رجل: قال صحبت زيداً ما بين مكّة والمدينة وكان يصلّـى الفريضة ثم يصلّى ما بين الصـلاة إلى الصـلاة ويصلّـى الليل كلّه ويكثر التسبيـح ويكرر هـذه الآيـة": وجَاءَتْ سَـكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيـد ،" فصلّـى ليلة معى وقرأ هذه الآية إلى قريب نصف الليل فانتبهت من نومى فإذا أنا به مادّ يديه نحو السماء وهو يقول:

إلهى عـذاب الـدنيا أيسـر من عـذاب الآخرة، ثم انتحب، فقمت إليه وقلت: يا بن رسول اللّه لقـد جزعت فى ليلتك هذه جزعاً ما كنت أعرفه، فقـال: ويحك يا نازلى أنّى نمت هـذه الليلـة وأنا ساجـد فرأيت جماعـة عليهم لباس لم أر أحسن منه فجلسوا حولى وأنا ساجد فقال رئيسـهم: هل هو هذا ؟ فقالوا: نعم. فقال: أبشر يا زيد فإنّك مقتول فى اللّه ومصلوب ومحروق بالنار ولا تمسّك النار بعدها أبداً، فانتبهت وأنا فزع

.(۱)

روى الخزاز عن يحيى بن زيـد أنّه قـال له فى حـديث: يا أبا عبـد اللّه إنّى أُخبرك عن أبى ــ عليه السـلام ــ وزهـده وعبادته إنّه كان يصـلّـى فى نهاره ما شاء اللّه، فإذا جنّ الليل عليه نام نومـة خفيفة ثم يقوم فيصـلى فى جوف الليل ما شاء اللّه، ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو اللّه تبارك وتعالى ويتضـرع له ويبكى بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر سـجد سـجدة ثم يصـلّـى الفجر ثم يجلس للتعقيب حتى يرتفع النهار، ثم يـذهب لقضاء حوائجه، فإذا كان قريب الزوال أتى وجلس فى مصـلاّه واشـتغل بالتسبيح والتمجيد للرب المجيد، فإذا صار الزوال صـلى الظهر وجلس، ثم يصـلى العصـر ثم يشـتغل بالتعقيب ساعة ثم يسجد سجدة، فإذا غربت الشمس صلّى المغرب والعشاء، فقلت: هل كان يصوم دائماً؟ قال: لا________________

(۱) فرات بن إبراهيم: التفسير: ۴۳۵. والآية ۱۹ من سورة ق.

(۱۰۳) ولكنّه يصوم فى كل سـنة ثلاثة أشهر، وفى كل شهر ثلاثة أيام ثم أخرج إلىّ صحيفة كاملة فيها أدعية على بن الحسين ـ عليه

السلام(١)

روى أبو الفرج بسند عن محمد بن الفرات: رأيت زيد بن على وقد أثر السجود بوجهه أثرّاً خفيفاً وكان فى خاتمه «اصبر تُوَجر وتوقّ تنج»

(٢).

(١) الخزاز القمى: كفاية الاَثر: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

(٢) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ٨٧ و ٨٩.

الفصل الرابع مشايخه وتلاميذه

الفصل الرابع مشايخه وتلاميذه فى الحديث والتفسير إنّ أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ كانوا فى غنى عن الحضور لدى الغير، والرجوع إليهم فى مجال العقائد والاُصول، والاَحكام والفروع، والاَخلاق والسلوك وكل ما يمتّ إلى الدين بصلة، وتحتاج إليه الاَمّة. وذلك لا للمبالغة فى مقامهم، أو الغلو فى علومهم. بل لاَجل تنصيص النبى الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عليهم، حيث إنّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تارة يصوّرهم بأنّهم أعدال القرآن وقرناوَه، من تمسك بهما لن يضل أبداً (١)، واُخرى بأنّ مثلهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق (٢)، وثالثة بأنّهم كالنجوم، فكما أنّ الكواكب أمان لاَهل الاَرض من الغرق، فكذلك أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أمان للاَمّة من الاختلاف (٣) ، إلى غير ذلك من الاَحاديث المتواترة أو المتضافرة الدالة على أنّ أئمة أهل البيت مراجع الاُمّة، ومصادر الاَحكام، وهم عن

(١) حديث الثقلين: اتفق الفريقان على نقله وتصحيحه لايشك فيه إلّا العدو الغاشم.

(٢) تلويح إلى قول النبى الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم:« ـ مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق».

(٣) قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «ـ النجوم أمان لاَهل الاَرض من الغرق وأهل بيتى أمان لاَُمّتى من الاختلاف فى الدين»لاحظ فى الوقوف على مصادرها المراجعات للسيد شرف الدين العاملى المراجعة الثانية: ٤٠ ـ ٤٦ طبعة الاَعلمى، لبنان.

(١٠۶)

علومهم ومعارفهم يصدرون، وإلى أقوالهم وأفعالهم يسكنون. ومن كان هذا وصفه ومقامه فيحتلّ من مخروط الاَُمّة مكان الرأس والقمة، ونعم ما قال القائل:

فَوال أُناساً قولهم وكلامهم * روى جدنا عن جبرئيل عن البارى وما ربّما يرى من أنّ أحد الاَئمة، يروى حديثاً عن صحابى أو تابعى كالاِمام الباقر ـ عليه السلام ـ إذا روى مثلًا عن جابر، فإنّما هو لاَجل إقناع السائل الذى اعتاد بقبول الرواية إذا اُسند إلى النبى الاَكرم وإلّا فالاِمام الباقر ـ عليه السلام ـ فى غنى عن الاِسناد إليه وهو معدن علم النبى وموئله وهكذا أبناوَه المعصومون.

هذا هو حال أئمة أهل البيت وأمّا العلماء المنتمون إليهم بالنسب كالحسنيّين والحسينيّين فيصدرون عن معارفهم ويحتجون بأقوالهم وأفعالهم أيضاً وربّما ينقلون عن الغير ويسكنون إليهم وذلك لا للاِعراض عن أئمتهم، بل اقتداء بقول نبيهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «ـ الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها أخذها» ولاَجل ذلك نرى أنّ زيد الثائر أخذ الحديث عن غيرهم، كما أخذ عنه الكثيرون من المحدّثين والفقهاء. وإليك بيان هذا الفصل من فصول حياته.

مشايخه :

كان لزيد الثائر تنقلات وسفرات كثيرة بين المدن الاِسلامية بين المدينة ومكّة، والحجاز والشام والعراق، ففى هذه الرحلات أخذ العلم والحديث عن لفيف، وإليك أسماء مشايخه أوّلًا، ثم تلامذته.

روى عن: أبان بن عثمان بن عفان، وعبيد اللّه بن أبى رافع، وعروة بن الزبير، وأبيه على بن الحسين زين العابدين ــ عليه السلام،ــ وأخيه أبى جعفر محمد بن على الباقر ــ عليه السلام (ــ ١ ـــــــــــــــــــــ).

(١) المزى: تهذيب الكمال: ١٠|٩۶، الذهبى: سير أعلام النبلاء: ۵|٣٨٩ ، تاريخ الاسلام القسم المختص بحوادث (سنة ١٢١ـ ١۴١)ص١٠۵، ابن حجر العسقلانى: تهذيب التهذيب:٣|۴١٩.

(١٠٧)

تلامذته:

روى عنه: الأَجلح بن عبد اللّه الكندى، وآدم بن عبد اللّه الخثعمى، وإسحاق بن سالم، وإسماعيل بن عبد الرحمان السدى، وبسام الصيرفى، وأبو حمزة ثابت بن أبى صفية الثمالى، وابن أخيه جعفر بن محمد بن على الصادق، وابنه حسين بن زيد بن على، وخالد بن صفوان، وأبو سلمة راشد بن سعد الصائغ الكوفى، وزبيد اليامى، وزكريا بن أبى زائدة، وزياد بن علاقة، أبو الجارود زياد بن المنذر الهمدانى، وسعيد بن خثيم الهلالى، وسعيد بن متصور المِشرفى الكوفى، وسليمان الأَعمش، وشعبة بن الحجاج، وعباد بن كثير، وعبد اللّه بن عمر بن معاوية، وعبد اللّه بن عيسى بن عبد الرحمان بن أبى ليلى، وعبد الرحمان بن الحارث ابن عياش بن أبى ربيعة المخزومى، وعبد الرحمان بن أبى الزناد، وعبيد اللّه بن محمد ابن عمر بن على بن أبى طالب، وعبيد بن اصطفى، وأبو هريرة عُريف بن درهم، وعمر بن موسى، وأبو خالد عمرو بن خالد الواسطى، وابنه عيسى بن زيد بن على، وفضيل بن مرزوق، وكثير النواء، وكيسان أبو عمر القصار الكوفى، ومحمد ابن سالم، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، والمطّلب بن زياد، وأبو الزناد موح ابن على الكوفى، وهارون بن سعد العجلى، وهاشم بن البريد (١) .

ثم إنّ علاّمة صنعاء السياغى فصل من يروى عنه من أولاده عمّن ليس منهم، فقال:

تلامذته: أولاده السادة الأَبرار:

عيسى بن زيد، ومحمد بن زيد، وحسين بن زيد، ويحيى بن زيدـــــــــــــــــــــ.

(١) جمال الدين المزى: تهذيب الكمال: ١٠|٩۶. هذا ما ذكره جمال الدين، ونذكر المشهورين منهم فى قائمة خاصة.

(١٠٨)

فعيسى بن زيد الأَوحد الذى أخذ عنه سفيان الثورى، وكان زاهد أهل زمانه وهو جد العراقيين.

ومحمد بن زيد، جد الذين ببلاد العجم.

وحسين بن زيد، جد المشهورين من ذرية زيد بن على.

ويحيى بن زيد هو القائم بالاِمامة بعده.

مشاهير أصحابه الذين أخذوا عنه العلم :

ما نقلناه عن جمال الدين المزّى يهدف إلى مطلق من أخذ عنه العلم، سواء اشتهر بالأَخذ عنه أم لا وفى هذه القائمة نخص المشهورين وبين المذكورين فى القائمتين من النسب الأَربع عموم وخصوص من وجه.

١ ـ منصور بن المعتمر بن عبد اللّه السلمى الكوفى مات سنة ١٣٢ هـ احتج به البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

٢ ـ هارون بن سعد العجلى أو الجعفى الكوفى وهو من شيوخ مسلم.

٣ ـ معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأَنصارى استشهد مع الاِمام زيد وصلب معه.

۴ ـ أبو الجارود زياد بن المنذر الهمدانى وهو الذى تنسب إليه الجارودية الزيدية.

۵ ـ الحسن بن صالح وأخوه.

۶ ـ على بن صالح وكلاهما بتريان، لاحظ رجال الكشى برقم ١٠٨.

۷ـ هاشم صاحب البريد وقد جاء فى سند الكافى فى باب معرفة الاَئمة يروى عن الصادق ــ عليه السلام ــ لاحظ تنقيح المقال: ۳|۲۸۸.

(۱۰۹)

۸ـ محمد بن عبد الرحمان بن أبى ليلى من أصحاب الاِمام الصادق ـ عليه السلام ـ لاحظ تنقيح المقال: ۳|۱۳۶.

۹ـ سلمة بن كهيل أحد المبايعين لزيد له ترجمة فى رجال الكشى برقم: ۲۰۵.

۱۰ـ عمرو بن خالد الواسطى راوى مسنده وستوافيك ترجمته عند البحث عن آثار زيد العلمية.

۱۱ـ إسماعيل بن عبد الرحمان السدّى من كبار علماء الكوفة مات سنة ۱۲۷هـ

۱۲ـ أبو الزناد: موح بن على الكوفى. له ترجمة فى تهذيب الكمال: ۱|۴۵۶.

۱۳ـ سليمان بن مهران الاَعمش من كبار علماء الكوفة ولد سنة ستين وتوفى عام ۱۴۸هـ

۱۴ـ الاَجلح بن عبد اللّه الكندى. لاحظ تنقيح المقال: ۱|۲۶۶.

۱۵ـ معمر بن خثيم الهلالى له ترجمة فى تنقيح المقال: ۳|۲۳۴.

۱۶ـ سعيد بن خثيم الهلالى له ترجمة فى تنقيح المقال: ۲|۲۶.

۱۷ـ شعبة بن الحجاج بن ورد (۸۳ـ ۱۶۰هـ) من العلماء كان ينتقل بين الكوفة والبصرة وواسط.

۱۸ـ قيس بن الربيع من أصحاب الصادقين ــ عليهما السلام . ــ تنقيح المقال: ۳|۳۱.

۱۹ـ سفيان بن أبى السمط، اقرأ ترجمته فى تنقيح المقال: ۲|۳۸، بسقوط «أبى» من العبارة.

۲۰ـ محمد بن الفرات الجرمى. له ترجمة فى رجال الكشى، برقم: ۴۲۸.

(۱۱۰)

۲۱ـ فضيل بن الزبير الرسان له ترجمة فى تنقيح المقال: ۲|۱۳.

۲۲ـ عبد اللّه بن الزبير: أخو فضيل بن الزبير لاحظ رجال الكشى برقم: ۲۸۷.

۲۳ـ سالم بن أبى حفصة ترجمه الكشى برقم ۱۰۹.

۲۴ـ عبد اللّه بن عتيبة.

۲۵ـ زبيد اليامى (۱)وهو من صغار التابعين توفى عام ۲۲۱أو ۴۲۱هـ

هوَلاء مشاهير تلامذته، وأمّا غيره فقد أتى بأسمائهم العلاّمة السياغى فى كتابه، فمن أراد فليرجع إليه، وقد تعرفت على ما ذكره جمال الدين المزّى فى ذلك المجال (۲)

ثم إنّ أولاد عبد اللّه بن الحسن بن الحسن المثنى الذين أخذوا من زيد عبارة عن:

۱ـ محمد بن عبد اللّه: النفس الزكية.

۲ـ إبراهيم بن عبد اللّه: النفس الرضية.

۳ـ إدريس بن عبد اللّه.

۴ـ يحيى بن عبد اللّه.

۵ـ السيد موسى بن عبد اللّه.

فهوَلاء أخذوا العلم عن أبيهم وعن زيد وبعض أصحابه أيضاً(۳).

________* * *

(۱) السياغى: الروض النضير: ۱|۱۱۴ـ ۱۱۵.

(۲) جمال الدين المزّى: تهذيب الكمال: ۱۰|۹۶.

(۳) السياغى: الروض النضير: ۱|۱۱۵.

(۱۱۱)

إنّ العلاّمة السياغى وغيره عدّوا كثيراً من فقهاء أهل السنّة ونسّاكهم من أتباع الإمام زيد، وحاولوا بذلك شيوع إمامته والاقتداء به يوم ظهوره وخروجه، ولكن المؤيد لثورة زيد، غير كونه تابعاً لزيد فى الأُصول والفروع.

وهناك كلمة قيّمة لنشوان الحميرى قد رفع بها الستر عن وجه الحقيقة وقال: «اجتمع طوائف الناس على اختلاف آرائهم على مبايعته، فلم يكن المعتزلى أسرع إليها من المرجئ، ولا المرجئ من الخارجي، فكانت بيعته ـ عليه السلام ـ مشتملة على فرق الأُمّة على اختلافها (۱).

إنّ أبا حنيفة إمام السنّة دعم خروج زيد بالمال، وأفتى بوجوب نصرة زيد وقد أرسل المال إليه، كما هو مذكور فى غير واحد من المعاجم، مع أنه لم يكن تابعاً لزيد لا فى الأُصول ولا فى الفروع.

حديث المنتمين إلى زيد :

إنّ لفيفاً من فقهاء أهل السنّة، كانوا يعانون من جور بنى أُمية وطغيانهم، لمّا وقفوا على خروج زيد قاموا بدعمه وإمداده بالقول والعمل، فصاروا معروفين بالزيدية وما هم من الزيدية بشىء إلاّ تصويب خروج زيد، وإمداده، والزيدى عندنا، من يقتفيه فى العقيدة والعمل.

وبذلك يظهر التأمل فى بعض ما ذكره الحاكم الجشمى البيهقى (۴۱۳ ـ ۴۹۴هـ) فى جلاء الأَبصار.

قال: وعن محمد بن زيد قال: بعث أبو حنيفة ـ رحمه اللّه ـ إلى زيد بن على ــ عليهما السلام ــ بمال، وقال: استعن به على ما أنت فيه.

وعن فضيل ابن الزبير قال: كنت رسول زيد بن على إلى أبى حنيفة، فسألنى من يأتيه من الفقهاء؟ فقلت______________:

(۱) نشوان الحميرى: الحور العين: ۱۸۵.ولكلامه صلة سيوافيك.

(۱۱۲)

سلمة بن كهيل ويزيد بن أبى زياد وهارون بن سعد وأبو هاشم الرمانى وحجاج ابن دينار وغيرهم كثير. وعن شعبة قال: سمعت الأَعمش يقول: واللّه لولا ضرارة بى لخرجت معه، واللّه ليُخذُلنَّه واللّه ليُسلمُنَّه كما فعلوا بجده وعمه. وعن عقبة بن إسحاق السلمى قال: كان منصور بن المعتمر يدور على الناس يأخذ البيعة لزيد ابن على. وعن ليث قال: جاءنا منصور يدعونا إلى الخروج مع زيد بن على. وعن حماد بن زيد وذكر سفيان الثورى فقال: كان ذاك زيدياً، وعن أبى معاوية وذكر عنده سفيان فقال: نحن أعرف بهذا منكم، كان سفيان من هذه الشيعة وكان منصور يأخذ البيعة لزيد بن على. وذكر السيد أبو طالب بإسناده عن أبى عوانة قال: كان سفيان زيدياً، وكان إذا ذكر زيد بن على يقول: بذل مهجته لربّه، وقام بالحقّ لخالقه، ولحق بالشهداء المرزوقين من آبائه. وقال أبو عوانة: كان زيد بن على يرى الحياة غراماً، وكان ضجراً بالحياة. وعن الواقدى قال: كان سفيان زيدياً. وعن النضر بن حميد الكندى قال: شهدت سعد بن إبراهيم بالمدينة حين نعى إليه زيد بن على ــ عليهما السلام، ــ فبكى واشتد حزنه واشتد جزعه، وتخلف فى منزله يعزّى بعد سبعة أيام، فسمعته يقول: ما خلف مثله. وعن الصادق ـ يعنى جعفر بن محمد ــ عليهما السلام ـ: «ــ عمى زيد خرج على ما خرج عليه آباوَه، ووددت أنّى استطعت أن أصنع كما صنع عمى، فأكون مثل عمى، من قتل مع زيد كمن قتل مع الحسين ابن على ــ عليهما السلام » (ــ ۱).

وعلى هذا الغرار قول ابن العماد الحنبلى، قال: وكان ممن بايعه منصور بن المعتمر، ومحمد بن عبد الرحمان بن أبى ليلى، وهلال بن خباب بن الأَرت وابن شبرمة ومسعر بن كدام وغيرهم(۲______________)

(۱) السياغى: الروض النضير: ۱|۱۰۴.

(۲) ابن العماد الحنبلی: شذرات الذهب: ۱|۱۵۸.

(۱۱۳)

إنّ القول بالتشيع يجمعه الاعتقاد، بخلافة الإمام علی أمير المؤمنين عن النبی الأكرم نصاً جليّاً أو خفياً كما يدّعيه بعض الزيدية، ولم يكن هؤلاء متشيعين بهذا المعنی نعم كانوا مؤيدين ثورة زيد ومدعمين لها بألوان مختلفة.

حتی إنّ بعض المؤيدين لثورته، والمبايعين له، قد استقال بعد البيعة كما روی فی حق كثير النواء حيث بايع فاستقال وأقاله زيد وقال:

للحرب أقوام لها خلقوا * وللتجارة والسلطان أقوام

خير البرية من أمسی تجارته * تقوی الإله، وضرب يجتلی الهام (۱) الثناء عليه ممزوجاً مع المغالاة :

۱ ـ روی المقريزی عن أحمد بن محمد بن الحسين بن زيد بن علی، قال: حدثنا أهلی أنّ زيداً ـ عليه السلام ـ ماتوسد القرآن منذ احتلم حتی قتل، وأمّا الصيام فكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

ولعله أراد بقوله: «ماتوسد القرآن» الكناية عن قيام الليل واستكمال قراءة القرآن فی صلاة التهجد (۲).

۲ ـ قال نشوان الحميری فی شرح «رسالة الحور العين»: فلمّا شهر فضله وتقدمه وبراعته وعرف كماله الذی تقدم به أهل عصره اجتمع طوائف الناس علی اختلاف رأيهم علی مبايعته، فلم يكن الزيدی أحرص عليها من المعتزلی، ولا المعتزلی أسرع إليها من المرجئ، ولا المرجئ من الخارجی، فكانت بيعته ـ عليه السلام ـ مشتملة علی فرق الأُمّة مع اختلافهم. ولم يشذ عن بيعته إلاّ ـ هذه الفرقة

(۱) المفيد: الاختصاص: ۱۲۸، ط ۱۳۷۹؛ المجلسی: البحار: ۴۶|۱۸۱.

(۲) المقريزی: الخطط: ۲|۴۱۹، كما فی الروض النضير: ۱|۹۹.

(۱۱۴)

القليلة التوفيق ـ أخزاهم اللّه تعالی ـ قال: ومن الواضح الذی لا أشكال فيه أنّ زيد بن علی ـ عليه السلام ـ يُذكر مع المتكلمين إن ذكروا، ويُذكر مع الزهاد، ويُذكر مع الشجعان، وأهل المعرفة بالضبط والسياسة، فكان أفضل العترة لأنّه كان مشاركاً لجماعتهم فی جميع خصال الفضل، ومتميزاً عنهم بوجوه لم يشاركوه فيها، فمنها اختصاصه بعلم الكلام (۱)، الذی هو أجلّ العلوم، وطريق النجاة، والعلم الذی لا ينتفع بسائر العلوم إلاّ معه، والتقدم فيه والاشتهار عند الخاص والعام. هذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ يصفه فی صنعه الكلام ويفتخر به ويشهد له بنهاية التقدم، وجعفر بن حرب فی كتاب «الديانة» وكثير من معتزلة بغداد كمحمد بن عبد اللّه الإسكافی وغيره ينتسبون إليه فی كتبهم، ويقولون نحن زيدية، وحسبك فی هذا الباب انتساب المعتزلة إليه، مع أنّهاتنظر إلی سائر الناس بالعين التی تنظر بها ملائكة السماء إلی أهل الأرض مثلاً. فلولا ظهور علمه وبراعته وتقدمه علی كل أحد فی فضيلته لما انقادت إليه المعتزلة (۲).

المغالاة فی علمه وفقهه :

إنّ الغلو هو الخروج عن الحد، قال سبحانه": يا أهْلَ الكِتابِ لا تَغْلُوا فِی دِينِكُمْ وَلا تَقُوُلوا علی اللّهِ إلاّ الحَق ("النساء ـ ۱۷۱) . وقال سبحانه": قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ لا تَغْلُوا فِی دِينِكُمْ غَيْرَ الحَق ("المائدة ـ ۷۷) . وقال الإمام علی ـ عليه السلام ـ وهو يصف الغلوّ وخلافه يقول: الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عی أو حسد» (۳___________).

(۱) سيوافيك أنّه لم يؤثر من زيد، أی رأی كلامی وإنّ تتلمذه علی واصل غير ثابت.

(۲) السياغی: الروض النضير: ۱|۱۰۱، لاحظ شرح رسالة الحور العين: ۱۸۵.

(۳) الرضی: نهج البلاغة: قسم الحكم، برقم ۳۴۷.

(۱۱۵)

المغالا ة فى أى موضوع من الموضوعات تلازم الكذب أوّلاً، والاِغراء بالجهل ثانياً، وبخس الحق ثالثاً إلى غير ذلك من المضاعفات، من غير فرق بين أن يتعلق بأمر دينى أو غيره، وهنا نذكر شيئاً مما قيل فى حقّه من المغالاة:

۱ ـ اتفقت كلمة أصحاب المعاجم على أنّ زيداً، أخذ عن والده وأخيه محمد الباقر ـ عليهما السلام ـ ولم ينكر أحد ذلك وقد تخرج من مدرسة أخيه عشرات المحدثين والفقهاء والمتكلمين، لا يشق غبارهم ولا يدرك شأوهم غير أنّ هناك من يروقه الحط عن مكانة أئمة أهل البيت، أو الخضوع للعاطفة، أو الحسد لمنزلة أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ فلا يرضى إلاّ بترفيع زيد عليه، يقول: لقد علم زيد، القرآن من حيث لم يعلمه أبو جعفر، قلت: وكيف ذلك؟ قال: لاَنّ زيداً علم القرآن، وأُوتى فهمه. وأبو جعفر أخذ من أفواه الرجال. قال الديلمى: وقد قيل لاَبى جعفر: باقر علم الاَنبياء والعالم ورأس الشيعة فى زمانه. وعنه: واللّه لقد علمت أهل بيتى فما علّمت أفضل من زيد بن على ولقد استوسقت له الفضائل، واجتمع له الخير، وكمل فيه الحقّ فما يساميه أحد إلاّ والحقّ ينكسه ويزهقه (۱).

يلاحظ عليه أوّلاً: أنّ زيداً من علماء أهل البيت وأفاضلهم، وهو علم القرآن وأُوتى فهمه، ولكنه من أين أخذ علمه هل أخذ عن أبيه زين العابدين، وأخيه باقر العلوم ـ عليهما السلام ـ فإذاً تنتفى المغالاة، أو من غيرهما، ومن هو ذاك الغير الذى علّم زيداً، وصار زيد فى علم القرآن عيالاً عليه، وبرع وترعرع وتقدم على أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ؟!ـ

وثانياً: ما مصدر هذه الاَُكذوبة من أنّ أبا جعفر ـ عليه السلام ـ أخذ من أفواه الرجال، إذ لم يأت فى أى مصدر من المصادر، إنّ الاَئمة الاثنى عشر ـ عليهم________________

(۱) الروض النضير: ۱|۱۰۱ وهذا القضاء الجائر نسبه الديلمى فى مشكاة الاَنوار إلى عبد اللّه بن محمد ابن على بن الحنفية.

(۱۱۶)

السلام ـ حضروا مجلس درس أحد من الصحابة والتابعين والعلماء، نعم ربّما روى بعضهم حديثاً عن الرسول مسنداً إلى بعض الصحابة أو التابعين وهو غير الدراسة والتعلّم لديهم.وقد مضى وجه النقل عنهم.

هذا هو ابن سعد يعرّفه بقوله: «محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعين كان عالماً عابداً ثقة، روى عنه الاَئمة أبو حنيفة وغيره. وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبى جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه مغلوب، ويعنى بالحكم، الحكم بن عتيبة، وكان عالماً نبيلاً جليلاً فى زمانه» (۱).

أفمن يسلم عليه النبى عن طريق جابر يقول جابر: كنت جالساً عند رسول اللّه والحسين فى حجره وهو يداعبه فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم : «ـ ياجابر يولد مولود اسمه على إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقوم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّى السلام» (۲).

يقول المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ فى علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر من أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ وروى عنه معالم الدين، بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وسارت بذكر كلامه الاَخبار وانشدت فى مدائحه الاَشعار (۳).

وبذلك يظهر حال ما رواه الذهبى وغيره عن الاِمام الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه عرف عمه بقوله: «كان واللّه أقرأنا لكتاب اللّه وأفقهنا فى دين اللّه، وأوصلنا________________

(۱) سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ۱|۳۰۲.

(۲) المصدر نفسه: ۳. ۳، أخرجه أيضاً ابن حجر فى لسان الميزان: ۵|۱۹۸، وابن حجر الهيثمى فى الصواعق المحرقة: ۱۹۹، والمناوى فى الكواكب الدّريّة: ۱|۱۶۴ وغير ذلك.

(۳) المفيد: الارشاد: ۲۶۱ ـ ۲۶۲.

(١١٧)

للرحم ما تركنا وفينا مثله» (١)ولو صح الحديث لحمل على التفضيل النسبى بالنسبة إلى سائر الهاشميين.

تطرف بعد تطرف:

ومن ذلك ما يرويه حميد بن أحمد المحلى قال: روينا بالاسناد الموثوقة أيضاً أنّ زيد بن على ــ عليهما السلام ــ سأل محمد بن على الباقر ــ عليهما السلام ــ كتاباً كان لأبيه، قال: فقال له محمد بن على: نعم، ثم نسى ولم يبعث إليه، فمكث سنة ثم ذكر، فلقى زيداً فقال: أى أخى ألم تسأل كتاب أبيك؟ قال: بلى. قال: واللّه ما منعنى أن أبعث به إلاّ النسيان. قال: فقال له زيد: وقد استغنيتُ عنه. قال: تستغنى عن كتاب أبيك؟ قال: نعم استغنيت عنه بكتاب اللّه، قال: فاسألك عما فيه؟ قال له زيد: نعم، قال: فبعث محمداً إلى الكتاب، ثم أقبل فسأله عن حرف حرف وأقبل زيد يجيبه حتى فرغ من آخر الكتاب، فقال له محمد: واللّه ما حرمت منه حرفاً واحداً (٢) .

يلاحظ عليه أوّلاً: أنّ ظاهر الحديث أنّ اللقاء بين الأخوين كان بعيداًبشهور غير متقارب كما هو ظاهر قوله: فمكث سنة ثم ذكر فلقى زيداً، وهذا ما لا تعطيه ظروف الحياة فى المدينة المنورة.

وثانياً: أنّ ما نقله عن زيد من حديث الاستغناء إنّما يصح لو كان الكتاب، كتاباً عادّياً غير مرتبط بتفسير القرآن وحل معضلاته ومشكلاته، أو مبيّناً لمخصصاته ومقيداته، ولكن الظاهر أنّ الكتاب كان على خلاف ذلك ومع ذلك كيف يمكن الاستغناء عنه بالقرآن.

---

(١) جمال الدين المزى، تهذيب الكمال فى أسماء الرجال: ١٠|٩٨، الذهبى: سير أعلام النبلاء: ٥|٣٩٠وتاريخ الإسلام (حوادث ـ ١٢١ ـ ١٤٠هـ) ص ١٠٦.

(٢) الحدائق الوردية: ١٤٠.

(١١٨) (١١٩)

الفصل الخامس الآثار العلمية الباقية عن زيد

الفصل الخامس الآثار العلمية الباقية عن زيد كان وليد البيت العلوى، مفسِّراً للقرآن، عارفاً بالسنّة، ترك آثاراً علمية إمّا أملاها على تلاميذه، أو حرّرها بقلمه ويراعه ونأتى فى المقام بما وقفنا عليه من الآثار:

١ ـ المجموع الفقهى.

٢ ـ المجموع الحديثى.

نسب إلى زيد المجموع الفقهى تارة والحديثى أُخرى، والمسند ثالثة. روى الجميع أبو خالد عمرو بن خالد الواسطى غير أنّ الكتب الثلاثة هى المطبوعة باسم المسند، وأمّا تسميته بالحديثى والفقهى فلأجل أنّ الكتاب يتضمّن روايات عن زيد عن آبائه كما يتضمن آراء له فلو كان الكتابان فى بدء الأمر مختلفين فهو فى المطبوع كتاب واحد، وأمّا توصيفه بالمسند لأنّ ما فى الكتاب يحتوى رواياته عن آبائه، وقد جمع ـ ما رواه أبو خالد عن زيد ـ عبد العزيز بن إسحاق بلا تبويب شأنَ المسانيد، وبوبّه بعد قرون الحسين بن يحيى بن إبراهيم الديلمى فى سنة ١٢٠١هـ وكان قبل التبويب مجزّأ على ستة أبواب على أصل الجامع له، والمطبوع

(١٢٠)

هو ما بوبّه الديلمى.

والناظر فى المجموع الحديثى يميز الحديث عن المجموع الفقهى فنرى فى كتاب الطهارة باب ذكر الوضوء لونين من الكلام.

أ: حدثنى زيد بن على بن الحسين (عن أبيه سقط عن المطبوع) عن جده الحسين بن على إلى أن قال: رأيت رسول اللّه توضّأ فغسل وجهه.

ب: وسألت زيداً بن على عن الرجل ينسى مسح رأسه حتى يجفّ وضوءه.

ومثل الثانى إذا قال: وقال زيد بن على رضى اللّه عنه «المضمضة والاستنشاق سنّة ...»

والقسم الاَوّل حديث، ولكن الثانى وما يليه، من المجموع الفقهى.

وأخبار المجموع النبويةُ المرفوعة مائتا حديث وثمانية وعشرون حديثاً.

والعلوية ثمانمائة وعشرون خبراً.

وقد تلقاها أئمة الزيدية بالقبول وقالوا: هو أوّل كتاب جمع فى الفقه وقال منهم:

زيد يزيد على الورى * فى أصله وفروعه

فالفضل مجموع به * والعلم فى مجموعه وقد شرحه لفيف من الزيدية أوسعها شرح القاضى العلامة شرف الدين الحسين بن أحمد السياغى الحيمى اليمنى الصنعانى، ولد بصنعاء سنة ۱۱۸۰ هـ وتوفى سنة ۱۲۲۱هـ أسماه «الروض النضير فى شرح مجموع الفقه الكبير»، وقد طبع طبعتين، الطبعة الثانية محقّقة طبع عام ۱۳۸۸هـ وشرحه هذا يشتمل على تخريج الاَحاديث وشرحها واستنباط الاَحكام المأخوذة منها مع ذكر أقوال العلماء

(۱۲۱)

فى مسائل الخلاف والتكلّم فى ما عارضها من الاَحاديث بالجمع أو الترجيح، والكتاب يدلّ على سعة باعه واتقانه الفقه والاَُصول (۱).

والشارح وإن جعل المحور، مسند الاِمام زيد، لكنه يستدل على ما ورد فيه شيء بالطرق المألوفة فى الفقه السنّى من الاحتجاج بما ورد فى الصحاح والمسانيد من مراسيل وموقوفات للصحابة وبأُمور لا تعترف بها أئمّة أهل البيت من القياس وغيره، ولذلك أصبح الكتاب أشبه بفقه أهل السنّة، ولاَجل ذلك يقول الشيخ محمّد بخيت المطيعى الحنفى المصرى فى تقريظه على الكتاب: «وهو موافق فى معظم أحكامه لمذهب الاِمام الاَعظم أبى حنيفة النعمان وماذا عنى أن تقول فى كتاب يوافق ما فيه، ما بكتبنا ومذاهبنا» (۲)وسوف ندرس المجموع من حيث الاعتبار فى الفصل القادم.

* * *

۳ـ تفسير غريب القرآن :

الغريب من الغرابة وهى الغموض والخفاء، فالغريب هو الغامض من الكلام وكان النبى الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والاِمام على ـ عليه السلام ـ وتلميذه ابن عباس وغيرهم من الصحابة يفسّرون غريب القرآن الكريم وقد جاء فى أسئلة نافع بن الاَزرق(۲۷۷) سوَالاً وجّهها هو وزميله إلى ابن عباس، وأجاب عنها (۳) .

ولعل أوّل من ألّف فى غريب القرآن هو أبان بن تغلب بن رياح البكرى (ت________________

(۱) لاحظ ما كتب حول الكتاب بقلم عدّة من الاَعلام فى مقدمته، ط۲، مكتبة المويد، الطائف، ۱۳۸۸هـ ـ ۱۹۶۸م.

(۲) الروض النضير: ۱۷، المقدمة.

(۳) السيوطى: الاتقان: ۲|۶۹ـ۱۰۴.

(۱۲۲)

۱۴۱هـ) من أصحاب الاِمام السجاد والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ وكانت له عندهم منزلة، وله قراءة مفردة مشهورة عند القراء (۱).

لكن لو صحت نسبة تفسير غريب القرآن المطبوع حديثاً لزيد، المحقّق على يد فضيلة الدكتور حسن محمد تقى الحكيم، لَسبقه زيد فى التأليف، فهو أوّل باكورة فى هذا النوع ظهر فى الصعيد الاِسلامى، ويظهر من مقارنة هذا الكتاب مع كتاب المجاز لاَبى عبيدة (ت ۲۱۲هـ) الذى ألّفه فى غريب القرآن أنّه كان لهذا الكتاب تأثير بالغ فى كتاب أبى عبيدة مباشرة أو بالوساطة (۲).

والكتاب يبتدئ من سورة الفاتحة وينتهى بسورة الناس ويركز فی التفسير على الغريب ولذلك لا يذكر من آيات السورة إلّا ما هو موضع نظره.

وردت نسبة الكتاب إليه فی بعض الكتب مثلاً:

۱ ـ جاء فی كتاب الَامالی لابن الشجری: قال الإمام أبو الحسين زيد بن علی ـ عليهما السلام ـ فی تفسير الغريب.

۲ ـ جاء فی طبقات الزيدية لصارم الدين فی ترجمة حياة أبی خالد قوله: وروى عن أبی خالد تفسير الغريب للإمام زيد بن علی، عطاء بن السائب.

۳ ـ جاء فی كتاب الروض النضير: روى عن أبی خالد تفسير الغريب للإمام زيد بن علی، عطاء بن السائب (۳).

ونستطيع أن نؤيد نسبة الكتاب إلى الإمام الثائر بالرجوع إلى المواضع التی يمكن أن يظهر فيها مذهبه وعقيدته________________.

(۱) النجاشی: الرجال: ۱|۷۳ برقم ۶، السيوطی: بغية الوعاة: ۷۶.

(۲) عن مقدمة المحقّق ص۵۵، ثم ذكر دلائل التأثير بشكل واضح.

(۳) تفسير غريب القرآن، مقدّمة المحقّق ص۴۸ وذكر مصادر ما نقل.

(۱۲۳)

ومن تلك الآيات آية البلاغ، فهو يقول فی تفسير قوله": يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إلَيْكَ مِن رَبّكَ وإن لَم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاس "قال زيد بن علی ـ عليهما السلام : ـ هذه لعلی بن أبی طالب صلوات اللّه عليه خاصة": واللّه يعصمك من الناس "أی يمنعك منهم (۱).

ومنها آية الذكر، قال فی تفسير قوله سبحانه": فَسْئَلُوا أهْلَ الذِّكْرِ ("النحل ـ ۴۳) قال الإمام زيد بن علی ـ عليهما السلام: ـ نحن أهل الذكر (۲).

فالتفسيران يؤيدان أنّ الكتاب لشيعی يرى النص لعلیّ يوم الغدير، ويرى أنّ المرجع بعد الكتاب والرسول، هو عترته.

كما يعلم كونه نافياً للرؤية التی كانت يوم ذاك عقيدة أصحاب الحديث. يقول فی تفسير قوله": وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إلى رَبّها ناظِرَة ("القيامة: ۲۲ ـ ۲۳) معناه مشرقة وناضرة: منتظرة للثواب (۳).

هذه نظرة عابرة إلى التفسير، ولو قرئ بإمعان ودقة، يتبين أن التفسير لمن تربّى فی أحضان أئمة أهل البيت والعترة الطاهرة ـ عليهم السلام.ـ

۴ ـ الصفوة :

والكتاب، دراسة قرآنية هادئة يتبنى بيان فضائل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وتقديمهم على سائر الناس فی مختلف المجالات، وإنّ السبب لدبيب الفساد بين المسلمين صرف القيادة عنهم، ودفعها إلى غيرهم. حقّقه الكاتب ناجی حسن، طبع فی مطبعة الآداب فی النجف الَاشرف بلا تاريخ، اعتمد فی التصحيح________________

(۱) تفسير غريب القرآن، ص۱۲۹، ط بيروت، ۱۴۱۲هـ

(۲) تفسير غريب القرآن: ص ۱۸ و ۳۵۹.

(۳) تفسير غريب القرآن: ص ۱۸ و ۳۵۹.

(۱۲۴)

على تصوير نسخة واحدة محفوظة بمكتبة المتحف البريطانی تحت رقم ۲۰۳ زيدية.

رواها أبو الطيب علی بن محمد بن مخلد الكوفی:

قال: حدثنی إسماعيل بن يزيد العطارد.

قال: حدثنا حسين بن نصر بن مزاحم المنقرى

قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزارى

قال: حدثنى أبى وحماد بن يعلى الثمالى

عن أبى الزناد، وأصحاب زيد بن على عن زيد بن على ــ عليه السلام ــ أوّله:

أمّا بعد فإنّى أُوصيك بتقوى اللّه الذى خلقك ورزقك.

۵ ـ رسالته إلى علماء الاُمّة :

نشرت ـ موَخراً ـ رسالة بهذا الاسم عن دار التراث اليمنى فى صنعاء، حقّقها محمد يحيى سالم غفران وهى الرسالة التى بعثها الإِمام الثائر إلى علماء الاُمّة مبيّناً فيها تفاصيل دعوته وبيان أهدافه التى خرج مجاهداً من أجلها وهى تعطى صورة واضحة من روح ثورية للإِمام، وتمرد على الحكم الاَموى، وصياح على علماء السوء الذين كان لهم الدور البارز فى تخدير حماس الجماهير، وتشويه مفاهيم الدين، وتثبيت ملك الظالمين.

وبما أنّ للرسالة أثرها الرسالى الجهادى الحماسى وتمثل الهدف الاَمثل لنضال الإِمام وكفاحه وتمرّده على الحكم الاَموى نشرناها فى الفصل الثالث مشفوعاً بالشكر للناشر والمحقّق، وقد حقّقها عن نسخ أربع، قدّم تفاصيلها فى المقدمة، وشفّعها بذكر موارد اقتبس العلماء من هذه الرسالة مع نسبة ما اقتبسوه إلى الإِمام.

(۱۲۵)

۶ ـ منسك الحج أو مناسك الحج

رسالة فى بيان أعمال الحجّ ومناسكه نشره العلاّمة السيد محمد على الشهرستانى ببغداد سنة ۱۳۴۲هـ و يوجد من الكتاب نسخ مخطوطة فى مكتبة برلين برقم ۱۰۳۶۰ وغيرها (۱).

هذه هى الآثار المنشورة التى وقفنا على نشرها وطبعها وقرأناها وهناك آثار له لم تنشر إلى الآن أو نشرت ولم نقف على نشرها ومنها نسخ فى المكتبات والمتاحف، وقد بذل الدكتور حسن محمد تقى الحكيم محقّق تفسير غريب القرآن لزيد جُهداً فى الوقوف على تلك الآثار نقتبس من مقدمته ما يلى:

۷ ـ رسالة فى أثبات وصية أمير الموَمنين وإثبات إمامته وإمامة الحسن والحسين وذريتهما، توجد نسخة منها فى مكتبة برلين برقم ۹۶۸۱(الاَوراق ۱۶ب ـ ۱۹ب، من سنة ۸۵۰ هـ تقريباً) (۲)وقال: توجد عندى صورة منها.

۸ ـ رسالة فى أجوبة زيد بن على، على مسائل لاَخ له من أهل المدينة، توجد فى مكتبة وهبى۴۵۷|۴ (الاَوراق ۸۱ب ـ ۸۴ب، من القرن العاشر الهجرى)(۳).

۹ ـ رسالة فى الإِمامة إلى واصل بن عطاء. توجد فى مكتبة وهبى۴۵۷|۲ (الاَوراق ۷۷ ب ـ ۷۸ ب من القرن العاشر الهجرى)(۴)

۱۰ ـ تثبيت الإِمامة. مخطوطة المتحف البريطانى ملحق ۳۳۶ ،مخطوطات شرقية رقم ۳۹۷۱ (الاَوراق ۲۵ ـ ۲۸ من سنة ۱۲۱۵هـ) وتوجد أيضاً فى مكتبة________________

(۱) لاحظ مقدّمة تفسير غريب القرآن لمحقّقها الدكتور حسن محمد تقى الحكيم: ۴۳.

(۲) انظر تاريخ الاَدب العربى لبروكلمان: ۳|۳۲۴ ؛ وتاريخ التراث العربى: الجزء ۳ من المجلد ۱ |۳۲۴؛ والروض النضير: ۱ |۱۱۷.

(۳) انظر تاريخ التراث العربى: ج ۳ من المجلّد ۱ |۳۲۶، منشورات مكتبة آية اللّه المرعشى النجفى.

(۴) انظر تاريخ التراث العربى: ج ۳ من المجلّد ۱ |۳۲۶، منشورات مكتبة آية اللّه المرعشى النجفى.

(۱۲۶) أمبروزيانا فى ميلانو بإيطاليا رقم ۷۴أ (الاَوراق ۷۸أ ـ ۱۸۸ ب من سنة ۱۰۳۵هـ)(۱).

۱۱ ـ تفسير سورة الفاتحة وبعض آيات القرآن. يوجد فى مكتبة برلين رقم ۱۰۲۲۴(الاَوراق ۹ ـ ۱۶ من حوالى سنة ۸۵۰ هـ)

(۲)

۱۲ ـ رسالة فی حقوق اللّه. توجد فی مکتبة الفاتیکان رقم ۱۰۲۷ (الورقتان ۱۳۰ ـ ۱۳۱، من سنة ۱۳۳۲ هـ) وتوجد أیضاً فی مکتبة وهبی رقم ۴۵۷|۳ (الأوراق ۷۸ ب ـ ۸۱أ ، القرن العاشر الهجری)

.(۳)

۱۳ ـ الرد علی المرجئة. یوجد هذا الکتاب مخطوطاً فی مکتبة برلین رقم ۱۰۲۶۵ (الأوراق من ۱ ـ ۱۱۶، من حوالی سنة ۸۵۰هـ)

(۴)

۱۴ ـ قراءة زید بن علی. یوجد الکتاب فی مکتبة امبروزیانا فی (میلانو) فی إیطالیا، رقم ۲۸۹ف.

هـذه هی الکتب الباقیة من ثائرنا ولعل اللّه سبحانه یقیض رجال العلم لنشر ما بقی من آثاره وربما یذکر له رسائل، عفی علیها الزمان فالاَولی عطف عنان البحث، علی دراسة مجموعه الفقهی والحدیثی، حتی نقوّمهما سنداً ومتناً فی الفصل الآتی.

---

(۱) أُنظر تاریخ الاَدب العربی لبروکلمان: ۳|۳۲۴؛ وتاریخ التراث العربی: الجزء ۳ من المجلد ۱ |۳۲۴.

(۲) أُنظر تاریخ الاَدب العربی لبروکلمان: ۳|۳۲۳؛ وتاریخ التراث العربی: الجزء ۳ من المجلد: ۱ |۳۲۳.

(۳) أُنظر تاریخ الاَدب العربی لبروکلمان: ۳|۳۲۴؛ وتاریخ التراث العربی: المجلد ۱ الجزء ۳|۳۲۶ و ۳۲۳؛ وتفسیر غریب القرآن: ۴۱، المقدمة.

(۴) أُنظر تاریخ الاَدب العربی لبروکلمان: ۳|۳۲۴؛ وتاریخ التراث العربی: المجلد ۱ الجزء ۳|۳۲۶ و ۳۲۳؛ وتفسیر غریب القرآن: ۴۱، المقدمة.

الفصل السادس دراسة مسند الإمام زید

الفصل السادس دراسة مسند الإمام زید سنداً ومضموناً لقد وقفت علی الآثار الباقیة من الإمام زید، والمهُم منها هو مجموعه الفقهی والحدیثی الذی اشتهر باسم المسند للإمام زید، فتلزم علینا دراسته من حیث الاعتبار، وما فیه بعض المخالفة لفقه أهل البیت، أعنی: الصادقین ومن بعدهم فنقول:

روی المجموعُ عن الإمام زید بالسند التالی:

۱ ـ حدثنی (۱) عبد العزیز بن إسحاق بن جعفر بن الهیثم القاضی البغدادی قال:

۲ ـ حدثنا أبو القاسم علی بن محمد النخعی الکوفی. قال:

۳ ـ حدثنا سلیمان بن إبراهیم بن عبید المحاربی. قال:

۴ ـ حدثنی نصر بن مزاحم المنقری العطار قال:

۵ ـ حدثنی إبراهیم بن الزبرقان التیمی قال:

۶ ـ حدثنی أبو خالد الواسطی رحمهم اللّه تعالی قال________________:

(۱) والقائل هو علی بن العباس الذی هو أحد الرواة عن عبد العزیز جامع المجموع.

(۱۲۸)

۷ ـ حدثنی زید بن علی بن الحسین عن أبیه: علی بن الحسین، عن جده الحسین بن علی، عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب ـ علیهم السلام.ـ

وقد وصلنا المجموع بهذا السند وهو مذکور فی صدره (۱)وفی الصفحة التی تلی آخر الکتاب (۲).

وقد ذكر شارح المجموع شرف الدين الحسين بن أحمد السياغى (١١٨٠ ـ ١٢٢١هـ) سنده إلى الكتاب، فأخذ أوّلاً بذكر أستاذه وشيخه أبى يوسف الحسين ابن يوسف (٣) إلى أن انتهى إلى أبى القاسم على بن محمد النخعى الآنف ذكره، غير أنّ المهم دراسة وثاقة هؤلاء المشايخ الذين تنتهى إليهم رواية المسند فى جميع الاَعصار فنبتدئ بدراسة حال من وقع فى أوّل السند.

أ ـ عبد العزيز بن إسحاق بن البقال:

قال الذهبى: كان فى حدود الستين وثلاثمائة قال ابن أبى الفوارس الحافظ: له مذهب خبيث، ولم تكن فى الرواية بذاك، سمعت منه أحاديث رديّة.

قلت: له تصانيف على رأى الزيدية عاش تسعين عاماً. ثم روى الذهبى عنه بإسناده الحديث التالى:

قال: إنّ نزول اللّه إلى الشيء إقباله عليه من غير نزول، ثم وصفه بأنّ إسناده مظلم ومتنه مختلق (٤).

لانستطيع أن نساير ابن أبى الفوارس فى قوله: «له مذهب خبيث» ولم يكن مذهبه سوى محبته لآل البيت أو دعمه مبدأ الخروج على بنى أُمية الذى لا يروق________________

(١) مسند الإمام زيد: ٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٢.

(٣) توفّى بصنعاء سنة ١٢٣١هـ عن ثمانين سنة.

(٤) الذهبى: ميزان الاعتدال: ٢|٦٢٣ برقم ٥٠٨٣.

(١٢٩)

السلفيّين ومن لف لفّهم، فإنّ مذهبهم هو المماشاة مع الظالمين و السكوت أمام ظلمهم، وعدم الخروج عليهم.

كما لا نستطيع أن نساير الذهبى حيث وصف اسناد حديثه بالظلمة ومتنه بالاختلاق، وما هذا إلاّ لاَنّ الذهبى يتظاهر بالتنزيه، ولكن يعتنق لبّاً التجسيم بشهادة أنّ كتبه تمدح المجسمةومن يثبت للّه الحركة والجهة من أوصاف الجسم وإذا ذكر المشبهة أطال الكلام فيهم بالمدح والوصف، وربّما سود صحائف فى حقهم خصوصاً فى كتابه «سير أعلام النبلاء» وأمّا إذا بلغ إلى أهل التوحيد والتنزيه فلا يخرج إلاّ بالهمز واللمز وهو دأبه يلمسه كل دوَوب على مطالعة رجاله وتاريخه.

والحديث لما كان على طرف النقيض من عقيدته، وصف اسناده بالظلمة ومتنه بالاختلاق، صدق اللّه العلى العظيم حيث قال": كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُون ."

وأمّا الشيعة فقد ورد فى كتبهم ذكر فى حقّ عبد العزيز بن إسحاق البقال فعنونه الشيخ فى رجاله فى باب من لم يرو عنهم ــ عليهم السلام ــ قال: عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر الزيدى البقال الكوفى وكان زيدياً يكنى أبا القاسم سمع منه التلعكبرى سنة ست وعشرين وثلاثمائة (١).

وقال فى الفهرست: عبد العزيز بن إسحاق له كتاب فى طبقات الشيعة، وعنونه ابن داود فى القسم الثانى (٢)من رجاله، ومعنى كونه من القسم الثانى أنّه ممن ورد فيه ذم وإن كان ورد فيه مدح عن آخرين.كما عنونه العلاّمة فى هذا القسم (٣) من كتابه الخلاصة، ومعناه أنّه لا يعمل برواياته________________.

(١) الطوسى: الرجال: ٤٨٣، باب من لم يرو عنهم، برقم ٣٧.

(٢) القسم الثانى من كتابه مختص بمن ورد فيه أدنى جرح، ولو كان أوثق الثقات وعمل بخبره.

(٣) القسم الثانى: من كتابه مختص بمن لايعمل بروايته ومن لايعمل بروايته أعم من كونه مطعوناً أو لا.

(١٣٠)

ومع ذلك نرى أنّ الشيخ أبا زهرة يقول: إنّ الرجل موضع طعن جمهور المحدثين من أهل السنّة كما أنّه موضع طعن الإمامية، لكنه

موضع تقدير وتوثيق الزيدية أجمعين (۱).

وما ذكره أخيراً حقّ لا غبار عليه لكن ما نسبه إلى الإمامية لا مصدر له سوى أنّه ورد فى القسم الثانى من رجال العلاّمة وابن داود وقد عرفت فى التعليقة معنى ذلك.

وأمّا الزيدية فقد اتفقوا على وثاقته وقالوا: أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر البغدادى البقال شيخ الزيدية ببغداد. قال فى الطبقات: روى مجموع الإمام زيد بن على ـ عليه السلام ـ الفقهى الكبير المرتب المبوب عن على بن محمد النخعى، وقد سمع منه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن الحسن الحسنى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة. وقال فى مطلع البدور: هو شيخ الزيدية ببغداد، والعراق، وكان عالماً محدثاً حافظاً، وقال فى غيره: كان علاّمة كبيراً وفاضلاً شهيراً، سمحاً، عالماً زاهداً، سعيداً ولياً لآل محمّد، رأساً فى العلوم، مهيمناً على المظنون والعلوم، له كتاب فى إسناد مذهب الزيدية وتعدادهم، وذكر تلامذة زيد بن على وأصحابه الذين أخذوا عنه العلم (۲).

* * *

ب: أبو القاسم على بن محمّد النخعى الكوفى:

وهو أُستاذ عبد العزيز بن إسحاق، ولم نجد له عنواناً فى كتب الرجال للشيعة، وأمّا أهل السنة فقال الذهبى: على بن محمد: أبو القاسم الشريف

---

(۱) الإمام زيد: ۲۶۲.

(۲) السياغى: الروض النضير: ۱|۶۱، ثم ذكر ترجمة الذهبى ونقده.

الزيدى الحرانى شيخ القرّاء وتلميذ النقاش وثّقه أبو عمرو الدانى، واتّهمه عبد العزيز الكتانى، ذكرته فى طبقات القراء (۱)وهل الترجمة للشيخ النخعى أو لغيره المشترك معه فى الكنية والاسم واسم الأب؟ احتمالان، نعم ذكر الذهبى فى ترجمة عثمان بن أبى شيبة وقال: «يحيى» (۲)بن محمد بن كاس النخعى قال: حدّثنا: إبراهيم بن عبد اللّه الحصاف، قال: قرأ علينا عثمان بن أبى شيبة تفسيره فقال: وجعل السفينة فى رجل أخيه فقيل إنّما هو السقاية، فقال: أنا وأخى أبو بكر لا نقرّ لعاصم (۳).

وقال فى تذكرة الحفاظ: وفيها «سنة أربع وعشرين وثلاثمائة» توفى شيخ الحنفية على بن كاس النخعى الكوفى (۴).

وذكره فى طبقات الحنفية فقال: على بن محمد بن الحسن بن كاس الكاسى النخعى القاضى الكوفى، روى عن محمد بن على بن عفان، وعنه أبو القاسم المطرزى والمستكى أُستاذ الضميرى وله «الأركان الخمسة» توفى أربع وعشرين وثلاثمائة (۵) .

وعند ذلك يظهر لنا سر تلاقى الفقه الزيدى والفقه الحنفى إلى حد كبير، فإنّ الفقه الموروث من زيد لم يكن على حد يتجاوب مع متطلبات المجتمع الإسلامى آنذاك، فلم يكن بدّ من بسطه فى ضوء القواعد الأُصولية، فإذا كان المفتى حنفياً يبسطه حسب الضوابط التى يعتبرها دليلاً ـ على الحكم فيدخل فيه القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، ولا ـ تهمه مخالفة

---

(۱) الذهبى: ميزان الاعتدال: ۳|۱۵۵ برقم ۵۹۳۵.

(۲) وفى التعليقة: على وهو الصحيح.

(۳) الذهبى: ميزان الاعتدال: ۳|۳۷ ـ ۳۸ برقم ۵۵۱۸.

(۴) الذهبى: تذكرة الحفاظ: ۳|۸۲۱ فى ضمن ترجمة ابن الشرقى.

(۵) السيّاغى: الروض النضير: ۱|۶۴.

أئمة أهل البيت، الذين جاءوا إلى الساحة بعد مقتل زيد، وقد بيّن الشيخ الكوثرى هذا التلاقى بشكل آخر فقال: «إنّ ذلك التوافق العظيم بين آل زيد وبين فقهاء العراق فى ثلاثة أرباع المسائل إنّما نشأ من اتحاد مصدر علوم الفريقين، لاَنّ فقهاء الكوفة والعراق إنّما توارثوا الفقه طبقة فطبقة عن على وابن مسعود وسائر كبار فقهاء الصحابة الذين نشروا العلم بالكوفة ولاسيما الذين تديّروها (١)بعد انتقال على كرم اللّه وجهه إليها، واستمروا بها فى عهد الاُمويين ثم عن فقهاء أصحابهم وأصحاب عمر، وابن عباس ومعاذ الذين انتقلوا إليها واستقروا بها ابتعاداً عن معاقل الاُمويين، ثم عن أصحاب أصحابهم الفقهاء رضى اللّه عنهم الذين بهم صارت الكوفة مصدر العلم الناضج فى ذلك العهد وكانت علوم الحجاز والمدينة المنورة يتشارك فيها فقهاء الاَمصار لكثرة حجهم عاماً فعاماً فى تلك الاَعصار(٢)

ج ـ سليمان بن إبراهيم بن عبيد المحاربى :

هو جد على بن محمد النخعى أبو اُمّه، قال فى الطبقات: يروى عن نصر بن مزاحم المنقرى سمع منه مجموعى الإمام زيد بن على ـ عليه السلام «ـ الحديثى» و«الفقهى» وسمعهما عليه على بن محمد بن كاس (أى النخعى) وكان سماعه عليه سنة خمس وستين ومائتين (٣)ولم أجد له عنواناً فى كتب الرجال لاَصحابنا الإمامية.

د ـ نصر بن مزاحم المنقرى العطار :

قال الذهبى: نصر بن مزاحم الكوفى، عن قيس بن الربيع وطبقته، رافضى، جلد، تركوه. مات سنة اثنتى عشرة ومائتين، حدّث عنه: نوح بن حبيب وأبو

---

(١) من الدير: أخذوه مكاناً.

(٢) الروض النضير: ص٢٨، المقدمة.

(٣) السياغى: الروض النضير: ١|٦٤.

(١٣٣)

سعيد الاَشجّ وجماعة، قال العقيلى: شيعى فى حديثه اضطراب وخطأ كثير . وقال أبو خيثمة: كان كذاباً، وقال أبو حاتم: واهى الحديث، متروك، وقال الدار قطنى: ضعيف وروى أيضاً عن شعبة (١).

ما ذكره الذهبى وشيوخه، شنشنة أعرفها من كل من يكنّ لاَهل البيت غيظاً وعداء وإن كان يتجنب عن إظهاره، فمن روى فضيلة فيهم أو أنشد قريضاً فهو عندهم رافضى، كذاب، خبيث، متروك الحديث إلى غير ذلك، وأمّا المجسّمة والمشبهة ومن يتولّى آل اُمية وسلاطينهم، فهو جليل، ثقة، يكتب حديثه ويحتج به.

وأمّا أصحابنا فقد اتفقوا على وثاقته قال النجاشى: نصر بن مزاحم مستقيم الطريقة، صالح الاَمر، غير أنّه يروى عن الضعفاء كتبه. حِسان، منها: كتاب الجمل (٢)بل وذكره الشيخ الطوسى فى رجاله من أصحاب الإمام الباقر ـ عليه السلام (ـ ٣).

إنّ الرجل مع كونه شيعياً، علوى الولاء، لكنه عندما يسرد وقائع صفين يسرده بشكل كاتب محايد فهو حين يذكر مثالب معاوية، يذكر شعر الشاميّين فى الطعن على الإمام وحزبه، وهذا يدل على أنّه كان رجلاً رحب الصدر لايستفزه المذهب إلى الاكتفاء بذكر كلام طرف واحد، ويذكر كلام المبطل بتمامه أيضاً.

هـ ـ إبراهيم بن الزبرقان :

قال الذهبى: وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم: لا يحتج به روى عنه أبو نعيم(٤).

---

(١) الذهبى: ميزان الاعتدال: ٤|٢٥٣ ـ ٢٥٤، لاحظ تاريخ بغداد: ج ١٣ برقم ٧٢٤٥.

(٢) النجاشى: الرجال: ٢|٣٨٤ برقم ١١٤٩.

(٣) الشيخ الطوسى: الرجال: برقم: ٣ باب أصحاب الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ ولكنه بعيد لاَنّ الإمام توفّى سنة ١١٤هـ وتوفّى نصر

عام ۲۱۲هـ

(۴) ميزان الاعتدال: ۱|۳۱.

(۱۳۴)

وقال فى طبقات الزيدية: روى عن أبى خالد الواسطى مجموعى الإمام زيد ابن على، وله رواية عن مجاهد، وعنه نصر بن مزاحم، وقال: حدثنى المجموع الكبير المرتب جميعه، عن أبى خالد، وروى عنه أبو نعيم الحافظ، واحتج به أئمتنا، ووثقه المؤيد باللّه ووثقه من المحدثين ابن معين، وقال نصر بن مزاحم: كان من خيار المسلمين، وكان خاصاً بأبى خالد الواسطى، وقال ابن أبى الحديد: هو فى رجال الحديث وقال غيره من رجال الشيعة المحدثين، وعيب عليه بالتشيع. وقال أبو حاتم: لا يحتج به (۱).

وأمّا أصحابنا الإمامية فذكره الشيخ فى رجاله من أصحاب الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وقال: إبراهيم بن الزبرقان التيمى الكوفى، أسند عنه (۲)فقد أهملوه من حيث التوثيق وعدمه.

و ـ أبو خالد، عمرو بن خالد :

لقد اضطربت كلمة الرجاليين فى حقه فأهل السنّة على تضعيفه. قال الذهبى: عمرو بن خالد القرشى، كوفى، أبو خالد، تحول إلى واسط.

قال وكيع: كان فى جوارنا، يضع الحديث، فلما فطن له تحوّل إلى واسط.

وقال معلى بن منصور عن أبى عوانة: كان عمرو بن خالد يشترى الصحف من الصيادلة ويحدّث بها.

وروى عباس، عن يحيى، قال: كذاب غير ثقة. حدث عنه أبو حفص الاَبّار وغيره، فروى عن زيد بن على، عن آبائه.

وروى عثمان بن سعيد، عن يحيى، قال: عمرو بن خالد الذى يروى عنه________________

(۱) السياغى: الروض النضير: ۱|۶۶.

(۲) الطوسى: الرجال: ۱۴۴ برقم ۴۰.

(۱۳۵)

الاَبّار كذاب. وروى أحمد بن ثابت، عن أحمد بن حنبل، قال: عمرو بن خالد الواسطى كذاب.

وقال النسائى: روى عن حبيب بن أبى ثابت، كوفى ليس بثقة. وقال الدارقطنى: كذاب.

وروى إبراهيم بن هراسة أحد المتروكين، عن أبى خالد، عن زيد بن على، عن أبيه، عن على، قال: لعن رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الذكرين أحدهما يلعب بصاحبه (۱).

وأظن أن هذا الصخب والهياج حول الرجل لاَجل أنّه من موالى أئمة أهل البيت والمجاهرين بولائهم، وهذا يكفى فى التضعيف وصب القارعات عليه.

وأعجب منه ما ذكره الذهبى فى آخر كلامه من الحكم بوضع لعن رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الذكرين أحدهما يلعب بصاحبه، فإنّه مروى عن الفريقين.

كيف يشك الذهبى فى صحة الحديث مع أنّ الكتاب يصدّقه حيث يخص جواز الالتذاذ بالجنس بموردين ويقول": والّذِين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ * إلاّ على أزْواجِهِمْ أو مَا مَلَكَتْ أيْمانُهُم ("المؤمنون: ۵ ـ ۶) وما ورد فى الحديث ليس منهما فجاز لعنه.

روى السيوطى فى مسنده من كتاب جمع الجوامع من قسم الاَفعال فقال: عن الحرث، عن على: «قال رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم: ــ سبعة لايكلمهم اللّه يوم القيامة ولاينظر إليهم ويقال لهم أدخلوا النار مع الداخلين إلاّ أن يتوبوا: الفاعل والمفعول به، والناكح يده...».

أخرج البيهقى عن ابن عباس:« أنّ النبى قال: لعن اللّه من وقع على بهيمة________________،

(۱) الذهبى: ميزان الاعتدال:۳|۲۵۷. وفى المتن يغلب أحدهما صاحبه.

(۱۳۶)

ولعن اللّه من عمل عمل قوم لوط، إلى غير ذلك من الروايات التى رواها أهل السنّة (۱) وأمّا الشيعة فحدث عنه ولا حرج، فقد عدّه الكشى فى ترجمة الحسين بن علوان، من رجال أهل السنّة الذين لهم ميل ومحبة شديدة (۲).

وظاهر النجاشى أنّه إمامى حيث ألّفه لذكر رجال الإمامية ولو ذكر من غيرهم لأشار إلى مذهبه وهو عنونه وذكر سنده إلى كتابه من دون إيعاز إلى مذهبه (۳)إلّا إذا قيل إنّه ترك ذكر مذهبه فى المقام لكونه معروفاً.

وعده الشيخ فى الفهرست من موَلفى الشيعة وقال: أبو خالد عمرو بن خالد الواسطى له كتاب ذكره ابن النديم (۴)فعدّه من أصحاب الإمام الباقر وعمرو بن خالد الواسطى بترى.

وستعرف كلامه عند سرد الروايات المروية عن زيد فى الكتب الأربعة عند الكلام على رواية زيد أنّ رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ غسل رجليه، والقرائن تشهد أنّه شيعى زيدى، ويدلّ عليه مضافاً إلى إطباق الزيدية عليه ما رواه الكشى فى ذيل ترجمة محمد بن سالم بياع القصب: محمد بن مسعود، قال: حدثنى أبو عبد اللّه الشاذانى ـ وكتب به ـ إلى أن قال: حدثنى الفضل، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا أبو يعقوب المقرى وكان من كبار الزيدية، قال: أخبرنا عمرو بن خالد وكان من روَساء الزيدية عن أبى الجارود وكان رأس الزيدية قال: كنت عند أبى جعفر ــ عليه السلام ــ جالساً إذ أقبل زيد بن على فلمّا نظر إليه أبو جعفر قال:

(۱) السياغى: الروض النضير: ۱|۸۵ ـ ۸۶؛ ولاحظ وسائل الشيعة: ۱۸، الأبواب الستة من أبواب اللواط: ۴۱۶ـ ۴۲۴، والباب الثالث من أبواب نكاح البهائم ووطء الأموات والاستمناء: ۵۷۴. هذا إذا فهمنا من الحديث الناكح بيده أو لعب أحد الذكرين بالآخر، وإلّا يكون الحديث مجملاً.

(۲) الكشى: الرجال: ۳۳۳، برقم ۲۵۲، وما ذكره هنا ينافى ما ذكره برقم ۱۰۶ من كونه من روَساء الزيدية.

(۳) النجاشى: الرجال: ۲، برقم ۷۶۲.

(۴) الطوسى: الفهرست: برقم ۸۴۹.

(۱۳۷)

«هذا سيد أهل بيتى والطالب بأوتارهم» ومنزل عمرو بن خالد كان عند مسجد سماك وذكر ابن فضال أنّه ثقة (۱).

وإذا كان لبعض هذه النقاشات فى هوَلاء، مظنة صدق، غير أنّ الشيخ النجاشى (۳۷۲ ـ ۴۵۰هـ) يرويه بسند آخر نأتى بنصّه حتى يتبيّن أنّ للكتاب سندين أو أكثر .

أخبرنا محمد بن عثمان (النصيبى) قال: حدثنا على بن محمد بن الزبير، عن على بن الحسن بن فضال، عن نصر بن مزاحم عنه (أبى خالد) بكتابه (۲).

ولأجل إيقاف القارىء على عناية الإمامية بروايات زيد، نأتى بما وقفنا عليه فى الكتب الأربعة بعد حذف المكررات فنقول:

الرواية عن زيد بن على فى الكتب الأربعة :

احتجت الإمامية بالروايات المروية عن زيد بن على عن آبائه ـ عليهم السلام ـ إذا لم تكن مخالفة لما اتفقت عليه روايات أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وروى عنه فى الكتب الأربعة تسعة وثلاثون حديثاً ـ بعد حذف المكررات ـ وأكثر ما روى فيها موجود فى مسنده كما سنشير إليه فى مواضعه:

والراوى عنه:

إمّا عمرو بن خالد ـ غالباً ـ

أو أبو خالد الواسطى.فى موردين وكلاهما واحد.

أو هاشم بن يزيد. فى مورد واحد.

أو الحسين بن علوان_______________.

(۱) الكشى: الرجال: ۲۳۱ برقم۴۱۹.

(۲) النجاشى: الرجال: برقم ۷۶۹.

(۱۳۸)

والظاهر وقوع السقط فى الاَخير والصحيح الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد فإنّ الحسين بن علوان يروى عن زيد بواسطة عمرو بن خالد كثيراً.

ولاَجل إيقاف القارىَ على اهتمام محدثى الإمامية بما روى عنه نأتى فى هذا الفصل بخصوص ما روى عنه فى الكتب الاَربعة ونترك الباقى لوقت آخر، وقد استعنّا فى تخريج رواياته بالحاسب الآلى، ورتبنا الروايات حسب ترتيب أبواب الفقه المألوف بين أصحابنا وربما يكون، بين ما روى فيها والموجود فى مسنده اختلاف يسير فى اللفظ. كتاب الطهارة روى الشيخ الطوسى:

۱ ـ روى محمد بن الحسن الصفار عن عبد اللّه بن المنبه (۱)عن الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد بن على عن آبائه عن على ــ عليهم السلام ــ قال: «جلست أتوضأ وأقبل رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ حين ابتدأت فى الوضوء فقال لى: تمضمض واستنشق واستن، ثم غسلت وجهى ثلاثاً، فقال: قد يخرجك من ذلك المرتان، قال: فغسلت ذراعى ومسحت برأسى مرتين، فقال: قد يجزيك من ذلك المرة، وغسلت قدمى، فقال لى:« يا على خلّل ما بين الاَصابع لا تخلل بالنار» (۲).

وعلّق عليه الشيخ قال: هذا الخبر موافق للعامة قد ورد مورد التقية، لاَنّ المعلوم من مذهب الاَئمة ــ عليهم السلام ــ مسح الرجلين فى الوضوء دون غسلهما_______________.

(۱) والظاهر وقوع التصحيف فى السند، والصحيح المنبه بن عبيد اللّه كما فى كثير من الاَسانيد.

(۲) الطوسى: محمد بن الحسن: (ت ۴۶۰ هـ) ، التهذيب: ۱|۹۳، الباب: ۴ باب صفة الوضوء الحديث ۹۷ و رواه الإمام المهدى لدين اللّه محمد بن المطهر فى المنهاج الجلى، (لاحظ تعليقة مسند زيدص ۵۳) .

وراجع أيضاً: الطوسى: الاستبصار: ۱|۶۵، الباب ۳۷، الحديث۸.

(۱۳۹)

روى الشيخ الطوسى:

۲ ـ أخبرنى الشيخ (محمد بن النعمان) عن أبى القاسم جعفر بن محمد عن أبيه، عن سعد بن عبد اللّه، عن المنبه بن عبيد اللّه، عن الحسين بن علوان الكلبى، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن أبيه، عن جده، عن على ـ عليهم السلام ـ قال: «سألت رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عن الجنب والحائض يعرقان فى الثوب حتى يلصق عليهما ؟فقال: إنّ الحيض والجنابة حيث جعلهما اللّه عزّ وجلّ ليس فى العرق، فلا يغسلان ثوبهما» (۱).

روى الشيخ الطوسى:

۳ ـ سعد، عن أبى الجوزاء المنبه بن عبيد اللّه، عن الحسين بن علوان الكلبى، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ــ عليهم السلام ــ قال: «الغسل من سبعة من الجنابة وهو واجب، ومن غسل الميت وإن تطهرت أجزاك» وذكر غير ذلك (۲).

فى غسل الميت والصلاة عليه :

روى الشيخ الطوسى:

۴ ـ سعد بن عبد اللّه، عن أبى الجوزاء المنبه بن عبد اللّه (۳) عن الحسين_______________

(۱) الطوسی: التهذیب: ۱|۲۶۹، الباب۱۲ (باب تطهیر الثوب) الحدیث: ۷۹، زید بن علی: المسند: ص۶۱ وراجع: الطوسی: الاستبصار: ۱|۱۸۵، الباب ۱۱۰، الحدیث: ۵.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۱|۴۶۴، الباب ۲۳، الحدیث۱۶۲، وعلّق الشیخ والطوسی علی قوله: وإن تطهّرت أجزاك، أنّه محمول علی التقیة لوجوب الغسل وعدم كفایة التطهیر.

(۳) هكذا فی النسخة والظاهر عبید اللّه بقرینة سائر الروایات.

(۱۴۰)

بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «إذا مات الرجل فی السفر مع النساء لیس فیهن امرأته ولا ـ ذو محرم من نسائه، قال: یوزرنه إلی الركبتین، ویصبن علیه الماء صباً، ولا ینظرن إلی عورته، ولا یلمسنه بأیدیهن ویطهرنه، فإذا كان معه نساء ذوات محرم یوزرنه ویصببن علیه الماء صباً ویمسسن جسده ولا یمسسن فرجه (۱).

روی الشیخ الطوسی:

۵ ـ سعد بن عبد اللّه، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: أتی رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ نفر فقالوا إنّ امرأة توفیت معنا ولیس معها ذو محرم، فقال: «كیف صنعتم؟» فقالوا: صببنا علیها الماء صباً، فقال: «أما وجدتم امرأة من أهل الكتاب تغسلها؟» قالوا: لا، قال: «أفلا یمّمتموها؟» (۲)

روی الشیخ الطوسی:

۶ ـ وبهذا الإسناد (۳)، عن محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی بصیر، عن أیوب ابن محمد الرقی، عن عمرو بن أیوب الموصلی، عن إسرائیل بن یونس، عن أبی إسحاق السبیعی، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «إنّ قوماً أتوا رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ فقالوا: یارسول اللّه مات صاحب لنا وهو____________

(۱) الطوسی: التهذیب: ۱|۴۴۱، الباب۲۳، الحدیث ۷۱: زید بن علی: المسند: ص۱۴۵ ورواه أیضاً فی التهذیب: ۱|۳۴۳، الباب ۱۳، الحدیث۱۶۸، باختلاف یسیر . و الاستبصار: ۲|۲۰۱، الباب۱۱۸، الحدیث۷.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۱|۴۴۳، الباب۲۳، الحدیث۷۸؛ و الاستبصار: ۱|۲۰۳، الباب ۱۱۸، الحدیث۱۴.

(۳) أی أخبرنی الشیخ المفید عن أبی جعفر محمد بن علی عن محمد بن الحسن.

(۱۴۱)

مجدور فإن غسلناه انسلخ، فقال: یمّموه» (۱).

۷ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه عن علی ـ علیهم السلام ـ أنّه سئل عن رجل یحترق بالنار، فأمرهم أن یصبوا علیه الماء صباً وأن یصلّی علیه (۲).

روی الشیخ الطوسی:

۸ ـ روی علی بن الحسین، عن محمد بن یحیی، عن محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی الجوزاء المنبه بن عبد اللّه (۳)، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ فی الصلاة علی الطفل أنّه كان یقول: «اللّهم اجعله لأبویه ولنا سلفاً وفرطاً وأجراً» (۴).

روی الشیخ الطوسی:

۹ ـ علی بن الحسین، عن سعد، عن أبی الجوزاء المنبه بن عبید اللّه، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب ـ علیه السلام ـ قال: «یسل الرجل سلاً ویستقبل المرأة استقبالاً، ویكون أولی الناس بالمرأة فی مؤخرها» (۵____________).

(۱) الشيخ الطوسی: التهذيب: ۱|۳۳۳، الباب۱۳، الحديث۱۴۵.

(۲) الكلينی: الكافی: ۳|۲۱۳؛ الحديث۶؛ زيد بن علی: المسند: ۱۴۷؛ الطوسی: التهذيب: ۱|۳۳۳، الباب۱۳، الحديث۱۴۴.

(۳) الظاهر عبيد اللّه.

(۴) الطوسی: التهذيب: ۳|۱۹۵، الباب۱۳، الحديث۲۱؛ زيد بن علی: المسند: ۱۵۰.

(۵) الطوسی: التهذيب: ۱|۳۲۶، الباب۱۳ باب تلقين المحتضرين، الحديث۱۱۹؛ زيد بن علی: المسند، باب ۱۵۲، باختلاف يسير.

أحكام الشهيد

روى الكلينی:

۱۰ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن أبی الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علی، عن آبائه ـ عليهم السلام ـ قال: قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: «ينزع عن الشهيد الفرو والخف والقلنسوة والعمامة والمنطقة والسراويل إلاّ أن يكون أصابه دم فإن أصابه دم ترك ولا يترك عليه شیء معقود إلاّ حل» (۱).

روى الطوسی:

۱۱ ـ محمد بن الحسن الصفار عن عبد اللّه بن المنبه (۲)عن الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علی عن أبيه عن آبائه ــ عليهم السلام ــ قال: قال رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ للشهيد سبع خصال من اللّه: أوّل قطرة من دمه مغفور له كل ذنب، والثانية: يقع رأسه فی حجر زوجتيه من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه تقولان مرحباً بك ويقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة: يكسى من كسوة الجنّة، والرابعة: يبتدره خزنة الجنّة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه، والخامسة: أن يرى منزلته، والسادسة: يقال لروحه أسرح فی الجنّة حيث شئت والسابعة: أن ينظر فی وجه اللّه وإنّها لراحة لكل نبی وشهيد» (۳________________).

(۱) الكلينی: الكافی: ۳|۲۱۱، الحديث۴؛ زيد بن علی: المسند: ۱۴۶ (باب الشهيد) الطوسی، التهذيب: ۱|۳۳۲، الحديث ۱۴۰.

(۲) الظاهر وقوع التصحيف فی السند، والصحيح عن المنبه بن عبيد اللّه كما فی كثير من الأسانيد.

(۳) الطوسی: التهذيب: ۶|۱۲۱، الباب۲۲، الحديث۳؛ زيد بن علی، المسند: ۳۵۱. وقد ورد أبسط مما فی المتن هنا.

روى الشيخ الطوسی:

۱۲ ـ محمد بن أحمد بن يحيی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسين ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علی، عن أبيه ـ عليهم السلام ـ قال: قال رسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ إذا مات الشهيد من يومه أو من الغد فواره فی ثيابه، وإن بقی أياماً حتى تتغير جراحته غسل» (۱). كتاب الصلاة قال الصدوق:

۱۳ ـ روى عن زيد بن علی بن الحسين ــ عليه السلام ــ أنّه قال: «سألت أبی سيد العابدين ــ عليه السلام ــ فقلت له: يا أبه أخبرنی عن جدنا رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لمّا عرج به إلى السماء وأمره ربه عزّ وجلّ بخمسين صلاة كيف لم يسأله التخفيف عن أُمّته حتى قال له موسى بن عمران ــ عليه السلام: ــ إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف فأنّ أُمّتك لا تطيق ذلك؟ فقال: «يابُنَیَّ أن رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لايقترح على ربه عزّ وجلّ فلا يراجعه فی شیء يأمره به، فلمّا سأله موسى ــ عليه السلام ــ ذلك وصار شفيعاً لاُمّته إليه لم يجز له أن يرد شفاعة أخيه موسى ــ عليه السلام ــ فرجع إلى ربّه عزّ وجلّ فسأله التخفيف إلى أن ردها إلى خمس صلوات» قال: فقلت له: يا أبه فلم لم يرجع إلى ربّه عزّ وجلّ ولم يسأله التخفيف من خمس صلوات وقد سأله موسى ــ عليه السلام ــ أن يرجع إلى ربّه عزّ وجلّ ويسأله التخفيف؟ فقال: « يا بُنَیَّ أراد ــ عليه السلام ــ أن يحصل________________

(۱) الطوسی: التهذيب: ۶|۱۶۸، الباب۲۲، الحديث۷؛ زيد بن علی: المسند: ۱۴۶. وللشيخ الطوسی تعليقة على الرواية فإنّها غير معمول

بها عند الأصحاب؛ أيضاً الشيخ الطوسى: الاستبصار: ١|٢٥، الباب ١٢٥، الحديث ۶.

(۱۴۴)

لأُمّته التخفيف مع أجر خمسين صلاة لقول اللّه عزّ وجلّ": مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمثَالِها "ألا ترى أنّه ــ عليه السلام ــ لما هبط إلى الأرض نزل عليه جبرئيل ـ عليه السلام ـ فقال: يامحمّد إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول (لك) : إنّها خمس بخمسين" ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ وما أنا بِظَلّامٍ لِلعَبِيد » "قال: فقلت له: يا أبه أليس اللّه جلّ ذكره لا يوصف بمكان؟ فقال: «بلى تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً» قلت: فما معنى قول موسى ــ عليه السلام ــ لرسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم: ــ إرجع إلى ربّك؟ فقال: «معناه معنى قول إبراهيم ــ عليه السلام": ــ إنّى ذَاهِبٌ إلى رَبّى سَيَهْدِين "ومعنى قول موسى ــ عليه السلام" ــ وَعجِلْتُ إلَيْكَ رَبّ لِتَرْضَى "ومعنى قوله عزّ وجلّ": فَفِرُّوا إلى اللّه "يعنى حجّوا إلى بيت اللّه، يابنى إنّ الكعبة بيت اللّه فمن حجّ بيت اللّه فقد قصد إلى اللّه، والمساجد بيوت اللّه فمن سعى إليها فقد سعى إلى اللّه وقصد إليه، والمصلّى ما دام فى صلاته فهو واقف بين يدى اللّه عزّ وجلّ، فإنّ للّه تبارك وتعالى بقاعاً فى سماواته، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه ألا تسمع اللّه عزّ وجلّ يقول": تَعْرُجُ المَلائِكَةُ والرُّوحُ إلَيْه" ويقول (اللّه) عزّ وجلّ فى قصة عيسى بن مريم ــ عليهما السلام": ــ بَل رَفَعَهُ اللّهُ إلَيْه "ويقول اللّه عزّ وجلّ": إلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطّيِّبُ والعَمَلُ الصالِحُ يَرْفَعُه»("١)

روى الشيخ الطوسى:

۱۴ ـ محمد بن الحسن الصفار، عن عبد اللّه بن المنبه (٢)، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن أبيه، عن آبائه، عن على ـ عليه

(١) الصدوق: من لايحضره الفقيه: ١ |١٩٨، الحديث ۶٠٣، وفى الحديث نكات بديعة ولم نجده فى مسنده.

(٢) الصحيح: المنبه بن عبيد اللّه كما فى سائر الأسانيد.

(۱۴۵)

السلام ـ أنّه أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين واللّه إنّى لأحبك للّه فقال له: «ولكنى أُبغضك للّه» قال: ولم؟ قال: «لأنّك تبغى فى الأذان، وتأخذ على تعليم القرآن أجراً (١) ، سمعت رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يقول: من أخذ على تعليم القرآن أجراً كان حظّه، يوم القيامة» (٢).

روى الشيخ الطوسى:

١۵ ـ محمد بن على بن محبوب، عن محمد بن الحسين، عن الحسن بن على، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ــ عليهم السلام ــ قال: دخل رجلان المسجد وقد صلّى الناس، فقال: لهما على ــ عليه السلام «ــ إن شئتما فليؤم أحدكما صاحبه ولا يؤذن ولايقيم» (٣).

روى الشيخ الطوسى:

١۶ـ محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن الحسين ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ـ عليه السلام ـ قال: «الأغلف لا يؤم القوم وإن كان أقرأهم، لأنّه ضيع من السنّة أعظمها، ولا تقبل له شهادة ولا يصلّى عليه إلّا أن يكون ترك ذلك خوفاً على نفسه» (۴) .

(١) الطوسى: الاستبصار: ٣|۶۵ الباب ٣٨، الحديث ٢.

(٢) الطوسى: التهذيب: ۶|٣٧۶، الباب ٩٣، الحديث ٢٢٠؛ زيد بن على: المسند: ٨۵ وفى المسند تتغنّى مكان تبغى وهو الأصح.

(٣) الطوسى: التهذيب: ٢|٢٨١، الباب١٣، الحديث ٢١، و ٣|۵۵، الباب ١٣، الحديث ١٠٣؛ زيد بن على: المسند: ١١٣ باختلاف.

(۴) الطوسى: التهذيب: ٣|٣٠، الباب ٣، الحديث ٢٠؛ زيد بن على: المسند: ١۵١ باختلاف يسير.

(۱۴۶)

روى الشيخ الطوسى:

۱۷ ـ سعد، عن أبى الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ــ عليه السلام ــ قال: «صلّى بنا رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ الظهر خمس ركعات ثم انفتل فقال له بعض القوم: يارسول اللّه هل زيد فى الصلاة شيء؟ فقال: وماذاك؟ قال: صليت بنا خمس ركعات قال: فاستقبل القبلة وكبر وهو جالس ثم سجد سجدتين ليس فيهما قراءة ولا ركوع ثم سلم وكان يقول: هما المرغمتان».

قال محمد بن الحسن: هذا خبر شاذ لا يعمل عليه لأنّا قد بينا أن من زاد فى الصلاة وعلم ذلك، يجب عليه استئناف الصلاة، وإذا شك فى الزيادة فإنّه يسجد السجدتين المرغمتين، ويجوز أن يكون ــ عليه السلام ــ إنّما فعل ذلك لأنّ قول واحد له لم يكن مما يقطع به، ويجوز أن يكون كان غلطاً منه وإنّما سجد السجدتين احتياطاً (۱)

روى الشيخ الطوسى:

۱۸ ـ روى سعد بن عبد اللّه، عن أبى الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على ــ عليه السلام ــ قال: صليت مع أبى ــ عليه السلام ــ المغرب فنسى فاتحة الكتاب فى الركعة الاُولى فقرأها فى الثانية

(۲)

(۱) الطوسى: التهذيب: ۲|۳۴۹، الباب۱۴، الحديث ۳۷؛ الاستبصار: ۱|۳۷۷، الباب ۲۱۹، الحديث۵؛ زيد بن على: المسند: ۱۰۹.

(۲) الطوسى: التهذيب: ۲|۱۴۸، الباب ۲۳، الحديث۳۶؛ زيد بن على: المسند: ۹۴. والرواية مطروحة لتضمنها نسبة السهو إلى الإمام المعصوم مع بعد مضمونها لعدم طروء النسيان فى الركعة الاُولى بالنسبة إلى فاتحة الكتاب. وراجع أيضاً: الطوسى: الاستبصار: ۱|۳۵۴، الباب۲۰۶، الحديث۷.

(۱۴۷) فى الضمان روى الشيخ الطوسى:

۱۹ ـ عنه

(۱) ، عن أبى الجوزاء، عن الحسين بن علوان ، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه ــ عليهم السلام ــ أنّه أتى بحمال كانت عليه قارورة عظيمة كانت فيها دهن فكسرها فضمّنها إيّاه، وكان يقول: كل عامل مشترك إذا أفسد فهو ضامن، فسألته ما المشترك؟ فقال: الذى يعمل لى ولك ولذا (۲).

روى الشيخ الطوسى:

۲۰ ـ روى محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه ـ عليهم السلام ـ أنّه أتاه رجل تكارى دابة فهلكت، فأقرّ أنّه جاز بها الوقت فضمّنه الثمن ولم يجعل عليه كراء

.(۳)

روى الشيخ الطوسى:

۲۱ ـ محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن الحسين ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ـ عليه السلام ـ أنّه كان يضمن صاحب الكلب إذا عقر نهاراً ولايضمنه إذا عقر بالليل، وإذا دخلت دار قوم بإذنهم فعقرك كلبهم فهم ضامنون، وإذا دخلت بغير إذنهم فلا ضمان عليهم

.(۴)

(۱) أى عن محمد بن أحمد بن يحيى.

(۲) الطوسى: التهذيب: ۷|۲۲۲، الباب ۲۰، الحديث۸۵؛ زيد بن على: المسند: ۲۵۴.

(۳) الطوسی: الاستبصار: ۳|۱۳۵، الباب۸۸، الحدیث۳. قال الشیخ: الوجه فی هذه الروایة ضرب من التقیّة لاَنّها موافقة لمذهب کثیر من العامة.

(۴) الطوسی: التهذیب: ۱۰|۲۲۸، باب الاثنین إذا قتلا، الحدیث ۳۱.

(۱۴۸) فی الربا روی الشیخ الطوسی:

۲۲ ـ عنه

(۱) ، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ــ علیهم السلام ــ قال: «لعن رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ الربا وآکله وبائعه ومشتریه وکاتبه وشاهدیه» (۲). فی الخمر روی الکلینی:

۲۳ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن الحسین بن سعید، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه ـ علیهم السلام ـ قال: لعن رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ الخمر وعاصرها ومعتصرها وبایعها ومشتریها وساقیها وآکل ثمنها وشاربها وحاملها والمحمولة إلیه

(۳) فی النکاح روی الشیخ الطوسی:

۲۴ ـ روی محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی________________ ـ

(۱) أی عن الحسین بن سعید الاَهوازی.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۷|۱۵، الباب ۱، الحدیث ۶۴؛ زید بن علی: المسند: ۲۲۹ باختلاف یسیر.

(۳) الکلینی: الکافی: ۶|۳۹۸، الحدیث ۱۰.

(۱۴۹) علیه السلام ـ: إنّ امرأة أتته ورجل قد تزوجها ودخل بها وسمی لها مهراً وسمی لمهرها أجلاً فقال له علی ــ علیه السلام:ــ «لا أجل لک فی مهرها إذا دخلت بها فأدّ إلیها حقها»(۱).

روی الشیخ الطوسی:

۲۵ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر عن أبی الجوزاء، عن الحسین ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیه السلام ـ أنّه قال: «الرضعة الواحدة کالمائة رضعة لاتحل له أبداً »

.(۲)

روی الشیخ الطوسی:

۲۶ ـ روی محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی جعفر، عن أبی الجوزاء، عن الحسین بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زید بن علی، عن آبائه، عن علی ـ علیهم السلام ـ قال: «حرم رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ یوم خیبر لحوم الحمر الاَهلیة ونکاح المتعة»

(۳). فی الطلاق روی الشیخ الطوسی:

۲۷ ـ محمد بن أحمد بن یحیی، عن أبی الجوزاء، عن الحسین [بن علوان________________]

(۱) الطوسی: التهذیب: ۷|۳۵۸، الباب ۳۱ من أبواب النکاح، الحدیث ۲۰؛ الاستبصار: ۳|۲۲۱، الباب ۱۳۸، الحدیث۴؛ زید بن علی: المسند: ۲۷.

(۲) الطوسی: التهذیب: ۷|۳۱۷، الباب ۲۷ من أبواب النکاح، الحدیث۱۷، والروایة مطروحة لدی الاِمامیة لعدم کفایة الرضعة الواحدة بالاتفاق عندهم، وفی المسند: ۲۸۲: سألت زیداً عن المصة والمصتین، قال: تحرم.

(۳) الطوسی: التهذیب: ۷|۲۵۱، الباب ۲۴، الحدیث ۱۰؛ زید بن علی المسند: ۲۷۱، وفی المسند: نهی رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ عن نکاح المتعة عام خیبر. والروایة وردت مورد التقیة.

(۱۵۰) عن عمرو بن خالـد، عن زيـد بن على، عن آبـائه، عن على ــ عليه السـلام ــ فى رجل أظهر طلاق امرأته وأشـهد عليه وأسرّ رجعتهـا ثم خرج فلمّـا رجع وجـدها قـد تزوجت قـال: «لاحقّ له عليها من أجل أنّه أسرّ رجعتها وأظهر طلاقها» (۱). فى الحـدود روى الشيخ الطوسى:

۲۸ـ عنه

(۲) ، عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه ــ عليهم السلام ــ قال: سئل رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عن الساحر؟ فقال: إذا جاء رجلان عدلان فيشهدان عليه فقد حل دمه(۳)

روى الشيخ الطوسى:

۲۹ ـ محمـد بن أحمـد بن يحيى، عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن الحسين ابن علوان، عن عمرو بن خالـد، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ـ عليهم السلام ـ قال: «إذا أسلم الاَب جر الولد إلى الاِسلام، فمن أدرك من ولده دعى إلى الاِسلام فإن أبى قتل، وإذا أسلم الولد لم يجر أبويه ولم يكن بينهما ميراث»

(۴______________) .

(۱) الطوسى: التهذيب: ۸|۴۴، الباب ۳ من أبواب الطلاق، الحديث۵.

(۲) أى عن محمد بن أحمد بن يحيى.

(۳) الطوسى: التهذيب: ۶|۲۸۳، البـاب ۹۱، الحديث۱۸۵؛ و ج ۱۰|۱۴۷، الباب ۱۰ من الزيادات، الحديث۱۶؛ زيد بن على: المسند: ۳۰۳، وفى المسند: حد الساحر القتل.

(۴) الطوسى: التهذيب: ۸|۲۳۶، العتق الباب ۱، الحديث ۸۵. أن لا يرث الاَب، ويرث الولد، لاَنّ الاِسلام يزيد عزّاً لا حرماناً.

(۱۵۱) روى الصدوق:

۳۰ ـ محمد بن أحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن أبى الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه ـ عليهم السلام ـ عن على ــ عليه السلام ــ فى رجل قذف امرأته ثم خرج فجأة وقد توفيت قال: «يخير واحدة من ثنتين يقال له: إن شئت ألزمت نفسك الذنب فيقام عليك الحد وتعطى الميراث، وإن شئت أقررت فلاعَنْت أدنى قرابتها إليها ولا ميراث لك»

(۱)

. فى الديات روى الشيخ الطوسى:

۳۱ـ محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن______________

(۱) الطوسى: التهذيب: ۸|۱۹۴، الباب ۸ باب اللعان، الحديث ۳۸؛ الصدوق: من لا يحضره الفقيه: ۳|۵۳۹، الباب۲ الحديث ۴۸۵۶.

(۱۵۲) الحسين ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه ـ عليهم السلام ـ قال: لاتعقل العاقلة إلاّ ما قامت عليه البينة، قال: وأتاه رجل فاعترف عنده فجعله فى ماله خاصة ولم يجعل على العاقلة شيئاً (۱).

روى الشيخ الطوسى:

۳۲ ـ محمـد بن أحمـد بن يحيى، عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن الحسـين ابن علوان، عن عمرو بن خالـد، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ـ عليه السلام ـ قال: «المعتق على دبر فهو من الثلث وما جنى هو والمكاتب وأُم الولد فالمولى ضامن لجنايتهم»

(۲). فى القصاص روى الشيخ الطوسى:

۳۳ ـ عن محمـد بن أحمـد بن يحيـى، عن أبى جعفر، عن أبى الجـوزاء، عن الحسـين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ـ عليهم السلام ـ قال: «ليس بين الرجل والنساء قصاص إلاّ فى النفس»

.(۳)

روى الشيخ الطوسى:

۳۴ـ عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على عن آبائه، عن على ـ عليه السلام ـ قال: «ليس بين الرجال والنساء قصاص إلاّ فى النفس، وليس بين الاَحرار والمماليك قصاص إلاّ فى النفس عمداً، وليس بين الصبيان قصاص فى شيء إلاّ فى النفس»

(۴).

(۱) الطوسى: التهذيب: ۱۰|۱۷۵، باب البينات على القتل، الحديث ۲۴؛ والاستبصار: ۴|۲۶۲، الباب ۱۵۲، الحديث۵؛ لاحظ المسند: ۳۰۶.

(۲) الطوسى: التهذيب: ۸|۲۶۲، التدبير الباب۲، الحديث۱۷؛ و الاستبصار: ۴|۳۱، الباب ۱۵، الحديث ۱۹.

(۳) الطوسى: الاستبصار: ۴|۲۶۶، الباب ۱۵۴، الحديث۷.

(۴) الطوسى: التهذيب: ۱۰|۲۷۹، باب القصاص، الحديث ۱۸؛ لاحظ المسند: ۳۰۷.

(۱۵۳) ما لا يختص بباب روى الشيخ الطوسى:

۳۵ـ عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن أبى الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ـ عليه السلام ـ قال: أتى النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ رجل فقال: يارسول اللّه أنّ أبى عمد إلى مملوك لى فاعتقه كهيئة المضرة لى فقال رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم : «ــ أنت ومالك من هبة اللّه لاَبيك، أنت سهم من كنانته يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ويجعل من يشاء عقيماً، جازت عتاقة أبيك، يتناول والدك من مالك وبدنك، وليس لك أن تتناول من ماله ولا من بدنه شيئاً إلاّ بإذنه»

(۱).

روى الشيخ الطوسى:

۳۶ـ محمد بن الحسن الصفار، عن الحسن بن على بن النعمان، عن الحسن ابن الحسين الاَنصارى، عن يحيى بن معلى الاَسلمى، عن هاشم بن يزيد قال: سمعت زيد بن على ــ عليه السلام ــ يقول: كان على ــ عليه السلام ــ فى حربه أعظم أجراً من قيامه مع رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فى حربه قال: قلت بأى شيء تقول أصلحك اللّه؟ قال: فقال لى: لاَنّه كان مع رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ تابعاً ولم يكن له إلاّ أجر تبعيته وكان فى هذه متبوعاً وكان له أجر كل من تبعه

. (۲)

روى الكلينى:

۳۷ـ عنه [أى عن على بن إبراهيم]، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن أبى ـــــــــــــــــــ

(۱) الطوسى: التهذيب: ۸|۲۳۵، كتاب العتق الباب ۱، الحديث ۸۲.

(۲) الطوسى: التهذيب: ۶|۱۷۰، الباب ۱۷۹، الحديث۴.

(۱۵۴) خالد الواسطى، عن زيد بن على، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما» (۱) .

روى الشيخ الطوسى:

۳۸ـ محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن الحسين ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه، عن على ـ عليه السلام ـ قال: «أتيت أنا ورسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ رجلاً من الاَنصار فإذا فرس له يكيد بنفسه، فقال له رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم: ــ انحره يضعف لك به أجران: بنحرك إيّاه واحتسابك له، فقال: يارسول اللّه إلى منه

شيء؟ قال: نعم كل وأطعمنى قال: فأهدى للنبى ــ عليه السلام ــ فخذاً منه فأكل منه وأطعمنى»

. (۲)

روى الشيخ الطوسى:

۳۹ ـ عنه

(۳) عن أبى جعفر، عن أبى الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن على، عن آبائه ــ عليهم السلام: ــ قال رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم: ــ إذا التقى المسلمان بسيفهما على غير سنّة، القاتل والمقتول فى النار» فقيل: يارسول اللّه القاتل فما بال المقتول؟! قال: «لأنّه أراد قتلاً » (۴)

هذه هى ۳۹ حديثاً نقلها مصنّفو الكتب الأربعة عن الإمام زيد التى نقلها عن أبيه عن آبائه______________.

(۱) الكلينى: الكافى: ۶ |۴۸، الحديث۵. الطوسى: التهذيب: ۸|۱۲، الباب ۵ من أبواب الطلاق، الحديث ۳۵.

(۲) التهذيب: ۹|۴۸، كتاب الصيد والذبائح، الباب ۱، الحديث ۱۰۱.

(۳) أى عن محمد بن أحمد بن يحيى.

(۴) الطوسى: التهذيب: ۶|۱۷۴، الباب ۷۹، الحديث ۲۵.

الفصل السابع هل كان زيد معتزلىّ المبدأ والفكرة

الفصل السابع هل كان زيد معتزلىّ المبدأ والفكرة ولمّا كان أحد الأُمور الدافعة إلى القول بأنّ زيداً كان ذا منهاج كلامى خاص، هو صلته بواصل رئيس المعتزلة، نطرح الموضوع على طاولة البحث ليتبيّن مدى صحة ذلك الوهم.

هل كانت الصلة بين زيد وواصل بن عطاء على أساس أنّهما يذهبان إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو أحد الأُصول الخمسة لدى المعتزلة (۱) أو أنّ الصلة بينهما كانت على أساس أنّ زيداً تتلمذ على واصل وتخرج عليه فى الأُصول. المعروف هو الثانى، والحقّ هو الأوّل لوجوه:

أوّلاً: كانت العاصمة العلمية للمسلمين يوم ذاك (أوائل القرن الثانى الهجرى) هى المدينة المنورة، فكانت تزدحم بالعلماء والمفكرين، وعلى رأسهم محمد الباقر ــ عليه السلام ــ وبعده شيخ الهاشميين عبد اللّه بن الحسن بن الحسن وغيرهما من مشاهير المحدثين والمفسرين وعلى ضوء ذلك فلم يكن فى ذلك أى حافز لمغادرة المدينة إلى العراق ثم البصرة. ولم تكن البصرة يوم ذاك إلاّ

(۱) الانتصار: ۵؛ ومقالات الإسلاميين: ۱|۲۷۸.

(۱۵۶)

مركزاً أدبياً لغوياً ثم مركز الأهواء والملل والآراء والنحل.

ثانياً: قد عرفت فيما سبق أنّ زيداً الثائر من مواليد عام ۶۷ هـ وواصل بن عطاء من مواليد ۸۰ هـ فهو أكبر منه بكثير. فلو صحّ أن يتتلمذ على أحد فى العراق فيجب أن يتتلمذ على شيخ واصل، الحسن البصرى، فى البصرة أو يتتلمذ على شيخه فى المدينة المنورة وهو أبو هاشم ابن محمد الحنفية أُستاذ واصل. وبعد ذلك كله، فلم يكن عند واصل شيء بديع قصرت عنه يد زيد. فإنّه أخذ ما أخذ عن أبى هاشم، كما حققناه فى الجزء الثالث (۱)من تلك الموسوعة، فالذى شهّر واصل فى الأوساط الإسلامية هو القول بالتوحيد والعدل والتركيز على كون الإنسان مختاراً، ورد القضاء والقدر بالمعنى السالب عن الإنسان الاختيارَ والحريةَ وهو قد أخذه من أبى هاشم وهو عن أبيه، وهو عن وصى الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أمير المؤمنين على بن أبى طالب ــ عليه السلام، ــ فربيب البيت الهاشمى، أعنى: زيداً، كان غنياً عن التوسل بواصل فى معرفة ما كان يجده فى بيته العامر بالعلم والمعرفة.

وثالثاً: لم يـذكر أحـد من المؤرخين ولا أصحاب المقالات تتلمذ زيد على واصل قبل الشهرستانى وإنّما انفرد هو بذلك وتبعه غيره، فلاـ تجـد منه أثراً فى فرق الشيعة للنوبختى، ولاـ فى مقالات الإسلاميين للأشعرى، ولا الفرق بين الفرق للبغـدادى ولا لابن حزم فى الفصل. وعلى ذلك فلا يركن إلى كلام تفرد به الشهرستانى البعيـد عن بيئة زيد وعصره، وقد استشهد الإمام فى أوائل القرن الثانى، وتوفى الشهرستانى عام ۵۴۸هـ

هـذا هو الحقّ القراح الـذى لا مريـة فيه، ولا أظن بزيـد ولا بإنسان دونه تربّى فى أحضان البيت النبوى، أن يتتلمذ فى الأُصول والعقائد على أمثال واصل، صنيع أبى هاشم فى المدينة، ثم الحسن البصرى فى البصرة، والمتفردّ بآراء وعقائد لا________________

(۱) السبحانى: بحوث فى الملل والنحل: ۳|۱۸۹.

(۱۵۷)

يسانـدها علمـاء أهـل الـبيت وأئمتهم. وأظن أنّ المصـدر لمـا ذكره، هو تعـاطف الزيـديين مع المعتزلـة فى العصور اللاحقـة على وجه صارت الأُصول الخمسـة مقبولـة لـدى الزيـديين، فصار ذلك سـبباً لحدس الشهرسـتانى أنّ زيداً تتلمذ على واصل، ومنه أخذ الأُصول وسـرى إلى أتباعه ومقتفيه، غافلاً عن عدم الملازمة بين الاعتقادين، ولو خضـعت الزيدية لهذه الأُصول فلجهة أُخرى سـيوافيك بيانها. ولنذكر عبارة الشهرستانى ثم نذكر ماذكره بعض المحقّقين من السنّة والزيدية.

يقول: «وزيـد بن على لمّا كان مـذهبه هـذا المـذهب: (كل فاطمى عالم زاهد شجاع، سخىّ خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة) أراد أن يحصـل الأُصول والفروع حتى يتحلى بـالعلم، فتتلمـذ فى الأُصول لواصل بن عطاء الغزال الألثغ رأس المعتزلـة ورئيسـهم. مع اعتقـاد واصـل أنّ جـده على بن أبى طـالب (رض) فى حروبه التى جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأهل الشام ما كان على يقين من الصواب. وأنّ أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لابعينه وصارت أصحابه كلهم معتزلة» (۱) .

وقد سرى هذا الخطاء إلى غير واحد ممن كتب عن زيد فاتخذه حقيقة راهنة.

قال ابن أبى الدم فى «الفرق الإسلامية»: الزيدية أصحاب زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكان زيد قد آثر تحصيل علم الأُصول. فتتلمـذ لواصـل بن عطـاء رئيس المعتزلـة ورأسـهم وأوّلهم فقرأ عليه واقتبس منه علم الاعتزال وصـار زيد وجميع أصحابه معتزلـة فى المـذهب والاعتقاد، وكان أخوه الباقر محمـد بن على يعيب عليه كونه قرأ على واصل بن عطاء وتتلمـذ له واقتبس منه مع كونه يجوّز الخطأ على جده على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ بسب خروجه إلى حرب الجمل والنهروان، ولأنّ واصلاً كان يتكلم________________

(۱) الشهرستانى: الملل والنحل: ۱|۱۳۸.

(۱۵۸)

فى القضاء والقدر على خلاف مذهب أهل البيت ــ عليهم السلام (ــ ۱).

كلام الشيخ أبو زهرة:

لقد تلقى الشيخ أبو زهرة ما ذكره الشهرستانى أمراً صحيحاً واستنتج من كلامه أُموراً ثلاثة ولكنه تنظر فيه بما يلى:

«ولكن أيصح أن نقول إنّ زيـداً تتلمـذ على واصل فى هـذه المرحلـة؟ إنّ الرجلين كانا فى سن واحـدة فقـد ولد كلاهما فى سـنة ۸۰ (۲)من الهجرة النبوية أو قريباً من ذلك ويظهر أنّهما عندما التقيا كان زيد فى سن قد نضـجت لأنّ واصـلاً لا يمكن أن يكون فى مقام من يدرس مستقلاً إلاّ إذا كان فى سن ناضجة.

ولهـذا نرى أنّ التقاء زيـد ـ رضـى اللّه عنه ـ بواصل بن عطاء كان التقاء مذاكرة علمية وليس التقاء تلميذ عن أُسـتاذ، فإنّ السن متقاربة وزيـد كان ناضـجاً فهو قد أراد أن يعرف النواحى المختلفة حول أُصول العقائد، كما تلقى فروع الأحكام عن أُسرته وفى المدينة مهد علم الفروع ـ إلى أن قال ـ وقبل رحلة زيد إلى البصـرة أيسوغ لنا أن نقول إنّه ما كان من قبل، على علم بأُصول المعتزلة؟ لعل الإجابة

عن هذا السؤال توجب علينا أن نرجع إلى علماء آل البيت قبل زيد والذين عاصروه وهنا نجد من الاَخبار، ما يذكر أنّ علماء آل البيت تكلموا في العقائد وكانوا قريبين مما قاله واصل بن عطاء بل إنّا نجد من يقول إنّ واصلاً تلقى عقيدة الاعتزال عن آل البيت فقد كانوا على علم به وخصوصاً محمد ابن الحنفية ابن على رضي اللّه عنهما، فقد كان عالماً غواصاً في العلوم، وقد قال فيه الشهرستاني: «وكان كثير العلم، غزير المعرفة، وقّاد الفكر، مصيب الخواطر، قد أخبره أمير المؤمنين (أي على) عن أحوال الملاحم وأطلعه على مدارج المعالم، قد اختار العزلة، وآثر________________

(۱) الصفدي: الوافي بالوفيات: ۱۵|۳۵.

(۲) عرفت ما هو الحقّ في ميلاده.

(۱۵۹)

الخمول على الشهرة» (۱).

هذا كلامه وياليت الأُستاذ رافق كلامه بذكر المصادر، ولا يقضي في الموضوع بشكل قاطع.

وهذا ما نلمسه من كتب الأُستاذ أبي زهرة مع كثرة ما كتب. وعلى كل تقدير فلا دليل على تتلمذ زيد لواصل، لو لم يكن دليل على عدمه، وكون اتباعه معتزليين في العقيدة لا يكون دليل على كون إمامهم كذلك.

كلام بعض المعاصرين من الزيدية :

إنّ لبعض المعاصرين من علماء الزيدية تحقيقاً رائعاً في المقام نأتي بنصه ـ مع طوله ـ :

«من الاَغلاط الشائعة نسبة الزيدية إلى المعتزلة ـ في أُصول الدين والتوحيد وعلم الكلام ـ والقول بأنّ الإمام زيد بن علي قد تتلمذ على رئيس المعتزلة واصل ابن عطاء.

ولعل الشهرستاني المتوفى ۵۴۸هـ هو أوّل من سجّل هذه الغلطة في كتابه (الملل والنحل) ثم تابعه أكثر من بحث عن الاعتزال والمعتزلة. إمّا لإهمالهم الفحص والتمحيص لما يروونه، وإمّا لاَنّه قد وافق ما يريدون قوله عن الزيدية والزيديين.

ولا أعتقد أنّ للشهرستاني أيَّ دليل قوي على قوله. وربّما أنّه جعل من التوافق بين الزيدية والمعتزلة في أكثر مسائل الأُصول الدينية دليلاً على قوله، ولكن هذا غير كاف قطعاً لإلحاق فرقة بأُخرى. لاَنّه لو اعتبر التوافق في رأي ما، دليلاً على توحيد فرقة مع أُخرى لما تميزت فيما بينها كل المذاهب الإسلامية المعروفة اليوم وقبل اليوم، لاَنّها تتوافق في كثير من المسائل وبالاَخص الفقهية الفرعية منها.

____

(۱) أبو زهرة: الإمام زيد: ۳۹ ـ ۴۰.

(۱۶۰)

أمّا القول بأنّ الإمام زيداً قد تتلمذ لواصل بن عطاء. من أجل أن يحصل على علم الأُصول والفروع حتى يتحلّى بالعلم كما يقول الشهرستاني ـ فهو أغرب وأعجب. ذلك لاَنّ المعلوم عند جميع المؤرخين والباحثين والعالمين ـ أنّ المدينة المنورة ـ وليست البصرة ـ هي معدن العلم ومدينته، كما قال الإمام أبو حنيفة ـ رحمه اللّه ـ لمن سأله عمن تلقى علمه فقال: كنت في معدن العلم ولزمت فقيهاً من فقهائهم. وهو يعني الإمام جعفر الصادق ـ رحمه اللّه ـ حيث لازمه عامين، وكان يقول: لولا السنتان لهلك النعمان» (۱).

فهل من المعقول أن يخرج الإمام زيد من معدن العلم وينبوعه ومدينته ليذهب إلى البصرة ليحصل على علم الفروع والأُصول حتى يتحلّى بالعلم كما قال الشهرستاني؟ إنّه لاَمر غريب وعجيب حقاً!! وهو مع ذلك قول مخالف لما أجمع عليه المؤرخون فقد قالوا إنّ واصل بن عطاء هو الذي أخذ العلم من معدن العلم ومدينته، ولازم أهل البيت النبوي الشريف الذي يعد من مشاهيره في عصره الإمام زيد بن علي. وأجمعوا على أنّ واصل بن عطاء كان مولى لآل محمد بن علي بن أبي طالب ــ عليهم السلام ــ أي آل محمد بن الحنفية ـ وأخذ العلم عن ابنه أبي هاشم عبد اللّه بن الحنفية. وأنّه بعد ۲۱ عاماً من عمره سافر إلى البصرة سنة ۱۰۱ هـ حيث التقى

فيها بالزاهد عمرو بن عبيد فزامله فى حلقة الحسن البصرى حتى حدث الخلاف بين واصل وأَستاذه الحسن البصرى فى تسمية مرتكب الكبيرة من المسلمين حيث قالت الخوارج هو كافر. وقالت المرجئة: هو مؤمن. فقال الحسن البصرى: هو منافق. فقال واصل: هو فاسق. والفسق منزلة بين المنزلتين: منزلة الكفر والنفاق. ومنزلة الاِيمان، وبعد أن رجع عمرو بن عبيد إلى قوله وفارقا حلقة الحسن، أطلق عليهما لاعتزالهما الحلقة (اسم المعتزلة) ثم صار________________

(۱) أبو زهرة: الاِمام الصادق ــ عليه السلام: ــ ۲۸.

(۱۶۱)

اسماً لمن تابعهم فى مسائل علم الكلام، بل لقد نصّ المحقّقون من المعتزلة والزيدية على أنّ مسألة المنزلة بين المنزلتين هذه قد أخذها واصل بن عطاء من أُستاذه أبى هاشم عبد اللّه ابن محمد بن الحنفية (۱).

وإذا كان لابد من نسبته إلى فرقة من الفرق فينسب إلى الفرقة (العدلية) والعدلية كلمة تطلق على كل من يقول بالعدل والتوحيد وينفى الجبر والتشبيه والتجسيم للّه، تعالى اللّه عن ذلك، ولهذا صحّ للقاضى عبد الجبار بن أحمد المتوفى ۴۱۵ هـ وللاِمام المهدى أحمد بن يحيى بن المرتضى، ان يجعلا من رجال الطبقة الاُولى للعدلية كلَّ الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ممن صرح بالعدل ونفى الجبر. وقد جعلا الاِمام زيد بن على وأبا هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية أُستاذ واصل من رجال الطبقة الثالثة وجعلا واصل بن عطا وعمرو بن عبيد من رجال الطبقة الرابعة.

وقد توهم البعض من المتأخرين أنّ الطبقات التى أشرت إليها هى طبقات المعتزلة والصحيح غيره. لاَنّ البحث فى طبقات القاضى وفى الملل والنحل للمهدى كان عن العدلية، وليس عن المعتزلة، ولفظه فى الملل والنحل (۲)مسألة (له) أى قالت المعتزلة: وأجمعت العدلية على أنّ للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً ... حتى قال: وقد رتب القاضى ـ أى عبد الجبار ـ طبقاتهم ونحن نشير إلى جملتها. ثم أشار فى المسألة التى تلتها إلى طبقاتهم.

فالإمام المهدى حكى عن المعتزلة روايتهم لما اجمعت عليه العدلية. ثم رتب طبقاتهم كما فعل القاضى عبد الجبار مستدلاً بأقوالهم فى العدل ونفى الجبر(۳________________).

(۱) شرح الاُصول الخمسة: ۱۳۷ ـ ۱۳۸.

(۲) البحر الزخار: ۱|۴۴ ـ ۴۵.

(۳) على بن عبد الكريم شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق: ۲۱.

(۱۶۲)

وبعد هذا البيان الضافى من العلمين، لا يبقى أى شك فى أنّه لم يكن لوليد البيت النبوى أية دراسة لدى واصل بن عطاء، وأقصى ما يمكن أن يقال: كانت بينهما مزاملة أو محادثة فى تطبيق أصل الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر، على الساحة الاِسلامية. ونضيف فى المقام أمرين:

۱ ـ أنّه لو تتلمذ زيد على واصل أو كان معتزلياً فى العقائد، لانعكست آراء أُستاذه فى الكتب الموروثة منه، مع أنّه ليس من تلك الاُصول فيها عين ولا أثر، غير التركيز على الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى استنتجه من الكتاب والسنّة واختمر به منذ شبابه إلى التحاقه بربه.

۲ ـ أنّ ابن المرتضى، جعل زيد بن على فى طبقاته مقدماً على طبقة واصل ابن عطاء (۱) ولو صحّ الزعم المعروف كان عليه أن يجعله متأخراً عنه، لكونه فى الاعتزال عيال عليه.

---

(۱) ابن المرتضى: المنية والاَمل: ۱۷و ۲۸، تحقيق سوسنة ديفلدفلزر، بيروت ۱۳۸۰هـ ـ ۱۹۶۱م؛ والقاضى عبد الجبار الهمذانى: فرق

وطبقات المعتزلة: ۳۲ و ۴۱، تحقيق الدكتور على سامى النشار وعصام الدين محمد على، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ۱۹۷۲م.

(۱۶۳)

الفصل الثامن هل كان زيد إماماً

الفصل الثامن هل كان زيـد إماماً فى الاُصول والعقائـد، والفروع والاَحكام؟ إنّ للمذهب الزيدى السائد حالياً فى اليمن وغيرها بعدين: بعـداً فقهياً ـ يُلحقه بالمـذاهب الفقهيـة المعروفة، وهذا ما يبحث عنه فى تاريخ الفقه وطبقات الفقهاء ـ وبُعداً عقائدياً، وهذا هو المسوّغ لطرحه فى كتب الملل والنحل، ولاشك أنّ المـذهب الزيـدى الـذى تبنّاه أئمـة الزيديـة طيلة قُرُون، من عهد أحمد بن عيسـى ابن زيد مؤلف الاَمالى (ت ۲۴۷ هـ) إلى عهود الاَقطاب الثلاثة كان يتمتع ببعدين متميزين العقيدة والفقه، وهؤلاء الاَقطاب عبارة عن:

۱ ـ الاِمام القاسم الرسّـى.

۲ ـ الاِمام الهادى يحيى بن الحسين.

۳ ـ الاِمام الناصر الاَطروش.

فكان عندهم الفقه والعقيدة ولكل ميزة وسمة، تضفى له صبغة خاصة فى مجاله إنّما الكلام فى المذهب الموروث عن نفس الاِمام أى زيد الثائر، فهل كان لمذهبه بعدان، فقهى وعقائدى؟ أو كان لمذهبه بعد واحد؟ أو لم يكن هذا ولا ذاك

(۱۶۴)

بل كان رجلاً ثورياً وإماماً للجهاد والنضال ومفسراً للقرآن، ومحدّثاً للسـنّة النبوية، ومفتياً فى ضوئهما أحياناً؟ وتظهر حقيقة الحال فيما يأتى ولنقدم البحث فى العقائد ثم نتبعه بالبحث فى الفقه.

إنّ ربيب البيت العلوى زيـداً الثائر قد تعلم الاُصول والعقائد، من أئمة أهل البيت وعلى رأسـهم والده الاِمام زين العابدين وأخيه الاِمام الباقر ـ عليهما السـلام ـ فكان القول بالتوحيـد ورفض التجسـيم والجهة، والعدل وتنزيهه سـبحانه عن كل سوء وشـين، والقول بعصـمة الاَنبيـاء ومصونيتهم عن الخطأ والزلـل، ونفى القـدر بمعنى السـالب للاختيار والحريـة والموجب للغويـة بعث الاَنبياء والرسل، إلى غير ذلك من الاُصول الرائجـة فى باب الاِمامـة والمعاد ـ كان القول بهذه الاُصول ـ أمراً واضـحاً لدى الهاشـميين والعلويين ورثها كابر عن كابر، فلو قال به زيد، فلا يجعله ذا منهج كلامى خاص.

إنّمـا الكلام فيمـا ينسب منـاسب إليه من الآراء حول سـائر الموضوعات، وسـيوافيك إنّها آراء الزيديـة، لاصـلة لها بزيـد، وأنّ ربطها ونسبتها إليه، خال عن الدليل.

قال الحاكم أبو سعد المحسَّن بن محمد بن كرامة الجشمى البيهقى (۴۱۳ ـ ۴۹۴هـ) فى كتابه جلاء الاَبصار :

وإذ قد بينا المذاهب المحدثة والبدع المولدة، بقى ما كان عليه النبى ــ صـلى الله عليه وآله وسلم ــ وأصحابه وعلماء أهل البيت، وهو القـول بتوحيـد اللّه، ونفى التشـبيه، والقول بعـدله، وبراءته من كـل سوء، والقول بعصـمة أنبيـائه، وصـدق مـا جـاءوا به على مـا نطق به الكتاب، ومشايـخ العـدل، أخـذوها من علماء أهل البيت. أخذها واصل بن عطاء عن محمد بن الحنفية وابنه أبى هاشم وكان مع ذلك من أصحاب النفس الزكية، وكان عمرو بن عبيد قد تأهب للخروج إلى زيد بن على ـ

(۱۶۵)

عليه السـلام ـ فورد الخبر بقتله. وكان مطر الوراق، وبشـير الرحال من أصـحاب إبراهيم بن عبد اللّه، وكان حَكَمُ المعتزلى من أصحاب عيسـى بن زيـد، والروايات بذلك من علماء أهل البيت ــ عليهم السـلام ــ ظاهرة، وكتب القاسم ويحيى والناصـر والمهدى ـ يعنى أبا عبد اللّه الداعى ـ وأحمد بن عيسى وغيرهـم من أئمتهم عليهم السلام مشحونة بذكر العدل والتوحيد.

وروى أنّ أبـا الخطاب وجماعـة دخلوا على زيـد بن على ــ عليهما السـلام ــ فسألوه عن مـذهبه، فقال: إنّى أبرأ، إلى اللّه من المشـبهة

الـذين شـبّهوا اللّه بخلقه، ومن المجبرة الـذين حملوا ذنوبهم على اللّه، ومن المرجئة الـذين طمَّعوا الفسّـاق فى عفو اللّه، ومن المـارقة الـذين كفّروا أمير المؤمنين، ومن الرافضـة الـذين كفّروا أبا بكر وعمر، وهـذا عين مذهب أهل العدل، وكان إمام هذه الطائفة بعد أمير المؤمنين والحسن والحسين ومحمد بن على (۱)وعلى بن الحسين، زيد بن على بن الحسين عليه السلام ورحمة اللّه وبركاته وجميع أولاد أمير المؤمنين، إلّا أنّ زيداً تقدمهم بالفضل والعلم والجهاد فى سبيل اللّه (۲).

هـذا مجمـل القضـاء فى الموضوع وقـد «شـهد شاهـد من أهلها» على ما ذكرنا غير أنّ البرهنـة على المختار، وأنّ ما نسب إلى زيـد من الآراء فإنّما هى أرآء الزيديـة، لا الإمام القائـد ولأجل ذلك، لانجـد أثراً من هـذه الآراء المعزوّة إليه فى الكتب الموروثـة منه. حتى لو وجدنا أنّ أئمة الزيدية لهجوا بها ـ كالقاسم الرسى ـ رأس القاسـمية (۱۷۰ـ۲۴۲هـ) والناصـر الأطروش ـ رأس الناصرية (۲۳۰ ـ ۳۰۴هـ) مؤسس المـذهب الزيدى فى بلاد الديلم والجبل، والإمام الهادى إلى الحقّ به رأس الهادوية فى اليمن (۲۴۵ ـ ۲۹۸هـ) لا يكون ذلك دليلًا على ثبوته من إمامهم، لأنّ________________

(۱) يريد محمدبن الحنفية بقرينة تقديمه على والد زيد: على بن الحسين ــ عليهما السلام.ــ

(۲) السياغى: الروض النضير: ۱|۹۹ ـ ۱۰۰.

(۱۶۶)

الأئمة المتأخرين عن زيد، اجتهدوا فى الأُصول والفروع فضـموا ما ورثوه من إمامهم إلى ما حصلوه بمساعيهم فيهما، فلا يسوغ لباحث أن ينسب شـيئاً إلى زيد، بحجة تواجده فى كتب هؤلاء الأئمة المتأخرين. وإن أردت التفصـيل فى الآراء المعزوّة إليه عن كثب فلاحظ ما يلى:

۱ ـ مرتكب الكبيرة :

كـانت الخوارج تصـفه بالكفر والشـرك. والمرجئـة بالإيمان، وكان الحسن البصـرى يصـفه بالنفاق، وذهب واصل إلى أنّه لا كافر ولا مؤمن بل فى منزله بين المنزلتين (۱) .

واسـتظهر الشيخ أبو زهرة أنّ زيداً يوافق المعتزلة فى هذا الرأى غير أنّه لا يراه مخلداً فى النار على خلاف المعتزلة واستظهره من كتاب أوائـل المقالات، مع أنّه نسبه إلى الزيديـة دون زيـد حيث قـال: وأجمعت المعتزلـة وكـثير من الخوارج والزيديـة على خلاـف ذلك وزعموا أنّ مرتكب الكبائر ممن ذكرناه فاسق ليس بمؤمن ولا مسلم (۲)ولا يصح القضاء الباب بهذا المقدار.

۲ ـ رأيه فى القدر :

لقـد استنبط أبو زهرة مما ذكره ابن المرتضـى فى المنيـة والأمل خصوصاً من الرسالـة التى كتبها ابن عباس إلى جبريـة أهل الشام، أنّ عقيدة زيد فى القدر، هو أنّه يجمع بين الإيمان بالقضاء والقدر، واعتبار الإنسان مختاراً فى طاعاته ومعاصيه، وأنّ معاصيه ليس قهراً عن اللّه تعالى، ولا غلبة عليه (۳________________).

(۱) لاحظ دليله حول هذا الأصل: الجزء الثالث: ۲۲۵.

(۲) الظاهر أن يقول ولا كافر لينطبق على عقيدة المعتزلة.

(۳) أبو زهرة: الإمام زيد: ۲۰۹.

(۱۶۷)

يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره إنّما هو عقيـدة كل آل البيت أخـذوه من مستقى الوحى وكلام الوصـى على ــ عليه السـلام ــ وقـد أوضـح الحال عنـدما سأله رجل عند منصـرفه من صـفين بما هو معروف (۱)وقـد اشـتهر عنهم: «لاـ جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» وزيد وغيره وجميع الشيعة أمام هذا الأصل سواسية.

۳ ـ رأيه فى البداء :

لقد كثر اللغط والجَلَبَة حول البداء فمن طاعن عليه بأنّ معنى قولهم بدا للّه، هو ظهور ما خفی عليه، وهو يستلزم جهله سبحانه بالمستقبل وتغيير إرادته المستلزمة لحدوث ذاته إلی غير ذلک من المضاعفات، ومن قائل بأنّ المقصود من بدا للّه، هو أنّه بدا للناس من اللّه والاِطلاق من باب المشاكلة، والنبی الاَكرم هو الاُسوة فی الاِطلاق فقد وصفه سبحانه بهذا فی كلامه ونقلها البخاری (۲)وإلاّ فأی مسلم واع يلهج بتجويز الجهل أو تغيير إرادته، فمن المأسوف عليه جداً أنّ الناقمين من الشيعة فی قولهم بالبداء تساهلوا فی بيان عقيدتهم وراجعوا فی تبيين مواقفهم إلی كتاب خصمائهم.

نعم ذكر الشيخ المفيد علی أنّ الاِمامية اتفقوا علی أنّ إطلاق لفظ البداء فی وصف اللّه تعالی وإن كان ذلک من جهة السمع دون القياس وأضاف: وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث علی خلاف الاِمامية(۳).

وما ذكره المفيد إنّما هو عقيدة الزيدية، لا الاِمام زيد، ولا ملازمة بين الرأيين والمخالف لو وقف علی مقصود الاِمامية من البداء لما خالفه وتلقاه أمراً صحيحاً، ولاَجل أنّ الشيخ أبا زهرة وقف علی مقاصدهم البداء بعد الاحتكاک بعلمائهم_______________

(۱) الرضی: نهج البلاغة: قصار الحكم برقم ۷۸.

(۲) البخاری: الصحيح: ۴|۱۷۱، باب حديث أبرص وأعمی وأقرع.

(۳) المفيد: أوائل المقالات: ۱۳|۵۳.

(۱۶۸)

وكتبهم صرح بما ذكرناه فلاحظ (۱).

۴ ـ الرجعة والمهدی:

ذهبت الاِمامية إلی القول بالرجعة وإنّ اللّه سبحانه يرد قوماً من الاَموات إلی الدنيا فی صورهم التی كانوا عليها فيعزّ منهم فريقاً، ويذلّ فريقاً وقد ذكرنا دليلهم من الكتاب والسنّة فی الجزء السادس من هذه الموسوعة فلاحظ، غير أنّ الشيخ المفيد ذكر مخالفة الزيدية لهذا الاَصل فی كلامه السابق، وجعله الشيخ أبا زهرة دليلاً علی كونه معتقد زيد والاَصل الذی نشأ عليه (۲).

والعجب أنّه عطف القول بالمهدی علی فكرة الرجعة ونسب إلی الاِمام الجليل نفی فكرة المهدی وقال: الاِمام زيد قد نفی فكرة المهدی المنتظر، فنفی معها فكرة الرجعة، لاَنّ الرجعة كما تصورها الاِمامية ومن قبلهم الكيسانية تقتضی وجود المهدی، وبما أنّ لا مهدی فی نظر الاِمام زيد، لاَنّ الاِمام يجب أن يكون غير مستور وأن يدعو لنفسه فلا يوجد إمام مكتوم ولا مغيب (۳).

إنّ ما ذكره الشيخ أبو زهرة زلة لاتستقال، فكيف يمكن أنّ يستدل علی عقيدة إنسان مثل زيد، بكلمة لم يثبت كونه قائلها، وعلی فرض كونه قائلها فإنّما قال بها فی ظروف خاصة، لا فی الاِمام الذی اتفقت الشرائع السماوية عليه، ولاسيما مسانيد السنّة وصحاحها.

أقول: لقد تواترت النصوص الصحيحة والاَخبار المروية من طريق أهل السنّة والشيعة الموَكدة علی إمامة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ والمشيرة صراحة إلی أنّ عددهم كعدد نقباء بنی إسرائيل، وأنّ آخر هوَلاء الاَئمة هو الذی يملاَ_______________

(۱) أبو زهرة: الاِمام زيد: ۲۱۲.

(۲) أبو زهرة: الاِمام زيد: ۲۱۲.

(۳) أبو زهرة: الاِمام زيد: ۲۱۲.

(۱۶۹)

الاَرض ـ فی عهده ـ عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجورا، وأنّ أحاديث الاِمام الثانی عشر الموسوم بالمهدی المنتظر قد رواها جملة من محدثی السنّة فی صحاحهم المختلفة كأمثال الترمذی (المتوفی عام ۲۹۷هـ) وأبی داود (المتوفی عام ۲۷۵هـ) وابن ماجة (المتوفی عام ۲۷۵هـ) وغيرهم، حيث أسندوا رواياتهم هذه إلی جملة من أهل بيت رسول اللّه ـ صلی الله عليه وآله وسلم ـ وصحابته، أمثال علی بن أبی طالب ـ عليه السلام ـ وعبد اللّه بن عباس، وعبد اللّه بن عمر، وأُم سلمة زوجة الرسول الاَكرم ـ صلی الله عليه وآله

وسلم، ــ وأبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة وغيرهم:

١ ـ روى الإمام أحمد فى مسنده عن رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم واحد لبعث اللّه رجلاً من أهل بيتى يملأها عدلاً كما ملئت جورا» (١) .

٢ ـ أخرج أبو داود عن عبد اللّه بن مسعود: أنّ رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال: «لا تنقضى الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئَ اسمه اسمى» (٢) .

٣ ـ أخرج أبو داود عن أُم سلمة ـ رضى اللّه عنها ـ قالت: سمعت رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يقول: «المهدى من عترتى من ولد فاطمة» (٣).

٤ ـ أخرج الترمذى عن ابن مسعود: أن رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال: «يلى رجل من أهل بيتى يواطئَ اسمه اسمى»(۴).

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التى بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه. يقول الدكتور عبد الباقى: إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الاَحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع_______________

(١) مسند أحمد: ١|٩٩ و ٣|١٧، ٧٠.

(٢) جامع الاَُصول: ١١|۴٨ برقم ٧٨١٠.

(٣) جامع الاَُصول: ١١|۴٨ برقم ٧٨١٢.

(۴) المصدر نفسه: برقم ٧٨١٠.

(١٧٠)

على تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح (١).

٥ ـ لا معجزة للاَئمة :

إذا كانت الإمامة رئاسة عامّة فى أُمور الدين والدنيا، وإمرة إلهية (لاشعبية) واستمراراً لوظائف النبوة كلّها، سوى تحمل الوحى الإلهى، ومحتاجاً إلى تنصيب النبى الاَكرم بأمر من اللّه سبحانه، فالتعرف على الإمام المنصوب، يتوقف على دليل يعرفه كالنبى الاَعظم، وهو أحد الاَُمور التالية:

١ ـ نص صريح متواتر لايدع شكاً للإنسان أنّه خليفة الرسول.

٢ ـ أو كرامة خارقة للعادة مقارنة لدعوى الإمامة والخلافة عن الرسول مورثة لليقين بصلته باللّه سبحانه.

٣ ـ أو وجود قرائن وشواهد تفيد القطع أنّه منصوب من اللّه سبحانه لهداية الاَُمّة.

نعم لو كانت الإمامة مقاماً شعبياً، تختاره الاَُمّة الإسلامية لقيادتها وتنظيم أمرها. فهو لا يحتاج إلى شىء من النص، والكرامة الخارقة للعادة، ولا إلى العلم المفاض من اللّه سبحانه.

وبما أنّ الإمامة عند الشيعة إنّما هى بالمعنى، الاَوّل، وهى عندهم من الاَُصول اشترطوا فيها: النص، والعلم بما تحتاج إليه الاَُمّة فى مجال الدين والقيادة، أو الكرامة الخارقة للعادة المورثة لليقين بكونه رجلاً إلهياً صادقاً فيما يدعى من الخلافة والإمامة. وهذا على خلاف ما يذهب إليه أهل السنّة فإنّها عندهم حكومة عرفية، وإمارة زمنية، يُنصب ويعزل بأمر الشعب وإرادته وعزله ونصبه. أو يُنصب بإرادة الحاكم السابق_______________.

(١) الدكتور عبد الباقى: بين يدى الساعة ١٢٣.

(١٧١)

غير أنّ أبا زهرة زعم أنّ الإمام زيد لا يرتضى شيئاً من هذا وذلك لاَنّه يرى أنّ الإمام من بنى فاطمة رجل ككل الناس ليس بمعصوم عن الخطأ وليس علمه فيضاً ولو إشراقاً، بل علمه بالدرس والبحث ويُخطئَ ويصيب كغيره من الناس ومادام كذلك فإنّه لا يحتاج إلى

خارق العادات (۱).

يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره إنّما هو عقيدة أئمة الزيدية الذين جاءوا إلى الساحة، شاهرين سيوفهم. فقاموا بالَامر فى اليمن وغيره ولولاه لما استقرت إمامتهم، ـ بعد كونهم أفراداً عاديين ـ وأمّا كونه معتقد زيد فلم يقم عليه دليل، مع كونه معتقداً بإمامة الاِمام على والسبطين وأبيه وأخيه ــ عليهم السلام ــ بالنص، وهو واضح لمن تتبع شوارد النصوص.

أضف إلى ذلك أنّ ظهور الكرامات على الَاولياء والَابرار مما جوّزه أكثر الفرق وإنّما خالف فيه المعتزلة بشبهة أنّه تبطل دلالة المعجزة على النبوة. لكن جوزه من المعتزلة ابن الَاخشيد، وأبو الحسين البصرى وكذا محقّقو الَاشعرية كالجوينى والغزالى وفخر الدين الرازى وغيرهم، وأمّا الزيدية فالمذكور فى كلام الشيخ المفيد، أنّهم يوافقون المعتزلة فى نفى صدورها لكن فى كلام المتأخرين منهم ما يدلّ على العكس، فقد نقل العلاّمة الشيخ فضل الزنجانى فى تعليقته على أوائل المقالات عن الاِمام أبى الحسين يحيى بن حمزة بن على الحسينى الذى كان من أفاضل الزيدية ومن القائمين بالَامر باليمن (۲)فى كتابه الكبير المسمّى بالشامل إلى ذهاب الزيدية إلى جواز ظهورها (۳).

وياحبذا راجع أبا زهرة الكتب الفلسفية كالاِشارات والشفاء للشيخ________________

(۱) أبو زهرة: الاِمام زيد: وكان عليه أن يلاحظ أوائل المقالات: ۴۱، ۴۲ كما لاحظ سائر الموارد.

(۲) ولد بصنعاء سنة ۶۶۹ وتوفّى عام ۷۴۷ وكانت مدّة خلافته ۵۱ سنة.

(۳) الزنجانى(۱۳۰۱ ـ ۱۳۶۰): تعليقة أوائل المقالات: ۴۱، طبعة تبريز.

(۱۷۲)

الرئيس (۱)، حتى يقف على أنّ صدور الكرامات من الَاولياء ليس أمراً معضلاً، بل الاُصول العقلية تؤيده والكتاب والسنّة يوافقانه.

۶ ـ الَامر بالمعروف والنهى عن المنكر :

إنّ الَامر بالمعروف والنهى عن المنكر، من الاُصول المسلّمة لدى المسلمين عامّة من غير فرق بين الفرق: المعتزلة والَاشاعرة والاِمامية. قال القاضى عبد الجبار: «لا خلاف بين الاُمّة فى وجوب الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر» (۲) .قال الشيخ المفيد: «إنّ الَامر بالمعروف والنهى عن المنكر باللسان فرض على الكفاية بشرط الحاجة إليه لقيام الحجّة على من لاعلم لديه إلاّ بذكره...» (۳).

وهو مشروط بشروط مذكورة فى كتب القوم، غير أنّ الشيخ أبا زهرة زعم أنّ الَاصل المذكور، لايجتمع مع القول بالتقية، وزعم أنّ أبا الشهداء وحفيده زيد الثائر أخذا بالَاصل الَاوّل، وأمّا أباه أعنى: على زين العابدين رأى من الحكمة ألاّ يخرج إلاّ مع العدد والقوة، ولَانّ تلك الحوادث (حوادث كربلاء) جعلته يشك فى وجود النصراء الَاقوياء فى اعتقادهم، فانصرف إلى العلم غير راض ولامطمئن للباطل.

ـ ثم قال: ـ ومن هنا تولد عند الشيعة مبدأ التقية وهى السكوت عن مقاومة الباطل من غير رضا به ـ إلى أن قال: ـ إنّ زيداً آمن بالَاصل الَاوّل وروى إنّه رخص فى التقية لكنه كان فى أوّل حياته وفى وقت انصرافه للدراسة كان يأخذ بمبدأ التقية، لكنّه بعد أن درس الفرق المختلفة والتقى بأهل العراق غلب الَامر بالمعروف والنهى عن المنكر (۴________________).

(۱) أبو على: الاِشارات: ۳|۴۹۷.

(۲) القاضى عبد الجبار: شرح الاُصول الخمسة: ۷۴۱.

(۳) المفيد: أوائل المقالات: ۹۸.

(۴) أبو زهرة: الاِمام زيد: ۲۱۵ ـ ۲۱۷.

(۱۷۳)

يلاحظ عليه: أنّ هذا أشبه بكلام من لا يعرف موضع الَاصلين ومركزهما (وأُجلّ الشيخ أبا زهرة من أن يكون من تلك الزمرة) ويزعم

أنّ بين الاَصلين مطاردة، وأنّ الزعيم الاِسلامى إمّا أن يختار الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو يلتجىء إلى التقية، وأنت إذا راجعت إلى ما أسلفناه فى الجزء الثالث حول الاَصل الاَوّل وفى الجزء السادس حول التقية لعرفت أنّ الاَصلين من الاَُصول الاِسلامية المتقنة ولكل موردٍ وموقف حسب شروطهما وضوابطهما، فلو أنّ أبا الشهداء وحفيده زيد بن على قاما بالاَمر وأمرا بالمعروف والنهى عن المنكر لاَجل ظروف فرضته عليهما، ولو كانت تلك الشروط مهيأة فى زمن ابنه زين العابدين وأخيه محمد بن الحنفية لقاما مثل ما قاما، فلو نرى أنّ الاَخيرين التزما البيت وصارا جليسيه فلظروف فُرضت عليهما، ولعمر الحقّ أنّ مثل هذا الكلام من شيخ المصريين غريب جداً إذ كيف يقول: «ومن هنا ـ أى قعود الاِمام السجاد ومحمد الحنفية عن الاَمر بالمعروف ـ تولد عند الشيعة مبدأ التقية؟! أو ما يذكر قول اللّه سبحانه": إلاّـ أن تَتَّقُوا مِنهُم تُقاة ("آل عمران ـ ٢٨) أو قوله سبحانه": مَن كَفَرَ بِـاللّه مِن بِعـدِ إيمانِهِ إلاّ مَنْ أُكرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالاِيمانِ ("النحل ـ ٢٨) .

أو ما قرأ كلمات المفسرين حولهما حتى عمّموا مفادهما إلى اتقاء المسلم من المسلم الظالم؟ والحقّ أنّ الشيخ أبا زهرة مع كونه كاتباً ذا صدر رحب وإطلاع وسيع وقلم سيّال، لكنه يخرج الظنون بصورة الاَُمور الواضحة القطعية ويضفى على حدسيّاته صبغة الجزم.

٧ ـ الصفات ليست غير الذات :

ذهبت العدلية ـ من غير فرق بين المعتزلة والاِمامية والزيدية ـ إلى أنّ صفات اللّه الذاتية كالعلم والقدرة والحياة غير ذاته مفهوماً، وعينها مصداقاً، دفعاً لوصمة التركيب، الملازم للاِمكان، المنزّه عنه سبحانه، قال الشيخ المفيد: «إنّ اللّه

(١٧٤)

عزّ وجلّ اسمه حى لنفسه لا بحياة وأنّه قادر لنفسه، وعالم لنفسه، لا بمعنى كما ذهب إليه المشبهة من أصحاب الصفات ـ إلى أن قال: ـ وهذا مذهب الاِمامية كافة والمعتزلة إلاّ من سميناه (أبا هاشم الجبائى) وجمهور الزيدية وجماعة من أصحاب الحديث والحكمة (١).

وقد تبع هوَلاء خطب الاِمام على ــ عليه السلام ــ وكلماته، فإنّه أوّل من شقّ هذا الطريق، وأوضح المنهج، وحكم بحكم بات على توحيد الصفات مع الذات. قال: «أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاِخلاص له، وكمال الاِخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه» (٢).

والعجب أنّ الشيخ أبا زهرة نسب عينية الصفات إلى زيد وصوّره أنّه من آرائه، والحقّ أنّه من أرائه، لكنه لابمعنى أنّه ذو منهج كلامى بل كل ما نسب إليه لا يخلو من أمرين: إمّا أنّه ليس من زيد وإنّما هو من أتباعه ومقتفى أثره، أو هو من زيد ولكنه أخذه من أئمة أهل البيت ــ عليهم السلام.ــ

فقد حصحص الحقّ وبان أنّ زيداً لم يكن مفكراً كلامياً غارقاً فى البحوث الكلامية نظير واصل بن عطاء، أو عمرو بن عبيد أو أبى جعفر موَمن الطاق وهشام بن الحكم، بل كان زيد رجلاً ثورياً له صلة بتفسير القرآن وجمع الروايات وعظة الناس وهدايتهم إلى الطريق المهيع.

ثم إنّ الشيخ أبا زهرة استخرج عقائده الكلامية ـ حسب ما عرفت ـ من

(١) المفيد: أوائل المقالات: ١٨.

(٢) الرضى: نهج البلاغة: الخطبة ١.

(١٧٥)

أسباب عقيمة غير منتجة وبما أنّه أشار إليها فى آخر كلامه نأتى بنصه، ثم بملاحظتنا، يقول:

«حاولت استخراج عقائده الكلامية من الاَُمور التالية:

۱ ـ أن يكون ذلك رأياً لواصل بن عطاء الـذى صاحبه، وقدّر علماء النحل أنّه اختار منهاجه وطريقه، أو كان كلاهما على منهاج واحد ورأى واحـد، فـاعتبر كل كلام لواصل فى هـذه المسائل آراء للإمام زيـد إلاّ ما ثبت أنّه لم يقله، أو لم يكن من المعقول أن يكون قد قاله، كقول واصل: إنّ علياً فى قتال معاوية لم يكن على حقّ بيقين، فليس ذلك نظر أهل البيت بالاتفاق.

۲ ـ إنّ ما ينسب إلى الزيدية من أقوال ونراه فى ذاته معقولاً وقريباً من منطق الإمام زيد وتفكيره فإنّا نقرر أنّه رأى زيد ـ رضـى اللّه عنه ـ لاَنّ الزيدية إذا استثنينا الجارودية منهم، يتلاقون فى أكثر آرائهم مع الإمام زيد، فهم له فى الجملة متبعون.

۳ ـ إنّ مـا يقوله بعض المتصـلين به أو الـذين ثبت اتصالهم به نعتبره إذا اتفق ما يقوله الزيديـة أو ينسب مزكياً لنسبة تلك الاَقوال إليه (۱).

يلاحـظ عليه: أنّ القياس الاَوّل عقيم جـداً إذ لا نعلم مـدى تعاطف زيـد مع واصل وزمالته معه، حتى نتخـذ عقيـدة الجليس دليلاً على عقيدة الجليس الآخر.

وأضـعف منه الطريق الثـانى فإنّ الزيديـة كسائر الفرق، مارسوا علم الكلام وحضـروا محافل البحث والنقاش ثم أتّخـذوا موقفاً فى كل مسألة، وكيف يمكن أن ينسب وليد فكر هوَلاء لزيد المحدِّث المفسِّر غير المهتّم إلا بإنهاض المسلمين ضد الطغاة وإزالتهم عن منصّة الحكم واستغلال الصلحاء بالحكم؟!.

ومنه يظهر حال الطريق الثالث فلا نطيل الكلام________________.

(۱) أبو زهرة: الإمام زيد: ۲۲۲ ـ ۲۲۴.

(۱۷۶)

كل ما ذكرنا يرجع إلى زيـد، وأمّا الزيديـة فلهم عنـدنا حساب خاص سوف نرجع إلى إرائهم وعقائـدهم فى مجال الاُصول والفقه فى فصل مستقل.

زلة بعدها زلة :

قـد عرفت مـدى صـحّة كلاـم الشـيخ أبو زهرة فى نسبه هـذه الآراء إلى زيـد وقـد تبعه من جاء بعـده، من دون ترو وتحقيق، فنرى أنّ الـدكتور «أحمـد محمود صبحى» يتبعه عشوائيـاً وينسب تلـك الآـراء إلى زيـد حرفاً بحرف، فنسب إليه إنكار القول بالبـداء، والتقيـة، والعصـمة، والعلم اللـدنى، والمهدويـة، وذكر أنّ آراء زيـد فى ذلك المجال متعارضة وآراء الإمامية وذكر أنّ مصدر كلامه هو كتاب «نشأة الفكر الفلسـفى فى الإسـلام» للدكتور على سامى النشار، وأظن أنّه ذكره بعنوان أحد المصادر، وإلاّ فالمصدر الواقعى لكلامه هو كتاب أبى زهرة ووحدة الصـياغة تعرب عن عيلولتهما على الشـيخ وعلى كل تقدير فقد خبطوا خبطة عشواء وبذلك أفسدوا الاَمر على المجتمع الإسـلامى وصوروا أنّ الإمـام زيـد كـان يخـالف الرأى العام لسائر الاَئمـة الاثنى عشـر، ولعله كان هـذا هو المقصـد من إلقاء الحجر فى الماء الراكد. وإيجاد الفرقة أو توسيعها بين الطائفتين.

* * *

قـد أسـفر وجه الحقيقـة وبـان أنّ زيـداً كان علوىّ المبـدأ والفكرة، ولم يكن له فى الاُصول والعقائـد سوى ما عنـد العترة الطاهرة بقى الكلام من كونه صاحب مذهب فقهى خاص، على أساس منهج معين وهذا هو الذى نأخذه بالبحث.

(۱۷۷)

هل كان لزيد مذهب فقهى خاص ؟

هل كان لزيد مذهب فقهى خاص كسائر المذاهب الفقهية الذائعة فى عصره وبعده؟

وهل كان لزيد منهاج خاص يسير عليه فى استنباطه وافتائه؟

وهل الاَئمـة الزيديـة ـ وأخص بالـذكر أئمة الاجتهاد منهم ـ مشوا على ضوء آرائه ولم يخالفوه، والفقه الزيدى الموجود، تبسـيط لفقهه

ورأيه؟

هذه موضوعات ثلاثة جديرة بالبحث والدراسة على ضوء ما ورثناه من زيد من الكتب، والفقه الزيدى الرائج اليوم.

فلنشرح الموضوع الاَوّل فنقول:

كان زيد رجلًا عابداً زاهداً، حليف القرآن والعبادة، وتعلّم ما تعلم فى أحضان والده وأخيه الاِمام الباقر ـ عليه السلام ـ وروى عن عدّة من التابعين، ولم يكن موطنه يوم ذاك، مهداً لمذهب فقهى خاص يتميز بسماته عن المذاهب الاُخر حتى يكون الاِمام أحدهم، ويكون له مذهب متمايز عن الآخرين، وأقصى ما كان يتمتع به التابعون والراوون عنهم، هو الاِفتاء فى ضوء الروايات الواصلة إليهم، وتجريدها عن الاسناد، أو استثمار الضوابط التى تلقوها عن الرسول الاَعظم واستخراج أحكام الجزئيات منها أو التخريج على أقوال الصحابة وغيره، وأين هذا من كونه إمام مذهب خاص له سمات ومميزات، تميزه عن سائر المذاهب الفقهية، كما هو الحال فى المذاهب المعروفة ولاسيما المذاهب الاَربعة؟ هذا حال زيد فى موطنه، وأمّا حاله فى غيره، فقد غادر المدينة كراراً، ونزل الشام والكوفة، إمّا بالجبر والاضطرار، أو بالحرية والاختيار، ولم تكن الغاية له فى تلك الرحلات إلّا إجابة الجبر، أو دعم المبدأ وإنهاض المسلمين ضد الاَمويين وبالتالى، دعم الجهاد

(۱۷۸)

والنضال المسلح، وأين هذا من الاختلاف فى أندية الدروس، ومحافل البحث والدراسة، لاستثمار ما تلقاه وصبغه بصبغة خاصة تعطى له سمة وميزة؟!

وهذا ما يعطيه الاِمعان فى حياته، والغور فى الآثار الباقية منه وأقصى ما يمكن أن يقال: إنّه كان يفتى عند السوَال، بمضمون الرواية، أو ببسط الضوابط الكلية.

وبذلك يعلم حال السوَال الثانى، فإنّ المراد من المنهاج الخاص، هو القواعد الكلية الاُصولية التى منها يستمد الفقه، وبها ينصبغ، فالفقه المستمد من القياس والاستحسان غير الفقه المستنبط من الكتاب والسنّة والوقوف فيما لا نص فيه، ومن المعلوم أنّه لم يكن لزيد ذلك المنهاج ولو كان لبان فى آثاره العلمية، أو نقله طلابه وملازموه كما هو الحال فى أبى حنيفة، فقد انعكست آراوَه على فقه تلاميذه كالشيبانى وأبى يوسف وغيرهما.

وأمّا الموضوع الثالث فالاِجابة عنه سهلة، بعد الوقوف على اعتبار الاجتهاد المطلق عند الزيدية فقد فتحوا ـ كالاِمامية ـ بابَ الاجتهاد المطلق فى الفروع والاُصول فخالفوا زيداً فى قسم من الفروع، وركنوا إلى اُصول لم يعلم الركون به من إمامهم.

وإن شئت قلت: هناك فرق بين اجتهاد الاَحناف، والشوافع واجتهاد أئمة الزيدية فالطائفة الاُولى كانوا مجتهدين لكن مقيدين بأُصول إمامهم ومناهجه. وكانوا يبذلون مساعيهم لاستكشاف آراء إمامهم فى ضوء الاُصول الواصلة إليهم منه. وأمّا أئمة الزيدية، فلاَجل فتح باب الاجتهاد المطلق صاروا مجتهدين مستقلين ربما وافقوا إمامهم، وأحياناً خالفوه ولذلك ترى بعداً شاسعاً بين المجموع الفقهى المنقول عن الاِمام زيد وكتاب الاَحكام للاِمام الهادى المطبوع المنتشر فى جزئين، ومثله الروض النضير فالموَلف وإن كان زيدياً، لكن كتابه هذا،

(۱۷۹)

أُلّف على ضوء الاجتهاد المطلق، فيستهدى من روايات الصحاح والمسانيد والقواعد الدارجة بين المذاهب الاَربعة التى رفضها أئمة أهل البيت أوّلاً ولم يثبت حجيتها عند الاِمام زيد ثانياً.

يقول أبو زهرة: « ويجب أن يعلم أنّ الفقه الزيدى ليس كله فقه الاِمام زيد، بل هو فقه طائفة كبيرة من آل البيت كالهادى والناصر وغيرهم ممن جاءوا بعده وخصوصاً أنّ باب الاجتهاد فيه كان مفتوحاً لم يغلق (۱).

ويقول فى موضع آخر فى سبب انتشار المذهب الزيدى وأنّ من أسبابه: «فتح باب الاختيار من المذاهب الاُخرى فقد صار هذا

المذهب بهذا الاختيار حديقة غنّاء تلتقى فيها أشكال الفقه الإسلامى المختلفة، وأغراسه المتبائنة وجناه المختلف الألوان والطعوم، وإن كان ذلك نتيجة لفتح باب الاجتهاد فيه، فقد اختاروا باجتهادهم من المذاهب الأُخرى ما يتفق مع منطق المذهب أو أُصوله، وأُصوله متحدة أو على الأقل متقاربة مع جملة الأُصول التى قررها فقهاء المسلمين» (۲) .

والحقيقة هى: أنّ المذهب الفقهى المعروف بالمذهب الزيدى فى اليمن، نسبةً إلى الإمام زيد أو المذهب الهادوى كما يروق للبعض اليوم أن يسميه وينسبه إلى الإمام الهادى يحيى بن الحسين ولا فارق بين الإمامين إلاّ فى مسائل يسيرة جداً، نتيجة الاجتهاد المفتوح بابه فى المذهب الزيدى حتى اليوم وإلى الأبد إن شاء اللّه ـ هذا المذهب لم يكن مذهب إمام معين، ولكنّه خلاصة أبحاث عميقة، ودراسات واسعة مختلفة فى كل مجالات الفقه الإسلامى العظيم، وجهود مضنية استمرت فى البحث والتنقيب والتصفية أكثر من سبعة قرون، وقام بتلك الأبحاث_______________

(۱) أبو زهرة: الإمام زيد: ۳۳۱.

(۲) أبو زهرة: الإمام زيد: ۴۸۸.

(۱۸۰)

والدراسات أئمة أعلام من أهل البيت النبوى الشريف ومن تابعهم من الفقهاء المجتهدين، معتمدين فى كل ذلك على المحكم من كتاب اللّه، والصحيح من سنّة رسول اللّه، وعلى القياس، والإجماع، وأحياناً على الاستصحاب، والاستحسان، والمناسب المرسل ـ المصالح المرسلة ـ وهى التى تتفق مع المقاصد الشرعية فيما لا يوجد له نص فى الكتاب أو السنّة إثباتاً أو نفياً كما سيأتى فى موضعه إن شاء اللّه. وبسبب ذلك تصارع الأئمة وأتباعهم أزماناً عديدة مع دسائس الملحدين وأفكار المندسين، كما تعاركوا مع جبابرة الأهواء السياسية والأحقاد العنصرية، جاعلين الاخلاص رائدهم، والحقّ مقصدهم، ورضوان اللّه غايتهم (۱) .

ولعل حقيقة الحال تعلم من دراسة ما بقى منه من الآثار وأخص بالذكر ما طبعت وانتشرت منها فإنها مرآة ضمير الرجل، والمرء بآرائه وأفكاره_______________.

(۱) على بن عبد الكريم: الزيدية نظرية وتطبيق: ۱۴.

الفصل التاسع هل دعا إلى نفسه

الفصل التاسع هل دعا إلى نفسه أو دعا إلى الرضا من العترة

إنّ هناك فرقاً واضحاً بين إمام الثورة والجهاد ـ الذى يقابل الظالمين والغاصبين بالطرد والقتل، ويُعبِّدَ الطريق لصلحاء الأُمّة فى المستقبل حتى يتفكروا فى أمرهم بعد قمع الظالمين ـ والإمام الذى فرضتْ طاعته من قَبل إمّا بتنصيص من اللّه ورسوله أو بإتفاق من أهل الحل والعقد أو ما أشبه ذلك. وزيد الثائر لم يكن من قبيل الثانى، وإنّما كان إمام الثورة والجهاد. قام بأخذ الثأر والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وإقامة العدل، وإزاحة الظلم وتدمير عرش الأمويين، فهو بهذا المعنى كان إماماً لا شك فيه، وقد أطبقت الزيدية والإمامية على كونه إماماً بهذا المعنى ومن نسب غير ذلك إلى الإمامية فهو باهت كاذب إنّما الكلام فى كونه الإمام المنصوص عليه بلسان النبى الأكرم وأوصيائه فلم يكن زيد إماماً بهذا المعنى ولا إماماً مختاراً من قبل الأُمّة ولا ادّعاه هو ولا أحد من أتباعه ومقتفيه، والذى يوضح ذلك ما نص عليه الشيخ المفيد وهو من متكلمى الشيعة فى القرن الرابع. روى تلميذه المرتضى:

قال: حضر المفيد مسجد الكوفة، فاجتمع إليه أكثر من خمسمائة فقال له

(۱۸۲)

رجل من الزيدية ـ أراد الفتنةـ بأى شىء استجزت إنكار إمامة زيد؟ فقال: ظننت علىّ باطلاً وقولى فى زيد لا يخالفنى فيه أحد من الزيدية. فقال: وما مذهبك فيه؟ قال: إنّى أُثبت من إمامة زيد ما تثبته، وأُنفى ما تنفيه وأقول كان إماماً فى العلم والزهد والأمر

بالمعروف والنهى عن المنكر وأنفى عنه الإمامة الموجبة لصاحبها العصمة والنصَّ والمعجزة، وهذا ما لا يخالفنى عليه أحد من الزيدية، فلم يتمالك من حضر من الزيدية أن شكروه ودعوا له وبطلت حيلة الرجل (١).

ولعل الجوّ السائد على مجلس المناظرة ـ كما يظهر من كلام تلميذه الجليل السيد المرتضى ـ لم يسمح للشيخ المفيد، أن ينفى حتى الشق الثانى وهو كونه إماماً مفترضة طاعته باختيار الاُمّة.

نعم تضافرت الروايات على بيعة جماعة كثيرة معه لكن متعلق البيعة، هو الجهاد والنضال، وكونه أميره ورائده لا على الإمامة بعد النجاح واكتساح الاَشواك.

نعم أنّ الطائفة الزيدية المتشكلة بعد رحيل الإمام الثائر زعموا أنّه ادّعى الإمامة لنفسه وكان الجهاد، لرفع الموانع عن طريق إمامته وحاكميته وقد اغترّوا بظواهر الاَمر، ولم يتدبروا فى القرائن الحافة به.

وبذلك الزعم ـ صارت الإمامة عند الإمامية غيرها عند الزيدية وذلك:

إنّ مفهوم الإمامة لدى الشيعة الإمامية غيرها لدى الزيدية، فالطائفة الاُولى تشترط فى الإمام النص والعصمة والمعجزة وكونه أعلم الاَمّة وأفضلها سواء أقام بالسيف أم لا ـ وإنّما يتبع فى القيام والجهاد مصالح الاَمّة الإسلامية فهى بين ما يفرض عليه القيام والجهاد أو يفرض عليه إرشاد الاُمّة عن طريق آخر.

(١) المرتضى: الفصول المختارة: ٢٧٧.

(١٨٣)

وهذا بخلاف الإمامة لدى الزيدية فلايشترط فيها ما ذكرنا، قال الشيخ المفيد: الإمامة عَلَم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها فى كل زمان، وأوجب النصَّ الجلى والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة فى ولد الحسين بن على ـ عليهما السلام ـ وساقها إلى الرضا على بن موسى الرضا.

وأمّا الزيدية فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، والحسن والحسين وزيد بن على ـ عليهم السلام، ـ وبإمامة كل فاطمى دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة، ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد (١) .

وقال ابن المرتضى: «فالزيدية منسوبة إلى زيد بن على ـ عليه السلام ـ يجمع مذهبهم تفضيل على ـ عليه السلام ـ وأولويته بالإمامة وقصرها فى البطنين، واستحقاقها بالفضل والطلب لا بالوراثة ووجوب الخروج على الجائرين (٢).

والذى يعرب عن موقفه فى الإمامة ما جاء فى خطبه وفيها هذه الجمل التالية:

كلمات لزيد تعرب عن موقفه:

١ ـ الحمد للّه الذى أكمل لى دينى بعد أن كنتُ استحيى من رسول اللّه أن أرِدَ عليه ولم آمر أُمّته بمعروف ولم أنه عن منكر(٣)

٢ ـ واعلموا أنّه ماترك قوم الجهادَ قط إلاّ حُقِّروا وذلّوا(۴)

(١) المفيد: أوائل المقالات: ٨.

(٢) ابن المرتضى: البحر الزخار: ١|٤٠ وسيوافيك تفصيل عقيدتهم فى الإمامة فانتظر.

(٣) السياغى: الروض النضير: ١|١٠٢.

(۴) المصدر نفسه.

(١٨۴)

٣ ـ أيّها الناس أعينونى على أنباط الشام فواللّه لايعيننى عليهم منكم أحد إلاّ رجوت أن يأتينى يوم القيامة آمنا... (١).

ولاَجل ذلك تضافرت الروايات من طرقنا على أنّ زيداً ما دعا إلى نفسه وإنّما دعا إلى الرضا من آل محمّد، وأنّه لو ظفر لوفى، ومعنى هذه الروايات أنّه كان يمهّد الطريق لولاية الإمام المنصوص عليه فى لسان النبى والاَئمة الصادقين، وإليك بعض النصوص:

۱ ـ قال الصادق ــ عليه السلام: ــ إنّ زيداً كان مؤمناً وكان عارفاً وكان صدوقاً أما إنّه لو ظفر لوفى، أما إنّه لو ملك عرف كيف يضعها(۲).

۲ ـ وقال ــ عليه السلام: ــ إنّ زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمّد، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه، وإنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه (۳).

۳ ـ وقال الإمام الرضا ــ عليه السلام ــ فی جواب سؤال المأمون عن ادّعاء زيد ما لم يكن له بحق:

إنّ زيد بن علی لم يدعُ ما ليس له بحقّ، وإنّه كان أتقى للّه من ذلك أنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمّد، وإنّما جاء فيمن يدعى أنّ اللّه نصَّ عليه ثم يدعو إلى غير دين اللّه ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد بن علی واللّه ممن خوطب بهذه الآية! "وَجَاهِدُوا فِی اللّهِ حقّ جِهادِه ("۴).

إنّ الإمام الرضا ــ عليه السلام ــ نصَّ على موقف زيد من الإمامة وهو أنّه كان________________

(۱) المصدر نفسه: ۱|۱۲۷ ـ ۱۲۸، والأنباط: أخلاط الناس وعوامهم.

(۲) الكلينی: الكافی: الروضة الحديث ۳۸۱.

(۳) الكشی: الرجال: ترجمة السيد إسماعيل الحميری: برقم ۱۴۴ ص ۲۴۲.

(۴) عيون أخبار الرضا، الباب ۲۵، ص ۲۴۹. وسيوافيك تفصيل المذاكرة بينهما ص ۱۹۹ فلاحظ.

(۱۸۵)

إمام الجهاد وقد جسّد قوله سبحانه: «وجاهدوا فی اللّه حقّ جهاده» (۱)وأين هو من الإمامة المنصوص عليها من جانب اللّه بلسان نبيه وأوصيائه السابقين أو الإمام المختار من جانب الاُمّة. ولو كان زيد يتظاهر بالإمامة فإنّما كان لغاية كسح الأشواك عن طريقها ثم تسليم الأمر إلى الإمام المنصوص.

إنّ هناك نكتة اجتماعية وهی أنّ زيداً قام موطّناً نفسه على الشهادة، ومستميتاً متيقناً بأنّه سوف يقتل ويستشهد، وقد سمع من أبيه وأخيه وابن أخيه أنّه سوف يقتل ويصلب فی الكناسة، وأنّه لم يكن شاكاً ولامتردداً فی هذا الأمر ومن كان هذا مآله ومستقبله فهل يمكن أن يدّعی الإمامة بالمعنى المعروف بين المتكلمين أی قيادة الاُمّة فی جوانب شتى إلى الصلاح والفلاح، فإنّ القيام بهذا الواجب فرع الحياة وهو كان على الطرف الخلاف من هذا، فلم يبق إلاّ أن يكون أميراً فی الجهاد قائداً فی النضال، وإن قصرت حياته، وقلّ بقاؤه.

اعترافه بإمامة الإمام الصادق ــ عليه السلام :ــ

۱ ـ إنّ زيداً كان معترفاً بإمامة ابن أخيه جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ بلا كلام، وكان يقول: من أراد الجهاد فإلیّ، ومن أراد العلم فإلى ابن أخی جعفر (۲).

۲ ـ روى الصدوق فی الأمالی: عن عمرو بن خالد: قال زيد بن علی بن الحسين بن علی بن أبی طالب: فی كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج اللّه به على خلقه، حجّة زماننا ابن أخی جعفر بن محمد لا يضل من تبعه ولا يهتدی من خالفه(۳________________).

(۱) سيأتی نصّ الإمام: فی ص ۱۹۹ ـ ۲۰۰ فی ضمن الرواية الثالثة عشرة.

(۲) الخزاز القمی: كفاية الأثر: ص ۳۰۲.

(۳) الصدوق: الأمالی: ۵۴۲ بحار الأنوار: ۴۶|۱۷۳.

(۱۸۶)

۳ ـ روى الكشی عن عمار الساباطی، قال: كان سليمان بن خالد خرج مع زيد بن علی، قال: فقال له رجل ونحن وقوف فی ناحية وزيد واقف فی ناحية: ماتقول فی زيد أهو خير من جعفر؟ قال سليمان: قلت واللّه ليوم من جعفر خير من زيد أيام الدنيا، فحرّك رأسه وأتى

زیداً وقصّ علیه القصة فمضیت فانتهیت إلی زید وهو یقول: جعفر إمامنا فی الحلال والحرام (١).

۴ ـ إنّ یحیی بن زیـد سأل أباه عن الأئمة، فقال: الأئمة اثنا عشـر، أربعة من الماضـین وثمانیة من الباقین فقلت: فسـمّهم یا أبة. فقال: أمّا المـاضون فعلی بن أبی طالب والحسن والحسـین، وعلی بن الحسـین، ومن الباقین أخی الباقر وبعـده جعفر الصادق ابنه، وبعـده موسـی ابنه، وبعده علی ابنه، وبعده محمد ابنه، وبعده علی ابنه، وبعده الحسن ابنه، وبعده المهدی ابنه، فقلت له یا أبة: ألست منهم؟ قال: لا، ولکنّی من العترة، فقلت: فمن أین عرفت أسامیهم؟ قال: عهد معهود عهده إلینا رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم(ــ ٢)

۵ ـ روی محمـد بن مسـلم: دخلت علی زیـد بن علی وقلت: إنّ قوماً یزعمون أنّک صاحب هـذا الاَمر، قال: لا ولکنّی من العترة، قلت: فلمن یکون هذا الاَمر بعدکم؟ قال: سبعة من الخلفاء المهدی منهم.

قال محمـد بن مسـلم: دخلت علی الباقر محمـد بن علی ــ علیهما السـلام، ــ فأخبرته بـذلک فقال: صـدق أخی زیـد، سبیل هذا الاَمر بعدی سبعة من الاَوصیاء والمهدی منهم، ثم بکی ــ علیه السلام ــ وقال: وکأنّی به وقد صُلِب فی الکناسة. یابن مسلم حدّثنی أبی عن أبیه الحسین: قال: وضع رسول اللّه یده علی کتفی، قال________________:

(١) الکشی: الرجال: ترجمة سلیمان بن خالد برقم: ٢٠۵ ص٣٠٨.

(٢) الخزاز: کفایـة الاَثر: ٣٠٠ وسـیوافیک تذییل الخزاز بعد هذا الحدیث، وروایاتها مسانید، لا مراسـیل اقتصـرنا علی نقل المتون روماً للاختصار.

یاحسین یخرج من صلبک رجل یقال له زید، یُقتل مظلوماً إذا کان یوم القیامة حشر أصحابه إلی الجنة (١).

۶ ـ روی الخزاز عن عبـد العلاء ... قلت: فـأنت صـاحب الاَـمر؟ قـال: لاـ ولکنّی من العترة، قلت: فإلی من تأمرنا؟ قال: علیک بصاحب الشعر وأشار إلی الصادق ـ علیه السلام ـ (٢).

٧ ـ روی الخزاز قال: عن المتوکل بن هارون قال: لقیت یحیی بن زیـد بعد قتل أبیه وهو متوجه إلی خراسان، فما رأیت رجلاً فی عقله وفضـله، فسألته عن أبیه ــ علیه السـلام ــ فقال: إنّه قتل وصـلب بالکناسـة ثم بکی وبکیت حتی غشـی علیه. فلما سـکن قلت له: یا ابن رسول اللّه وما الذی أخرجه إلی قتال هذا الطاغی وقد علم من أهل الکوفة ما علم؟ فقال: نعم لقد سألته عن ذلک فقال: سـمعت أبی ـ علیه السـلام ـ یحدّث عن أبیه الحسین بن علی ــ علیهما السلام ــ قال: وضع رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ یده علی صلبی فقال: یاحسـین یخرج من صـلبک رجل یقال له: زید یقتل شهیداً إذا کان یوم القیامة یتخطّی هو وأصحابه رقاب الناس ویدخل الجنّة، فأحببت أن أکون کما وصفنی رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم.ــ

ثم قال: رحم اللّه أبی زیـداً، کان واللّه أحـد المتعبّـدین، قائم لیله، صائم نهاره یجاهـد فی سبیل اللّه عزّ وجلّ حقّ جهاده. فقلت: یا ابن رسول اللّه هکـذا یکون الاِمام بهـذه الصـفة. فقال: یا أبا عبـد اللّه إنّ أبی لم یکن بإمام ولکن کان من سادات الکرام وزهادهم، وکان من المجاهدین فی سبیل اللّه، وقد جاء عن رسول اللّه ــ صـلی الله علیه وآله وسلم ــ فیمن ادّعی الاِمامة کاذباً، فقال: مه یا أبا عبد اللّه إنّ أبی ـ علیه السلام ـ کان أعقل من أن یدّعی ما لیس له بحقّ وإنّما قال: «أدعوکم إلی الرضا________________

(١) الخزاز: کفایة الاَثر: ٣٠۶.

(٢) الخزاز: کفایة الاَثر: ٣٠٧.

من آل محمد» عنی بذلک عمّی جعفر. قلت: فهو الیوم صاحب هذا الاَمر؟ قال: نعم هو أفقه بنی هاشم.

ثم قال: یا أبا عبد اللّه إنّی أُخبرک عن أبی ــ علیه السـلام ــ وزهده وعبادته، إنّه کان یصلّـی فی نهاره ما شاء اللّه، فإذا جنّ علیه اللیل نام نومـة خفیفـة، ثم یقوم فیصـلّـی فی جوف اللیل ما شاء اللّه، ثم یقوم قائماً علی قـدمیه یـدعو اللّه تبارک وتعالی ویتضـرّع له ویبکی

بـدموع جاريـة حتى يطلع الفجر. فـإذا طلع الفجر سـجد سـجدة. ثم يقوم يصـلى الغـداة إذا وضـح الفجر، فإذا فرغ من صـلاته قعـد فى التعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثم يقوم فى حاجته ساعـة، فإذا قرب الزوال قعـد فى مصـلاه فسـبح اللّه تعالى ومجّده إلى وقت الصـلاة، فإذا حان وقت الصلاة قام فصلى الاُولى وجلس هنيئة وصلى العصر وقعد تعقيبه ساعة، ثم سجد سجدة فإذا غابت الشمس صلى العشاء والعتمـة. قلت: كان يصوم دهره؟ قال: لا ولكنه كان يصوم فى السـنة ثلاثة أشـهر ويصوم فى الشـهر ثلاثة أيام. قلت: فكان يفتى الناس فى معالم دينهم؟ قال: ما أذكر ذلك عنه. ثم أخرج إلىّ صحيفة كاملة فيها أدعية على بن الحسين ـ عليهما السلام (ـ ١)

٨ ـ روى الخزاز فى حـديث طويـل عن محمـد بن بكير قـال: دخلت على زيـد بن على وعنـده صالـح بن بشر فسـلمت عليه وهو يريد الخروج إلى العراق فقلت له: يـا بن رسول اللّه... هل عهـد إليكم رسول اللّه ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ متى يقوم قائمكم؟ قال: يا ابن بكير إنّك لن تلحقه، وإنّ هـذا الاَمر تليه سـتة من الاَوصـياء بعـد هذا ثم يجعل اللّه خروج قائمنا، فيملاَها قسـطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلما، فقلت: يا ابن رسول اللّه ألست صاحب هـذا الاَمر؟ فقال: أنا من العترة، فعـدت فعاد إلىّ فقلت: هـذا الذى تقول، عنك أو عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ـ فقال: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، لا ولكن عهد عهده إلينا رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ ثم أنشأ يقول______________:

(١) الخزاز: كفاية الاَثر: ٣٠٣.

(١٨٩)

نحن سادات قريش * وقوام الحقّ فينا

نحن أنوار التى من * قبل كون الخلق كنّا

نحن منّا المصطفى المختار * والمهدى منّا

فبنا قد عرف اللّه * وبالحق أقمنا

سوف يصـلاه سـعيراً من * تولى اليوم عنّا (١) ٩ ـ روى ابن شـهر آشوب قـال: ونسب إلى زيـد أنّه رثـا الباقر ـ عليه السـلام ـ بهـذه الاَبيات:

ثوى باقر العلم فى ملحد * إمامُ الورى طيب المولد

فمن لى سوى جعفر بعده * إمام الورى الاَوحد الاَمجد

أيا جعفر الخير أنت الاِمام * وأنت المرجى لبلوى غد (٢)

نصوص الاِمامية فى تفسير خروجه:

نعم تفرقت الشيعة بعـد استشهاده إلى فرقتين فرقة تقتفى زيد بن على وتراه إماماً وفرقة اُخرى تقتفى الاِمام الصادق ـ عليه السـلام ـ وكان بينهما نقاشات وخلافات نشبت من الجهل بموقف زيـد، ولو كان لهم علم به لما كان لهـذا الانقسام وجه، وقـد أوضـحه أعلام الاِمامية فى كتبهم وإليك بعض كلماتهم:

١ ـ قال شـيخنا المفيد فى إرشاده وقال: واعتقد كثير من الشـيعة فيه بالاِمامة وكان سـبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمد________________

(١) الخزاز: كفاية الاَثر: ٢٩٧.

(٢) ابن شهر آشوب: المناقب: ٤|١٩٧ طبعة بيروت. وقد مرّت الاَشعار فى الفصل الثالث أيضاً بمناسبة بيان خطبه وأشعاره.

(١٩٠)

فظنّوه يريـد بذلك نفسه، ولم يكن يريدها به لمعرفته باسـتحقاق أخيه ـ عليه السـلام ـ للاِمامة من قبله ووصـيته عند وفاته إلى أبى عبد اللّه (١).

۲ ـ قال أبو القاسم القمى الخزاز ـ بعد نقل كلام يحيى بن زيد ـ الذى تعرفت عليه: فإن قال قائل: فزيد بن على إذا سمع هذه الَاخبار وهذه الَاحاديث من الثقات المعصومين وآمن بها واعتقدها. فلماذا خرج بالسيف وادّعى الإمامة لنفسه وأظهر الخلاف على جعفر بن محمد وهو بالمحل الشريف الجليل، معروف بالستر والصلاح، مشهور عند الخاص والعام بالعلم والزهد، وهذا ما لا يفعله إلّا معاند أو جاحد، وحاشا زيداً أن يكون بهذا المحل؟

فأقول فى ذلك وباللّه التوفيق: إنّ زيد بن على بن الحسين ــ عليهم السلام ــ خرج على سبيل الَامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا على سبيل المخالفة لابن أخيه جعفر بن محمد ــ عليهما السلام، ــ وإنّما وقع الخلاف من جهة الناس، وذلك أنّ زيد بن على ــ عليه السلام ــ لما خرج ولم يخرج جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ توهم من الشيعة أنّ امتناع جعفر كان للمخالفة وإنّما كان لضرب من التدبير، فلمّا رأى الذين صاروا للزيدية سلفاً قالوا: ليس الإمام من جلس فى بيته وأغلق بابه وأرخى ستره وإنّما الإمام من خرج بسيفه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا كان سبب وقوع الخلاف بين الشيعة، وأمّا جعفر وزيد ـ عليهما السلام ـ فما كان بينهما خلاف.

والدليل على صحة قولنا قول زيد بن على ــ عليه السلام: «ــ من أراد الجهاد فإلىّ ومن أراد العلم فإلى ابن أخى جعفر» ولو ادّعى الإمامة لنفسه لم ينف كمال العلم عن نفسه إذ الإمام يكون أعلم من الرعية، ومن المشهور قول جعفر ـ عليه السلام ـ «رحم اللّه عمى زيداً لو ظفر لوفاه إنّما دعا إلى الرضا من آل محمد وأنا الرضا»(۲______________).

(۱) الإرشاد: ۲۶۸، طبعة النجف الَاشرف.

(۲) الخزاز القمى: كفاية الَاثر: ۳۰۱ ـ ۳۰۲.

(۱۹۱)

۳ ـ قال شيخنا المجلسى: إعلم أنّ الَاخبار اختلفت وتعارضت فى أحوال زيد وأضرابه كما عرفت لكن الَاخبار الدالة على جلالة زيد ومدحه، وعدم كونه مدعياً لغير الحقّ أكثر، وقد حكم أكثر الَاصحاب بعلو شأنّه (۱).

وقال أيضاً: «وكان يدعو إلى الرضا من آل محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وأنّه كان عازماً على أنّه إن غلب على الَامر فوضه إلى أفضلهم وإليه ذهب أكثر أصحابنا ولم أر فى كلامهم غيره (۲).

۴ ـ وقال الزنوزى فى رياض الجنّة: إنّ زيد بن على كان دائماً فى فكر الانتقام والَاخذ بثأر جده الحسين ــ عليه السلام ــ ومن هذه الجهة توهم بعضهم أنّه ادّعى الإمامة وهذا الظن خطأ لَانّه كان عارفاً برتبة أخيه وكان حاضراً فى وقت وصية أبيه ووضع أخيه فى مكانه وكان متيقناً أنّ الإمامة لَاخيه وبعده للصادق ـ عليه السلام ـ (۳).

۵ ـ وعن السيد الجليل بهاء الدين على بن عبد الحميد النبلى النجفى رضوان اللّه عليه فى كتابه الَانوار المضيئة أنّه قال: زعم طوائف ممن لا رشد لهم أنّ زيد بن على بن الحسين ــ عليهم السلام ــ خرج يدعو لنفسه وقد افتروا عليه الكذب، وبهتوه بما لم يدّعه لَانّه كان عين إخوته بعد أبى جعفر ــ عليه السلام ــ وأفضلهم ورعاً وفقهاً وسخاءً وشجاعة وعلماً وزهداً وكان يُدعى حليف القرآن وحيث إنّه خرج بالسيف ودعا إلى الرضا من آل محمد زعم كثير من الناس لا سيما جهال أهل الكوفة هذا الزعم، وتوهموا أنّه دعا إلى نفسه ولم يكن يريدها له لمعرفته باستحقاق أخيه الإمامة من قبله وابن أخيه لوصية أخيه إليه بها من بعده ـ إلى أن قال: ـ وقد انتشرت الزيدية فكثروا وهم الآن طوائف كثيرة فى كل صقع أكثرهم باليمن ومكة وكيلان (۴______________).

(۱) المجلسى: البحار: ۴۶|۲۰۵ ومرآة العقول: ۱|۲۶۱.

(۲) المجلسى: البحار: ۴۶|۲۰۵ ومرآة العقول: ۱|۲۶۱.

(۳) السيد الَامين: زيد الشهيد: ۳۵، نقلًا عن رياض الجنّة وهى بعد مخطوطة.

(۴) المصدر نفسه: ۳۵ ـ ۳۶.

(۱۹۲)

۶ـ وقال السيد صدر الدين: « لو لم يظهر الصادق ــ عليه السلام ــ عدم الرضا بخروجه، ويصوب أصحابه فى معارضتهم وإسكاتهم إياه، ولم يجب بالإِبهام والاعجام عند السوَال عن خروجه، لكان فى ذلك نقض الغرض والتعريض بهلاك الإِمام (۱) .

۷ـ قال السيد على خان المشعشعى الحويزى فى كلام له: «ولا ريب أنّ قصده ونيته إن استقام له الاَمر إرجاع الحقّ إلى أهله ويدلّ على ذلك رضاهم عنه، وإنّما لم يمنعه أبو عبد اللّه الصادق ــ عليه السلام ــ من الخروج مع علمه بأنّ هذا الاَمر لا يتم له وأنّه يقتل لاَنّهم ــ عليهم السلام ــ يعلمون ما يقع بهم وبذريتهم، وماقدر لهم لاَنّ عندهم علم ما كان وما يكون، وكان يعلم أن لا مفر مما قدر فلا وجه للمنع (۲)

اً .

۸ـ وقال المحقق المامقانى: « إنّما ادعى الإِمامة ليتبعوه فيستنقذ الحقّ من المتغلبين، ثم يسلمه إلى أهله والظاهر أنّ هذا هو الضرب من التدبير الذى أشار إليه العياشى فى كتابه مقتضب الاَثر(۳)

لما كانت الروايات المروية عن زيد على قسمين، قسم ورد التصريح فيه بأسماء الاَئمه الاثنى عشر كالرواية الرابعة وقسم أجمل فيه الكلام، كسائر الروايات التالية، علّق عليها السيّد عبد الرزاق المقرم بما يلى:

۹ وقال السيّد المقرّم: وهذه الاَحاديث وإن لم تصرح بأسماء الاَئمة الذين يلون الخلافة من عترة النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لكن تفيدنا القطع ببراءته ________________

(۱) السيد صدر الدين بن الفقيه السيد محمد العاملى فى تعليقته على ترجمة زيد من منتهى المقال وهى مخطوطة. لاحظ زيد الشهيد للسيد المقرم: ۸۷.

(۲) الحويزى: نكت البيان: كما فى وقائع الاَيام لشيخنا الخيابانى قسم الصيام: ۴۴.

(۳) المامقانى: تنقيح المقال: ۱|۴۶۹ ـ ۴۷۰. ما نقله من كتاب مقتضب الاَثر للعياشى فإنّما هو الخزاز فى كتابه: كفاية الاَثر، وليس فى الكتاب الاَوّل عين ولا أثر ممّا نقله.

(۱۹۳)

من تلك الدعاوى الفارغة من كل حقيقة، وأنّه طاهر الضمير، قابل لاِيداع أسرار الإِمامة فيه ومع ملاحظة رواية ابنه يحيى (الرابعة) يتضح المراد مما أجمل فى هذه الاَحاديث.

ولو أعرضنا عن جميع ذلك لاَفادنا اعترافه باستحقاق الصادق ـ عليه السلام ـ للخلافة بعد الباقر ــ عليه السلام ــ وأنّه الحجّة التى لايضل من تبعه، ولاـ يهتدى من خالفه، سلوكه المحجّة البيضاء والطريق اللاحب فى الإِمامة. وهل يقع الشك فى اعترافه بإمامة الصادق ــ عليه السلام ــ وهو يقول لعبد اللّه بن أبى العلاء (الرواية السادسة) وقد قال له: «أنت صاحب هذا الاَمر، قال: لا ولكنّى من العترة ـ قال له: ـ فإلى من تأمرنى، قال: عليك بصاحب الشعر».

روى الكشى عن سورة بن كليب قال: قال لى زيد بن على: ياسورة كيف علمتم أن أصاحبكم على ما تذكرونه؟

قال: قلت على الخبير سقطت. قال فقال: هات! فقلت له: كنّا نأتى أخاك محمد بن على ــ عليه السلام ــ نسأله فيقول: قال رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقال اللّه عزّ وجلّ فى كتابه حتى مضى أخوك فأتيناكم وأنت فيمن أتينا، فتخبرونا ببعض ولا تخبرونا بكل الذى نسألكم عنه، حتى أتينا ابن أخيك جعفراً فقال لنا كلما قال أبوه قال رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقال تعالى، فتبسّم وقال: أما واللّه إنّ قلت بذا فانّ كتب على صلوات اللّه عليه عنده(۱)

ثم إنّ السيد المقرم ـ بعد المناقشة فى دلالة أو سند الروايات الذامّية ونقدها نقداً علمياً ـ يقول: «من جميع ما مر فقد تجلّى الحقّ، وانكشف بطلان دعواه الإِمامة لنفسه عن جد وعقيدة، وما هى إلاّ أساطير لفقهاء دعاة الباطل للحطّ من كرامة تلك الذات الطاهرة

بغضاً وعدواناً، وإن تكن تلك الدعاوى، فإنّما الغرض منها استنقاذه الحقّ من أيدى المتغلبين عليه، ولاة الجور وأرباب الباطل وإعادته

(۱) الكشى: الرجال: ترجمة سورة بن كليب برقم ۲۴۰.

(۱۹۴)

إلى أهله كما يفصح عنه قول الصادق ـ عليه السلام: «ـ كان زيد عالماً وصدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه وإنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه» وهذا من أهم الوسائل إلى استحصال الحقّ المغصوب، وإعادة سلطان العدل إلى أهله، ولو أعلن الدعوة للإمام الصادق ـ كما يريده ضعيف النظر، قاصر البصيرة، لرأيت هناك الأضرار البالغة التى تلحق الإمام من أئمة الجور" تَكادُ السَّموات يَتَفَطَّرنَ مِنهُ وَتَنشَقُّ الاَرْضُ وَتَخرُّ الجِبال("۱).

(۱) السيد المقرم: زيد الشهيد: ۶۳ و ۸۶.

(۱۹۵)

الفصل العاشرموقف أئمة أهل البيت

الفصل العاشرموقف أئمة أهل البيت من خروج زيد وجهاده إنَّ موقف أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من خروج ثائرهم، كان إيجابياً، لا ـ سلبياً وكانوا يرون أنّ خروجه ونضاله، مطابق للكتاب والسنّة، بمعنى أنّ الخروج حين ذاك لم يكن تكليفاً إلزامياً على الإمام ولا على غيره، ولكنه لو خرج مسلم لإزالة الطغاة عن منصّة الحكم، وتبديد هياكل الفساد والظلم، من دون أن يدعو إلى نفسه، كان على المسلمين عونه ومناصرته، وإجابة دعوته.

وكان خروج زيد على هذا الخط الذى رسمناه وهذا ما يستفاد من الروايات المستفيضة، وإليك بعض ما وقفنا عليه:

۱ـ لمّا بلغ قتل زيد إلى الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، عند اللّه أحتسب عمى إنّه كان نعم العم. إنّ عمى كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى واللّه عمى شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول اللّه وعلى والحسين صلوات اللّه عليهم» (۱).

(۱) الصدوق: عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام : ـ ۱|۲۵۲ ح۶، الباب ۲۵.

(۱۹۶)

۲ ـ وقال أيضاً فى حديث: «إنّ الباكى على زيد فمعه فى الجنّة، فإمّا الشامت فشريك فى دمه» (۱)

۳ ـ وقال الشيخ المفيد: لما قتل زيد بلغ ذلك من أبى عبد اللّه ـ عليه السلام ـ كل مبلغ، وحزن له حزناً عظيماً حتى بان عليه وفرّق من ماله فى عيال من أُصيب معه من أصحابه ألف دينار . روى ذلك أبو خالد الواسطى قال: سلّم إلىَّ أبو عبد اللّه ـ عليه السلام ـ ألف دينار أمرنى أن أُقسمها فى عيال من أُصيب مع زيد، فأصاب عيال عبد اللّه بن الزبير أخى فضيل الرسان أربعة دنانير (۲).

۴ ـ روى ابن سيابة قال: دفع إلىّ أبو عبد اللّه الصادق جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ ألف دينار وأمرنى ان أُقسمها فى عيال من أُصيب مع زيد بن على ـ عليه السلام ـ فقسمتها فأصاب عبد اللّه بن الزبير أخا فضيل الرسّان أربعة دنانير(۳).

۵ ـ روى الصدوق عن عبد اللّه بن سيابة أنّه أتى رسول بسام الصيرفى بكتاب فيه: أمّا بعد، فإنّ زيد بن على قد خرج يوم الأربعاء غرة صفر، ومكث الأربعاء والخميس وقتل يوم الجمعة، وقتل معه فلان وفلان، فدخلنا على الصادق ـ عليه السلام ـ فدفعنا إليه الكتاب، فقرأه وبكى، ثم قال: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون. عند اللّه أحتسب عمى، إنّه نعم العم، إنّ عمى كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا ...» إلى آخر ما مر فى الحديث الأوّل (۴).

۶ـ روى ابن شهر آشوب بلغ الصادق ـ عليه السلام ـ قول الحكيم بن عباس الكلبى________________:

(۱) بحار الاَنوار: ۴۶|۱۹۳ ح ۶۳.

(۲) المفيد: الاِرشاد: ۲۶۹، الباب ۱۷۵، حياة الاِمام على بن الحسين، لاحظ الحديث العاشر أيضاً.

(۳) الصدوق: عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام : ـ ۱|۲۴۹، بحار الاَنوار: ۴۶|۱۷۰.

(۴) الصدوق: عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام : ـ ۱|۲۴۹؛ الباب ۲۵.

(۱۹۷)

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة * ولم أر مهدياً على الجذع يصلب

وقستم بعثمان علياً سفاهة * وعثمان خير من على وأطيب فرفع الصادق ـ عليه السلام ـ يديه إلى السماء وهما يرعشان. فقال: «اللهم إن كان عبدُك كاذباً فسلط عليه كلبك»، فبعثه بنو اُمية إلى الكوفة فبينما هو يدور فى سككها افترسه الاَسد واتصل خبره بجعفر ـ عليه السلام، ـ فخر للّه ساجداً، ثم قال: «الحمد للّه الذى أنجزنا وعده» (۱).

۷ـ روى الصدوق فى معانى الاَخبار، قال: كنّا عند أبى عبد اللّه فذكر زيد، ومن خرج معه، فهمَّ بعض أصحاب المجلس أن يتناوله، فانتهره أبو عبد اللّه، وقال: «مهلاً ليس لكم أن تدخلوا فيما بيننا إلاّ بسبيل خير، إنّه لم تمت نفس منّا إلاّ وتدركه السعادة قبل أن تخرج نفسه ولو بفواق الناقة» قلت: وما فواق الناقة؟ قال: «حلابها» (۲) .

۸ـ روى الحلبى: قال قال أبو عبد اللّه ـ عليه السلام: «ـ إنّ آل أبى سفيان: قتلوا الحسين بن على ـ صلوات اللّه عليه ـ فنزع اللّه ملكهم، وقتل هشام زيد بن على فنزع اللّه ملكه، وقتل الوليد يحيى بن زيد فنزع اللّه ملكه» (۳).

۹ـ روى الصدوق بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: انتهيت إلى زيد بن على صبيحة يوم خرج بالكوفة، فسمعته يقول: من يعيننى منكم على قتال أنباط أهل الشام؟ فو الذى بعث محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالحقّ بشيراً ونذيراً لا يعيننى على قتالهم منكم إلاّ أخذت بيده يوم القيامة، فأدخلته الجنّة بإذن اللّه تعالى، فلمّا قتل ـ رضى اللّه عنه ـ اكتريت راحلة وتوجهت نحو المدينة فدخلت

(۱) المناقب: ۳|۳۶۰، بحار الاَنوار: ۴۶|۱۹۲.

(۲) معانى الاَخبار: ۳۹۲، بحار الاَنوار: ۴۶|۱۷۹.

(۳) الصدوق: ثواب الاَعمال وعقابها: ۱۹۸، بحار الاَنوار: ۴۶|۱۸۲.

(۱۹۸)

على أبى عبد اللّه فقلت فى نفسى واللّه لا أخبرته بقتل زيد فيجزع عليه، فلما دخلت عليه قال: «ما فعل بعمى زيد ؟!» فخنقتنى العبرة، فقال: «قتلوه؟» قلت: أى واللّه قتلوه، قال: «فصلبوه؟» قلت: أى واللّه فصلبوه، فأقبل يبكى ودموعه تنحدر من جانب خده كأنّها الجمان ثم قال: «يافضيل شهدت مع عمى زيد قتال أهل الشام؟» قلت: نعم، قال: «فكم قتلتَ منهم ؟» قلت: ستة، قال: «فلعلك شاك فى دمائهم؟» فقلت: لو كنت شاكاً فى دمائهم ماقتلتهم، فسمعته يقول: «أشركنى اللّه فى تلك الدماء، مضى واللّه عمى وأصحابه مثل مامضى عليه على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ وأصحابه» (۱).

۱۰ـ وروى الصدوق عن حمزة بن حمران قال: دخلت على الصادق ـ عليه السلام ـ فقال لى: «يا حمزة من أين أقبلت؟» فقلت: من الكوفة، فبكى حتى بلّت دموعه لحيته!فقلت له: يا بن رسول اللّه! مالك أكثرت من البكاء؟ فقال: «ذكرت عمى زيد وماصنع به فبكيت» فقلت له: وما الذى ذكرت منه؟ قال: مقتله وقد أصاب جبينه سهم، فجاءه ابنه يحيى فانكب عليه وقال له: أبشر يا أبتاه! فإنّك ترد على رسول اللّه وعلى وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ قال: أجل يابنىّ! ثم دعا بحدّاد فنزع السهم من جبينه، فكانت نفسه معه، فجىء به إلى ساقية تجرى عند بستان زائدة، فحفر له فيها ودفن واُجرى عليه الماء، وكان معهم غلام سندىّ لبعضهم،

فذهب إلى يوسف بن عمر ـ لعنه اللّه ـ من الغد، فأخبره بدفنهم إيّاه، فأخرجه يوسف وصلبه فى الكناسة أربع سنين، ثم أمر به فأَحرق بالنار وذرى فى الرياح، فلعن اللّه قاتله وخاذله، وإلى اللّه جل اسمه أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيه بعد موته، وبه نستعين على عدونا وهو خير مستعان (٢______________).

(١) عيون أخبار الرضا ــ عليه السلام: ــ ١|٢٥٣.

(٢) أمالى الصدوق: ٣٢١، المجلس: ٦٢ ح٣؛ وأمالى الطوسى: ٢|٤٨؛ والمجلسى: البحار: ٤٦|١٧٢.

(١٩٩)

١١ ـ قال الصادق ــ عليه السلام ــ لأَبى ولاّد الكاهلى: «رأيت عمى زيداً؟» قال: نعم رأيته مصلوباً، ورأيت الناس بين شامت وبين محزون محترق، فقال: «أمّا الباكى فمعه فى الجنّة وأمّا الشامت فشريك فى دمه» (١).

١٢ ـ روى الراوندى عن الحسن بن راشد قال: ذكرت زيد بن على فتنقَّصته عند أبى عبد اللّه ــ عليه السلام ــ فقال: «لاتفعل، رحم اللّه عمى أتى أبى، فقال: إنّى أُريد الخروج على هذا الطاغية. فقال: لاتفعل، فإنّى أخاف أن تكون المقتول المصلوب على ظهر الكوفة ـ إلى أن قال الإمام ــ عليه السلام ــ للحسن: ـ ياحسن إنّا أهل بيت لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقرّ لكل ذى فضل فضله» (٢).

١٣ـ روى الصدوق عن أبى عبدون عن أبيه قال: لمّا حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون، وكان قد خرج بالبصرة، وأحرق دور ولد العباس، ووهب المأمون جرمه لأَخيه على بن موسى الرضا ــ عليه السلام ــ وقال له: لئن خرج أخوك وفعل ما فعل، لقد خرج من قبله زيد بن على فقتل ولولا مكانتك لقتلته فليس ما أتاه بصغير! فقال ــ: عليه السلام ــ له:

«لا ـ تقس أخى زيداً إلى زيد بن على فإنّه كان من علماء آل محمد ـ عليهم السلام ـ غضب له، فجاهد أعداءه حتى قتل فى سبيله، ولقد حدثنى أبى موسى بن جعفر أنّه سمع أباه جعفر بن محمد يقول: رحم اللّه عمى زيداً إنّه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارنى فى خروجه فقلت له: ياعم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلما ولى قال جعفر بن محمد ــ عليه السلام: ــ ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه».

فقال المأمون: أليس قد جاء فى من ادّعى الإمامة بغير حقها ما______________

(١) الاَربلى: كشف الغمة: ٢|٤٤٢.

(٢) الخرائج والجرائح: ٢٣٢، البحار: ٤٦|١٨٥.

(٢٠٠)

جاء؟ فقال ــ: عليه السلام: «ــ إنّ زيد بن على لم يدع ما ليس له بحق، وإنّه كان أتقى من ذلك، إنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد ــ عليهم السلام ــ إنّما جاء ما جاء فى من يدّعى أنّ اللّه نصَّ عليه، ثم يدعو إلى غير دين اللّه ويضل عن سبيله بغير علم، وكان زيد بن على واللّه ممن خوطب بهذه الآية:

"وَجاهِدُوا فِى اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجتَباكُم » ("١).

١٤ ـ روى الشيخ الطوسى عن مهزم بن أبى بردة الاَسدى قال: دخلت المدينة حِدثان صلب زيد ـ رضى اللّه عنه ـ فدخلت على أبى عبد اللّه ـ عليه السلام ـ فساعة رآنى قال: «يامهزم ما فعل بزيد؟» قال: قلت: صلب، قال: « أين؟» قال: قلت: فى كناسة بنى أسد، قال: « أنت رأيته مصلوباً فى كناسة بنى أسد؟» قال: قلت: نعم، قال: فبكى حتى بكت النساء خلف الستور ثم قال: «أما واللّه لقد بقى لهم عنده طلبة ما أخذوها منه بعد» قال فجعلت أُفكر وأقول أى شىءٍ طلَبتهم بعد القتل والصلب؟ قال: فودعته وانصرفت حتى انتهيت الكناسة، فإذا أنا بجماعة فأشرفت عليهم، فإذا زيد قد أنزلوه من خشبته يريدون أن يحرقوه قال قلت: هذه الطلبة التى قال لى (٢).

١٥ ـ روى الكلينى عن سليمان بن خالد قال: قال لى أبو عبد اللّه ـ عليه السلام ـ: «كيف صنعتم بعمى زيد؟» قلت: إنّهم كانوا يحرسونه فلما شفّ الناس أخذنا خشبته فدفناه فى جرف على شاطىء الفرات فلما أصبحوا جالت الخيل يطلبونه فوجدوه فأحرقوه فقال: «أفلا

أوقرتموه حديداً وألقيتموه في الفرات ـ صلى اللّه عليه ـ» ولعن قاتله (٣________________).

(١) الصدوق: عيون الاَخبار: ١|٢٤٩، الباب ٢٥.

(٢) الطوسي: الاَمالي: ٦٨٢.

(٣) الكليني: الكافي: ٨|١٦١.

(٢٠١)

١٦ ـ روى الكليني عن الحسن بن الوشاء عمن ذكره عن أبي عبد اللّه ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ اللّه عزّ وجلّ أذن في هلاك بني أُمية بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيام» (١) .

١٧ ـ روى أيضاً عن أبي هاشم الجعفري قال: سألت الرضا عن المصلوب؟ فقال: «أما علمت أنّ جدي صلّى على عمه»(٢).

١٨ ـ روى الكشي في ترجمة السيد الحميري عن فضيل الرسان، قال: دخلت على أبي عبد اللّه ــ عليه السلام ــ بعد ماقتل زيد بن علي ــ عليه السلام ــ فادخلت بيتاً في جوف بيت، وقال لي: «يا فضيل، قتل عمي زيد بن علي؟» قلت: نعم جعلت فداك، فقال: «رحمه اللّه، أما إنّه كان موَمناً وكان عارفاً وكان عالماً، وكان صدوقاً، أما إنّه لو ظفر لوفى، أما إنّه لو ملك لعرف كيف يضعها، قلت: ياسيدي ألا أُنشدك شعراً؟ قال: «أمهل» ثم أمر بستور فسدلت، وبأبواب فتحت، ثم قال: «أنشد» فأ نشدته:

لاَُمّ عمرو باللوى مربع * طامسة أعلامها بلقع (٣) هذه نماذج مما ورد عن أئمة أهل البيت حول جهاد زيد واستشهاده، ولو ضمت إليها ما ورد عنهم من المدائح حال حياته وقبل ميلاده، مما تقدم لما بقي شك في أنّ ثائر أهل البيت كان رجلاً مثالياً متقياً، عادلاً، مخالفاً لهواه، لايهمه سوى تجسيد الاِسلام بين الورى، وتبديد هياكل الظلم والطغيان.

يقول السيد المقرم ـ بعد نقل الاَحاديث المادحة ـ: «على ضوء هذه________________

(١) الكليني: الكافي: ٨|١٦١.

(٢) الكليني: الكافي: ٣|٢١٥.

(٣) الكشي: الرجال: ٢٤٢ برقم ١٣٣، وذكر قسماً من عينية السيد الحميري المعروفة.

(٢٠٢)

الاَحاديث الكريمة نعرف من الحقيقة أنصعَها ويتجلّى من أعماق الاَصداف لوَلوَها، وانّ تلك الشخصية الشامخة على سبب وثيق من معادن الحقّ، وذات كرامة قدسية تهبط من الملاَ الاَعلى، وأنّ الاَئمة الهداة يتفألون من غرة تلك النهضة الهاشمية أن يعود الحقّ إلى نصابه، وهي القوة التي تتحطم بها هياكل الباطل وتعقد عليها الآمال، وهي التي أظهرت مظلومية الاَئمة، ومثّلت للملاَ ـ أحقيتهم بالخلافة، من غيرهم ذوي الاَطماع وأرباب الشهوات، وانكشف لنا بكل وضوح امتثاله أمر الاِمام في نقض دعائم الاِلحاد وتبديد جيش الظلم والباطل، وتفريق جماهير الشرك وأحزاب الضلال، وعبدة المطامع والاَهواء، خصوصاً إذا قرأنا قول الباقر ـ عليه السلام ـ: «ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه» وقول الصادق ــ عليه السلام: «ــ إذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه» وقوله: «أشركني اللّه في تلك الدماء» وقوله عندما سئل عن مبايعته: «بايعوه» وقوله: «خرج على ما خرج عليه آباوَه» وقوله: «برئَ اللّه ممن تبرّأ من عمي زيد». فإنّ هذه الاَحاديث تدلنا على أنّه لم يقصد إلاّ إصلاح أُمّة جده ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ولم يدع إلاّ إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهناك جملة أُخرى من الاَحاديث حكت لنا مقايسة الاِمام ــ عليه السلام ــ شهادة زيد بالشهداء الذين استشهدوا مع النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وعلي والحسين ــ عليهما السلام ــ وقد استشهد هنالك رجال كانت لهم منازل عالية ومقامات رفيعة يغبطهم عليها جميع الشهداء، وقد نال زيد بذلك التشبيه والمقايسة تلك المراتب العاليه وحاز ذلك الشرف الباهر، فحقيق إذاً إذا قال الباقرــ عليه السلام ــ في دعائه: «اللهم أُشدد أزري بزيد»، وقال النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ يأتي زيد وأصحابه يوم القيامة يتخطّون

رقاب الناس غُرّاً محجلين يدخلون الجنّة بغير حساب، وكانوا فرحين مسرورين بما أوتى لهم من النعيم الدائم» (۱).

---

(۱) المقرم: زيد الشهيد: ۵۹.

الفصل الحادى عشر الخط الثورى

الفصل الحادى عشر الخط الثورى المدعَم من قبل أئمة أهل البيت كان الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ يعيش فى جو مفعم بالمراقبة والملاحقة من جانب الحكومة الأموية وكانت عيون النظام ترصده عن كثب وترفع تقارير عن حياته اليومية إلى العاصمة، ولأجل ذلك كان الإمام يتجنب عن التظاهر بأية ثورة ضد النظام إذ نتيجة ذلك هو إلقاء القبض على الإمام، وإنهاء حياته، وإطفاء نور الإمامة والقضاء على الجامعة العلمية التى أسسها الإمام فى عاصمة الإسلام وربّى فى حجره وحضنه مئات المفسرين والمحدثين وقد أعاد بذلك، السنّة النبوية والأحكام الشرعية إلى الساحة الإسلامية بعد اندراسها، كما فعل أبوه الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ كذلك، وفى القضاء على حياته أو الحيلولة بينه وبين الأُمّة خسارة كبرى لا تجبر بشهادته.

ومن جانب آخر، كان خروج زيد الثائر مورد الرغبة من الإمام فكيف لا يرضى بذلك وهو يثير المسلمين ضد النظام ويحرضهم على تقويضه وقلبه، وهى خطوة كبرى للمنية العظيمة.

وبملاحظة هذين الأمرين يعلم أنّه لم يكن للإمام بد من الإبهام فى الكلام بشكل تفهم البطانة موقفه من استشهاده ويتحيّر الأجانب فيه، وهذا هو السبب لوجود الإبهام والإعجام فى كلامه.

ففى موقف يبكى على عمّه ويسيل دموعه على خديه، وتبكى من كانت وراء الستار من الهاشميات، يُعرِّف عمّه شهيداً ويعرّف الشهداء فى موكبه كالشهداء الذين أراقوا دماءهم مع رسول اللّه وعلى والحسين ـ عليهم السلام ـ وربما يزيد على ذلك ويقول: «إنّ الباكى على زيد معه فى الجنّة والشامت له شريك فى دمه» إلى غير ذلك من الإطراء والثناء على عمّه والذين استشهدوا فى طريقه(۱)

.

وفى موقف آخر يتظاهر بالابتعاد عن خروج زيد واستشهاده، فكل من يرد عليه من الكوفة يسأله عن عمه ويكرر السؤال، وكأنّه لم يكن مطلعاً عما جرى عليه من المصائب، كل ذلك كان ضرباً من التدبير للإمام ـ عليه السلام ـ فأى رضى أولى من دعائه على الحكيم بن عباس الذى أنشأ شعراً فى حقّ زيد، وقال:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة * ولم أر مهدياً على الجذع يصلب فرفع الصادق ـ عليه السلام ـ يديه إلى السماء وهما ترتعشان، وقال: «اللهم إن كان عبدك كاذباً فسلط عليه كلبك» (۲).

إنّ بقاء الإسلام رهن دعامتين:

الأُولى: التعليم والتربية وتثقيف الأُمّة ووعيها وتعليم الكتاب والسنة وغير ذلك مما يرجع إلى الثقافة الإسلامية العامة.

الثانية: إصلاح المجتمع والحفاظ على البيئة وتفويض الأمر إلى صلحاء

---

(۱) أُنظر إلى الروايات الواردة تحت «عنوان موقف الأئمة من استشهاده» فى هذا الجزء.

(۲) مضى مصدره فى ص ۱۹۷، الرواية السادسة، فراجع.

الأُمّة الذين عليهم تجسيد الإسلام فى الساحة الاجتماعية ولايتم ذلك إلاّ بالكفاح ضدَّ الظالمين وإبادتهم وتسليم الأمر إلى صلحاء الأُمّة.

وكانت المصالح الزمنية تفرض الاَمر الاَوّل على عاتق الاِمام الصادق ـ عليه السلام ـ إذ كان هو عالم الاَمّة وراعيها، والواقف بأسرار الكتاب والسنّة، ولولاهما لما قامت هذه الدعامة وسقطت يومذاك، وأمّا الدعامة الثانية فكان على عاتق زيد الثائر، والثائرون بعده على خط الاِمام زيد كيحيى بن زيد، وعيسى بن زيد، والحسين بن زيد، ومحمد بن زيد (دون الحسنيين الذين ثاروا في عصر العباسيين) وكانوا هم القائمون بهذه الفريضة فكيف يمكن للاِمام أن يُخطّئهم من صميم ذاته لذلك يرى أنّه يصف الزيدية، وقاء، ويقول لاَصحابه: كفوا ألسنتكم والزموا بيوتكم فإنّه لا يصبكم أمر تخصون به أبداً ولا تزال الزيدية لكم وقاءً أبدا(۱).

إنّ بعض المتحمسين من الشبان في عصر الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ كانوا يفرضون عليه أن يودع زيداً عند الوفود إلى العراق، ويدعو له ويتظاهر بدعم نضاله وجهاده وعندما بلغه استشهاده، يعلن الحداد العام ويجلس في بيته للعزاء وما أشبه ذلك، لكن كانت هذه أفكاراً فوضوية تختمر في صدور أُناس لم يكن لهم إلمام بالظروف المحدقة بالاِمام، فما قام به الاِمام من السير بين الخطين كان هو المؤمّن لحياته، ونضاله العلمي وخدماته المشكورة ولم يكن القضاء على حياة الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ وجامعته العلمية عند الخلفاء أشد من القضاء على حياة زيد الثائر.

وفي نهاية المطاف نقول: لم يكن قيام زيد وخروجه أقل قيمة من خروج المختار الثائر، نرى أنّ الاِمام علي بن الحسين وعمه محمد بن الحنفية والهاشميات يخرجون من حدادهم على الاِمام الحسين ــ عليه السلام ــ عندما

(۱) الكليني: الكافي: ۲|باب التقية، الحديث۱۳.

(۲۰۶)

بعث المختار برؤوس الخونة وقتلة الاِمام الحسين ــ عليه السلام ــ حتى أنّ الاِمام السجاد ــ عليه السلام ــ يخر ساجداً ويعد عمل المختار مشكوراً، فأين المختار من زيد الثائر وإن كان عمل الجميع مشكوراً.

ومع أنّ الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ قام بمواقف مشكورة في عيال زيد، ومن أُصيب معه، ولكن لما كان المتطرفون غير راضين بهذا الحد، وكانوا يطلبون من الاِمام نضالاً باهراً مثل زيد، فقاموا بوجه الاِمام ــ عليه السلام ــ في مواقف عديدة لم تكن محمودة، ولو نرى في بعض الاَحاديث أنّ الاِمام يتبرّأ من الزيدية فإنّما تبرّأ من المتطرفين غير العارفين بالمواقف الصحيحة في تلك الاَيام الخطيرة لا من زيد الثائر، ولا المستشهدين بين يديه ولا المقتفين أثره بعد استشهاده، عارفين بواجباتهم وواجبات أئمة أهل البيت، وبذلك تقدر على فهم الروايات الواردة في ذم بعض الزيدية فليس الذم راجعاً إلى زيد الطاهر، ولا إلى المقتفين أثره في ميدان النضال، ولا إلى مجيبيه بل راجع إلى المتطرفين المنتمين إليه، وكان هو ـ قدّس اللّه سرّه ـ بريئاً عنهم. فلنذكر بعضها إيقافاً للقارىء بمفادها:

۱ ـ عن عمر بن يزيد قال: سألته عن الصدقة على النصّاب وعلى الزيدية؟ فقال: «لا تصدق عليهم بشيء ولا تسقهم من استطعت» وقال: « الزيدية هم النصاب» (۱).

۲ ـ قد كان من المعروف أنّ الاِمام من كان عنده سلاح رسول اللّه ومتاعه وكان ذلك كلّه عند الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ كما سنذكر، وقد كان ذلك الاَمر ثقيلاً على بعض الزيدية، فكانوا يحاجون الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ وينكرون وجود السلاح ومتاع رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عنده ويقولون: إنّه عند عبد اللّه بن الحسن المثنى.

(۱) الحر العاملي: وسائل الشيعة: ۶|كتاب الزكاة، الباب ۵ من أبواب المستحقين، الحديث۵، لاحظ التهذيب: ۴|۵۴، الحديث۱۲.

(۲۰۷)

روى الكليني عن سعيد السمان، قال: كنت عند أبي عبد اللّه ــ عليه السلام ــ إذ دخل عليه رجلان من الزيدية، فقالا له: أفيكم إمام مفترض الطاعة؟ قال: فقال: «لا » (۱)، قال: فقالا ـ له: قد أخبرنا عنك الثقات إنك تفتي، وتقر وتقول به (بأنّ فيكم إماماً مفترض الطاعة) ونسمّيهم لك فلان وفلان وهم أصحاب ورع وتشمير وهم ممّن لا يكذب، فغضب أبو عبد اللّه ــ عليه السلام ــ فقال: «ما

أمرتهم بهذا» (بوجود إمام مفترض الطاعة) فلما رأیا الغضب فی وجهه خرجا، فقال لی: «أتعرف هذین؟» قلت: نعم هما من أهل سوقنا، وهما من الزیدیة، وهما یزعمان أنّ سیف رسول اللّه عند عبد اللّه بن الحسن، فقال: «کذبا لعنهما اللّه واللّه ما رآه عبد اللّه بن الحسن بعینیه ولا بواحدة من عینیه ولا رآه أبوه. اللّهم إلاّ أن یکون رآه عند علی بن الحسین ــ علیه السلام ...» (ــ ۲).

تری أنّ موقف الرجلین أمام الإمام الصادق ــ علیه السلام ــ هو موقف أخذ الإقرار منه بإمامة زید ومن بعده وتکذیب إمامته وقیادته وأنّه لیس عنده سلاح رسول اللّه ولا متاعه فلم یکن بد من الإمام ــ علیه السلام ــ من التعرض علیهم.

والذی یدلّ علی ذلک ما رواه الکلینی عن إسماعیل بن محمد بن عبد اللّه بن علی بن الحسین ــ علیه السلام ــ عن أبی جعفر ــ علیه السلام ــ قال: لما حضر علی بن الحسین الوفاة قبل ذلک أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده قال: یا محمد احمل هذا الصندوق. قال: فحمل بین أربعة فلما توفی جاء إخوته یدعون [ما] فی الصندوق، فقالوا: أعطنا نصیباً من الصندوق، فقال: واللّه مالکم فیه شیء، ولو کان لکم فیه شیء ما دفعه إلیّ، فکان فی الصندوق سلاح رسول اللّه وکتبه (۳ــــــــــــــــــــ).

(۱) قاله ــ علیه السلام ــ تقیة أو توریة اتّقاء شرهما.

(۲) الکلینی: الکافی: ۱|۲۳۲ ـ ۲۳۳، کتاب الحجّة، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول اللّه ومتاعه.

(۳) الکافی: ۱|۳۰۵، کتاب الحجّة، باب الإشارة والنص علی أبی جعفر ــ علیه السلام ، ــ الحدیث۱.

(۲۰۸)

وفی روایة أُخری: التفت علی بن الحسین إلی ولده وهو فی الموت وهم مجتمعون عنده، ثم التفت إلی محمد بن علی، فقال: «یامحمد هذا الصندوق، اذهب به إلی بیتک، قال: أما إنّه لم یکن فیه دینار ولا درهم ولکن کان مملوءاً علماً»(۱).

۳ـ روی الکلینی عن عبد اللّه بن المغیرة قال: قلت لأبی الحسن ـ علیه السلام ـ: إنّ لی جارین أحدهما ناصب، والآخر زیدی ولابد من معاشرتهما فمن أُعاشر ؟ فقال: «هما سیّان، من کذَّب بآیة من آیات اللّه فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وهو المکذب بجمیع القرآن والأنبیاء والمرسلین» قال: ثم قال: « إنَّ هذا نصب لکم، وهذا الزیدی نصب لنا» (۲).

فکما أنّ المتشابه من الآیات تردّ علی المحکمات وتستوضح بها، فهکذا الخبر المتشابه یفسر بالمحکم منه، فأین استرحامه لعمه وبکاءه علیه، ودعاءه علی شاعر السوء، من هذه التعرضات والنقاشات، فتحمل الطائفة الثانیة، علی المتطرفین غیر العارفین بمقام الإمام الصادق ــ علیه السلام ــ مضافاً إلی أنّ فی مضمونهما من القرائن المثبتة. فلاحظ.

الخط الثوری الثابت لأئمة أهل البیت ــ علیهم السلام :ــ

کان لزید عند الإمام الصادق ــ علیه السلام، ــ حساب خاص لا یعدل به إلی غیره، ویفضّله علی الهاشمیین ویتلقاه عالماً صدوقاً، غیر متجاوزٍ عن طریق الحقّ وکان یعلن علی أصحابه، أنّه لو ظفر لوفی بما نوی ودعا إلیه، ولأجل ذلک لیس من البعید أن یقال إنّه کان مأذوناً من قبل الإمام سراً کما نقله شیخنا المجلسی (۳)

---

(۱) الکلینی: الکافی: ۱|۳۰۵، کتاب الحجّة، باب الإشارة والنص علی أبی جعفر ـ علیه السلام ـ الحدیث ۲.

(۲) الکلینی: الکافی: ۸|۲۳۵، برقم ۳۱۴.

(۳) المجلسی: مرآة العقول: ۱|۲۶۱.

(۲۰۹)

ویکفی فی المقام ما یرویه الکلینی: عن عیص بن القاسم، عن أبی عبد اللّه ـ علیه السلام ـ: «فانظروا علی أی شیء تخرجون ولاتقولوا خرج زید، فإنّ زیداً کان عالماً وکان صدوقاً ولم یدعکم إلی نفسه إنّما دعاکم إلی الرضا من آل محمد ـ علیهم السلام ـ ولو ظهر لوفی بما دعاکم إلیه، إنّما خرج إلی سلطان مجتمع لینقضه فالخارج منا الیوم إلی أی شیء یدعوکم، إلی الرضا من آل محمد ــ

عليهم السلام ـ فنحن نشهدكم أنّا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم» (١).

ولم يكن له ذلك الموقف مع الحسنيّين الذين خرجوا، بعد زيد وابنه يحيى، وصاروا أئمة للزيدية للفرق الواضح بين زيد وابنه، وبين بنى عبد اللّه بن الحسن، أعنى:

١ ـ محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب المعروف بالنفس الزكية خرج بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من سنة خمسة وأربعين ومائة وقتل فى شهر رمضان تلك السنة قتله أبو جعفر المنصور.

٢ ـ إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن، خرج بالبصرة وقتل هناك فى نفس السنة التى قتل فيها أخوه محمد بن عبد اللّه، وأُخذ رأسه وحمل إلى أبى جعفر المنصور ودفن بباخمرى.

وسيوافيك ترجمتهم فى القسم الثانى من الكتاب.

والذى يعرب عن ذلك ما رواه أبو الفرج فى كتابه عن عبد اللّه بن محمد بن على، قال: إنّ جماعة من بنى هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم:

١ ـ إبراهيم بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس.

٢ ـ وأبو جعفر المنصور ________________.

(١) الكلينى: الكافى: ٨|٢٦٤، برقم ٣٨١.

(٢١٠)

٣ ـ وصالح بن على.

٤ ـ وعبد اللّه (١)بن الحسن بن الحسن بن على.

٥ ـ ومحمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على.

٦ ـ وإبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على.

٧ ـ ومحمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان.

فقال صالح بن على: قد علمتم أنّكم الذين تمد الناس أعينهم إليهم، وقد جمعكم اللّه فى هذا الموضع، فاعقدوا بيعة لرجل منكم، تعطونه إياها من أنفسكم وتوافقوا على ذلك، حتى يفتح اللّه وهو خير الفاتحين.

فحمد اللّه عبد اللّه بن الحسن وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أنّ ابنى هذا هو المهدى فهلم لنبايعه.

وقال أبو جعفر: لأىّ شىء تخدعون أنفسكم، واللّه لقد علمتم ما الناس إلى أحدٍ أصور (٢) أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى، يريد به محمد بن عبد اللّه (٣)، قالوا: قد واللّه صدقت، إنّ هذا الذى نعلم، فبايعوا محمداً جميعاً ومسحوا على يده.

قال عيسى (٤) : وجاء رسول عبد اللّه بن الحسن إلى أبى: أن أئتنا، فإنّا مجتمعون لأمر، وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد ـ عليه السلام.ـ

وقال غير عيسى: إنّ عبد اللّه بن الحسن قال لمن حضر: لاتريدوا جعفراً________________

(١) وعبد اللّه بن الحسن كان أكبر سناً من الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وكان من مواليد عام سبعين من الهجرة.

(٢) أصور: بمعنى (أميل) كما فى مكان آخر من مقاتل الطالبيين ص ٢٥٧ وفى الإرشاد (أطول) .

(٣) أُنظر إلى هذا الخداع السياسى والنفاق المبطن فيصوره المنصور فى هذا المجلس بما سمعت، ثم بعد تصدّره منصّة الحكم يقتله.

(٤) عيسى بن عبد اللّه بن محمد بن عمر بن على.

(٢١١)

فإنّا نخاف أن يفسد عليكم أمركم.

قال عيسى بن عبد اللّه بن محمد: فأرسلنى أبى أنظر ما اجتمعوا له؟ فجئتهم فإذا بمحمد بن عبد اللّه يصلى على طنفسة رجل مثنية فقلت لهم: أرسلنى أبى إليكم أسألكم لاَىّ شيء اجتمعتم؟ فقال عبد اللّه: اجتمعنا لنبايع المهدى محمد ابن عبد اللّه.

قال: وجاء جعفر بن محمد ــ عليه السلام، ــ فأوسع له عبد اللّه بن الحسن إلى جنبه فتكلم بمثل كلامه.

فقال جعفر ــ عليه السلام: «ــ لاتفعلوا فإنّ هذا الاَمر لم يأت بعد، إن كنت ترى ـ يعنى عبد اللّه ـ أنّ ابنك هذا هو المهدى فليس به، ولاـ هذا أوانه، وإن كنت إنّما تريد أن تخرجه غضباً للّه وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإنّا واللّه لاندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك فى هذا الاَمر» (۱).

فغضب عبد اللّه بن الحسن، وقال: لقد علمتُ خلاف ما تقول، [واللّه ما أطلعك على غيبه] ولكن يحملك على هذا الحسد لابنى.

فقال: «واللّه ما ذاك يحملنى، ولكن هذا وإخوته وأبناوَهم دونكم» وضرب بيده على ظهر أبى العباس (۲)، ثم ضرب بيده على كتف عبد اللّه بن الحسن، وقال: «إنّها واللّه ما هى إليك ولا إلى ابنيك، ولكنها لهم، وإن ابنيك لمقتولان». ثم نهض فتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهرى فقال: أرأيت صاحب الرداء الاَصفر ـ يعنى أبا جعفر ـ؟ فقال له: نعم، قال: قال: «إنّا واللّه نجده يقتله» قال له عبد العزيز: أيقتل محمداً؟ قال: «نعم»، فقلت فى نفسى: حسده ورب الكعبة، ثم قال: واللّه ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلهما.

(۱) بما أنّه أمير الجهاد، لا إمام الفقه والاجتهاد ولا الاِمام المفترض الطاعة.

(۲) إبراهيم بن محمد بن على بن عبد اللّه بن عباس.

(۲۱۲)

قال: فلمّا قال جعفر ــ عليه السلام ــ ذلك ونهض القوم وافترقوا، تبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا: يا أبا عبد اللّه أتقول هذا؟ قال: «نعم أقوله واللّه وأعلمه»(۱).

قال أبو الفرج: وحدثنى على بن العباس المقانعى قال: أخبرنا بكار بن أحمد قال: حدثنا الحسن بن الحسين، عن عنبسة بن نجاد العابد قال: كان جعفر بن محمد ــ عليهما السلام ــ إذا رأى محمد بن عبد اللّه بن الحسن تغرغرت عيناه ثم يقول: «بنفسى هو، إنّ الناس ليقولون فيه، وإنّه لمقتول، ليس هو فى كتاب على ـ عليه السلام ـ من خلفاء هذه الاُمّة» (۲).

والاِمعان فى هذه الرواية يعرب عن أمرين:

الاَوّل: أنّ محمد بن عبد اللّه اتّخذ موقفاً غير موقف زيد بن على، حيث إنّ عبد اللّه بن الحسن يريد أن يصف، ابنه بأنّه هو المهدى الموعود كما قال: اجتمعنا لنبايع المهدى محمد بن عبد اللّه ولم يردّه ابنه وكأنّه قبله.

فيردعه الاِمام بقوله: «إنّ ابنك هذا ليس هو المهدى ولا أخاه».

ولكنّه رافقهم إذا خرجوا مثلما خرج زيد وقال مخاطباً أباه: «وإن كنت إنّما تريد أن تخرجه غضباً للّه وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنّا واللّه لا ندعك وأنت شيخنا، ونبايع ابنك فى هذا الاَمر».

ولما كان كلام الاِمام مخالفاً لما يهواه عبد اللّه غضب عليه وقال: واللّه ما أطلعك على غيبه ولكن يحملك على هذا الحسد لابنى.

ورغم هذا الموقف الجافى كيف يمكن للاِمام ــ عليه السلام ــ أن يرافقهم________________،

(۱) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ۲۰۶.

(۲) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ۲۰۸، الاِرشاد: ۲۹۴.

(۲۱۳)

ويوَيدهم، ويساندهم، ولكنّه فى نهاية المجلس تنبأ بما وجده فى الكتب الموروثة، أنّ محمد بن عبد اللّه وأخاه يقتلان ويكون الرابح هو أبو جعفر المنصور صاحب الرداء الاَصفر، وقد وقع ما وقع، ورآه الناس حسب ما أخبر به الاِمام.

وبذلك يعرف مفاد الاَحاديث التى ترفض عمل الزيدية فى العصور اللاحقة لحركة زيد فلا يرفض زيداً، ولا ابنه يحيى ولاثورته ونضاله، وإنّما يرفض أتباعه فى العصور بعد استشهاده حيث كانوا يعاندون أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ونذكر منها ما يلى:

١ ـ روى الشيخ الطوسى عن عبد الملك أنّه قال لاَبى عبد اللّه: قلت: فإنّ الزيدية تقول ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلاّ أنّه لا يرى الجهاد، فقال: «إنّى لا أرى!! بلى واللّه إنّى لا أراه ولكنّى أكره أن أدع علمى إلى جهلهم» (١).

٢ ـ روى الكلينى عن عبد الملك بن أعين قال لاَبى عبد اللّه ــ عليه السلام: ــ إنّ الزيدية والمعتزلة قد أطافوا بمحمد بن عبد اللّه (٢)فهل له سلطان؟ فقال: «واللّه إنّ عندى لكتابين فيهما تسمية كل نبى وملك يملك الاَرض لا واللّه ما محمد بن عبد اللّه فى واحد منهما» (٣)وبذلك يعلم مفاد سائر الاَحاديث (۴)فلاحظ.

وحصيلة البحث أنّ الخط الرائج لاَئمة أهل البيت ــ عليهم السلام ــ بالنسبة للثورات والانتفاضات التى تحققت على يد الحسينيين والحسنيين إنّما كان هو خط العدل والاقتصاد________________.

(١) الكلينى: الكافى: ۵|١٩، باب من يجب عليه الجهاد: الحديث ١، ٢.

(٢) محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على الملقب بالنفس الزكية من أئمة الزيدية.

(٣) الكلينى: الكافى: ١|٢۴٢ باب ذكر الصحيفة، رقم ٧.

(۴) لاحظ الكافى: ٧|٣٧۶، كتاب الديات باب فيما فيه نصاب من البهائم، الحديث١٧.

(٢١۴)

فلو كان الحافز عند الثائر هو الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والاِنكار على الظلم والعدوان، وتخليص المجتمع الاِسلامى من الفساد والدمار فالإمام الصادق ــ عليه السلام ــ ومن بعده كانوا يؤيدون ذلك العمل، ويكون الثائر حينئذ مأذوناً من قبل الإمام وتأخذ الثورة لنفسها صفة المشروعية.

وأمّا إذا كان الحافز عند الثائر إلى الثورة هو دعوة الناس إلى إمامة نفسه، وادّعاء الخلافة عن رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وإنّه ـ والعياذ باللّه ـ المهدى الموعود فلا يكون هناك أىّ مبرر لموافقتهم ومساندتهم. (٢١۵)

الفصل الثانى عشر موقف علماء الشيعة

الفصل الثانى عشر موقف علماء الشيعة من جلالة ووثاقة زيد الشهيد إنّ موقف علماء الشيعة الاِمامية نفس موقف النبى وعترته الطاهرة ـ عليهم السلام ـ وإن كنت فى شك من ذلك فاقرأ كلماتهم فى حقه:

١ ـ قال المفيد: كان عين إخوته بعد أبى جعفر ــ عليه السلام ــ وأفضلهم، وكان ورعاً، عابداً فقيهاً، سخياً، شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين ــ عليه السلام (ــ ١).

٢ ـ وقال النسابة أبو الحسن على بن محمد العمرى: كان زيد أحد سادات بنى هاشم فضلاً وفهماً خرج أيام هشام الاَحول ابن عبد اللّه (٢)فقتل وصلب ست سنين، وقيل أُحرق وذرى فى الفرات ـ لعن اللّه ظالميه ـ (٣).

٣ ـ وقال الطبرسى: إنّ زيداً كان من علماء آل محمد، غضب للّه فجاهد أعداءه حتى قتل فى سبيله (۴________________).

(١) الاِرشاد: ٢۶٨، ط النجف.

(٢) والظاهر عبد الملك.

(٣) المجدى فى الاَنساب: ١|١۵۶.

(۴) أُنظر: رياض العلماء: ٢|٣٣٨.

(٢١۶)

۴ـ وقال ابن داود: زيد بن على بن الحسين قتل سنة إحدى وعشرين ومائة، وله اثنتان وأربعون سنة شهد له الصادق ــ عليه السلام ــ بالوفاء وترحم له(۱).

۵ـ قال الشهيد الاَوّل فى القواعد: وجاز أن يكون خروجهم بإذن إمامٍ واجب الطاعة كخروج زيد بن على ــ عليه السلام ــ وغيره من بنى على ـ عليه السلام ـ (۲) .

۶ـ قال الشيخ عبد اللّه الاَفندى التبريزى: السيد الجليل الشهيد أبو الحسين زيد بن على بن الحسين، إمام الزيدية وكان سيداً كبيراً عظيماً فى أهله وعند شيعة أبيه، ولكن اختلفت الاَخبار وتعارضت الآثار بل كلام العلماء الاَخيار أيضاً فى مدحه وقدحه، والروايات فى فضله كثيرة، وقد ألّف جماعة من متأخرى علماء الشيعة ومتقدميهم كتباً عديدة مقصورة على ذكر فضائله كما يظهر من مطاوى كتب الرجال ومن غيرها أيضاً.

ومن المتأخرين ميرزا محمد الاسترآبادى فله رسالة فى أحوال زيد بن على. هذا وأورد فيه كلام المفيد فى الاِرشاد بتمامه، ونقل فيها أيضاً ما رواه الطبرسى فى أعلام الورى، وما رواه ابن طاووس فى ربيع الشيعة ونحوهما، وبالجملة فقد أورد فيها روايات كثيرة فى مدحه.

قال بعض أفاضل السادات المعاصرين ضوعف قدره فى أوائل شرح الصحيفة: هو أبو الحسين زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليهم السلام ـ أُمّه أُمّ ولد كان جمّ الفضائل عظيم المناقب، وكان يقال له: حليف القرآن. روى أبو نصر البخارى عن أبى الجارود، قال: قدمت المدينة، فجعلت كلّما سألت عن زيد بن على. قيل لى: ذلك حليف القرآن. ذاك أُسطوانة المسجد من كثرة صلاته________________.

(۱) ابن داود: الرجال: ۱|۱۰ (ذكره فى القسم الاَوّل الذى خصّه بالموثوقين بخلاف القسم الثانى فقد خصّه بالمجروحين والمهملين).

(۲) القواعد: ۲|۲۰۷ (ضمن القاعدة: ۲۲۱) .

(۲۱۷)

وقال الشيخ بهاء الدين العاملى فى آخر رسالته المعمولة فى إثبات وجود القائم ــ عليه السلام: ــ الآن أيضاً إنّا معشر الاِمامية لا نقول فى زيداً ـ رضى اللّه عنه ـ إلاّ خيراً وكان جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ قد قال لاَصحابه: «إنّ زيداً يتخطّى يوم القيامة أهل المحشر حتى يدخل الجنّة» والروايات عن أئمتنا فى هذا المعنى كثيرة(۱).

۷ـ قال الكاظمى: اتّفق علماء الاِسلام على جلالته وثقته وورعه وعلمه وفضله، وقد روى فى ذلك أخبار كثيرة حتى عقد ابن بابويه فى العيون باباً لذلك(۲).

۸ـ قال المحدّث النورى: وأمّا زيد بن على فهو عندنا جليل القدر عظيم الشأن، كبير المنزلة، وما ورد مما يوهم خلاف ذلك مطروح أو محمول على التقية(۳).

۹ـ قال المحقّق المامقانى: إنّى أعتبر زيداً ثقة وأخباره صحاحاً اصطلاحاً بعد كون خروجه بإذن الصادق ــ عليه السلام ــ لمقصد عقلائى عظيم وهو مطالبة حقّ الاِمامة إتماماً للحجّة وقطعاً لعذرهم بعدم مطالب له وقول جمع فيه بالاِمامة بتسويل الشيطان مع نفيه إياها من نفسه، وإثباته إياها لابن أخيه الصادق لا يزرى فيه كعدم إزراء نسبة القائلين بإمامته إليه أحكاماً فقهية مخالفة للحق(۴)

۱۰ـ وقال المحقّق الخوئى: وقد استفاضت الروايات غير ما ذكرناه فى مدح زيد وجلالته وأنّه طلب بخروجه الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ إلى أن قال: ـ وإنّ استفاضة الروايات أغنتنا عن النظر فى أسنادها (۵________________).

(۱) رياض العلماء وحياض الفضلاء: ۲|۳۱۸، وقد ترجم زيد بن على ترجمة وافية، طالع هذا الجزء ص ۳۱۸ ـ ۳۵۲.

(۲) راجع تكملة الرجال: ۳۵۲، تنقيح المقال: ۱|۴۶۷.

(۳) المستدرك: ۳|۵۹۹.

(۴) تنقيح المقال: ۱|۴۶۹، ۴۷۰.

(۵) معجم رجال الحديث: ۷|۳۴۷ ـ ۳۴۹.

(۲۱۸)

ثم إنّه أفرد غير واحد من أعلام الإمامية تأليفاً فى زيد وفضله ومآثره، فمنهم:

۱ ـ إبراهيم بن سعيد بن هلال الثقفى (م ۲۸۳ هـ) له كتاب أخبار زيد.

۲ ـ محمد بن زكريا مولى بنى غلاب (م ۲۹۸ هـ) له أخبار زيد.

۳ ـ عبد العزيز بن يحيى الجلودى (م ۳۶۸هـ) له أخبار زيد.

۴ ـ محمد بن عبد اللّه الشيبانى (م ۳۷۲هـ) له كتاب فضائل زيد.

۵ ـ الشيخ الصدوق أبو جعفر القمى (م ۳۸۱هـ) له كتاب فى أخباره.

۶ ـ ميرزا محمد الاسترابادى صاحب الرجال الكبير (م ۱۰۲۸هـ) له رسالة فى أحوال زيد.

۷ ـ السيد محسن الاَمين العاملى أحد كبار علماء الاِمامية فى القرن الرابع عشر (م ۱۳۷۳هـ) له كتاب أبو الحسين زيد الشهيد وقد طبع فى الشام.

۸ ـ السيد عبد الرزاق الموسوى المقرم، له كتاب زيد الشهيد وفى ذيله كتاب تنزيه المختار، وقد طبع عام ۱۳۵۵هـ

هذه كلمات علماء الشيعة الإمامية فى حقّ زيد وليس هناك من الشيعة الاِمامية من يبغضه أو يذمّه ولو ورد فيه روايات ذم فإنّما هى مطروحة أو موَوّلة لاتعادل ماتواترت عليه من الروايات الدالة على وثاقته، وجلالة قدره فمن أراد رمى الشيعة الاِمامية بغير هذا فهو كذاب يُعدُّ من رماة القول على عواهنه.

نعم بعدما خرج زيد، وجاهد وناضل وقتل وصلب وأُحرق اتّخذه أعداء الشيعة ذريعة للطعن على إمام الوقت جعفر الصادق ــ عليه السلام ــ وتوهم بعض الشيعة أنّ الاِمام من قام ونهض وجاهد، دون غيره وهذا لا صلة له بزيد الثائر.

وبذلك تقف على قيمة كلام رجلين يُعدّان من رماة القول على عواهنه:

أحدهما: أحمد بن تيمية فى كتاب «منهاج السنّة».

ثانيهما: الآلوسى البغدادى.

(۲۱۹)

قال ابن تيمية: إنّ الرافضة رفضوا زيد بن على بن الحسين ومن والاه، وشهدوا عليه بالكفر والفسوق (۱).

وقال الآلوسى: الرافضة مثلهم كمثل اليهود، الرافضة يبغضون كثيراً من أولاد فاطمة ـ رضى اللّه عنها ـ بل يسبونهم كزيد بن على(۲).

أقول: إنّ الرافضة ـ حسب تسمية الآلوسى ـ يقتفون أثر أئمتهم فى كل صغيرة وكبيرة، فإذا كان هذا موقف أئمتهم فكيف يمكن للشيعة التخطّى عنه، والعجب أنّ الكاتبين كتبا ماكتبا ولم يرجعا إلى معاجم الرجال للشيعة وقد أطبقت معاجمهم على تزكيته وترفيع مقامه وتبجيله بكل كلمة.

* * *

بين أُباة الضيم وحماة الذل :

لم أجد أحداً ممن كتب عن زيد، وكفاحه وجهاده الرسالى الذى عرف به، من القدامى والجدد من يغمطه حقه ويزدرى به، ويتكلم فيه بهمز أو لمز، غير الكاتب السلفى: الشيخ شمس الدين الذهبى، ومع أنّه يصف زيداً بأنّه كان أحد العلماء والصلحاء، لكنّه يصف جهاده سقطة وزلّة يقول فى موضع من كتبه: «بدت منه هفوة فاستشهد، فكانت سبباً لرفع درجته فى آخرته» (۳)وفى كتاب آخر: «خرج متأوّلا، قتل شهيداً وليته لم يخرج» (۴______________).

(۱) ابن تیمیة: منهاج السنة: ۲|۱۲۶.

(۲) السنة والشیعة: ۵۲.

(۳) تاریخ الإِسلام: حوادث (۱۲۱ ـ ۱۴۱هـ) ص ۱۰۵. انظر إلی التناقض فی کلامه إذ لو کان خروجه زلّة فکیف صار سبباً لرفع درجته فی الآخرة.

(۴) سیر أعلام النبلاء: ۵|۳۹۱.

(۲۲۰)

أقول: ما ذکره شنشنة أعرفها من کل سلفی یری الجهاد والکفاح علی الظلم والعدوان، أمراً محرّماً، والحیاة مع الظالمین ومهادنتهم أمراً مشروعاً وسعادة، فهم حماة الذلّ، ودعاة الهوان، وأین هم من أُباة الظلم والضیم.

ومن أُصول الطائفة الاُولی: الصبر تحت لواء السلطان علی ما کان منهم، من عدل أو جور، ولا ـ یخرج علیهم بالسیف وإن جاروا (۱)وماذکره علی طرف الخلاف مع ما حدّثه السبط الشهید عن جده رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ وذلک عندما اقترب من الکوفة استقبله الحر بن یزید الریاحی بألف فارس مبعوثاً من الوالی عبید اللّه ابن زیاد لإِکراه الحسین علی إعطاء البیعة لیزید، وإرساله قهراً إلی الکوفة، فعند ذلک قام الإِمام وخطب بأصحابه وأصحاب الحُرّ بقوله: أیّها الناس إنّ رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ قال: «من رآی سلطاناً جائراً مستحلاً حُرَمَ اللّه ناکثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنّة رسول اللّه، یعمل فی عباده بالإِثم والعدوان، فلم یغیّر علیه بفعل ولا قول، کان حقاً علی اللّه أن یُدخله مدخله، ألا وإنّ هوَلاء قد لزموا طاعة الشیطان، وترکوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفیء وأحلوا حرام اللّه، وحرّموا حلاله...» (۲).

کیف یکون جهاده هفوة، مع أنّ الرسول الاَعظم تنبّأ به وأثنی علیه عندما نظر یوماً إلی زید بن حارثة وبکی وقال: المظلوم من أهل بیتی، سمیّ هذا، المقتول فی اللّه، المصلوب من أُمتی سمیّ هذا، ثم قال: ادنُ منّی یازید ـ زادک اللّه حباً عندی ـ بإنّک سمیّ الحبیب من ولدی (۳).وقد بکی الوصی وأبکی، أفیصح العزاء والبکاء علی السقطة والزلة________________.

(۱) أبو الحسین الملطی: التنبیه والرد: ۱۵.

(۲) الطبری: التاریخ: ۴|۳۰۴.

(۳) أخرجه السیوطی فی الجامع الکبیر کما فی الروض النضیر: ۱|۱۰۸.

(۲۲۱)

وما أحسن قول أخی الاَوس لابن عمه وهو یرید نصرة رسول اللّه فخوّفه ابن عمّه وقال: أین تذهب فإنّک مقتول؟ فقال:

سأمضی وما بالموت عار علی الفتی * إذا مانوی حقاً وجاهد مسلما

و واسی الرجال الصالحین بنفسه * وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم أُلم * کفی بک ذلاً أن تعیش وترغما(۱) ما عشت أراک الدهر عجبا :

لا أظنّ من قرأ صحائف حیاة الملک الاَموی «هشام بن عبد الملک» یشک فی أنّه کان دمویاً سفّاکاً، لا یری لدم الإِنسان أیّة قیمة إذا ظنّ ولو واحداً بالمائة، إنّه یرید خلافه، وقتل زید وصلبه وإبقاء جثمانه الطاهر علی الخشبة أربع أو ست سنوات، ثم حرقه ونسفه وذروه فی الریاح والمیاه، دلیل واضح علی أنّ الرجل بلغ فی القسوة غایتها.

ومع ذلک کله تری أنّ ابن سعد جاء فی الطبقات ما یضیق به الإِنسان ذرعاً یقول: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا سحبل بن محمد قال: ما رأیت أحداً من الخلفاء أکره إلیه الدماء ولا أشدّ علیه من هشام بن عبد الملک وقد دخله من مقتل زید بن علی ویحیی بن زید أمر شدید وقال: وددت أنّی کنت افتدیتهما.

ثم ینقل عن أبی الزناد: ما کان فیهم أحد أکره إلیه الدماء من هشام بن عبد الملک ولقد ثقل علیه خروج زید بن علی، فما کان شیء

حتی أتی برأسه، وصلب بدنه بالکوفة. ولی ذلک یوسف بن عمر فی خلافة هشام بن عبد الملک (۲).

أقول: نعم ولی ذلک یوسف بن عمر لکن بأمر منه حتی أنّ عامله فی الکوفة_______________

(۱) المفید: الإِرشاد: ۲۲۵.

(۲) ابن سعد: الطبقات الکبری: ۵|۳۲۶.

(۲۲۲)

والحیرة کان غافلًا عمّا یجری فیها من وثوب الناس علی زید ومبایعتهم له، إلی أن کشف عنه هشام، وأمره بما أمره.

روی أبو الفرج قال: لما قتل زید رثاه الکمیت بقصیدة هجا فیها بنی أُمیة یقول فیها:

فیا ربّ هل إلّا بک النصر یُبتغی * ویاربّ هل إلّا علیک المعول وهی طویلة یرثی فیها زید بن علی، والحسین بن زید ویمدح بنی هاشم فلما قرأها هشام بن عبد الملک أکبرها وعظمت علیه واستنکرها وکتب إلی خالد یُقسم علیه أن یقطع لسان الکمیت ویده، فلم یشعر الکمیت إلّا والخیل محدقة بداره فأُخذ وحبس فی المخیّس... (۱).

یقول ابن العماد الحنبلی فی حوادث سنة ۱۲۵:

وفیها مات فی ربیع الآخر، الخلیفة أبو الولید هشام بن عبد الملک الاَموی، وکانت خلافته عشرین سنة إلّا شهراً، وکانت داره عند الخواصین بدمشق فعمل منها السلطان نور الدین مدرسة، وکان ذا رأی وحزم وحلم وجمع للمال. عاش أربعاً وخمسین سنة، وکان أبیض سمیناً أحول، سدیداً حسن الکلام، شکس الاَخلاق، شدید الجمع للمال قلیل البذل، وکان حازماً متیقّظاً لایغیب عنه شیء من أمر ملکه، قال المسعودی: کان هشام أحول، فظّاً، غلیظاً، یجمع الاَموال ویعمّر الاَرض، ویستجید الخیل، وأقام الحلبة. اجتمع له فیها من خیله وخیل غیره أربعة آلاف فرس ولم یعرف ذلک فی جاهلیة ولا إسلام لاَحد من الناس، وقد ذکرت الشعراء ما اجتمع له من الخیل واستجاد الکساء والفرش وعدد الحرب، ولامتها، واصطنع الرجال، وقوّی الثغور واتّخذ القنی، والبرک بمکة وغیر ذلک من الآبار التی أتی علیها داود بن علی فی صدر الدولة العباسیة، وفی أیامه عمل الحرز فسلک الناس جمیعاً فی أیامه مذهبه، ومنعوا ما فی أیدیهم فقلّ الإِفضال وانقطع_______________

(۱) الاَغانی: ۱۷|۴.

(۲۲۳)

الرفد ولم یر زمان أصعب من زمانه.

ودخل هشام بستاناً له ومعه ندماوَه فطافوا به وفیه من کل الثمار، فجعلوا یأکلون ویقولون: بارک اللّه لاَمیر الموَمنین فقال: وکیف یبارک لی فیه وأنتم تأکلونه ثم قال: اُدع قیّمه فدُعی به فقال له: أقلع شجره واغرس فیه زیتوناً حتی لا یأکل أحد منه شیئاً، وکان أخوه مسلمة مازحه قبل أن یلی الاَمر فقال له: یاهشام أتوَمل الخلافة وأنت جبان بخیل قال: أی واللّه العلیم الحلیم.

ومن نوادره ما روی أنّه تمادی فی الصید فوقع علی غلام فأمر ببعض الاَمر!!فأبی الغلام وأغلظ له فی القول وقال له: لا قرب اللّه دارک ولا حیّا مزارک ـ فی قصة طویلة فیها ـ أنّه أمر بقتله وقرب له نطع الدم فأنشأ الغلام یقول:

نبئت أنّ الباز علّق مرّة * عصفور برّ ساقه المقدور

فتکلّم العصفور فی أظفاره * والباز منهمک علیه یطیر

ما فیّ ما یغنی لبطنک شبعة * ولئن أکلت فإنّنی لحقیر

فتعجّب الباز المدل بنفسه * عجباً وأفلت ذلک العصفور فضحک هشام وقال: یا غلام أحش فاه دراً وجواهر (۱).

أقول: إذا کان هذا أکره الخلفاء للدماء وأشدهم علیه فمن هو أحرصهم علیها وعلی إراقتها، وکأنّی بشاعر المعرة یخاطب ابن سعد صاحب الطبقات ومن لفّ لفّه ویقول:

إذا وصف الطائى بالبخل مادر * وعيّر قساً بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس أنت خفية * وقال الدجى للصبح لونك حائل

وطاولت الاَرض، السماء ترفعاً * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فياموتُ زُر إنّ الحياة ذميمةويانفس جدى، إنّ دهرك هازلا________________

(١) عماد الدين الحنبلى: شذرات الذهب: ١٦٢ ـ ١۶۴.

الفصل الثالث عشر الثورات الناجمة عن ثورة

الفصل الثالث عشر الثورات الناجمة عن ثورة الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ ١ ـ ثورة أهل المدينة ومأساة الحرة.

٢ ـ ثورة عبد اللّه بن الزبير فى مكة المكرّمة أيام خلافة يزيد وبعدها.

٣ ـ ثورة التوابين المستميتين فى الكوفة.

۴ ـ ثورة المختار بن أبى عبيدة الثقفى.

۵ ـ ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الاَشعث أيام عبد الملك.

(٢٢۶)

أُباة الضيم وأخبارهم

قال ابن أبى الحديد:

سيد أهل الإِباء الذى علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنيّة، أبو عبد اللّه الحسين بن علىّ بن أبى طالب ــ عليهما السلام ــ عُرِض عليه الاَمان، فأنِفَ من الذلّ، وخاف من ابن زياد أن ينالَه بنوعٍ من الهوان؛ إن لم يقتُله، فاختار الموت على ذلك (١)

الثورات الناجمة عن ثورة الاِمام الحسين ــ عليه السلام :ــ

أرى أنّ اللازم قبل كل شىء تبيين جذور ثورة الإمام زيد، وما دفعه إلى الخروج وهل كان هناك حافز نفسانى دفعه إلى القيام واكتساح الاَشواك عن طريق الخلافة التى كان يتبنّاها، أو كان هناك دافع خارجى يحضّه ويشوّقه إلى قبض الخلافة والزعامة، أو لا هذا ولا ذاك بل كان مستلهماً من ثورة جده الاِمام الحسين ـ عليه السلام ـ وكانت ثورته استمراراً لثورته، تلك الثورة التى أنارة الدرب لكل من يطلب الحقّ ويضحى فى سبيله.

إنّ ثورة الحسين ــ عليه السلام ــ منذ تفجرها صارت أُسوة وقدوة للمضطهدين على وجه البسيطة، والمعذبين تحت نير الطغاة، وعلى المعانين من حكومات الجور والتعسف فى الاَوساط الاِسلامية وانحراف الدول والحكومات عن خط العدل والاقتصاد.

____

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ٣|٢۴٩.

(٢٢٧)

وقد لمس الثائرون أنّ ثورة الحسين ــ عليه السلام ــ كانت ثورة مبدئية إلهية، لاَجل صيانة الدين عن التحريف والمجتمع عن الانحراف والاعتساف، فلاَجل إيقاف القارىَ على مبادىَ ثورته وغاياتها نذكر الحافز أو الحوافز التى دفعت الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ إلى الثورة والتضحية بشيخه، وكهله، وطفله الرضيع، حتى يتبين عمق الثورة وملامحها وآثارها. سلام اللّه عليه وعلى الثائرين المتأثرين التابعين لخطه.

الخصومة بين الحسين ــ عليه السلام ــ والحاكم الاَموى كانت مبدئية :

كانت الخصومة بين الهاشميين والاَمويين قائمة على قدم وساق منذ عصور قبل الإسلام، وكانت الخصومة عند ذاك تتسم بالقبلية وإن كان العداء السائد يتغذى من أُمور تمت إلى المعنوية والمثالية بصلة، حيث إنّ الهاشمى كان عنوان الفضل والفضيلة ومثالاً للتقى على عكس ما كان أُمية وبنوه عليه، فكانوا منغمرين فى الانهيار الخلقى، والانكباب على المادة والماديات وقد ألّف المؤرخ الشهير المقريزى كتاباً خاصاً أسماه بـ «النزاع والتخاصم بين بنى أُمية وبنى هاشم» نقتطف شيئاً قليلاً منه، حتى يتبيّن أنّ التخاصم فى ذلك العصر وإن كان متسماً بالنزاع القبلى ولكنه كان مبنياً على تمتع بنى هاشم بنفسيات كريمة وروحيات طيبة حيث كانوا رافلين فى حلل الفضائل والفواضل على جانب الخلاف مما كانت عليه بنو أُمية.

مناشدة هاشم وأُمية :

نافر أُمية هاشماً على خمسين ناقة سود الحدق، تنحر بمكة وعلى جلاء عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى جد عمرو بن الحمق وكان منزله بعسفان وخرج مع أُمية أبو همهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث

(۲۲۸)

بن فهر ابن مالك الفهرى، فقال الكاهن: «والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر وما اهتدى بعَلَم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أُمية إلى المآثر أوّل منه وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر».

فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر، وخرج أُمية إلى الشام فأقام به عشر سنين فكان هذا أوّل عداوة وقعت بين بنى هاشم وبنى أُمية، ولم يكن أُمية فى نفسه هناك وإنّما يرفعه أبوه وبنوه وكان مضعوفاً وكان صاحب عهار، ويدلّ على ذلك قول نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أُمية وعبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال:

أبوك معاهر وأبوه عفّ * وذاد الفيل عن بلد حرام

وذلك أنّ أُمية كان يعرض لامرأة من بنى زهرة، فضربه رجل منهم، ضربة بالسيف وأراد بنو أُمية ومن تابعهم إخراج زهرة من مكة فقام دونهم قيس بن العدى السهمى وكانوا أخواله... (۱)

جاء نبى الإسلام بدين سمح قد شطب على جميع ما كان فى الجاهلية من أحقاد وضغائن، وقال فى خطبة حجّة الوداع: ألا كلّ شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع» (۲).

وبعد حروب ومعارك دامية قتلت فيها أبطال قريش وصناديدهم، كما استشهد لفيف من المهاجرين والاَنصار، دخل بنو أُمية فى حظيرة الإسلام متظاهرين به ولكن مبطنين الكفر والنفاق شأن كل حزب منهزم أمام تيّار جارف، فكانوا ينتهزون الفرص ليقضوا على الإسلام باسم الإسلام، وعلى العدل والتقى

---

(۱) النزاع والتخاصم بين بنى أُمية وبنى هاشم: ۲۰ ـ ۲۱.

(۲) الصدوق: الخصال: ۴۸۷.

(۲۲۹)

باسم الخلافة عن رسول اللّه وقد ظهرت بوادر ذلك فى مجلس الخليفة عثمان بن عفان عندما بويع من جانب شورى سداسية أشبه بمسرحية سياسية حيث دخل عثمان بيته ومعه بنو أُمية، جالسين حوله، يتبجحون بإناخة جمل الخلافة على بابهم، وقد تلقاها رئيس القبيلة أبو سفيان إنّها إمرة سياسية أو سلطة بشرية وصلت إليهم، وإنّه كان كذلك فى عصر الخليفتين السابقين وحتى الرسول الاَكرم وأنّه لم تكن هناك أية إمرة إلهية وخلافة دينية وليس هناك جنّة ولانار.

يقول أبو بكر الجوهرى: إنّ أبا سفيان، قال لما بويع عثمان: كان هذا الاَمر فى تيم، وأنّى لتيم هذا الاَمر. ثم صار إلى عدى فأبعد وأبعد، ثم رجعت إلى منازلها، واستقر الاَمر قراره، فتلقفوها تلقف الكرة.

وقال أيضاً: إنّ أبا سفيان قال لعثمان: بأبى أنت. أنفق ولا تكن كأبى حجر، وتُداولوها يابنى أُمية تداول الولدان الكرة، فواللّه ما من

جنةولا نار، وكان الزبير حاضراً، فقال عثمان لأبى سفيان: أَغرب، فقال: يابنى أهاهنا أحدٌ؟ قال الزبير: نعم واللّه لا كتمتها عليك (۱) أسّس عثمان حكومة أموية بحتة عزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة فولاها الوليد بن عقبة وكان أخاً لعثمان من أُمّه، كما أنّه عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر عام ۲۷هـ واستعمل عليه عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح وكان أخاه من الرضاعة، وهو ابن خال عثمان، وأبقى معاوية على ولايته على الشام ولما كثرت الشكوى على عامله بالكوفة: الوليد بن عقبة، عزله فولى مكانه سعيد بن العاص، حتى قيل إنّ سبعاً وخمسين من ولاته وعماله الكبار كانوا من بنى أُمية (۲)

إنّ هذه الحوادث المريرة وأضعافها التى حفظها التاريخ وجئنا بقليل منها________________

(۱) ابن أبى الحديد: شرح النهج: ۲|۴۵ نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهرى.

(۲) لاحظ: الدينورى: الاَخبار الطوال: ۱۳۹، ابن الاَثير: الكامل: ۳|۸۸ ـ ۸۹، الطبرى: التاريخ: ۳|۳۳۹ و ۴۴۵ وغيرها.

(۲۳۰)

فى الجزء الخامس من هذه الموسوعة أغضبت جمهور المسلمين وأثارتهم ضد الخليفة حتى انتهت إلى قتله فى داره، والمهاجرون والاَنصار، بين مجهز عليه، أو موَلّب ضده، أو مستبشر بمقتله أو صامت رهين بيته محايد عن الطرفين (۱)

قُتل عثمان بسيف مروان بن الحكم الذى سلّه عليه بأعماله المأساوية فى بلاطه، وجاء بعده الاِمام على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ بإلحاح من الجماهير وبايعوه على أن يرد الاِسلام إلى عصر الرسول، وقد امتنع فى بدء الاَمر عن قبول الخلافة وتزهد فيها كما تزهد فى عصر الخلفاء، غير أنّه لمّا تمت الحجّة عليه ورأى أنّ فى التقاعس عن قبولها ضرراً على الاِسلام والمسلمين أخذ بزمام الخلافة بيد من حديد وقد خضعت له الاَوساط الاِسلامية بعمالها وأُمرائها قاطبة إلاّ معاوية بن أبى سفيان، فقد استمر على العناد، واقفاً على أنّه لو بايع الاِمام للحقه العزل عن العمل، ومصادرة الاَموال الطائلة. فبقى على المخالفة وألّب بعض المهاجرين والاَنصار على الإمام حتى بايعهم خفاء إلى أن يبايعهم جلياً بعد سحب الاِمام عن ساحة الخلافة، إلى أن آل الاَمر إلى تأجيج نار حروب ثلاثة (الجمل وصفين والنهروان) قد عرفت تفاصيلها فى الجزء الخامس، فلو قتل فى الجمل قرابة أربعة عشر ألف مقاتل من الطرفين، أو قتل فى صفين سبعين ألف مقاتل من العراقيين والشاميين، أو نشبت حروب دامية بين أنصار على والخارجين على بيعته، طوال سنين، فكلّها من جرائم وآثام ذلك الخلاف والعناد والخروج على الاِمام.

التحق الاِمام على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ إلى الرفيق الاَعلى وقتل بيد أشقى الاَوّلين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم عام أربعين، ومعاوية بعدُ قابع على كرسيه، وقد صفا له الجوّ برحيل على ـ عليه السلام ـ فلم ير فى الساحة إنساناً منافساً ولا مخالفاً سوى، الحسن بن على ـ عليه السلام ـ لاَنّ الجماهير من المهاجرين والاَنصار الذين كانوا مع على فى العراق بايعوه بالخلافة والاِمامة ولكن معاوية خالفه ولم يبايعه كما________________

(۱) الطبرى: التاريخ: ۳|۳۹۹.

(۲۳۱)

خالف أباه ولم يبايعه بل حاربه.

نشب الخلاف بين معاوية والحسن بن على وانجر الاَمر إلى تجنيد الجنود ونفرهم إلى ميادين الحرب وبعد حوادث مريرة رأى الاِمام الحسن ـ عليه السلام ـ أنّ الاَصلح هو التنازل والتصالح تحت شروط ومبادىَ خاصة حفظها التاريخ، ومن أهم الشروط التى وقَّع عليها كل من معاوية والحسن بن على، هو أنّه ليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً (۱)ولكن معاوية لم يكن ممن يعتمد على قوله وعهده ولا على حلفه ويمينه.

إنّ معاوية من الفئة الذين يقولون ولا يفعلون وقد أظهر نواياه بعدما تم التصالح فقال: إنّى واللّه ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولاـ لتزكّوا انّكم لتفعلون ذلك ولكنى قاتلتكم لاَتأمّر عليكم وقد أعطانى اللّه ذلك وأنتم له كارهون ألا وإنّى كنت منّيت

الحسن أشياء وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمى هاتين لا أفى بشىء منها له. (۲)

رجع الحسن بن على إلى مدينة جده، ومعه أخوه الحسين وبنو هاشم وكان يتجرع الغصص من آل أُمية طيلة حياته إلى أن سمّه معاوية بتغرير زوجته فوافاه الأَجل عام خمسين من الهجرة النبوية، وكان يضرب به المثل فى الصبر والحلم. قال أبو الفرج: لما مات الحسن بن على ــ عليهما السلام ــ وأخرجوا جنازته حمل مروان سريره، فقال له الحسين ــ عليه السلام: ــ أتحمل سريره أما واللّه كنت تجرعه الغيظ، فقال: مروان إنّى كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال (۳)

لم يكن معاوية يجترىَ على نقض ما وقع من عدم العهد إلى أحد ما دام الحسن فى قيد الحياة، وكان يتحين الفرص لنقض العهد واليمين وقد نقض أكثر_______________

(۱) ابن صباغ المالكى: الفصول المهمة: ۱۶۳.

(۲) المفيد: الإِرشاد: ۱۹۱.

(۳) أبو الفرج الأَصفهانى: مقاتل ا،لطالبيين: ۴۹، طبعة النجف الأَشرف.

(۲۳۲)

ما عهد ولم يبق إلّا شىء واحد وهو أن لا يعهد إلى أحد وكان ولده يزيد أُمنيته وقرة عينه، ولما مات الحسن رأى الجو صافياً، فمهد الطريق لتنصيبه والياً من بعده، وقد بذل فى طريق أُمنيته أموالاً طائلة لأَصحاب الدنيا من الصحابة والتابعين حتى أرضى طائفة بترغيبه ونقوده، وطائفة أُخرى بتخويفه وترهيبه. نعم بقى هناك لفيف قليل اشتروا سخط المخلوق برضا الخالق فلم يبايعوه بل ثاروا عليه ووبخوا معاوية على نقض عهده، منهم: أبو الشهداء الحسين بن على فقد جاهر وطرد بيعته وذلك عندما أراد معاوية أخذ البيعة ليزيد فقام وحمد اللّه وصلى على الرسول، فقال بعد كلام: «وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأَمّة محمد، تريد أن توهم الناس فى يزيد، كأنّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص. وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به ومن استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأَترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهى، تجده ناصراً، ودع عنك لما تحاول فما أغناك أن تلقى اللّه بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه»(۱)

تسنم معاوية منصة الحكومة فكان يحكم كالقياصرة والأَكاسرة إلى ان أدركته المنية عام ستين وجلس مكانه وليده وربيبه، ونظيره فى الخَلق والخُلق، واهتز العالم الإِسلامى حينذاك حيث أحسّوا أنّ إنساناً خمّيراً وسكّيراً لاعباً بالكلاب والقردة، تصدى للإِمارة وفى الحقيقة للقضاء على الإِسلام والمسلمين باسم الخلافة عن النبى الأَكرم، فعند ذاك تمت الحجّة على الحسين بن على ـ عليه السلام ـ فجاهر بالخلاف والصمود أمامه حيث تجسد فى الزمان قول جده رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإلّا فعليه لعنة اللّه» (۲_______________)

(۱) ابن قتيبة: الإِمام والسياسية: ۱|۱۶۹.

(۲) الكلينى: الكافى: ۱|۵۴، ط الغفارى.

(۲۳۳)

وكان يزيد يحس بذلك عن كثب فكتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة أن يأخذ الحسين بالبيعة له، فلما اجتمع مع عامله فعرض عليه البيعة فرفض بعد جدال عنيف بحضور مروان بن الحكم، وأصبح الحسين من غده يستمع الأَخبار فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه فى طريقه ونصحه بالبيعة ليزيد فعندئذ ارتجّ الحسين وثارت ثورته وقال: «إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وعلى الإِسلام السلام إذا بليت الأُمة براع مثل يزيد»، ثم قال: «يا مروان أترشدنى لبيعة يزيد، يزيد رجل فاسق لقد قلت شططاً من القول وزللًا ولا ألومك، فإنّك اللعين الذى لعنك رسول اللّه وأنت فى صلب أبيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول اللّه، فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عنى ياعدو اللّه فإنّا أهل بيت رسول اللّه، الحقّ فينا ينطق على ألسنتنا وقد سمعت جدى رسول اللّه يقول: الخلافة محرمة على

آل أبى سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبرى فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول اللّه فلم يفعلوا به ما أُمروا فابتلاهم بابنه يزيد» (١)

دوافعه نحو الثورة :

هذه الكلمة المباركة من الحسين بن على ــ عليهما السلام ــ فى أعتاب تفجير الثورة تعرب عن أنّ خلافه مع يزيد لم يكن خلافاً قبلياً ولا ـ استمراراً له، وإنّما كان يثور عليه لاَجل أنّ الحاكم يتّسم بمبادئَ هدامة للدين، ولو أُتيحت له الفرصة لقضى على الاِسلام والمسلمين، فلاَجل ذلك قام عن مجلس الوليد ولم يبايعه وترك مدينة جده والتجأ إلى مكة المكرمة، وليست هذه الكلمة كلمة وحيدة معربة عن نواياه وحوافزه التى دفعته إلى الثورة فكم لها من نظير فى حياته.

وإليك كلمته الثانية عندما نزل منطقة البيضة من العراق واعترضه الجيش الاَموى بقيادة الحر بن يزيد التميمى اليربوعى، فقال واقفاً بعد أن حمد اللّه وأثنى________________

(١) الخوارزمى: مقتل الحسين: ١|١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢٣٤)

عليه: «أيها الناس أنّ رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام اللّه، ناكثاً لعهد اللّه، مخالفاً لسنّة رسول اللّه، يعمل فى عباد اللّه بالاِثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على اللّه أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هوَلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام اللّه وحرّموا حلاله» (١)

ترى أنّ الاِمام يعلل ثورته على يزيد فى البيان الاَوّل بأنّه رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة معلن للفسق، وإن هذه الصفات لا تتفق مع شروط الخلافة كما أنّه يعلل ثورته فى البيان الثانى بأنّه سلطان جائر، مستحل لحرام اللّه ناكث لعهده، مخالف لسنّة رسوله عامل فى عباده بالاِثم والعدوان. كل ذلك يعرب عن أنّ ثورته لم تكن ثورة قبلية ولا عنصرية، بل مبدئية بحتة.

وهناك للاِمام بيان ثالث ورابع وخامس و ... يعرّف موقفه من الحاكم الاَموى، يعرف دافعه إلى النضال والكفاح نأتى بثالثة:

كتب الاِمام إلى روَساء الاَخماس والاَشراف بالبصرة كتاباً جاء فيه: «وقد بعثت رسولى إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيه، فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت وأسير بسيرة جدى وأبى على بن أبى طالب، فمن قبلنى بقبول الحقّ، فاللّه أولى بالحقّ، ومن ردّ علىّ هذا أصبر حتى يقضى اللّه بينى وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين» (٢)

وفى هذه المقتطفات من خطب ورسائل الاِمام أدلّة واضحة على أنّ الثورة لم تكن ثورة قبلية ولا عنصرية بل كانت ثورة دينية عقائدية بحتة، وكان الدافع المهم للتضحية ترسيم خط الشهادة والفداء لكل من يطلب رضى الحقّ، وبالتالى________________

(١) ابن الاَثير: الكامل: ٣|٢٨٠، الطبرى: التاريخ: ٤|٣٠٠.

(٢) الخوارزمى: المقتل: ١|٨٨، الفصل ٩.

(٢٣٥)

قطع جذور الشر وتحطيم قوى الكفر والمنكر، وإن طال سنين، وقد نجح الاِمام فى ثورته هذه إلى أن انتهى الاَمر إلى اجتثاث جذور بنى أُمية عن أديم الاَرض وغلق ملفهم بقتل حمارهم مروان عام ١٣٢هـ ق.

نجاح الاِمام الحسين ــ عليه السلام ــ فى ثورته :

لقد درسنا الحافز أو الحوافز التى دفعت الاِمام إلى الثورة غير أنّه بقى هنا أن نتحدث عن نتائجها وعن عطائها، إذ بالوقوف عليها يعلم أنّه كان فى ثورته ناجحاً أو فاشلاً، إنّ هناك من ينظر إلى ثورة الحسين من منظار سياسى ضيق أو مادى بحت أضيق، فيظن أنّ ثورته كانت فاشلة حيث إنّ الاِمام استشهد ولم ينل الخلافة، والمسلمون بقوا بعد الثورة على ما كانوا عليه قبلها، فكان الاِرهاب والتشريد حليفهم، وكانت الحكومة الاَموية هى الحاكمة فى البلاد الاِسلامية قرابة سبعين سنة.

هـذا مـا يتصوره بعض الكتـاب فى ثورة الحسـين، وكـأنّ نجـاح الثورة فى منطقهم، هو نجاحها فى يومها أو بعـد أيام، وهـذا الزعم من هوَلاـء نـاش من الجهل بالحقّ أو التجاهل به، فلَاجل قلع هـذا التعتيم نركّز من عطاء الثورة فى المقام على أمرين مهمين ونترك الباقى لَاقلام الكاتبين فى ثورة الحسين:

۱ ـ إنّ الِامـام بتضـحية نفسه ونفيسه، أعلم الاُمّـة فظاظـة الَامويين وقسوة سياسـتهم، وابتعادهـم عن الناموس البشـرى فضـلًا عن الناموس الدينى وتوغلهم فى الغلظة الجاهلية، وعادات الكفر الدفين.

ثـار فى وجه الحكم السائـد ليُعلم الملَا الـدينى أنّهم لم يوقروا كبيراً ولم يرحموا صـغيراً، ولم يرقبوا على رضـيع ولم يعطفوا على امرأة فقدّم إلى ساحات المفاداة، أغصان الرسالة وأوراد النبوة، وأنوار الخلافة، ولم تبق جوهرة من هاتيك

(۲۳۶)

الجواهر الفريدة، فلم يعتم هو ولا هوَلاء إلّا وهم ضحايا فى سبيل تلك الطلبة الكريمة.

سل كربلا كم من حشاً لمحمّدٍ * نهبت بها وكم استجذت من يد

أقمار تمٍّ غالها خسف الردى * وانتالها بصـروفها الزمن الردى(۱) ۲ ـ لم يكن الحسـين ــ عليه السلام ــ يطلب ملكاً عضوضاً ولا سلطة بشـرية وإنّما يطلب إيقاظ الاُمّة بواجبه الحتمى، وما هو إلّا إقامة الَامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكأنّ الاُمّة نسيت ذينك العمادين وذلك لعوامل خلفت رفض ذينك الَامرين المهمين.

كانت الاُمّـة تعيش بين الترغيب والترهيب فصارت محايـدة عن كل عمل إيجابى يغير الوضع الحاضـر وهم بين راضٍ بما يجرى، وبين مبغض صامت، يترك الَامر إلى اللّه تبارك وتعالى، فكانت القلوب مشفقة والَايدى مغلولة وعلى الَالسن اُوكية.

وكيف يصح لمسلم واعٍ، التساهل أمام عربدة يزيد بالكفر الصريح فى شعره ونثره، وإنكار الوحى والرسالة وهذا هو التاريخ يحكى لنا: أنّه لما ورد على يزيد نساء الحسين وأطفاله، والروَوس على الرماح وقد أشرفوا ثنيّة جيرون نعب الغراب فأنشأ يزيد يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت * تلك الشموس على رُبى جيرون

نعب الغراب فقلت صـح أو لاتصح * فلقد قضـيت من الغريم ديونى(۲) يعنى أنّه قتل بمن قتل رسول اللّه يوم بـدر كجـده عتبة وخاله وليد بن عتبة، وغيرهما وهذا كفر صريح لا يلهج به إلّا المنكر للرسالات والنبوات ورسالة سيد الرسل______________.

(۱) الَامينى: الغدير: ۳|۲۶۴.

(۲) ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ۲۳۵.

(۲۳۷)

ولم يقتصر بذلك بل أخذ ينشد شعر ابن الزبعرى حين حضر رأس الحسين بين يديه وقال:

ليت أشياخى ببدرٍ شهدوا * جزع الخزرج من وقع الَاسل

قد قتلنا القرم من ساداتهم * وعدلنا قتل بدر فاعتدل

فأهلوا واستهلوا فرحاً * ثم قالوا يايزيد لاتشل

لست من خندف إن لم أنتقم * من بنى أحمد ما كان فعل

لعبت هـاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحىٌ نزل (۱) وليس ذلك ببعيد عن ابن معاوية فإنّ أباه كان يشـمئز من سماع الشهادة الثانية على رسالـة محمـد فكان يقول: للّه أبوك يا ابن عبـد اللّه لقـد كنت عالى الهمة ما رضـيت لنفسك إلّا أن تقرن اسـمك مع اسم ربّ العالمين (۲)

ولما قال له المغيرة بن شـعبة: لقد كبرت فلو أظهرت عدلًا لِاخوانك من بنى هاشم فإنّه لم يكن عندهم شىء تخافه قال: هيهات مَلِكَ أخو تيم، وفعـل ما فعل، فواللّه ما غـدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل أبو بكر، ثم ملك أخو عـدى، فاجتهـد وشـمر فواللّه ما

غـدا أن هلـك فهلـك ذكره إلاّـ أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان، فعمل ما عمل فواللّه ما غـدا أن هلك فهلك ذكره إلاّ أن يقول قائل عثمان.

وانّ أخا هاشم يصـرخ باسـمه فى كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فأى عمل يبقى مع هذا لا أُم لك واللّه إلاّ دفنا دفنا__________________.

(۱) البيتان الاَوّلان لابن الزبعرى، والثلاثة الاَخيرة ليزيد، لاحظ تذكرة الخواص: ۲۳۵.

(۲) شرح النهج الحديدى: ۲|۵۳۷.

(۲۳۸)

ولمّا سـمع المأمون بهـذا الحديث كتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر فأعظم الناس ذلك وأكبروه واضـطربت العامة فأُشـير عليه بالترك فأعرض عما كان عليه(۱).

فلما قام الحسين فى وجه الحكومة بأولاده وأصحابه القليلين، فقد نفث فى جسم الاَُمّة روح الكفاح والنضال وحطمت كل حاجز نفسى واجتماعى كان يوقفهم عن القيام، وأثبت أنّ الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى هـذه الظروف الحرجـة ليس رهن العِدّة والعُدّة بل إذا حاق الخطر بالاَُمّة من ملوكها وأمرائها وزعمائها وأصبحوا يسوقون الناس بأفعالهم وأعمالهم، والمجتمع إلى العيش الجاهلى، وجب على المؤمن الاسـتنكار بقلبه ولسانه ويده فكان فى قيامه تحطيم السدود المزعومة الممانعة عن القيام بالفريضة، ولاَجل ذلك استتبعت ثورته، ثورات عديـدة تترى من غير فرق بين من ثـار وهو على خـط الإمـام وبين من ثـار فى وجه الطغمـة الاَمويـة ولم يكن على خطه وفكره ولكن الكل كانوا مسـتلهمين من تلك الثورة العارمة، ولولا حركة الحسين ــ عليه السلام ــ لما كان لهذه الحركات أىّ أثر فى المجتمع الإسلامى، وإن كنت فى ريب من ذلك فعليك بدراسة الثورات المتتابعة بعد قيامه ونهضته.

قضـى الإمام نحبه فى اليوم العاشر من محرم الحرام عام ۶۱هـ والرضاء بقضاء اللّه وقدره بين شـفتيه (۲)وهو ظمآن لم يشرب الماء منذ ثلاثـة أيام، والفرات يموج بمياهه وحيتانه «سبيل على الرواد منهله العـذب» دون الحسـين وأولاده وأصـحابه حتى يموتوا عطشـى. ولم يقتصر عدوّه الغاشم بقتله حتى همّ__________________

(۱) مروج الذهب: ۲|۳۴۳. آخر أخبار المأمون.

(۲) قال ــ عليه السلام ــ وهو طريح مصرعه: «رضاءً بقضائك، وتسليماً لاَمرك، لا معبود سواك، ياغياث المستغيثين».

(۲۳۹)

برضِّ صدره وظهره بالخيل، ليقضى بذلك على جسم الإمام كلّه. لكنّه فاته أنّ شهداء طريق الحقّ، أحياء عند ربّهم يرزقون، أحياء بين الشـعوب الحيـة، وأنّه سوف ينقلب الاَمر لصالـح الإمام وضـد العـدو حتى فى اليوم الـذى قضـى عليه وأنّه ـ عليه السـلام ـ سـيجعل من أعدائه الذين وجهوا إليه سيوفهم ورماحهم، أنصاراً صامدين، وثواراً مناضلين.

روى المؤرخون: لمـا قتـل الحسـين وتسـابق العسـكر إلى نهب خيـام آل الرسول ونهبوا ما فيها أولاً، وأضـرموا النار ثانياً وبنات الزهراء حواسـر مسلبات، باكيات فنظرت امرأة من آل بكر بن وائل، كانت مع زوجها، إلى بنات رسول اللّه بهذا الحال فصاحت: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول اللّه لا حكم إلاّ للّه، يالثارات رسول اللّه فردها زوجها إلى رحله (۱)

كان ذلك الهتاف من ذلك الوقت، نواة للثورة على العدو، وإن لم يشعر به العدو، واكتفى بجرها إلى رحله.

كان الحسـين فاتحاً فى نهضته، إذ لـم يكن يتبنّى شيئاً سوى إيقاظ شعور الاَُمّة بلزوم القضاء على دعاة الضلال، وكسح أشواك الباطل، عن طريق الشريعة، وتعريف الملاء بالذين هم الاَحق بالخلافة والقيادة.

إنّ أئمة أهل البيت ــ عليهم السلام ــ غذّوا الاَُمّة بتحريضهم على عقد المحافل والمجالس لذكر حادثة الطف، وما جرى على الحسين من مصائب تـدك الجبال الرواسـى، وتذيب القلوب القاسـية وقد اتخذوا أساليب مختلفة فى إحياء حديث الطف بتشـكيل أندية العزاء

فى بيوتهم تـارة، ودعوة النـاس إليهـا ثانيـاً، فقـال الِامام الباقر ــ عليه السـلام «ــ رحم اللّه عبـداً اجتمع مع آخر فتـذاكر أمرنا» (۲)فكان

(۱) ابن نما: مثير الَاحزان: ۴، ابن طاووس: اللهوف: ۷۴.

(۲) المجلسى: البحار: ۷۴|۳۵۴ ح ۳۱.

(۲۴۰)

لتلك الذكريات أثراً باهراً فى تخليد الثورة فى نفوس الاُمّة حتى اتخذه الَاحرار مقياساً للسير فى ضوئه مصباحاً وإليك نزراً يسيراً من الثورات التالية لثورة الِامام ـ عليه السـلام ـ (۲۴۱) ۱ ثورة أهل المدينـة وإخراج عامل يزيد لما ولى الوليد الحجاز أقام يريد غِرّة عبد اللّه بن الزبير فلا يجـده إلاّ محترزاً ممتنعاً، وثار نجدة بن عامر النخعى باليمامة حين قتل الحسـين، وثار ابن الزبير بالحجاز ... فعزل يزيد الوليد، وولى عثمان بن محمد بن أبى سفيان فبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة، فيهم: عبد اللّه بن حنظلة، غسيل الملائكة وعبد اللّه ابن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى، والمنـذر بن الزبير ورجالاً كثيراً من أشـراف أهل المدينـة، فقـدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم فأعطى عبـد اللّه بن حنظلـة، وكان شـريفاً فاضـلاً عابداً سـيداً، مائة ألف درهم، وكان معه ثمانية بنين، فأعطى كل ولد عشرة آلاف.

فلمّا رجعوا قـدموا المدينـة كلهم إلاّ المنـذر بن الزبير فإنّه قـدم العراق على ابن زياد وكان يزيـد قـد أجازه بمائـة ألف دينار، فلمّا قدم أُولئـك النفر الوفـد، المدينـة قـاموا فيهم فـأظهروا شـتم يزيـد وعيبه وقالوا: قـدمنا من عنـد رجل ليس له دين يشـرب الخمر، ويضـرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب وهم اللصوص وإنّا نشهدكم إنّا قد خلعناه.

وقام عبد اللّه بن حنظلة الغسيل فقال: جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلاّ

(۲۴۲)

بنىّ هوَلاء لجاهدته بهم، وقد أعطانى وأكرمنى وما قبلت منه عطاءه إلاّ لَاتقوّى به فخلعه الناس، وبايعوا عبد اللّه بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولّوه عليهم (۱)

ولما دخل عام ۶۳هـ أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد بن أبى سـفيان عامل يزيد، وحصروا بنى أُمية بعد بيعتهم عبد اللّه بن حنظلة، فـاجتمع بنـو أُميـة ومـواليهم ومن يرى رأيهم فى ألف رجـل حـتى نزلوا دار مروان بن الحكم فكتبوا إلى يزيـد يسـتغيثون به فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأمره أن يسير إليهم فردّ وقال: لا أُحب أن أتولّى ذلك.

وبعث إلى عبيـد اللّه بن زياد يأمره بالمسـير إلى المدينـة ومحاصـرة ابن الزبير بمكة فقال: واللّه لا جمعتهما للفاسق، قتل ابن رسول اللّه وغزو الكعبة. ثم أرسل إليه يعتذر.

فبعث إلى مسـلم بن عقبة المرى، وهو الذى سـمّى مسرفاً، وهو شيخ كبير فاستجاب، فنادى فى الناس بالتجهز إلى الحجاز، وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار، فانتدب لذلك اثنا عشر ألفاً، وخرج يزيد يعرضهم، فأقبل مسلم إلى المدينة ودخل من ناحية الحرّة وضرب فسطاطه بين الصفين واقتتل الصفان قتالاً شديداً وانتهى الَامر، إلى غلبة قوات الشام على أهل المدينة بعدما قتل من الطرفين أُناس كثير، ولم يقتصر المسرف بذلك بل أباح المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والَاموال... (۲______________)

(۱) ابن الَاثير الجزرى: الكامل: ۴|۱۰۳.

(۲) المصدر نفسه: ۴|۱۱۱ـ ۱۱۷، الطبرى: التاريخ: ۴|۳۷۲ ـ ۳۸۰، موَسسة الَاعلمى ـ بيروت.

(۲۴۳) ۲ ثورة عبد اللّه بن الزبير عبد اللّه بن الزبير بن العوام ولد بعد الهجرة بعشـرين شهراً، وكان أبوه ابن عمة على ــ عليه السلام ــ وهو ابن خاله، وهو ممن سلّ سـيفه يوم السـقيفة لصالح على وقال: لا أغمد سـيفى حتى يبايع على، ولكن ـ و للَاسف ـ كان ولده على الطرف النقيض من ذلك فهو كما قال على ــ عليه السـلام: ــ ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ عبـد اللّه فأفسده (۱)وهو الذى دفع

أباه إلى محاربة الإمام فى وقعة الجمل بعد ما ندم وأراد التصالح والتراجع.

ومع هذا هو ممن اتخذ ثورة الإمام حجّة على خروجه فى وجه الحاكم الأموى وروى الطبرى بسنده إلى عبد الملك بن نوفل قال: حدثنى أبى: قال لما قتل الحسين ــ عليه السلام ــ قام ابن الزبير فى أهل مكة وعظّم مقتله، وعاب أهل الكوفة خاصة ولام أهل العراق عامة فقال بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم : ــ إنّ أهل العراق غدر فجر إلاّ قليلاً، وإنّ أهل الكوفة شرار أهل العراق وأنّهم دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم، فلمّا قدم عليهم صاروا إليه، فقالوا له: إمّا أن تضع يدك فى أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية، فيمضى فيك حكمه وإمّا أن تحارب فرأى واللّه أنّه هو مقتول ولكنّه اختار

(۱) تنقيح المقال: ۲|۱۸۴، مادة «عبد اللّه بن الزبير».

(۲۴۴)

الميتة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم اللّه حسيناً، وأخزى قاتل حسين ـ إلى أن قال: ـ أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً لا ولا نراهم لذلك أهلاً. أما واللّه لقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامه، كثيراً فى النهار صيامه، أحقّ بما هم فيه منهم وأولى به فى الدين والفضل.

أما واللّه ما كان يبدل بالقرآن، الغناء، ولا بالبكاء من خشية اللّه الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس فى حلَق الذِّكر الركض فى تطلاب الصيد (يعرض بذلك يزيد) فسوف يلقون غياً.

فثار إليه أصحابه فقالوا له: أيها الرجل أظهر بيعتك فإنّه لم يبق أحد (إذ هلك حسين) ينازعك هذا الأمر وقد كان يبايع الناس سراً ويظهر أنّه عائذ بالبيت (۱)

لما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها شخص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه، واستخلف على المدينة رَوْح بن زِنباع الجُذاميّ، وقيل: استخلف عمرو بن مخرمة الأشجعى، فلمّا انتهى إلى المشلَّل نزل به الموت، وقيل: مات بثنيّة هَرْشَى، فلمّا مات سار الحصين بالناس فقدم مكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد اللّه بن الزبير واجتمعوا عليه، ولحق به المنهزمون من أهل المدينة فحمل أهل الشام عليهم حملةً انكشف منها أصحاب عبد اللّه، ثم نزل فصاح بأصحابه، وصابرهم ابن الزبير إلى الليل ثم انصرفوا عنه.

هذا فى الحصر الأوّل ثم أقاموا يقاتلونه بقية المحرم وصفر كلّه حتى مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين، ولأجل القضاء على ابن الزبير

(۱) الطبرى: التاريخ: ۴|۳۶۴، ابن الأثير: الكامل: ۴|۹۸ ـ ۹۹.

(۲۴۵)

المتحصن فى المسجد الحرام رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار، وكانت الحرب طاحنة إذ بلغهم نعى يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر ولم يكن أمامهم إلاّ طريق واحد وهو الرجوع إلى الشام واختار الرجوع إليها (۱)

كان ابن الزبير يسوس الحجاز والعراق وفيهما عماله إلى أن استولى عبد الملك على العراق عام إحدى وسبعين من الهجرة وانحصرت إمارة ابن الزبير بالحجاز وعند ذاك وجّه عبد الملك، الحجاج بن يوسف الثقفى فى ألفين وقيل فى ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد اللّه بن الزبير، وقدم مكة وحصر ابن الزبير والتجأ هو وأصحابه إلى المسجد الحرام، ونصب الحجاج المنجنيق على أبى قبيس ورمى به الكعبة إلى أن خرج أصحابه إلى الحجاج بالآمان، و قتل ابن الزبير يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة عام ثلاث وسبعين من الهجرة (۲)

(۱) ابن الأثير: الكامل: ۴|۱۲۳ ـ ۱۲۴، الطبرى: التاريخ: ۴|۳۸۱ ـ ۳۸۴.

(۲) الطبرى: التاريخ: ۵|۲۴، ابن الأثير: الكامل: ۴|۳۴۹ ـ ۳۵۶.

(۲۴۶) ۳ ثورة التوابين فى الكوفة إنّ ثورة أهل المدينة على عامل يزيد وإخراجه من المدينة، وحركة ابن الزبير واستيلاءه على الحجاز والعراق، لم يكن ردّ فعل مباشر لقتل الحسين ـ عليه السلام ـ وإن كانا متأثرين من ثورته وحركته، وهذا بخلاف حركة التوابين فقد كانت ردّ فعل مباشر لقتله، حيث أحسّوا أنّهم قصّروا فى حقّ إمامهم، إذ دعاهم فلم يجيبوا، وذلک عار عليهم. يتبعهم عذاب أليم، وأنّه لا يغسل العار والآثم عنهم إلاّ بالثورة على قاتليه وعلى رأسهم، النظام الحاكم.

يقول الطبرى: «لما قتل الحسين بن على ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندّم، ورأت أنّها قد أخطأت خطأً كبيراً، بدعائهم الحسين إلى النصرة، وتركهم إجابته ومقتله إلى جانبهم، لم ينصروه، ورأوا أنّه لا يُغسل عارهم والإِثم عنهم فى مقتله إلاّ بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة:

۱ـ سليمان بن صرد الخزاعى، وكانت له صحبة مع النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم.ــ

۲ ـ المسيب بن نَجَبة الفزارى، وكان من أصحاب على ــ عليه السلام ــ وخيارهم.

۳ ـ عبد اللّه بن سعد بن نفيل الأزدى.

۴ ـ عبد اللّه بن وال التيمىّ.

۵ ـ رفاعة بن شدّاد البجلى.

إنّ هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار

(۲۴۷)

أصحاب على ومعهم أُناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم قال: فلمّا اجتمعوا إلى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام وقال:

۱ ـ قد ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربّنا ألاّ يجعلنا ممن يقول له غداً": أَوَلَم نُعَمِّركُم ما يَتَذَكَّرُ فِيه مَن تَذَكَّر وجاءَكُمُ النَّذِير("۱).

فإنّ أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ قال:

العمر الذى أعذر اللّه فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلاّ وقد بلغه وقد كنّا مغرمين بتزكية أنفسنا، وتفريط شيعتنا حتى بلا اللّه أخيارنا فوجدنا كاذبين، فى موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقد بلغتنا قبل ذلک كتبه وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا، يسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانية وسرّاً فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتِل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألستنا ولا قوّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا إلى ربّنا وعند لقاء نبينا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقد قُتِلَ فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله، لا ـ واللّه لا ـ عذر دون أن تقتلوا قاتله، والموالين عليه، أو تقتلوا فى طلب ذلک فعسى ربّنا أن يرضى عنّا ذلک، وما أنا بعد لقائه، لعقوبته بآمن.

أيّها القوم ولّوا عليكم رجلًا منكم فإنّه لابد لكم من أمير تفزعون إليه، وراية تحفون بها أقول قولى وأستغفر اللّه لى ولكم.

۲ ـ وتكلّم رفاعة بن شداد وقال: إنّ اللّه قد هداک لأصوب القول ودعوت إلى أرشد الأُمور، ودعوت إلى جهاد الفاسقين، وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منک، مستجاب لک، مقبول قولک قلت: ولّوا أمركم رجلًا منكم، تفزعون إليه، وتحفون برايته وذلک رأى قد رأينا مثل الذى رأيت، فإن تكن أنت

(۱) فاطر: ۳۷.

(۲۴۸)

ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً، وفينا متنصّحاً وفى جماعتنا محباً، وإن رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولّينا هذا الاَمر شيخ الشيعة صاحب رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وذا السابقة والقدم، سليمان بن صرد المحمود فى بأسه ودينه، الموثوق بحزمه.

ثم تكلّم كل من عبد اللّه بن وال، وعبد اللّه بن سعد وتكلّما بنحو من كلام رفاعة بن شداد فذكرا المسيب بن نجبة بفضله، وذكرا سليمان بن صرد بسابقته ورضاهما بتوليته.

۳ ـ تكلّم سليمان بن صرد وقال: فإنّى واللّه لخائف ألاّ يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أُولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنّا كنّا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، ونمنّيهم النصر ونحثهم على القدوم، فلما قدموا ونَينا وعجزنا، وأدهنّا وتربصنا وانتظرنا ما يكون، حتى قتل فينا، ولدينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه، إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يُعطاه، إتخذه الفاسقون غرضاً للنبل، ودرية للرماح حتى أقصدوه، وعدوا عليه فسلبوه. ألا انهضوا فقد سخط عليكم ربّكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والاَبناء حتى يرضى اللّه، واللّه ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا مَنْ قتله أو تبيروا، ألا لا تهابوا الموت فواللّه ما هابه امروَ قطّ إلاّ ذلّ، كونوا كالاولى من بنى إسرائيل إذ قال لهم نبيهم" إنَّكُمْ ظَلَمتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتّخاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إلى بارِئِكُمْ فَاقتُلوا أَنْفُسَكُمْ ذلكُمْ خَيرٌ لَكُمْ عِندَ بارِئِكُمْ "فما فعل القوم جثوا على الركب واللّه ومدّوا الاَعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنّه لا ـ ينجيهم من عظيم الذنب إلاّ ـ الصبر على القتل، فكيف بكم لو قد دعيتم إلى مثل ما دعى القوم إليه، أشحذوا السيوف وركّبوا الاَسنة وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل حتى تدعوا حين تدعوا وتستنفروا:

۴ ـ فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال: أمّا أنا فواللّه لو أعلم أنّ قتلى نفسى

(۲۴۹)

يخرجنى من ذنبى ويرضى عنّى ربّى لقتلتها، ولكن هذا أُمر به قوم كانوا قبلنا، ونُهينا عنه فأُشهد اللّه ومن حضر من المسلمين أنّ كلّ ما أصبحت أملكه سوى سلاحى الذى أُقاتل به عدوّى، صدقة على المسلمين أُقوّيهم به على قتال القاسطين.

۵ ـ وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكنانى فقال: وأنا أُشهدكم على مثل ذلك، فقال سليمان بن صرد: حسبكم من أراد من هذا شيئاً، فليأت بماله عبد اللّه ابن وال التيمى تيم بكر بن وائل، فإذا اجتمع عنده كلّ ما تريدون إخراجه من أموالكم، جهزنا به ذوى الخُلَّة والمسكنة من أشياعكم (۱)

۶ ـ ثم أخذ سليمان بن صرد يكاتب وجوه الشيعة فى الاَطراف وكتب سليمان بن صرد: إلى سعد بن حذيفة اليمان (۲)يعلمه بما عزموا عليه، ويدعوه إلى مساعدتهم، ومن معه من الشيعة بالمدائن، فقرأ سعد بن حذيفة الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فأجابوا إلى ذلك فكتبوا إلى سليمان بن صرد يعلمونه أنّهم على الحركة إليه والمساعدة له.

وكتب سليمان أيضاً كتاباً إلى المثنّى بن مخربة العبدى بالبصرة مثل ما كتب إلى سعد بن حذيفة فأجابه المثنى: إنّا معشر الشيعة حمدنا اللّه على ما عزمتم عليه، ونحن موافوك إن شاء اللّه للاَجل الذى ضربت وكتب فى أسفله أبياتاً (۳)

لم يزل القوم فى جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس ـ فى السر ـ إلى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم بعد القوم، والنفر بعد النفر ولم يزالوا على ذلك إلى أن هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين.

فلمّا مات يزيد جاء إلى سليمان أصحابه فقالوا: قد هلك هذا الطاغية________________،

(۱) الطبرى: التاريخ: ۴|۴۲۶ ـ ۴۲۸.

(۲) لاحظ نصّ الكتاب: تاريخ الطبرى: ۴|۴۲۹ ـ ۴۳۰.

(۳) ابن الاَثير: الكامل: ۴|۱۵۸ ـ ۱۶۲، الطبرى: التاريخ: ۴۳۱.

(۲۵۰)

والاَمر ضعيف فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث، وكان خليفة ابن زياد على الكوفة ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته

ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم، المدفوعين عن حقهم.

فقال سليمان بن صرد: لاتعجلوا، إنّي قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت أنّ قتلة الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون كانوا أشدّ الناس عليكم، ونظرت فيمن تبعنى منكم فعلمت أنّهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم، ولم يشفوا نفوسهم، وكانوا جَزَرَاً لعدوهم ولكن بثّوا دعاتكم وادعوا إلى أمركم هذا، شيعتكم وغير شيعتكم فإنّى أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه، ففعلوا واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد، وهم يريدون قتال أهل الشام الذين أقاموا دعائم عرش يزيد، وعدم التعرض بمن فى الكوفة من قتلة الحسين ـ عليه السلام ـ على جانب الخلاف من ثورة المختار.

مسير التوابين:

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعى الشخوص سنة خمس وستين بعث إلى روَوس أصحابه فأتوه، فلمّا أهلّ ربيع الآخر خرج فى وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج فى تلك الليلة، فلمّا أتى النخيلة دار فى الناس فلم يعجبه عددهم فأرسل حكيم بن منقذ الكندى، والوليد بن عصير الكنانى فى الكوفة فناديا: يالثارات الحسين فكانا أوّل (١)خلق اللّه دعوا يالثارات الحسين.

فأصبح من الغد وقد أتاه نحو مما فى عسكره، ثم نظر فى ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفاً ممن بايعه فقال: سبحان اللّه ما وافانا من ستة عشر ألفاً إلّا أربعة________________

(١) لقد سبق أنّه أوّل من دعا به، هو امرأة من بنى بكر بن وائل يوم عاشورا عند إضرام النار فى الخيام.

آلاف. فأقام بالنخيلة ثلاثاً يبعث إلى من تخلف عنه فخرج إليه نحو من ألف رجل. ثم قام سليمان فى أصحابه فقال: أيّها الناس من كان خرج، يريد بخروجه وجه اللّه والآخرة فذلك منّا، ونحن منه، ومن كان يريد الدنيا فواللّه ما نأتى فيئاً نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان اللّه. فتنادى أصحابه من كل جانب: إنّا لا نطلب الدّنيا وإنّما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول اللّه نبينا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ

فسار سليمان عشية يوم الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار الأهواز، ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين فلمّا دخلوا صاحوا صيحة واحدة فما رئى أكثر باكياً من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه، وترك القتال معه، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه، وكان قولهم عند ضريحه: «اللّهمّ إرحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد المهدى ابن المهدى، الصديق ابن الصديق، اللّهمّ إنّا نشهدك إنّا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم، وأولياء محبيهم. اللّهمّ إنّا خذلنا ابن بنت نبينا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فاغفر لنا ما مضى، منّا وتب علينا وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين وإنّا نشهدك أنّا على دينهم، وعلى ماقتلوا عليه. وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين. وزادهم النظر إليه حنقاً.

ثم ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له، فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الأسود، ثم أخذوا على الأنبار وكتب إليهم عبد اللّه بن يزيد كتاباً يثبّطهم عن السير إلى الشام وقتال العدو ولما وصل الكتاب إلى سليمان قرأه على أصحابه، فكتب إليه جواباً ـ بعد أن شكره وأثنى عليه ـ: أنّ القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من ربّهم، وأنّهم قد تابوا من عظيم ذنبهم وتوجهوا إلى اللّه وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى اللّه عليهم.

ثم ساروا حتى انتهوا إلى «قرقيسيا» على تعبئة وبها زفر بن الحارث الكلابى وقد فتح باب حصنه بعد ما عرف أن فيهم المسيّب بن نجبة فأخرج لهم سوقاً وأمر للمسيب بألف درهم وفرس، فردّ المال وأخذ الفرس وقال: لعلّى أحتاج إليه إن عرج فرسى، وبعث «زفر» إليهم، بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق.

ثم ارتحلوا من الغد، وخرج «زفر» يشيّعهم وقال لسليمان أنّه قد سار خمسة أَمراء من الرقة هم: الحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذى الكلاع، وأدهم بن محرز، وجبلة بن عبد اللّه الخثعمى، وعبيد اللّه بن زياد، فى عدد كثير مثل الشوك والشجر، ثم اقترح عليهم أن ينزلوا بديرهم حتى يكونوا يد واحدة على العدو الشاميين، فإذا جاءنا هذا العدو، قاتلناهم جميعاً. فلم يقبل سليمان وقال: قد طلب أهل مصر ذلك منّا فأبينا عليهم. ثم ساروا مجدّين فانتهوا إلى عين الوردة فنزلوا غربيّها وأقاموا خمساً فاستراحوا وأراحوا.

وأقبل أهل الشام فى عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة، فقام سليمان فى أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال: أمّا بعد فقد أتاكم عدوكم الذى دأبتم إليه فى السير آناء الليل والنهار، فإذا لقيتموهم فأصدقوهم القتال واصبروا إنّ اللّه مع الصابرين ثم قال: إن أنا قتلت فأمير الناس مسيب بن نجبة، فإن قتل، فالاَمير عبد اللّه بن سعد بن نفيل، فإن قتل، فالاَمير عبد اللّه بن وال، فإن قتل، فالاَمير رفاعة بن شداد، رحم اللّه امرئاً صدق ما عاهد اللّه عليه.

كان أدنى عسكر من عساكر الشام هو عسكر شرحبيل بن ذى الكلاع، وكان على رأس ميل فسار المسيّب ومن معه مسرعين فأشرفوا عليهم وهم غارّون، فحملوا فى جانب عسكرهم فانهزم العسكر وأصحاب المسيب منهم رجالاً فأكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب وخلّى الشاميون عسكرهم وانهزموا، فغنم

(۲۵۳)

منه أصحاب المسيّب ما أرادوا ثم انصرفوا إلى سليمان موفورين.

وبلغ الخبر ابن زياد فسرّح الحصين بن نمير مسرعاً حتى نزل فى اثنى عشر ألفاً، فخرج أصحاب سليمان إليه لاَربع بقين من جمادى الأُولى، وعلى ميمنتهم عبد اللّه بن سعد، وعلى ميسرتهم المسيّب بن نجبة وسليمان فى القلب، وجعل الحصين على ميمنته جملة بن عبد اللّه (۱) وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوى فلمّا دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان، ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيد اللّه بن زياد إليهم وأنّهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الاَمر إلى أهل بيت النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فأبى كل منهم، فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين، والميسرة أيضاً على الميمنة، وحمل سليمان فى القلب على جماعتهم، فانهزم أهل الشام إلى عسكرهم، وما زال الظفر لاَصحاب سليمان إلى أن حجز بينهم الليل.

فلمّا كان الغد صبّح الحصين جيش مع ابن ذى الكلاع ثمانية الآف، أمدهم بهم عبيد اللّه بن زياد، وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشد منه جميع النهار، لم يحجز بينهم إلاّ الصلاة، فلمّا أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح فى الفريقين، وطاف القصّاص على أصحاب سليمان يحرضونهم.

فلمّا أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلى فى نحو من عشرة آلاف من ابن زياد، فاقتتلوا يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى، ثم إنّ أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب، ورأى سليمان ما لقى أصحابه، فنزل ونادى: عباد اللّه من أراد البكور إلى ربّه والتوبة من ذنبه فإلى. ثم كسر جفنة سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه، فقاتلوهم، فقتل من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح. فلمّا رأى الحُصين صبرهم

(۱) كذا فى النسخة.

(۲۵۴) وبأسهم، بعث الرجّالة ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال، فقتل سليمان، رحمه اللّه، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع.

فلمّا قُتل سلمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحّم على سليمان ثم تقدّم فقاتل بها ساعة ثم رجع ثم حمل. فعل ذلك مراراً، ثم قتل، رحمه اللّه، بعد أن قتل رجالاً.

فلمّا قتل أخذ الراية عبد اللّه بن سعد بن نفيل وترحّم عليهما، ثم قرأ": فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ ومنهُمْ مَنْ يَنْتَظِرْ وَما بَدَّلُوا تَبدِيلا "وحفّ

به من كـان معه من الأزد. فبينما هم فى القتال أتاهم فرسان ثلاثـة من سعد بن حذيفـة، يخبرون بمسيرهم فى سبعين ومائـة من أهل المـدائن، ويخبرون أيضاً بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخربة العبدى فى ثلاثمائة، فسرّ الناس فقال عبد اللّه بن سعد: ذلك لو جاءُونا ونحن أحياء.

فلمّا نظر الرسل إلى مصارع إخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم، وقتل عبد اللّه بن سعد بن نفيل، قتله ابن أخى ربيعة بن مخارق، وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل أخيه فطعنه بالسيف، واعتنقه الآخر فحمل أصحابه عليه فخلّصوه بكثرتهم وقتلوا خالداً، وبقيت الراية ليس عندها أحد، فنادوا عبد اللّه بن وال فإذا هو قد اصطلى الحرب فى عصابة معه، فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه، فأتى فأخذ الراية وقاتل ملياً ثم قال لأصحابه: من أراد الحياة التى ليس بعدها موت، والراحة التى ليس بعدها نصب، والسرور الذى ليس بعده حزن، فليتقرب إلى اللّه بقتال هوَلاء المحلّين، والرواح إلى الجنّة، وذلك عند العصر فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالاً وكشفوهم.

ثم إنّ أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردوهم إلى المكان الذى كانوا فيه، وكان مكانهم لا يوَتى إلّا من وجه واحد، فلما كان المساء تولى قتالهم

(۲۵۵) أدهم بن محرز الباهلى فحمل عليهم فى خيله ورجله، فوصل ابن محرز إلى ابن وال وهو يتلو": ولا تَحْسَبَنَّ الّذِينَ قُتِلُوا فى سَبيلِ اللّهِ أَمْواتاً "الآية، فغاظ ذلك أدهم بن محرز فحمل عليه، فضرب يده فأبانها ثم تنحى عنه وقال: إنّى أظنك وددت أنّك عند أهلك. قال ابن وال: بئس ما ظننت، واللّه ما أحبّ أنّ يدك مكانها إلّا أن يكون لى من الأجر مثل ما فى يدى ليعظم وزرك ويعظم أجرى. فغاظه ذلك أيضاً، فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول. وكان ابن وال من الفقهاء العبّاد.

فلمّا قتل أتوا رفاعة بن شداد البجليّ وقالوا: لتأخذ الراية. فقال: إرجعوا بنا لعلّ اللّه يجمعنا ليوم شرهم. فقال له عبد اللّه بن عوف بن الأحمر: هلكنا واللّه، لئن انصرفت ليركبنّ أكتافنا فلا ـ نبلغ فرسخاً حتى نهلك عن آخرنا، وإن نجا منّا ناج أخذته العرب يتقرّبون به إليهم فقتل صبراً، هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا، فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أوّل الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل، ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ونعرف الوجه الذى نأخذه. فقال رفاعة: نعم ما رأيت، وأخذ الراية وقاتلهم قتالاً شديداً، ورام أهل الشام إهلاكهم قبل الليل فلم يصلوا إلى ذلك لشدّة قتالهم، وتقدّم عبد اللّه بن عزير الكنانى فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير، فنادى بنى كنانة من أهل الشام وسلّم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفة، فعرضوا عليه الأمان، فأبى ثم قاتلهم حتى قتل.

وتقدّم كرب بن يزيد الحميرى عند المساء فى مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال، فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذى الكلاع الحميرى الأمان، قال: قد كنّا آمنين فى الدنيا وإنّما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوهم حتى قتلوا وتقدّم صخر ابن هلال المزنى فى ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا.

فلما أمسوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم، ونظر رفاعة إلى كل رجل قد

(۲۵۶) عُقِربه فرسُه وجُرِح فدفعه إلى قومه ثم سار بالناس ليلته، وأصبح الحصين ليلتقيهم فلم يرهم، فلم يبعث فى آثارهم، وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الإقامة، فأقاموا ثلاثاً، فأضافهم ثم زودهم وساروا إلى الكوفة.

ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان فى أهل المدائن فبلغ «هيت» فأتاه الخبر، فرجع فلقى المثنى بن مخرَّبة العبدى فى أهل البصرة بصندوداء، فأخبره، فأقاموا حتى أتاهم رفاعة فاستقبلوه، وبكى بعضهم إلى بعض وأقاموا يوماً وليلة ثم تفرقوا، فسار كل طائفة إلى بلدهم.

ولما بلغ رفاعة الكوفة كان المختار محبوساً، فأرسل إليه: أمّا بعدّ فمرحباً بالعصبة الذين عظّم اللّه لهم الأجر، حين انصرفوا ورضى فعلهم حين قُتِلوا، أما وربّ البيت ما خطا خاط منكم خطوة، ولا ربا ربوة، إلّا كان ثواب اللّه له أعظم من الدنيا. إنّ سليمان قد قضى ما

عليه، وتوفّاه اللّه، وجعل وجهه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون، إنّى أنا الاَمير المأمور، والاَمين المأمون، وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، المقيّد من الاَوتار، فأعدوا واستعدوا وأبشروا، أدعوكم إلى كتاب اللّه، وسنّة نبيه، والطلب بدم أهل البيت، والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين، والسلام»

(۱)

هذه هى ثورة التوابين، المشرقة، وهممهم العالية، وتفاديهم فى سبيل الهدى، وقد بُذل لهم الاَمان فلم يقبلوا فقد": صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه"

(۲)فقد قاموا بواجبهم فما رجع منهم إلاّ قليل بعد اليأس من الغلبة على العدو فرجعوا إلى أوطانهم ولحقوا بعشائرهم وبذلك ابتغوا أنّ الوظيفة بعد باقية، على عاتقهم.

وهناك كلمة قيمة للمحقّق شمس الدين نأت بها: «لقد اعتبر التوابون أنّ________________

(۱) الجزرى: الكامل: ۴|۱۷۵ ـ ۱۸۶.

(۲) الاَحزاب: ۲۳.

(۲۵۷) المسؤول الاَوّل والاَهم عن قتل الحسين ــ عليه السلام ــ هو النظام، وليس الاَشخاص وكانوا مصيبين فى هذا الاعتقاد ولذا نراهم توجّهوا إلى الشام ولم يلقوا بالاً إلى من فى الكوفة من قتلة الحسين ــ عليه السلام (ــ ۱)

إنّ هذه الثورة قد انبعثت عن شعور بالاِثم والندم، وعن رغبة فى التكفير فمن يقرأ أقوالهم وكتبهم وخطبهم، يلمس فيها الشعور العميق بالاِثم والندم، والرغبة الحارة عن التكفير، وكونها صادرة عن هذه البواعث، جعلها ثورة انتحارية فالثائرون يريدون الانتقام والتكفير ـ ومع ذلك ـ إنّها أثّرت فى مجتمع الكوفة تأثيراً عميقاً فقد عبّأت خطبُ قادات هذه الثورة وشعاراتهم، الجماهير فى الكوفة للثورة على الحكم الاَموى.

---

(۱) محمد مهدى شمس الدين: ثورة الحسين: ۲۶۴. (۲۵۸) ۴ ثورة المختار المختار هو ابن أبى عبيدة بن مسعود بن عمرو بن عوف بن عبدة بن عوف ابن ثقيف الثقفى، ولد عام الهجرة وقد جاء أبوه به إلى على ــ عليه السلام ــ وهو صغير وأجلسه على فخذه وقال له وهو يمسح على رأسه: «ياكيّس! ياكيّس!» ولذا لُقّبَ بالكيسان (۱)

إنّ ثورة المختار الثقفى من الثورات الانتقامية التى أثلجت قلوب بنى هاشم إذ ما امتشطت هاشمية ولا اختضبت، حتى أخذ المختار ثأر الحسين من قتلته، ولما وقف الاِمام على بن الحسين ــ عليهما السلام ــ على ما جرى على أعداء أبيه بيد المختار خرّ ساجداً وقال: الحمد للّه الذى أدرك لى ثأرى من أعدائى وجزى المختار خيرا (۲)

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو أنّ المختار كان من أهل الولاء لاَهل البيت ـ عليهم السلام ـ فلماذا لم يُشارك فى جيش الاِمام ــ عليه السلام ــ ولم يقاتل أمامه ولكن التاريخ يجيبك عن هذا السؤال، وهو أنّ الرجل جاء لنصرة الاِمام لكن قبض عليه وحيل بينه وبين أُمنيته________________.

(۱) الكشى: الرجال: ۱۱۶.

(۲) المصدر نفسه.

(۲۵۹)

يذكر المؤرخون أنّ مسلم بن عقيل ــ عليه السلام ــ خرج قبل الاَجل الذى كان بينه وبين أصحابه منهم المختار بن أبى عبيدة، وكان فى قرية تدعى «لقفا» فبلغه ما جرى على مسلم فجاء بمواليه إلى الكوفة يحمل راية خضراء ومعه عبد اللّه بن الحارث رافعاً لواء أحمر، فانتهى إلى باب الفيل ووضح لديهما قتل مسلم وهانىَ وأُشير عليهما بالدخول تحت راية عمرو بن حريث ليسلما على دمهما، ففعلا

وحفظ دمهما ابن حريث بشهادته عند ابن زياد باجتنابهما مسلم بن عقيل، فقبل منه بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر (۱)عينه، ثم أمر بهما فسجنا وبقيا فی السجن إلی أن قتل الحسين ـ عليه السلام ـ فكتب المختار إلی عبد اللّه بن عمر ابن الخطاب وكان زوج أُخته (صفية) أن يشفع له عند يزيد بن معاوية ففعل وشفعه يزيد وأمر ابن زياد بإطلاقه من السجن بعد أن أجّله بالكوفة ثلاثاً ليخرج إلی الحجاز وإلّا أعاده إلی السجن (۲)

خرج المختار إلی الحجاز وأقام هناك خمسة أشهر واجتمع مع ابن الزبير لخروجه علی يزيد وكفاحه ضد الاَمويين وهذه هی النقطة التی كان المختار وعبد اللّه بن الزبير وكثير من المعارضين يشتركون فيها حتی الخوارج. مكث عنده شهوراً وأياماً ولكن لم يجد بغيته فيه، ومع ذلك كلّه قاتل الشاميين جنود الطاغية تحت راية عبد اللّه بن الزبير، وهذا يدلّ علی خلوصه فی مكافحته الاَمويين وقد ذكر الطبری شيئاً كثيراً من بطولته وقتاله ضد الشاميين نقتطف منه ما يلی:

مكث المختار مع عبد اللّه بن الزبير حتی شاهد الحصار الاَوّل حين قدم الحُصين بن النمير السكونی مكة فقاتل فی ذلك اليوم، فكان من أحسن الناس يومئذ بلاء وأعظمهم عناء، ولما قتل المنذر بن الزبير والمسور بن مخرمة________________

(۱) شتر: قلب جفنه.

(۲) اليعقوبی: التاريخ: ۲|۲۵۸، ط دار صادر ـ بيروت، الطبری: التاريخ: ۴|۴۴۱ ـ ۴۴۲.

(۲۶۰)

ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهری، نادی المختار: يا أهل الاِسلام! إلیّ إلیّ أنا ابن أبی عبيد بن مسعود، وأنا ابن الكرار لا الفرار، أنا ابن المقدمين غير المحجمين. إلیّ يا أهل الحفاظ وحماة الاَوتار، فحمی الناس يومئذ وأبلی وقاتل قتالاً حسناً ثم أقام مع ابن الزبير فی ذلك الحصار حتی كان يوم أُحرق البيت، فإنّه أُحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الاَوّل سنة ۶۴هـ فقاتل المختار يومئذ فی عصابة معه نحواً من ثلاثمائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس إن كان ليقاتل حتی يتبلّد ثم يجلس ويحيط به أصحابه، فإذا استراح نهض فقاتل، فما كان يتوجه نحو طائفة من أهل الشام إلّا ضاربهم حتی يكشفهم (۱)

وقد ذكر الطبری شيئاً كثيراً من هذه البطولات أيّام إقامته فی مكة مع ابن الزبير قبل مهلك يزيد وبعده.

مغادرته مكة إلی الكوفة :

ولما بلغ نعی يزيد إليه غادر مكة إلی الكوفة للطلب بدم شهيد الطف وإنّما اختار الكوفة لاَنّ هناك مجتمع أنصاره وأعدائه، ولما نزل الكوفة اجتمع حوله كثير من الشيعة، يقول المسعودی: نزل ناحية من الكوفة وجعل يظهر البكاء علی الطالبيين وشيعتهم، ويظهر الحنين والجزع لهم ويحثُّ علی أخذ الثار فمالت إليه الشيعة وانضافوا إلی جملته (۲)ولما بلغ إلی ابن الزبير التفاف الشيعة حول المختار وأنّه بصدد الخروج أحسّ خطراً وأنّه سوف يخرج العراق من يده، وقد كان العراق تحت قدرته، فرأی أنّ التفاف الناس حول المختار يرجع إلی عدم كفاءة عامله، فحاول إبداله بعامل آخر لم يكن فی اللباقة أحسن منه فاستعمل عبد اللّه بن مطيع بالكوفة، وكان قدومه فی رمضان لخمس بقين منه، ولما قدم صعد________________

(۱) الطبری: التاريخ: ۴|۴۴۵ ـ ۴۴۶.

(۲) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۷۳ ـ ۷۴.

(۲۶۱)

المنبر وخطبهم وقال: أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين (ابن الزبير) بعثنی علی مصركم وثغوركم وأمرنی بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلّا برضا منكم، وأن أتّبع وصية عمر ابن الخطاب التی أوصی بها عند وفاته، وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا اللّه واستقيموا ولاـ تختلفوا وخذوا علی أيدی سفهائكم فإن لم تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلومونی، فواللّه لاَُوقعنّ بالسقيم العاصی، ولاَُقيمنّ درع الاَصعر المرتاب (۱)

ولو كان كلامه مقياساً لشعوره ودهائه وسياسته، فهذه الخطابة التى ألقاها، دليل على عدم تعرفه على بيئته، والنفسيات الحاكمة على سكانها فإنّ ما ذكره إنّما كان يتجاوب مع أفكار قليل من أهل الكوفة الذين كانوا يتجاوبون مع بنى أُمية ويحبّون خطهم، وأمّا الاَكثرية الساحقة، فكانوا على خلاف تلك الفكرة.

ولاَجل ذلك قام السائب بن مالك الاَشعرى ولم يمهله لاِتمام كلامه وقال: «أمّا حمل فيئنا برضانا فإنّا نشهد أنّا لا نرضى أن يحمل عنّا فضله، وأن لا ـ يقسم إلاّ ـ فينا، وأن لا يُسار فينا إلاّ بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك، ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا، ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فينا وإن كانت أهون السيرتين علينا وكان يفعل بالناس خيرا».

فقال يزيد بن أنس: صدق السائب وبرّ، وعندئذ تنبه عبد اللّه بن مطيع أنّ كلامه لم يكن بليغاً مطابقاً لمقتضى الحال فعاد بتلطيف ما سبق وقال: نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل (٢)

لمس المختار ما تتبناه الاَكثرية الساحقة من أهل الكوفة والعراق ولم يكن آنذاك فى وسعه تحقيق العدل الاجتماعى الذى سار به على ــ عليه السلام ــ فى أيامه، ولكن كانت فيه مقدرة عظيمة على أخذ الثأر حتى يتمكن من الاَخذ بمجامع القلوب.

---

(١) الجزرى: الكامل فى التاريخ: ٤|٢١١ ـ ٢١٣.

(٢) الجزرى: ٤|٢١٣.

(٢٦٢)

ميزة ثورة المختار :

وتتميز ثورة المختار عن ثورة التوابين بأنّ ثورة هوَلاء كانت متوجّهة على النظام الاَموى بالذات دون الذين ارتكبوا الجرائم بالمباشرة، وذلك لاعتقادهم بأنّ النظام هو الاَساس لقتل الحسين ــ عليه السلام ــ دون الاَشخاص العملاء، فلابد من السعى لقطع جذور السبب قبل مكافحة المسبب، فلاَجل ذلك تركوا الكوفة وفيها قتلة الحسين ــ عليه السلام ــ فتوجهوا إلى الشام وقد استشهد كثير منهم فى معركة الحرب مع الشاميين وتراجع القليل منهم إلى الكوفة وعلى رأسهم رفاعة بن شداد الاَمير الاَخير لهم، وتفرقوا فى عشائرهم.

أمّا المختار فقد كانت ثورته متوجهه بالذات إلى القتلة، وتطهير أرض العراق من جراثيم العيث والفساد من الاَمويين، وأمّا الذى حداه إلى اتّخاذ هذا الاُسلوب فى ثورته هو أنّ العراقيين قد استجابوا لابن الزبير وبايعوه وطردوا عامل الاَمويين من الكوفة باسم عمرو بن حريث، وذلك قبل خروج المختار، وكانت أُمنيتهم من تلك البيعة أمرين:

١ ـ تحقيق العدل الاِجتماعى والسير وراء الاِصلاح الذى قام به الاِمام على ـ عليه السلام ـ

٢ ـ أخذ الثأر من قاتل الاِمام الحسين ــ عليه السلام .ــ

أمّيا الاَمر الاَوّل فلم يتحقّق منه شيء واضح حتى يقنع العراقيين، وأمّا الثانى فكان على طرف النقيض من أُمنيتهم حيث كانت هياكل الاِثم كعمر بن سعد وشمر بن ذى الجوشن وشبث بن ربعى وغيرهم مقربين إلى السلطة، فصار ذلك سبباً لتسرّب الضعف إلى سلطان ابن الزبير فى القلوب فكانوا يتحيّنون الفرص للخروج عن بيعته وإقامة نظام جديد يحقّق العدل الاجتماعى الذى مارسوه فى

(٢٦٣)

عهد الاِمام على وأخذ الثأر من قتلة الاِمام.

نهض المختار والشيعة هم الاَغلبية الساحقة على الكوفة ـ غير راضين من سلطة ابن الزبير وعامله فى الكوفة عبد اللّه بن مطيع واجتمعت الشيعة حول المختار واتفقوا على الرضا به ولم يزل أصحابه يكثرون، وأمره يقوى.

إنّ ثورة المختار كانت ثورة وهاجة أنارت الطريق للثائرين الآتين بعده، غير أنّ حولها إبهامات وتأملات أهمها كونها مبعوثة أو مدعمة من جانب ابن الحنفية مع أنّ الاِمام القائم مقام الحسين ووليه وسلطان دمه هو على بن الحسين زين العابدين ــ عليهما السلام ــ ولعلّ

اتصاله بابن الحنفية لأجل أنّه قام بالأمر وقد مضت خمس سنين من شهادة الإمام وكان محمد الحنفية شخصية معروفة من عصر الإمام على ويعد من علماء أهل البيت فاستجاز منه حتى يتخذه رصيداً لثورته ولا يعد ذلك دليلاً على أنّه كان معتقداً بإمامته على أنّه لم يظهر لابن الحنفية أية دعوة لنفسه، ولو رمى بالدعوة فإنّما هو من أساطير المخالفين لأجل تشويه سمعته والتشكيك فى قلوب الشيعة، مع أنّ المختار أرسل الرسل وروَوس القتلة إلى على بن الحسين ــ عليه السلام ــ أثناء ثورته كما سيوافيك.

خرج المختار بعد مناوشات واشتباكات بينه وبين عبد اللّه بن مطيع، عامل ابن الزبير فى الكوفة حتى غلب عليه المختار، فدخل المختار القصر وبات فيه وأصبح أشراف الناس فى المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه وقال:

«الحمد للّه الذى وعد وليه النصر، وعدوّه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضياً وقد خاب من افترى، أيّها الناس إنّا رفعت لنا راية ومدّت لنا غاية فقيل لنا فى الراية إنّ إرفعوها، وفى الغاية أن أجروا إليها ولا تعدوها، فسمعنا دعوة الداعى ومقالة الواعى.

(۲۶۴)

ـ وقال فى نهاية كلامه: ـ فلا والذى جعل السماء سقفاً محفوظاً والأرض فجاجاً سبلاً، ما بايعتم بعدَ بيعة على بن أبى طالب وآل على، أهدى منها».

ثم نزل ودخل عليه أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب اللّه وسنّة رسول اللّه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلّين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا (۱)

وأقبل المختار يمنّى الناس ويستجرّ مودة الأشراف ويحسن السيرة، وقيل له: إنّ عبد اللّه بن مطيع فى دار أبى موسى، فسكت فلمّا أمسى بعث له بمائة ألف درهم وقال: تجهّز بهذه فقد علمت مكانك وأنّك لم يمنعك من الخروج إلاّ عدم النفقة وكان بينهما صداقة (۲)

نهض المختار بالكوفة لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة ۶۶هـ وبقى إلى شهر رمضان من سنة ۶۷هـ وكانت ولايته ما يقارب ۱۸ شهراً فجدّ فى الأمر وبالغ فى النصرة وتتبع أُولئك الأرجاس وقد أخذ الثأر من قتلة الحسين ـ عليه السلام ـ ونذكر هنا شيئاً قليلاً من قتاله وكفاحه فى ساحة الأخذ بالثأر :

كان عامل المختار على الموصل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى فزحف إليه عبيد اللّه بن زياد بعد قتله سليمان بن صرد (الأمير الأوّل للتوابين)، فحاربه عبد الرحمن وكتب إلى المختار بخبره. فوجّه إليه يزيد بن أنس، ثم وجّه إبراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر، فلقى عبيد اللّه بن زياد فقتله، وقتل الحصين ابن نمير السكونى، وشرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى، وحرق أبدانهما بالنار وأقام والياً على الموصل وأرمينية وآذربيجان من قبل المختار وهو على العراق________________

(۱) ابن الأثير: الكامل: ۴|۲۱۱ ـ ۲۲۶بتلخيص.

(۲) الجزرى: الكامل: ۴|۲۲۵ ـ ۲۲۶.

(۲۶۵)

وال، ووجّه برأس عبيد اللّه بن زياد إلى على بن الحسين إلى المدينة مع رجل من قومه، وقال له: قف بباب على بن الحسين فإذا رأيت أبوابه قد فتحت ودخل الناس فذاك الوقت الذى يوضع فيه طعامه، فادخل إليه، فجاء الرسول إلى باب على بن الحسين ــ عليهما السلام ــ فلمّا فتحت أبوابه ودخل الناس للطعام، نادى بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة ومنزل الوحى أنا رسول المختار بن أبى عبيد معى رأس عبيد اللّه بن زياد، فلم تبق فى شىء من دور بنى هاشم امرأة إلاّ صرخت، ودخل الرسول فأخرج الرأس فلمّا رآه على على بن الحسين قال: أبعده اللّه إلى النار.

وروى بعضهم أنّ على بن الحسين ــ عليهما السلام ــ لم يُرَ ضاحكاً يوماً قط، منذ قتل أبوه، إلاّ فى ذلك اليوم، وأنّه كان له إبل

تحمل الفاكهة من الشام، فلمّا أَتى برأس عبيد اللّه بن زياد أمر بتلك الفاكهة ففرقت فى أهل المدينة، وامتشطت نساء آل رسول اللّه، واختضبن، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن على ــ عليهما السلام.ــ

وتتبع المختار قتلة الحسين فقتل منهم خلقاً عظيماً، حتى لم يبق منهم كثير أحدٍ، وقتل عمر بن سعد وغيره، وحرق بالنار، وعذب بأصناف العذاب (۱)

وقد جاء الجزرى بتفصيل قتل قادة الجيش الاَموى فى كربلاء. قال:

وكان عمرو بن الحجاج الزبيدى ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته، وقيل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدّة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه.

وبعث المختار غلاماً له يدعى زربى فى طلب شمر بن ذى الجوشن ومعه أصحابه أحاطوا بالبيت الذى فيه شمر، وقام شمر وقد اتّزر ببرد وكان أبرص فظهر بياض برصه من فوق البرد وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجّلوه عن لبس ثيابه________________

(۱) اليعقوبى: التاريخ: ۲|۲۵۹.

(۲۶۶)

وسلاحه، وكان أصحابه قد فارقوه فلمّا أبعدوا عنه، سمعوا التكبير وقائلاً يقول: قتل الخبيث، قتله ابن أبى الكنود وأُلقيت جثته للكلاب (۱)

ثم أُرسل إلى خولى بن يزيد الاَصبحى وهو صاحب رأس الحسين ـ عليه السلام ـ فاختفى فى مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتّشون عنه، فخرجت امرأته، واسمها العيوف بنت مالك، وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم: ماتريدون؟ فقالوا لها: أين زوجك؟ قالت: لا أدرى، وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قَوْصرّة فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله وأحرقوه بالنار.

وبعث المختار أبا عمرة إلى عمر بن سعد فأتاه وقال: أجب الاَمير فقام عمر، فعثر فى جبة له، فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فأحضره عند المختار، فقال المختار لابنه «حفص بن عمر» وهو جالس عنده: أتعرف من هذا؟ قال: نعم ولا خير فى العيش بعده فأمر به فقتل، وقال المختار : هذا بحسين، وهذا بعلى بن الحسين ولا سواء، واللّه لو قتلتُ به ثلاثة أرباع قريش، ما وفوا أُنملة من أنامله، ثم بعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفية وكتب إليه يعلمه أنّه قد قتل من قدر عليه وإنّه فى طلب الباقين ممن حضر القتل (۲)

ثم إنّ المختار أرسل إلى حكيم بن طفيل الطائى، وكان أصاب سلب العباس بن على ورمى الحسين بسهم. كما بعث إلى قاتل على بن الحسين وهو مرّة ابن منقذ فأحاطوا بداره، فخرج إليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضُرب على يده وهرب منهم فنجا ولحق بمصعب بن الزبير وشلّت يده بعد ذلك.

وطلب المختار سنان بن أنس الذى كان يدّعى قتل الحسين فرآه قد هرب إلى البصرة فهدم داره، كما أرسل إلى محمد بن الاَشعث ولم يجده وقد كان هرب________________

(۱) الجزرى: الكامل: ۴|۲۳۶ ـ ۲۳۷ باختصار .

(۲) الجزرى: الكامل: ۴|۲۴۱ ـ ۲۴۲.

(۲۶۷)

إلى مصعب، فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدى الكندى، كان زياد قد هدمها(۱)

وفى الختام نذكر عمله القيم الذى أنجى به لفيفاً من أهل بيت النبى الاَكرم من الاِحراق بالنار.

إنّ عبد اللّه بن الزبير حبس محمد الحنفية وأصحابه بزمزم وتوعدهم بالقتل والاِحراق وإعطاء اللّه عهداً إن لم يُبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعّدهم به، وضرب لهم فى ذلك أجلاً.

فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه، أنّ يبعث إلى المختار يعلمه حالهم فكتب إلى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناس، فبكى الناس وقالوا: سرّحنا إليه، وعجّل، فبعث إليهم ثمانمائة راكب من أهل القوة، حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون بالثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم، وقد أعدّ ابن الزبير الحطب ليحرقهم، وكان قد بقى من الأجل يومان، فكسروا الباب، ودخلوا على ابن الحنفية يستأذنون القتال وهو يقول: إنّى لا أستحلّ القتال فى الحرم. فخافهم ابن الزبير وتركهم. وخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب على وهم يسبّون ابن الزبير ويستأذنون محمداً فيه فأبى عليهم فاجتمع فى الشعب أربعة آلاف رجل فقسّم بينهم المال وعزوا وامتنعوا (٢).

ونقل الجزرى أنّ ابن عباس كان أيضاً محبوساً مع محمد الحنفية فأزال جيش المختار الضرر عن كليهما، ولما قتل المختار قوى عليهما ابن الزبير فخرجا إلى الطائف ولما وصل ابن عباس إلى الطائف توفى به وصلّى عليه ابن الحنفية(٣_______________).

(١) الجزرى: الكامل: ٤|٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(٢) الجزرى: الكامل: ٤|٢٥٠ ـ ٢٥٤.

(٣) الجزرى: الكامل: ٤|٢٥٠ ـ ٢٥٤.

(٢٦٨)

قتل المختار بجيش مصعب بن الزبير :

كان المختار يسيطر على قسم كبير من أراضى العراق من الكوفة إلى الموصل وغيرهما وكان أمامه عدوين غاشمين: أحدهما عبد اللّه بن الزبير حيث كان يحكم على العراق كله غير أنّه أخرج المختار عامله من الكوفة وبقيت البصرة بيد عامله مصعب بن الزبير، ثانيهما عبد الملك بن مروان الخليفة الاموى الذى كانت بيده مفاتيح الاقطار الإسلامية غير العراق والحجاز.

وكان مصعب يتحيّن الفرصة للهجوم على الكوفة وعزل المختار وكان عبد اللّه يشجّعه على ذلك ناسياً عمله المشرق عند ما ضرب جيش الشام الحصار على ابن الزبير، فقد حارب المختار ذلك الجيش المكثَّف أياماً عديدة، ولكن الملك عقيم. هذا من جانب.

ومن جانب آخر أنّ المختار تتبع قتلة الحسين ــ عليه السلام ــ بيتاً بيتاً وجدّ فى الامر، وقتل أُولئك الارجاس، ولاجل فتكه وقتله، هرب قسم من أشراف الكوفة الذين كان لهم يد فى قتل الحسين ــ عليه السلام ــ منهم شبث بن ربعى، حيث ورد البصرة على هيئة خاصة يحرض والى البصرة على قتال المختار وهو فى عمله هذا اتّبع ضمضم بن عمرو الغفارى عند ما أرسله أبو سفيان ليخبر قريشاً بالخطر الذى يحدق بتجارتهم، فاستأجر ذلك الرجل وأمره بأن يجدع بعيره، ويقطع رحله ويشقّ قميصه من قبله ودبره، ويصيح: الغوث الغوث.

قام شبث بن ربعى بنفس ذلك العمل (والجنس إلى الجنس يميل) جاء راكباً بغلة قد قطع ذنبها وقطع أطراف أُذنها فى قباء مشقوق وهو ينادى: وا غوثاه، فقال الاشراف الهاربون إلى البصرة لمصعب: سر بنا إلى محاربة هذا الرجل الذى هدم دورنا وأخذوا يحرضونه على ذلك.

(٢٦٩)

فجاء مصعب بجيش كثيف وقد وقعت بينهما حروب طاحنة فى أقطار متعددة إلى أن انحسر المختار إلى الكوفة، وتخبّأ بالقصر.

فحاصره ابن الزبير بقصر الإمارة مع أربعمائة رجل من أصحابه أياماً، وقد كان المختار يخرج من القصر فيقاتل ويرجع إلى أن قتل لاربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، خرج بمن معه مستميتين فقتلوا وقتل المختار وجاء القاتل برأسه إلى مصعب بن الزبير فأجازه بثلاثين ألف درهم، ثم ابتدأ الجيش بقتل الناهضين معه وقتلوا رجالاً ـ كثيراً، ثم بعث مصعب على حرم المختار ودعاهنّ إلى البراءة فرجعت ابنة سمرة بن جندب ولعنته وتبرّأت منه فأطلق سراحها وأبت زوجته الاخرى ابنة النعمان بن بشير وقالت: شهادة أُرزقها ثم أتركها، كلا إنّها موتة ثم الجنّة والقدوم على الرسول وأهل بيته، فأمر بها مصعب وقتلت صبراً.

(۲۷۰) ۵ ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الاَشعث لا يهمّنا في المقام بيان تفاصيل الثورة التي جاءت في تاريخ الطبري والكامل وغيرهما وإنّما يهمّنا الاِلماع إلى النقطة الحساسة في خطب الثائرين على النظام الاَموي، فقد ترى فيها محاكات عن خطب الاِمام أبي الشهداء وبذلك صاروا مستلهمين ثورتهم من ثورته، و فكرتهم من فكرته، وقد نقموا من النظام بنفس ما نقم به الاِمام منهم، وإليك بيانها على وجه موجز:

أرسل الحجاج، عبد الرحمن بن محمد بن الاَشعث إلى سجستان على رأس جيش عراقي وقد فتحوا من البلاد شيئاً كثيراً وكتب القائد في النهاية إلى الحجاج أنّ رأيه إيقاف الحرب في هذه البلاد حتى يعرفوا طريقها، ويجبوا خراجها، ولما وصل الكتاب إلى الحجاج كتب إليه كتاباً وبّخه فيه على إيقاف الحرب، ثم أردفه بكتاب ثانٍ وثالث يأمره بالتوغّل في الحرب وأنّه إن أظهر العجز فالاَمير أخوه إسحاق بن محمد.

ولما وصلت كتب الحجاج إلى عبد الرحمن جمع أصحابه وقال: أيّها الناس! إنّي لكم ناصح ولصلاحكم محب، ثم ذكر ما دار بينه وبين الحجاج عن طريق الكتب، وأنّه أمره بالتوغل في الحرب في أرض العدو، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالاَمس. وقال: إنّما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم، وآبى إذا أبيتم. فثار إليه الناس فقالوا: لا بل نأبى على عدوّ اللّه، ولا نسمع له ولا نطيع.

(۲۷۱)

وقد تكلّم فيمن تكلّم عامر بن واثلة الكناني، فقال بعد أن حمد اللّه وأثنى عليه: أما بعد فإنّ الحجاج واللّه ما يرى بكم إلاّ ما رأى القائل الاَوّل إذ قال لاَخيه: إحمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك وإن نجا فلك، إنّ الحجاج واللّه ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهوب واللصوب، فإن ظفرتم فغنمتم أكل البلاد، وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الاَعداء البغضاء الذين لا يبالي عنتهم ولا يبقي عليهم، اخلعوا عدوّ اللّه الحجاج وبايعوا عبد الرحمن فإنّي أُشهدكم أنّي أوّل خالع، فنادى الناس من كل جانب: فعلنا، فعلنا قد خلعنا عدوّ اللّه.

وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي ثانياً وكان على شرطته حين أقبل فقال: عباد اللّه إنّكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم مابقيتم، وجمّركم تجمير فرعون الجنود فإنّه بلغني أنّه أوّل من جمّر البعوث، ولن تعاينوا الاَحبة فيما أرى أو يموت أكثركم. بايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه فقال: تبايعوني على خلع الحجاج عدوّ اللّه وعلى النصرة لي وجهاده معي حتى ينفيه اللّه من أرض العراق فبايعه الناس ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء.

ثم إنّه خرج عبد الرحمن من سجستان مقبلاً إلى العراق فلمّا دخل فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: إنّا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك، فاجتمعوا إلى عبد الرحمن فبايعوه على كتاب اللّه وسنّة نبيّه وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلّين.

ثم بعد وقوع اشتباكات عنيفة بين عبد الرحمن وجنود الحجاج، دخل عبد الرحمن البصرة، وبايعه الناس من كهولها وقرائها على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وكان ذلك في آخر ذي الحجّة من سنة ۸۱هـ فصارت الحرب في

(۲۷۲)

الحقيقة بين الشاميين يرأسهم الحجاج، والعراقيين يقودهم عبد الرحمن.

مضى ابن الاَشعث إلى جانب الكوفة والحجاج خلف عبد الرحمن إلى أن حصل التقابل بين الجندين في دير الجماجم (۱)فلمّا حمل أهل الشام على العراقيين ناداهم عبد الرحمن ابن أبي ليلى الفقيه، فقال: يا معشر القرّاء إنّ الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إنّي سمعت عليّاً رفع اللّه درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصدّيقين، يقول يوم التقينا أهل الشام: «أيّها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه، فقد سلم، وبرئ، ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكر بالسيف لتكون كلمة اللّه العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونوّر قلبه باليقين، فقاتلوا هؤلاء

المحلّين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحقّ فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو البخترى: أيّها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فواللّه لئن ظهروا عليكم ليفسدنّ عليكم دينكم وليغلبنّ على دنياكم.

وقال الشعبى: يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم فواللّه ما أعلم قوماً على بسيط الاَرض أعمل بظلم، ولا أجور منهم فى الحكم فليكن بهم البدار.

وقال سعيد بن جبير: قاتلوهم ولاتأثموا من قتالهم بنيّة ويقين وعلى آثامهم، قاتلوهم على جورهم فى الحكم وتجبّرهم فى الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاح (۲ـــــــــــــــــــــــــ)

(۱) دير الجماجم: بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البرّ للسالك إلى البصرة قال أبو عبيدة: الجمجمة: القدح من الخشب وبذلك سمُىَ دير الجماجم لاَنّه يعمل فيه الاَقداح من الخشب (معجم البلدان: ۲|۵۰۱).

(۲) الطبرى: التاريخ: ۵|۱۴۵ ـ ۱۶۳.

(۲۷۳)

إلى غير ذلك من الخطب التى أُلقيت فى ذلك المقام وإن تمت الحرب لصالح الحجاج وقضى على ثورة ابن الاَشعث يوم الاَربعاء لاَربع عشرة مضت من جمادى الاُخرى عام ۸۳هـ ولكنّها كانت ثورة وهّاجة فى وجه العدو استتبعت ثورات أُخرى حتى قضت على بنى أُمية من رأس.

وأُعلّق على ثورة عبد الرحمن بأُمور:

۱ ـ إنّ الإمعان فى هذه الكلم الموجزة يقتضى بأنّ القوم كانوا مستلهمين من خطب الإمام أمير المؤمنين وخطب سيد الشهداء يوم عاشوراء وغيره، ويظهر ذلك بمقارنة خطب أبى الشهداء منذ غادر المدينة إلى أن استشهد فى الطف، وبهذا يظهر أنّ هذه الثورات كانت نابعة عن ثورة الحسين ولولاها لما تتابعت هذه الثورات وبالتالى كان الحكم بيد الاَمويين إلى قرون كما كان الاَمر كذلك بيد العباسيين ولم يكونوا أحسن سلوكاً من الاَمويين.

۲ ـ نرى أنّ سعيد بن جبير ذلك التابعى العظيم وكميل بن زياد النخعى، ممن شاركوا فى هذه الثورة وجاهدوا تحت راية عبد الرحمن بن محمد بن الاَشعث مع أنّ بين المقود والقائد بعد المشرقين، فهوَلاء كانوا علويين وعبد الرحمن وأبوه محمد ابن الاَشعث كانا عثمانيَّى الهوى، فإنّ محمد بن الاَشعث هو الذى قضى على ثورة مسلم فى الكوفة وقتله وشارك فى قتل الحسين. وما هذا إلاّ لاَنّ روَساء الشيعة آنذاك استثمروا الفرصة وشاركوا فى هذه الثورة ليقضوا على العدوّ الغاشم بيد غيرهم، ولاَجل ذلك لما وضعت الحرب أوزارها دعا الحجاج بكميل بن زياد النخعى فقال له: أنت المقتصّ من عثمان أمير المؤمنين قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلا. فقال: واللّه ما أدرى على أيّنا أنت أشد غضباً عليه حين أقاد من نفسه أم علىّ حين عفوت عنه؟ ثم قال: أيّها الرجل من ثقيف لا تصرف علىَّ أنيابك ولاتهدّم علىّ تهدُّم الكثيب، ولاتكشر كشران الذئب، واللّه ما بقى من

(۲۷۴)

عمرى إلاّ ضِمْءُ الحمار فإنّه يشرب غدوة ويموت عشية، ويشرب عشية ويموت غدوة، إقض ما أنت قاض فإنّ الموعد اللّه وبعد القتل الحساب. قال الحجاج: فإنّ الحجّة عليك. قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى كنتَ فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين. أُقتلوه، فقدم فقتل، قتله أبو الجهم بن كنانة (۱)

۳ ـ إنّ الحجاج كان ممن نكست فطرته فالمعروف كان عنده منكراً والمنكر معروفاً، وكان قتل الاَبرياء وتعذيبهم بألوان العذاب شيئاً سهلاً عنده. يقول المؤرخون: لما أسرف الحجاج فى قتل أسارى دير الجماجم واعطائه الاَموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه: أمّا بعد: فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك فى الدماء وتبذيرك فى الاَموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لاَحد من الناس، وقد حكم عليك أمير المؤمنين فى الدماء فى الخطاء الدية وفى العمد القود، وفى الاَموال ردّها إلى مواضعها...

فلمّا بلغ كتاب عبد الملك إليه كتب إليه فى الجواب: واللّه ما علىَّ من عقل ولا قود، ما أصبتُ القوم فأَدِيَهُم، ولاظلمتهم فأَقاد بهم، ولا أعطيتهم إلاّ لك، ولا قتلت إلاّ فيك... (۲)

وكان سعيد بن الجبير وكميل بن زياد ومئات من التابعين الاَبرياء كانوا ممن تستباح دماوَهم وأموالهم فخضّب وجه الاَرض بسيول الدماء ... وإلى اللّه المشتكى.

۴ ـ وإنّ من العجب العجاب مشاركة الحسن المثنى فى انتفاضة ابن الاَشعث ولاَجل ذلك يعدّه ابن المرتضى سلفاً للزيدية، ولم يكن زيد يوم ذاك إلاّ طفلاً أو مراهقاً، وبما أنّ أهل البيت كانوا يعانون من النظام الاَموىّ المتمثل يوم________________

(۱) الطبرى: التاريخ: ۵|۱۶۹ ـ ۱۷۰.

(۲) المسعودى: مروج الذهب: ۳|۱۳۴ ـ ۱۳۵.

(۲۷۵)

ذلك فى بنى مروان، شاركوا فى مثل هذه الانتفاضة لاتفاقهم معه فى الهدف الموَقّت أعنى إزالة عبد الملك عن الحكم (۱)

إلى هنا تمت الثورات المتقدمة على ثورة الاِمام زيد وقد اتضح كونها مستلهمة من ثورة الحسين بوجه وحان حين الكلام فى ثورة زيد الشهيد التى أنارت الطريق للثائرين المتأخرين الذين أنهضهم بثورته، للقضاء على النظام السائد فى مدّة لا تتجاوز عشر سنين وإليك البيان.

---

(۱) البحر الزخار: المقدمة| ۲۲۵، وسيوافيك الكلام عند ذكر أئمة الزيدية.

(۲۷۷) (۲۷۶)

القسم الثانى : فهرس إجمالى لفصول القسم

اشاره

القسم الثانى : فهرس إجمالى لفصول القسم الثانى ، العشرة

الفصل الاَوّل عرض إجمالى للثائرين بعد الاِمام زيد

الفصل الاَوّل عرض إجمالى للثائرين بعد الاِمام زيد وهم بين داع وإمام إنّ ثورة زيد بن على كانت ثورة عارمة بوجه الظالمين هزّت وضعضعت أركان الدولة الاَموية وساعدت على إزالتهم عن أديم الاَرض، وقد استغلّها العباسيون فى تنظيم حركتهم لاِقامة دولتهم وقد تركت ثورته فى القلوب محبّة للثائر ومن حبا حبوه بشكل قلّ نظيره، حتى أنّ يحيى بن زيد لما أُطلق سراحه اتّخذ الخراسانيون من قيد قدميه فصوصاً لخواتيمهم، يتبركون بها، وهذا يدلّ على عمق تأثير ثورة زيد فى قلوب المسلمين. ولاِيقاف القارىَ على الاَحداث التى وقعت بعد ثورته، نذكر الذين نهجوا منهجه وساروا على دربه، أخذوا بزمام الثورة وقادوها، واحداً بعد الآخر، وإليك أسماءهم أوّلاً، ثم الاِدلاء بحياتهم وثورتهم، ثانياً:

۱ ـ يحيى بن زيد، الذى اشترك مع أبيه فى الثورة وبقى بعد مقتل أبيه.

۲ ـ محمد بن عبد اللّه بن الحسن المعروف بالنفس الزكية المستشهد عام ۱۴۵ هـ خرج بالمدينة مطالباً بإرجاع الحقوق إلى أصحابها الشرعيين، وكان

(۳۳۰)

محمد قد شارک فی ثورة زید بن علی ولما فشلت عاد إلی المدینة، وسیوافیک أنّ یحیی بن زید قد فوّض الاَمر إلی النفس الزکیة.

۳ ـ لما قتل محمد بن عبد اللّه قام أخوه إبراهیم بن عبد اللّه فی نفس العام فی البصرة، التحق به أنصار زید بن علی، لمواصلة القتال من جدید. إلی أن قضی علیه أبو جعفر المنصور فی نفس العام.

۴ ـ ولما قتل محمد بن عبد اللّه، مضی أخوه إدریس بن عبد اللّه إلی المغرب فأجابه خلق من الناس وبعث المنصور من اغتاله بالسم وقام ولده إدریس بن إدریس بن عبد اللّه بن الحسن مقامه، وأسّس دولة الاَدارسة فی المغرب. ذکر تفصیله المسعودی فی مروج الذهب (۱)وسیوافیک الکلام فیه فی محلّه.

۵ ـ عیسی بن زید بن علی، أخو یحیی بن زید، وقد تواری بعد ثورة أخیه فمات متواریاً عام ۱۶۶هـ

۶ ـ محمد بن إبراهیم (طباطبا)، فقد خرج فی خلافة المأمون ودعا إلی الرضا من آل محمد وکانت له أتباع وغلب علی بلاد العراق وهزمت جیوش المأمون التی أُرسلت للقضاء علیه، وصلت سیطرة ابن طباطبا إلی الحجاز حتی أنّ الحسین بن الحسن بن علی بن الحسین بن علی المعروف بـ «الاَفطس» دعا له بالمدینة، وتوفی عام ۱۹۹هـ

۷ ـ محمد بن محمد بن زید بن علی، وکان أبو السرایا قائداً عاماً لجیشه وکان قبل ذلک داعیة لابن طباطبا.

لما توفی محمد بن إبراهیم (طباطبا) هرب أخوه القاسم بن إبراهیم________________

(۱) المسعودی مروج الذهب: ۳|۲۹۶، قال: وقد أتینا علی خبرهم عند ذکرنا بخبر عبید اللّه صاحب المغرب، وبنائه المدینة المعروف بالمدینة.

(۳۳۱)

(طباطبا) إلی الهند وتوفی هناک عام ۲۵۴ هـ فعاد ابنه الحسین بن القاسم إلی الیمن، وعند ذلک تواصلت قیادة الثورة بابنه الآخر أعنی:

۸ ـ محمد بن القاسم بن علی بن عمر الاَشرف بن علی بن الحسین بن علی ابن أبی طالب، فقد ظهر فی الطالقان عام ۲۱۹ هـ ودعا إلی الرضا من آل محمد، ولکن أُلقی القبض علیه فجیء به إلی المعتصم فسجن.

۹ ـ یحیی بن عمر بن الحسین بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب، خرج بالکوفه عام ۲۵۰هـ غیر أنّ ثورته فشلت.

۱۰ ـ یحیی بن الحسین بن القاسم، المعروف بالزاهد وقد دعا لنفسه بصعده وبویع للاِمامة عام ۲۸۸ هـ

ثم إنّ الاِمام یحیی بن الحسین أسس دولة زیدیة بالیمن وقامت بالاِمامة واحد بعد الآخر وکلّهم من أبناء القاسم إلی أن أُقصیت الزیدیة عن الحکم فی الیمن بحلول الجمهوریة، وذلک فی شهر ربیع الاَوّل من سنة ۱۳۸۲هـ وسیوافیک أسماء أئمتهم إلی المنصور باللّه محمد البدر بن أحمد بن یحیی حمید الدین. فی محلّه.

۱۱ ـ قامت دولة زیدیة أُخری فی طبرستان بین ۲۵۰ ـ ۳۶۰هـ

وفی عام ۲۵۰هـ ظهر الحسن بن زید بن محمد بن إسماعیل بن زید بن الحسین بن الحسن بن علی بن أبی طالب فی طبرستان أیام المستعین، واستطاع السیطرة علی طبرستان وجرجان بعد قتال مریر ضد محمد بن طاهر أمیر خراسان وتوفی عام ۲۷۰هـ

۱۲ ـ قام مقامه أخوه محمد بن زید ودخل بلاد الدیلم عام ۲۷۷ هـ وامتلکها وتمت بیعة رافع له.

(۳۳۲)

وفی عام ۲۸۷ هـ سار محمد بن زید نحو خراسان للاستیلاء علیها، فاصطدم بإسماعیل السامانی المتوفی عام ۲۹۵ هـ ومات متأثراً بجراحه.

۱۳ ـ ثم ملک طبرستان بعد ذلک الناصر للحق الحسن بن علی المعروف بـ «الاَطروش» وقد کان یدعو الناس إلی الاِسلام علی مذهب زید بن علی، وکانوا علی دین المجوسیة فاستجابوا له واستطاع عام ۳۰۱، أن یستولی علی طبرستان والدیلم إلی أن وافته المنیة عام

۳۰۴ هـ

۱۴ ـ وجاء بعده الحسن بن القاسم (الملقب بالداعى) بن الحسن بن على ابن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط.

۱۵ ـ وقام مقامه محمد بن الحسن بن القاسم بن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط المتوفى سنة ۳۶۰هـ

هذه جدولة موجزة وضعتها أمام القارىء للثائرين المشهورين، وإلاّ الثوار الداعون إلى منهج الإمام زيد أكثر من ذلك، وقد ذكر الإمام الأشعرى منهم اثنين وعشرين نفراً كلّهم من العلويين، حيث ضرجوا بدمائهم، أو أُقصوا من ديارهم، لإرجاع العدالة والدين إلى الساحة الإسلامية، ولعلّ بين قرّاء الكتاب من له رغبة فى الوقوف على أسماء الجميع، ـ ولذلك ـ نذكر نصّ الشيخ الأشعرى بتلخيص.

قائمة الثائرين بعد زيد الشهيد :

قال الأشعرى: هذا ذكر من خرج من آل النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فذكر أوّلاً خروج أبى الشهداء الحسين بن على ــ عليهما السلام، ــ ثم خروج زيد بن على على وجه التفصيل، وأوجز الكلام فيما يأتى، أعنى بهم:

(۳۳۳)

۱ ـ يحيى بن زيد...

۲ ـ محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن، ذو النفس الزكية.

۳ ـ إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن، أخو محمد.

۴ ـ الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن، قتيل فخ.

۵ ـ يحيى بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على، صار إلى الديلم.

۶ ـ محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد اللّه بن الحسن المثنى خرج بـ «تاهرت».

۷ ـ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على.

۸ ـ محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

۹ ـ إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ـ قدّس سرّه ـ خرج مرة باليمن وبالعراق أُخرى.

۱۰ ـ محمد بن القاسم من ولد الحسين بن على، بخراسان، خرج ببلدة يقال لها طالقان.

۱۱ ـ محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على الملقب بـ «الديباج» لحسن وجهه، خرج داعية لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم، فلما مات محمد بن إبراهيم دعا لنفسه.

۱۲ ـ الأفطس خرج بالمدينة داعياً لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، فلما مات محمد بن إبراهيم دعا إلى نفسه.

۱۳ ـ على بن محمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين، خرج فى خلافة المعتصم.

۱۴ ـ الحسن بن زيد بن الحسن بن على أبى طالب، خرج بطبرستان فى سنة ۲۵۰هـ

(۳۳۴)

۱۵ ـ وخرج بقزوين، الكوكبى وهو من ولد الأرقط، واسمه: الحسن بن أحمد بن إسماعيل، من ولد الحسين بن على بن أبى طالب.

۱۶ ـ وخرج بالكوفة أيام المستعين، أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.

۱۷ ـ وخرج فى أيامه أيضاً، الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد اللّه من ولد الحسين بن على.

۱۸ ـ خرج بسواد الكوفة أيام فتنة المستعين، ابن الأفطس.

۱۹ ـ وخرج بسواد المدينة سنة ۲۵۰هـ، إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم من ولد الحسن بن على فغلب عليها وتوفى عام ۲۵۲هـ

۲۰ ـ خلف أخوه محمد بن يوسف وجاء به أبو الساج، وقتل كثيراً من أصحابه وهرب محمد فمات فى هربه.

۲۱ ـ خرج بالكوفة فى آخر أيام بنى أُمية، عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، وحاربه عبد اللّه بن عمر فغادر الكوفة عازماً إلى فارس، فمات فيها.

۲۲ ـ وخرج صاحب البصرة وكان يدّعى أنّه على بن محمد بن على بن عيسى ابن زيد بن على وأنصاره الزنج وغلب على البصرة سنة ۲۵۷ هـ وقتل سنة ۲۷۰هـ

۲۳ ـ وخرج بأرض الشام المقتول على الدّكة، فظفر به المكتفى باللّه بعد حروب ووقايع كانت (۱)

والنسبة بين ما ذكرناه وما ذكره الاَشعرى عموم وخصوص من وجه، وهو________________

(۱) الاَشعرى: مقالات الاِسلاميين: ۷۵ ـ ۸۵.

(۳۳۵)

بعد لم يذكر الثائر الطائر الصيت يحيى بن الحسين الذى أقام الدولة فى اليمن، كما ترك بعض الثائرين المؤسسين للدولة فى طبرستان.

والجدير بالدراسة، هو البحث عن الحافز أو الحوافز التى كانت تدفع هوَلاء الاَماثل الاَشراف نحو القتال فى الساحة، فكانوا يرون بأُم أعينهم، أنّه لا يقوم واحد منهم إلاّ ويقتل أو يسجن ويعذّب بألوان العذاب، ومع ذلك كانوا يبادلون هدوء الحياة وملاذّها بالشهادة فى المعارك، والصلب على المشانق، وقتل الاَولاد والاَصحاب، ونهب الاَموال.

وهذه هى النقطة الحساسة فى حياة العلويين التى تحتاج إلى دراسة معمقة بحياد ورحابة صدر وبما أنّ موسوعتنا، موسوعة تاريخ العقائد، لا ـ تاريخ الشخصيات والحوادث، نرجىء البحث عنها إلى آونة أُخرى، وفى نهاية المطاف نقول: يُقسّم الثائرون بعد زيد الشهيد إلى أصناف أربعة:

۱ ـ أصحاب الانتفاضة: الذين قاموا بوجه الظلم، بعد استشهاد زيد فى أقطار مختلفة وعلموا أنّ أعواد المشانق نصب أعينهم وكان نصيبهم من القيام هو الشهادة، وإيقاظ الاَُمّة وأداء الواجب من دون أن يوَسّسوا دولة فى قطر من الاَقطار، وإنّما كانت أعمالهم أشبه بما يعبر عنها اليوم بالانتفاضة.

الذين ساروا على درب الاِمام زيد وصار التوفيق نصيبهم، فأسّسوا دولة فى قطر من الاَقطار امتدت قرناً أو قروناً، وهوَلاء عبارة عن:

۲ ـ أئمة الزيدية فى اليمن: ابتداءً بالاِمام يحيى بن الحسين الذى قام بالاَمر عام ۲۸۴ هـ وتوفى عام ۲۹۸ هـ وانتهاءً بحياة المنصور باللّه محمد البدر الذى أُزيل عن الحكم بقيام الجمهورية عام ۱۳۸۲هـ

۳ ـ أئمة الزيدية فى طبرستان: ابتداءً من الحسن بن زيد بن محمد بن

(۳۳۶)

إسماعيل الذى قام بالحكم وأسّس الدولة سنة ۲۵۰ هـ وانتهاءً بمحمد بن الحسن ابن القاسم الذى توفى سنة ۳۶۰هـ

۴ ـ دعاة الزيدية فى المغرب: ابتداءً بإدريس بن عبد اللّه المحض وانتهاء بأحد احفاده، وسيوافيك تفصيله.

فنذكرهم على وجه التفصيل فى فصول: (۳۳۷)

الفصل الثانى أصحاب الانتفاضة

الفصل الثانى أصحاب الانتفاضة

استشهد زيد بن على ـ رضى اللّه عنه ـ وهو فى طريق دعوته إلى كسح الظلم ونشر العدل، وأشعل فتيل الثورة وبقيت نارها بعد استشهاده متأجّجة بين أولاده وأصحابه، بيد كابر بعد كابر. وإليك مَن نهج منهاجه: ۱ يحيى بن زيد بن على (۱۰۷ ـ ۱۲۵ هـ)

هـو يحيى بن زيـد بن على بن الحسين بن على بن أبى طـالب ــ عليه السـلام ــ وأمّه «ريطـة» بنت أبى هـاشم عبـد اللّه بن محمـد بن الحنفية، وإيّاها عنى أبو ثميلة الآبار بقوله:

فلعل راحم أُمّ موسى والذى * نجّاه من لجج خضمّ مزبد

سيسرُ «ريطة» بعد حزن فوَادها * يحيى، ويحيى فى الكتائب يرتدى

وأُمّ «ريطة» هى بنت الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب، أُمّها ابنة المطلب بن أبى وادعة السهمى.

شرف تتابع كابر عن كابر * كالرمح انبوب على انبوب

(۳۳۸)

وقد ذكر أبو الفرج الاَصفهانى ثورته واستشهاده على وجه مبسط، وجاء الجزرى باختصاره فى الكامل ونذكر نصّ الثانى:

لمّا قتل زيـد بن على ودفنه يحيى ابنه، سار بعد قتل أبيه، إلى خراسان، فأتى «بلخ» فأقام بها عند الحريش بن عمرو بن داود حتى هلك هشام، وولى الوليـد بن يزيد. فكتب يوسف بن عمر إلى «نصـر» بمسـير يحيى بن زيد وبمنزله عند الحريش، وقال له: خذه أشد الاَخذ، فأخذ «نصر» الحريش، فطالبه بيحيى، فقال: لا علم لى به. فأمر به فجلد ستمائة سوط. فقال الحريش: واللّه لو أنّه تحت قدمى ما رفعتهما عنه. فلمـا رأى ذلك قريش بن الحريش قال: لا تقتل أبى وأنا أدلّك على يحيى، فـدلّه عليه، فأخـذه «نصـر» وكتب إلى الوليـد يُخبره، فكتب الوليـد يـأمره أن يـوَمِّنه ويخلّى سـبيله وسبيـل أصـحابه. فـأطلقه «نصـر» وأمره أن يلحق بالوليـد وأمر له بـألفى درهم، فسـار إلى «سـرخس» فأقام بها، فكتب «نصر» إلى عبد اللّه بن قيس بن عباد يأمره أن يسيّره عنها، فسيّره عنها، فسار حتى انتهى إلى «بيهق»، وخاف أن يغتـاله يوسـف بـن عمر فعـاد إلى نيسـابور، وبهـا عمرو بن زرارة، وكـان مـع يحيى سـبعون رجلاًـ فرأى «يحيى» تجـاراً، فأخـذ هو وأصـحابه دوابهم وقـالوا: علينـا أثمانهـا، فكتب عمرو بن زرارة إلى «نصـر» يخبره، فكتب «نصـر» يأمره بمحاربته، فقاتله عمرو، وهو فى عشـرة آلاـف ويحيى فى سـبعين رجلاًـ فهزمهم يحيى وقتل عمراً وأصاب دواب كثيرة وسار حتى مرّ بهرات فلم يعرض لمن بها وسار عنها.

وسرّح «نصـر بن سيار» سـالم بن أحْوز فى طلب يحيى، فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالاً شديـداً، فرُمى يحيى بسـهم فأصاب جبهته، رماه رجل من عَنَزة يقال له عيسى، فقُتل أصحاب يحيى من عند آخرهم وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه.

فلمّـا بلغ الوليـد قتل يحيى، كتب إلى يوسف بن عمر: خـذ عُجَيْل أهل العراق فأنزله من جذعه، ـ يعنى زيداً ـ، وأحرقه بالنار ثم انسـفه باليمّ نسفاً. فأمر

(۳۳۹)

يوسف به فأُحرق، ثم رضّه وحمله فى سفينة ثم ذرّاه فى الفرات.

وأمّا يحيى فإنّه لما قتل صـلب بالجوزجان، فلم يزل مصـلوباً حتى ظهر أبو مسـلم الخراسانى واسـتولى على خراسان، فأنزله وصلّى عليه ودفنه وأمر بالنياحة عليه فى خراسان، وأخذ أبو مسـلم ديوان بنى أُمية وعرف منه أسـماء من حضر قتل يحيى، فمن كان حياً قتله، ومن كان ميتاً خلفه فى أهله بسوء (۱)

وقال السيد المدنى فى شرح الصحيفة:

«لمـا قتـل أبـوه زيـد بـن على، خرج يحيى حـتى نزل بالمـدائن، فبعـث يوسـف بـن عمر فى طلبه، فخرج إلى الرىّ ثم إلى نيسـابور من خراسـان، فسألوه المقام بها فقال: بلـدة لم تُرفع فيها لعلى وآله رايـة لا حاجـة لى فى المقام بها، ثم خرج إلى «سـرخس» وأقام بها عند يزيـد بن عمر التميمى سـتة أشـهر، حتى مضـى هشام بن عبد الملك لسبيله، وولى بعده الوليد بن يزيد فكتب إلى «نصـر بن سـيار» فى طلبه فأخذه ببلخ وقيّده وحبسه، فقال عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب رضى اللّه عنه، لما بلغه ذلك:

أليس بعين اللّه ما تفعلونه * عشية يحيى موثق بالسلاسل

كلاب عوت لا قدّس اللّه سرها * فجئن بصيد لايحل لآكل

وكتب نصر بن سيار إلى يوسف بن عمر، يخبره بحبسه وكتب يوسف إلى الوليد، فكتب الوليد إليه بأن يحذره الفتنة ويخلّي سبيله فخلّي سبيله وأعطاه ألفي درهم وبغلين، فخرج حتى نزل الجوزجان (٢)فلحق به قوم من أهلها ومن الطالقان، زهاء خمسمائة رجل، فبعث إليه «نصر بن سيار»، سالم بن أحور فاقتتلوا________________

(١) أبو الفرج الاَصفهاني: مقاتل الطالبيين: ١٠٣ ـ ١٠٨، والجزري: الكامل: ٥|٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٢) الجوزجان: بزاي بين الجيمين المفتوحتين: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان.

(٣٤٠)

أشد قتال ثلاثة أيام حتى قتل جميع أصحاب يحيي وبقي وحده فقتل عصر يوم الجمعة سنة خمس وعشرين ومائة، وله ثماني عشرة سنة، وبعث برأسه إلى الوليد، فبعث به الوليد إلى المدينة، فوضع في حجر أُمه «ريطة» فنظرت إليه، وقالت: شردتموه عنّي طويلاً وأهديتموه إليّ قتيلاً، صلوات اللّه عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلاً.

فلمّا قتل عبد اللّه بن علي بن عبد اللّه بن العباس، مروان بن محمد بن مروان، بعث برأسه حتى وضع في حجر أُمّه فارتاعت. فقال: هذا بيحيي بن زيد، وكان الذى احتز رأس يحيي بن زيد، سورة بن أبحر، وأخذ العنبري سلبه، وهذان أخذهما أبو مسلم المروزي فقطع أيديهما وأرجلهما وصلبهما. ولاعقب ليحيي بن زيد (١).

هذا ما يذكره المؤرّخون وقد كان ليحيي عند الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ مكانة عالية، وقد استشهد ولم يكمل العقد الثاني من عمره الشريف حيث تولد عام ١٠٧هـ واستشهد في عام ١٢٥هـ ولما سمع الاِمام الصادق شهادته وصلبه حزن حزناً عظيماً ومن كلامه في حقّ يحيي فيما بعد قال: «إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين ابن علي صلوات اللّه عليه فنزع اللّه ملكهم، وقتل هشام، زيد بن علي فنزع اللّه ملكه، وقتل الوليد، يحيي بن زيد رحمه اللّه فنزع اللّه ملكه» (٢)

أمّا أعلام الاِمامية فقد عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ وقال: يحيي بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المدني، ومن غرائب الكلام عدّه من أصحاب الكاظم ــ عليه السلام ــ مع أنّه ولد عام ١٢٨هـ بعد ثلاثة سنين من استشهاد يحيي بن زيد________________.

(١) السيد علي خان المدني: رياض السالكين: ١|٦٩ ـ ٧٠.

(٢) المجلسي: البحار: ٤٦|١٨٢ ح ٤٦.

(٣٤١)

يحيي بن زيد والصحيفة السجادية :

إنّ الصحيفة السجادية نسخة من علوم أئمة أهل البيت، وهي أدعية للاِمام السجاد تهز كل إنسان إذا قرأها بدقة وإمعان، وقد أودع فيها الاِمام كنوزاً من المعارف، وعلّم الاِنسان كيفية الدعاء والابتهال إلى اللّه سبحانه، انشأها سيد الساجدين في عصر الظلم والقتل والتشريد وقد كانت نسخة منها عند زيد الثائر، وقد أوصى بها إلى ولده يحيي، وهو أيضاً أوصى إلى: محمد وإبراهيم ابني عبد اللّه بن الحسن بن علي بن أبي طالب وذكر تفصيله عمير بن المتوكل الثقفي البلخي عن أبيه متوكل بن هارون قال:

لقيت يحيي بن زيد بن علي ــ عليه السلام ــ وهو متوجه إلى خراسان فسلّمت عليه، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلتُ: من الحجّ، فسألني عن أهله وبني عمّه بالمدينة وأحفى السوَال عن جعفر بن محمد فأخبرته بخبره وخبرهم وحزنهم على أبيه زيد بن علي ــ عليه السلام ــ فقال لي: قد كان عمي محمد بن علي ــ عليه السلام ــ أشار إلى أبي بترك الخروج وعرّفه أنّه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره، فهل لقيت ابن عمي جعفر بن محمد ـ عليه السلام ـ ؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعته يذكر شيئاً من أمري؟ قلتُ: نعم، قال: بم ذكرني؟ قلتُ: جعلتُ فداك ما أُحبّ أن أستقبلك بما سمعته منه، فقال: أبالموت تخوفني؟ هات ما سمعته، فقلت سمعته

يقول:
إنّك تقتل وتصلب كما قتل أبوك وصلب، فتغير وجهه وقال": يَمحُوا اللّهُ ما يَشَاءُ ويُثْبِتُ وعِندَه أُمُّ الكِتاب "يا متوكل إنّ اللّه عزّ وجلّ أيّد هـذا الاَمر بنا، وجعل لنا العلم والسيف، فجمعا لنا وخصّ بنو عمنا بالعلم وحده، فقلت: جعلت فداك إنّى رأيت الناس إلى ابن عمك جعفر ــ عليه السلام ــ أميل منهم إليك وإلى أبيك، فقال: إنّ عمى محمد بن على وابنه جعفر ــ عليهما السلام ــ دعوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت، فقلت: يابن رسول اللّه أهم أعلم أم أنتم؟
(۳۴۲)
فأطرق إلى الاَرض مليّاً ثم رفع رأسه وقال: كلّنا له علم غير أنّهم يعلمون كلّ ما نعلم ولا نعلم كلّ ما يعلمون.
ثم قال لى: أكتبت من ابن عمى شيئاً ؟ قلت: نعم، قال: أرينه، فأخرجت إليه وجوهاً من العلم وأخرجت له دعاء أملاه علىّ أبو عبد اللّه ــعليه السلام ــ وحدثنى أنّ أباه محمد بن على ــ عليهما السلام ــ أملاه عليه، وأخبره أنّه من دعاء أبيه على بن الحسين ــ عليهما السلام ــ من دعاء الصحيفة الكاملة، فنظر فيه يحيى حتى أتى على آخره وقال لى: أتأذن فى نسخه فقلت: يابن رسول اللّه أتستأذن فيما هو عنكم، فقال: أما أنّى لاَخرجن إليك صحيفة من الدعاء الكامل ممّا حفظه أبى عن أبيه، وانّ أبى أوصانى بصونها ومنعها غير أهلها، قال عمير: قال أبى: فقمت إليه فقبلت رأسه، وقلت له: واللّه يابن رسول اللّه إنّى لاَدين اللّه بحبكم وطاعتكم وأنّى لاَرجو أن يسعدنى فى حياتى ومماتى بولايتكم. فرمى صحيفتى التى دفعتها إليه إلى غلام كان معه وقال: أُكتب هـذا الدعاء بخط بيّن وحسن وأعرضه علىّ لعلّى أحفظه، فإنّى كنت أطلبه من جعفر حفظه اللّه فيمنعنيه قال المتوكل: فندمت على ما فعلت ولم أدر ما أصنع ولم يكن أبو عبد اللّه ــ عليه السلام ــ تقدم إلىّ ألاّ أدفعه إلى أحد.
ثم دعا بعيبة فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة فنظر إلى الخاتم وقبّله وبكى ثم فضّه وفتح القفل، ثم نشر الصحيفة ووضعها على عينيه وأمرّها على وجهه، وقال: واللّه يامتوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمى إنّنى أُقتل وأُصلب لما دفعتها إليك ولكنت بها ضنيناً ولكنى أعلم أنّ قوله حقّ أخذه عن آبائه وأنّه سيصح، فخفت أن يقع مثل هـذا العلم إلى بنى أُمية فيكتموه ويدّخروه فى خزائنهم لاَنفسهم، فاقبضها واكفينها وتربص بها، فإذا قضى اللّه من أمرى وأمر هوَلاء القوم ما هو قاض، فهى أمانة لى عندك حتى توصلها إلى ابنى عمى: محمد وإبراهيم ابنى عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على ــ عليهما السلام ــ فإنّهما القائمان فى
(۳۴۳)
هذا الاَمر بعدى.
قال المتوكل: فقبضت الصحيفة، فلما قتل يحيى بن زيد صرت إلى المدينة فلقيت أبا عبد اللّه ــ عليه السلام: ــ فحدّثته الحديث عن يحيى فبكى واشتد وجده به، وقال: «رحم اللّه ابن عمى وألحقه بآبائه وأجداده، واللّه يا متوكل مامنعنى من دفع الدعاء إليه إلاّ الذى خافه على صحيفة أبيه، وأين الصحيفة؟» فقلت: ها هى، ففتحها، أو قال: «هـذا واللّه خط عمى زيد ودعاء جدى على بن الحسين ـ عليهما السلام ـ» ثم قال لابنه: «قم يا إسماعيل فأتنى بالدعاء الذى أمرتك بحفظه وصونه» فقام إسماعيل فأخرج صحيفة كأنّها الصحيفة التى دفعها إلىّ يحيى بن زيد فقبّلها أبو عبد اللّه ووضعها على عينه وقال: « هـذا خط أبى وإملاء جدى ـ عليهما السلام ـ بمشهد منى» فقلت: يابن رسول اللّه إن رأيت أن أعرضها مع صحيفة زيد ويحيى، فأذن لى، وقال: «قد رأيتك لذلك أهلاً» فنظرتُ وإذا هما أمر واحد ولم أجد حرفاً منها يخالف ما فى الصحيفة الاُخرى، ثم استأذنت أبا عبد اللّه ـ عليه السلام ـ فى دفع الصحيفة إلى ابنى عبد اللّه بن الحسن، فقال: «إنّ اللّه يأمركم أن توَدوا الاَمانات إلى أهلها، نعم فأدفعها إليهما» فلما نهضت للقائهما قال لى: «مكانك» ثم وجّه إلى محمد وإبراهيم فجاءا، فقال: هذا ميراث ابن عمكما يحيى من أبيه قد خصّكما به دون إخوته ونحن مشترطون عليكما فيه شرطاً، فقالا: رحمك اللّه قل فقولك المقبول، فقال: «لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة» قالا: ولم ذاك؟ قال: «إنّ ابن عمكما خاف عليهما أمراً أخافه أنا عليكما» قالاـ إنّما خاف عليها حين علم أنّه يقتل، فقال: أبو عبد اللّه ــ عليه السلام: «ــ وأنتما

فلاتأمنا فواللّه إنّى لأعلم أنّكما ستخرجان كما خرج وستقتلان كما قتل» فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلى العظيم.

فلمّا خرجا قال لى أبو عبد اللّه ــ عليه السلام: «ــ يامتوكل كيف قال لك يحيى إنّ عمى محمد بن على وابنه جعفراً دعوا الناس إلى الحياة ودعوناهم إلى

(۳۴۴)

الموت» قلت: نعم أصلحك اللّه قد قال لى ابن عمك يحيى ذلك، فقال: «يرحم اللّه يحيى انّ أبى حدثنى عن أبيه عن جده عن على ــعليه السلام ــ إنّ رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى فى منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ جالساً والحزن يُعرف فى وجهه، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ بهذه الآية": وما جَعَلْنا الرُّوَيا الّتى أرَيْنَاكَ إلاّ فِتنَةً لِلنَّاسِ والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِى القُرآنِ ونُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاّ طُغياناً كَبِيراً ("۱)يعنى بنى أُمية قال: ياجبريل أعلى عهدى يكونون وفى زمنى، قال: لا ولكن تدور رحى الاِسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً، ثم تدور رحى الاِسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً ثم لابد من رحى ضلالة هى قائمة على قطبها ثم ملك الفراعنة قال وأنزل اللّه تعالى فى ذلك": إنّا أنزلناهُ فِى ليلةِ القَدْرِ * وما أدراكَ ما ليلةُ القَدْرِ * ليلةُ القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شَهْر ("۲)يملكها بنو أُمية ليس فيها ليلة القدر، قال: فأطلع اللّه عزّ وجلّ نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنّ بنى أُمية تملك سلطان هذه الاَمّة وملكها طول هذه المدّة فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن اللّه تعالى بزوال ملكهم، وهم فى ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر اللّه نبيه بما يلقى أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم منهم فى أيامهم وملكهم قال وأنزل اللّه تعالى فيهم": أَلَمْ تَرَ إلى الّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كُفْراً وأحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوارَ* جَهنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئسَ القَرَار ("۳)ونعمة اللّه محمد وأهل بيته، حبهم إيمان يدخل الجنة وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار، فأسر رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ذلك إلى على وأهل بيته» (۴_______________)

(۱) الاِسراء: ۶۰.

(۲) القدر: ۱ ـ ۳.

(۳) إبراهيم: ۲۸.

(۴) الصحيفة السجادية: قسم المقدمة، لاحظ رياض السالكين: ۱|۶۹ ـ ۱۸۷ قسم المتن.

(۳۴۵)

وسيوافيك خبر أخيه: عيسى بن زيد بعد أخبار محمد وإبراهيم ابنى عبد اللّه بن الحسن بن الحسن المثنى وذلك حفظاً للتسلسل الزمنى، فسلام اللّه عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

وقد رثى يحيى بن زيد لفيف من الشعراء منهم دعبل الخزاعى بتائيته المعروفة المشهورة التى تبلغ مائة وعشرين بيتاً رائعاً وفيها من مناقب أهل البيت ومصائبهم الجم الغفير ومطلعها قوله:

تجاوبن بالاَرنان والزفرات * نوائح عجم اللفظ والنطقات

يخبرن بالاَنفاس عن سر أنفس * أُسارى هوىً ماضٍ وآخر آت

إلى أن انتقل عن كل ما يوشح به أوائل القصائد إلى قوله:

فكيف ومن أنى بطالب زلفة * إلى اللّه بعد الصوم والصلوات

سوى حبّ أبناء النبى ورهطه * وبغض بنى الزرقاء والعبلات

وهند وما أدّت سمية وابنها * أُولو الكفر فى الاِسلام والفجرات

هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه * ومحكمه بالزور والشبهات

ثم إلى أن جدد المطلع بقوله:

بكيت لرسم الدار من عرفات * وأجريت دمع العين بالعبرات

وبانَ عرى صبرى وهاجت صبابتى * رسوم ديار قد عفت وعرات

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات

لآل رسول اللّه بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات

(۳۴۶)

ثم إلى أن قال عطر اللّه مرقده وفاه:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً * وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذاً للطمت الخد فاطم عنده * وأجريت دمع العين فى الوجنات

أفاطم قومى يا ابنة الخير فاندبى * نجوم سماوات بأرض فلاة

قبور بكوفان وأُخرى بطيبة * وأُخرى بفخ نالها صلواتى

وأُخرى بأرض الجوزجان محلها * وقبر بباخمرى لدى الغربات

وقبر ببغداد لنفس زكية * تضمنها الرحمن فى الغرفات

قبور ببطن النهر من جنب كربلا * معرسهم منها بشط فرات

توفوا عطاشا بالفرات فليتنى * توفيت فيهم قبل حين وفاتى (۱) * * *

---

(۱) ذكرها غير واحد من الأُدباء والمؤرخين، ومن أراد أن يقف على جميعها فليرجع إلى: روضات الجنات: ۳|۳۰۲ ـ ۳۰۴ والغدير: ۲|۳۴۹.

(۳۴۷)

أصحاب الانتفاضة ۲ عبد اللّه بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب (۷۰ ـ ۱۴۵ هـ) إنّ عبد اللّه بن الحسن والد محمد النفس الزكية وإبراهيم اللّذين استشهدا فى عصر المنصور بطيبة والبصرة.

فلابد من الإشارة إلى حياة الوالد قبل الولدين.

يطلق عليه عبد اللّه المحض، لأنّ أباه هو الحسن بن الحسن السبط، وأُمّه فاطمة بنت الحسين السبط، فهو منسوب إلى رسول اللّه، من كلا الطرفين وكان قوى النفس شجاعاً، ولما قدم أبو العباس السفاح وأهله سرّاً على أبى سلمة الخلّال الكوفة ستر أمرهم، وعزم أن يجعل الخلافة شورى بين ولد على والعباس حتى يختاروا من أرادوا، فكتب إلى ثلاثة نفر منهم: جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ وعمر بن على بن الحسين، وعبد اللّه بن الحسن، ووجّه بالكتب مع رجل من مواليهم من ساكنى الكوفة فبدأ بجعفر بن محمد ـ عليهما السلام ـ ولقيه ليلاً وأعلمه أنّه رسول أبى سلمة وأنّ معه كتاباً إليه منه، فقال: «ما أنا وأبو سلمة وهو شيعة لغيرى» فقال الرسول: تقرأ الكتاب وتجيب عليه بما رأيت، فقال جعفر لخادمه: «قدّم منى السراج» فقدّمه فوضع عليه كتاب أبى سلمة فأحرقه فقال: ألا تجيبه؟ فقال: « قد رأيت الجواب» (۱)

---

(۱) ذكر الشهرستانى أنّ الإمام الصادق ـ عليه السلام: ـ قال له: «ماأنت من رجالى، ولا الزمان زمانى» الملل والنحل: ۱|۱۵۴، ط ۱۴۰۲.

(۳۴۸)

فخرج من عنده وأتى عبد اللّه بن الحسن بن الحسن فقبّل كتابه وركب إلى جعفر بن محمد، فقال: هذا كتاب أبى سلمة يدعونى لأمر،

ويرانى أحقّ الناس به وقد جاءته شيعتنا، من خراسان فقال له جعفر الصادق ـ عليه السلام: «ـ ومتى صاروا شيعتك؟ أنت وجهت أبا سلمة إلى خراسان؟ وأمرته بلبس السواد؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه ونسبه؟ كيف يكونون من شيعتك وأنت لاتعرفهم إلاّ يعرفونك؟ فإن هذه الدولة ستتم إلى هؤلاء القوم ولاتتم لأحد من آل أبى طالب وقد جاءنى مثل ماجاءك» فانصرف غير راض بما قاله.

وأمّا عمر بن على بن الحسين فردّ الكتاب وقال: ما أعرف كاتبه فأُجيبه.

ومات عبد اللّه المحض فى حبس أبى جعفر الدوانيقى مخنوقاً وهو ابن خمس وسبعين سنة.

وقد ذكر المسعودى كيفية القبض عليه وقال: وكان المنصور قبض على عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على ـ عليه السلام ـ وكثير من أهل بيته وذلك فى سنة أربع وأربعين ومائة فى منصرفه من الحجّ، فحملوا من المدينة إلى الربذة من جادة العراق وكان ممّن حمله مع عبد اللّه بن الحسن: إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وأبو بكر بن الحسن بن الحسن، وعلى الخير، وأخوه العباس، وعبد اللّه بن الحسن بن الحسن، والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن، ومعهم محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو عبد اللّه بن الحسن بن الحسن لأُمّه فاطمة ابنة الحسين بن على، وجدتهما فاطمة بنت رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم.ـ

فجرد المنصور بالربذة محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان فضربه ألف سوط، وسأله عن ابنى أخيه محمد وإبراهيم فأنكر أن يعرف مكانهما، فسألت جدته العثمانى فى ذلك الوقت، وارتحل المنصور عن الربذة وهو فى قبة، وأوهن القوم بالجهد، فحملوا على المحامل المكشوفة، فمر بهم المنصور فى قبته على الجمازة، فصاح به عبد اللّه بن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر،

(۳۴۹)

فصيرهم إلى الكوفة، وحبسوا فى سرداب تحت الأرض لا يفرّقون بين ضياء النهار وسواد الليل، وخلّى منهم: سليمان وعبد اللّه ابنى داود بن الحسن بن الحسن، وموسى بن عبد اللّه بن الحسن، والحسن بن جعفر، وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطىء الفرات من قنطرة الكوفة، ومواضعهم بالكوفة تزار فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وكان قد هدم عليهم الموضع، وكانوا يتوضّون فى مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة، فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل عليهم شيئاً من الغالية، فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة، وكان الورم فى أقدامهم، فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفوَاد فيموت صاحبه.

وذكر أنّهم لمّا حبسوا فى هذا الموضع أشكل عليهم أوقات الصلاة، فجزّأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلّون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من جزئه وكان عدد من بقى منهم خمسة، فمات اسماعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف، فصعق داود بن الحسن فمات، وأتى برأس إبراهيم بن عبد اللّه فوجه به المنصور مع الربيع إليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد اللّه يصلى، فقال له إدريس أخوه: اسرع فى صلاتك يا أبا محمد، فالتفت إليه وأخذ الرأس فوضعه فى حجره، وقال له: أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم، واللّه لقد كنت من الذين قال اللّه عزّ وجلّ فيهم:

"الّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ ولا يَنقُضُونَ المِيثاقَ * والّذِينَ يَصِلُونَ ما أمَرَ اللّهُ بِهِ أن يُوصَل "إلى آخر الآية، فقال له الربيع: كيف أبو القاسم فى نفسه؟ قال: كما قال الشاعر:

فتى كان يحميه من الذلّ سيفه * ويكفيه أن يأتى الذنوب اجتنابها

ثم التفت إلى الربيع: فقال: قل لصاحبك قد مضى من بوَسنا أيّام ومن نعيمك أيّام؟ والملتقى، القيامة. قال الربيع: فما رأيت المنصور قطّ أشدّ انكساراً منه

(۳۵۰)

فى الوقت الذى بلغته الرسالة... (۱)

وكان يتولى صدقات أمير المؤمنين على ـ عليه السلام ـ بعد أبيه الحسن، ونازعه فى ذلك زيد بن على بن الحسين، وأعقب عبد اللّه

المحض من ستة رجال:

١ ـ محمد ذى النفس الزكية، المقتول بقرب المدينة.

٢ ـ إبراهيم قتيل باخمرى، قريب الكوفة.

٣ ـ موسى الجون.

۴ ـ يحيى بن عبد اللّه صاحب الديلم.

۵ ـ سليمان بن عبد اللّه.

۶ ـ إدريس بن عبد اللّه (٢)

(١) المسعودى: مروج الذهب: ٣|٢٩٨. والآيتان ٢٠ و ٢١ من سورة الرعد.

(٢) النسابة ابن عنبة: عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٣۵١)

أصحاب الانتفاضة ٣ محمد بن عبد اللّه بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبى طالب النفس الزكية (١٠٠ ـ ١۴۵ هـ) محمد بن عبد اللّه المعروف بالنفس الزكية المقتول عام ١۴۵هـ فى أيّام أبى جعفر المنصور ، هو الثائر الثانى، وقد ذكر الشهرستانى أنّ يحيى بن زيد أوصى إليه، ولذلك يعد إماماً ثانياً بعده.

وتقدّم أنّ أباه عبد اللّه من أكابر بنى هاشم وكان الجميع يكِّن له الاحترام، وكان أكبر سناً من الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ كما تقدم ـ ومع ذلك كان يدعو الناس لبيعة ولده محمد، وهذا وما سبق من قبول دعوة أبى سلمة الخلال يكشفان عن روح ثوريّة أوّلاً، وسذاجة فى الاَُمور السياسية ثانياً.

ولما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك إثر خلاعته ومجانته عام ١٢۶ هـ تهيّأت الظروف المناسبة للدعوة إلى بنى هاشم، ففى هذا الظرف الهادىء جمع عبد اللّه بن الحسن، بنى هاشم وألقى فيهم خطبة نقلها أبو الفرج الاَصفهانى فى كتابه وقال: إنّكم أهل البيت قد فضّلكم اللّه بالرسالة واختاركم لها وأكثركم بركة ياذرية محمد بن عبد اللّه بنو عمه وعترته، وأولى الناس بالفزع فى أمر اللّه، من

(٣۵٢)

وضعه اللّه موضعكم من نبيّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وقد ترون كتاب اللّه معطلاً، وسنّة نبيه متروكة، والباطل حياً، والحقّ ميتاً، قاتلوا للّه فى الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم اسمكم وتهونوا عليه كما هانت بنو إسرائيل وكانوا أحب خلقه إليه، وقد علمتهم أنّا لم نزل نسمع أنّ هوَلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الاَمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم ـ يعنى الوليد بن يزيد ـ ، فهلم نبايع محمداً، فقد علمتم أنّه المهدى.

فقالوا: لم يجتمع أصحابنا بعد، ولو اجتمعوا فعلنا، ولسنا نرى أبا عبد اللّه جعفر بن محمد.

وبعد محاولات حضر الاِمام الصادق ــ عليه السلام ــ مجلس القوم فاطلع على أمر القوم وأنّهم يريدون بيعة محمد بن إبراهيم، فقالوا: قد علمت ماصنعوا بنا بنو أُمية وقد رأينا أنّ نبايع لهذا الفتى.

فقال: لاتفعلوا فإنّ الاَمر لم يأت بعد، فغضب عبد اللّه وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ولكنه يحملك على ذلك الحسد لابنى، فقال: لا ـ واللّه، ما ذاك يحملنى، ولكن هذا وإخوته وأبناوَهم دونكم و ضرب يده على ظهر أبى العباس (السفاح) ثم نهض واتبعه عبد الصمد وأبو جعفر المنصور فقالا : يا أبا عبد اللّه أتقول ذلك؟ قال: «نعم واللّه أقوله وأعلمه».

وفى رواية قال لعبد اللّه بن الحسن: «إنّها واللّه ما هى إليك ولا إلى ابنيك ولكنّها لهوَلاء وإنّ ابنيك لمقتولان» فتفرق أهل المجلس ولم يجتمعوا بعدها.

وقال عبـد اللّه بن جعفر بن المسوّر، فخرج جعفر بن محمد يتوكأ على يدى فقال لى: « أرأيت صاحب الرداء الاَصـفر؟» يعنى أبا جعفر المنصور، قلت: نعم، قال: «فإنّا واللّه نجـده يقتل محمـداً»، قلت: أو يقتل محمداً ؟! قال: «نعم» فقلت فى نفسـى: حسده وربّ الكعبة. ثم ما خرجت واللّه من الدنيا حتى رأيته قتله (۱______________)

(۱) أبو الفرج الاَصفهانى: مقاتل الطالبيين: ۱۷۱ ـ ۱۷۲.

(۳۵۳)

حكى ابن عنبـة أنّ محمـد بن عبـد اللّه بن الحسن ولد سـنة ۱۰۰هـ بلا خلاف، وقيل مات سـنة ۱۴۵هـ فى رمضـان، وقيل فى الخامس والعشرين من رجب، وقال البخارى: وهو ابن خمس وأربعين سنة وأشهراً، وكان المنصور قد بايع له ولاَخيه إبراهيم مع جماعة من بنى هاشم، فلمّا بويع لبنى العباس اختفى محمد وإبراهيم مدّة خلافة السـفاح فلما ملك المنصــور (۱۳۶ هـ) وعلـم أنّهما على عزم الخروج جدّ فى طلبهمـا وقبض على أبيهمـا وجماعـة من أهلهما فيحكى أنّهما أتيا أباهما وهو فى السـجن وقالا له: يقتل رجلان من آل محمد خير من أن يقتل ثمانية، فقال لهما: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين.

ولما عزم «محمـد» على الخروج واعـد أخاه إبراهيم على الظهور فى يوم واحد، وذهب محمد إلى المدينة وإبراهيم إلى البصـرة، فاتفق أنّ إبراهيـم مرض فخرج أخـوه بالمدينـة وهـو مريض بالبصـرة، ولمـا خلص من مرضه وظهر أتـاه خـبر أخيه أنّه قتـل وهـو على المنـبر يخطب.

ومن عجيب ما يروى عن محمـد بن عبـد اللّه أنّه لما أحس بالخذلان دخل داره وأمر بالتنور فسجّر ثم عمد إلى الدفتر الذى أثبت فيه أسماء الذين بايعوه فألقاه فى التنور فاحترق، ثم خرج فقاتل حتى قتل بأحجار الزيت، قريباً من المدينة.

وكان مالك بن أنس الفقيه قد أفتى بالخروج مع محمد وبايعه ولذلك تغير المنصور عليه فقال: إنّه خلع أكتافه (۱)

وقد ذكر المؤرخون دعوته وشهادته بين موجز فى القول ومعتدل فى البيان ومفصل فى القصة وبما أنّ فى كلامهم ما يلقى الضوء على حياة القائد، نذكر بعض نصوصهم______________.

(۱) النسابة ابن عنبة: عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ۱۰۴ ـ ۱۰۵.

(۳۵۴)

وممّن أوجز فيه الكلام أبو حنيفة الدينورى (ت ۲۸۲هـ) فى «الاَخبار الطوال» قال: وفى ذلك العام (۱۴۵هـ) خرج على المنصور، محمد بن عبـد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طـالب ــ عليه السـلام ــ الملقب بـالنفس الزكيـة فـوجّه إليه أبـو جعفر ـ المنصـور ـ عيسى بن موسى بن على فى خيل فقتل رحمه اللّه، وخرج أخوه إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن فقتل رضوان اللّه عليه (۱).

وقال اليعقوبى: «وظهر محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بالمدينة مسـتهل رجب سنة ۱۴۵هـ فاجتمع معه خلق عظيم وأتته كتب أهل البلـدان ووفودهم، فأخذ رياح بن عثمان بن حيّان المرى عامل أبى جعفر، فأوثقه بالحديد وحبسه، وتوجه (أخوه) إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن إلى البصـرة وقـد اجتمع جماعة فأقام مسـتتراً، وهو يكاتب الناس ويدعوهم إلى طاعته، فلما بلغ أبا جعفر أراد الخروج إلى المدينـة ثم خـاف أن يـدع العراق مـع مـا بلغه من أمر إبراهيم، فوجّه عيسـى بن موسـى الهاشـمى، ومعه حميـد بن قحطبة الطائى فى جيش عظيم فصار إلى المدينة، وخرج محمد إليه فى أصـحابه فقاتلهم فى شـهر رمضان ومضـى أصـحابه إلى الحبس فقتل رياح بن عثمان وكانت أسـماء ابنـة عبـد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس بالمدينة وكانت معادية لمحمد بن عبد اللّه، فوجهت بخمار أسود قـد جعلته مع مولى لها حتى نصبه على مأذنة المسـجد، ووجّهت بمولى لها يقال له: مجيب العامرى إلى عسـكر محمد، صاح: الهزيمة الهزيمـة قـد دخل المسوّدة المدينـة، فلمّا رأى الناس العلم الاَسود انهزموا وأقام محمـد يقاتل حتى قتل، فلمّا قتل محمد بن عبد اللّه بن الحسن، وجه عيسى بن موسى، كثير بن الحصين العبدى إلى المدينة فدخلها، فتتبع أصحاب محمد فقتلهم وانصرف إلى العراق

(۲________________)

(۱) الدينورى الأخبار الطوال: ۳۸۵، طبع مصر، الحلبى، وممّن أوجز الكلام فيه النسابة العلوى العمرى صاحب المجدى: ۳۷.

(۲) ابن واضح الاِخبارى: تاريخ اليعقوبى: ۲|۳۷۶.

(۳۵۵) وقال المسعودى: وفى سنة خمس وأربعين ومائة كان ظهور محمد بن عبد اللّه ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى اللّه عنهم بالمدينة، وكان قد بُويع له من كثير من الاَنصار وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه، وكان مستخفياً من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد اللّه بن الحسن وعمومته، وكثير من أهله وعدتهم، ولما ظهر محمد بن عبد اللّه بالمدينة، استشار إسحاق بن مسلم العقيلى وكان شيخاً ذا رأى وتجربة فأشار إلى ما لم يستحسنه أبو جعفر وبينما كان يتفكر فى كيفية المقابلة مع محمد بن إبراهيم بلغه أنّ إبراهيم أخا محمد خرج بالبصرة يدعو إلى أخيه، فبعث عيسى بن موسى فى أربعة آلاف فارس وألفى راجل وأتبعه محمد بن قحطبة فى جيش كثيف فقاتلوا محمداً بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بإبراهيم قتل أخيه، محمد بن عبد اللّه وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثّل:

أبالمنازل ياخير الفوارس من * يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

اللّه يعلم أنّى لو خشيتُهم * وأوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أسلم أخىَّ لهم * حتى نموت جميعاً أو نعيش معا

تفرّق إخوة محمد فى البلاد :

وقد كان تفرّق أخوة محمد وولده فى البلدان يدعون إلى إمامته فكان فيمن توجه ابنه، على بن محمد إلى مصر فقتل بها، وسار ابنه عبد اللّه إلى خراسان فهرب لما طُلب، إلى السند فقتل هناك، وسار ابنه الحسن إلى اليمن فحبس فمات فى الحبس، وسار أخوه موسى إلى الجزيرة، ومضى أخوه يحيى إلى الرى، ثم إلى طبرستان، ومضى أخوه إدريس بن عبد اللّه إلى المغرب فأجابه خلق من الناس

(۳۵۶) فبعث المنصور من اغتاله بالسم وقام ولده إدريس بن إدريس بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن مقامه (۱)

هوَلاء من الموَرخين قد أوجزوا الكلام فى دعوته وشهادته، وقد فصّل أبو الفرج الاَصفهانى

(۲)فى المقامين وابن الاثير فى الكامل وقد ذكر كتاب المنصور إلى محمد بن إبراهيم، كما ذكر جوابه إليه (۳)

* * *

---

(۱) المسعودى: مروج الذهب: ۳|۲۹۴ ـ ۲۹۶، وسيوافيك ذيل هذا النص فى البحث عن تأسيس دولة زيدية فى المغرب باسم الاَدارسة.

(۲) راجع: مقاتل الطالبيين: ۱۷۶ ـ ۲۰۰.

(۳) ابن الاَثير: الكامل: ۵|۵۲۲ ـ ۵۵۴، وفيه لما قتل محمد صادر عيسى أموال بنى الحسن وحتى أموال الاِمام الصادق، لاحظ ص ۵۵۳. (۳۵۷)

أصحاب الانتفاضة ۴ إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن (۱۰۳ ـ ۱۴۵ هـ)

إبراهيم بن عبد اللّه بن الحسن أخو محمد ذو النفس الزكية الثائر الثالث بعد يحيى بن زيد والنفس الزكية، وقد تقدم اتفاق الاَخوين على الثورة فى يوم واحد فى قطرين مختلفين، وقد عرفت تأخّر إبراهيم عن أخيه فى الخروج.

قال المسعودى: مضى إبراهيم أخوه إلى البصرة وظهر بها، فأجابه أهل فارس والاَهواز وغيرهما من الاَمصار وسار من البصرة فى عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب إلى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم، ومعه عيسى بن زيد بن على ابن الحسن بن

علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب فسیّر إلیه المنصور عیسی بن موسی وسعید بن سلم فی العساکر، فحارب حتی قتل فی الموضع المعروف بـ«باخمری» وذلک علی ستة عشر فرسخاً من الکوفة من أرض الطف، وهو الموضع الذی ذکرته الشعراء ممن رثی إبراهیم. فممّن ذکر ذلک:

دعبل بن علی الخزاعی، فی قصیدته الرائعة التائیة التی نقل قسم منها عند ذکر شهادة أخیه محمد النفس الزکیة وفیها قوله:

قبور بکوفان وأُخری بطیبة * وأُخری بفخّ نالها صلوات

وأُخری بأرض الجوزجان محلها * وقبر بباخمری لدی الغربات

(۳۵۸)

وقتل معه من الزیدیة من شیعته أربعمائة رجل، وقیل: خمسمائة رجل (۱)

وقال صاحب المجدی: وکان إبراهیم یکنی أبا الحسن، قتل بأرض «باخمری» وهی قریة تقارب الکوفة وظَهَر لیلة الإثنین غرة شهر رمضان سنة ۱۴۵هـ وذلک بالبصرة وکان مقتله بعد مقتل أخیه محمد (رضی اللّه عنهما) فی ذی الحجّة من السنة المذکورة.

وبایع إبراهیم وجوه المسلمین منهم بشیر الرحال، وأبو حنیفة الفقیه، والأعمش، وعباد بن المنصور القاضی صاحب مسجد عباد بالبصرة، والمفضل بن محمد وشعبة الحافظ إلی نظائرهم (۲)

وقال النسابة ابن عنبة: کان إبرهیم من کبار العلماء فی فنون کثیرة، یقال إنّه کان أیام اختفائه فی البصرة قد اختفی عند المفضل بن محمد الضبی، فطلب منه دواوین العرب لیطالعها فأتاه بما قدر علیه فأعلم إبراهیم علی ثمانین قصیدة. فلمّا قتل إبراهیم استخرجها المفضل وسماها بـ(المفضلیات) وقرئت بعده علی الأصمعی فزاد بها، وظهر إبراهیم لیلة الإثنین غرة شهر رمضان سنة خمس وأربعین ومائة بالبصرة وبایعه وجوه الناس ـ إلی أن قال: ـ ویقال: إنّ أبا حنیفة الفقیه بایعه أیضاً وکان قد أفتی الناس بالخروج معه، فیحکی أنّ امرأة أتته فقالت: إنّک أفتیت ابنی بالخروج مع إبراهیم فخرج فقتل. فقال لها: لیتنی کنتُ مکانَ ابنک. وکتب إلیه أبو حنیفة: أما بعد: فإنّی قد جهزت إلیک أربعة آلاف درهم ولم یکن عندی غیرها، ولولا أمانات الناس عندی للحقت بک، فإذا لقیت القوم وظفرت بهم فافعل کما فعل أبوک فی أهل صفین، أُقتل مدبرهم وأجهز علی جریحهم، ولا تفعل کما فعل أبوک فی أهل الجمل فإنّ القوم لهم فئة. ویقال: إنّ

(۱) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۲۹۶ ـ ۲۹۷.

(۲) النسابة العلوی العمری: المجدی فی أنساب الطالبیین: ۴۲.

(۳۵۹)

هذا الکتاب وقع إلی الدوانیقی وکان سبب تغیّره علی أبی حنیفة ـ إلی أن قال: ـ وجیء برأس إبراهیم فوضعه فی طشت بین یدیه والحسن بن زید بن الحسن بن علی واقف علی رأسه علیه السواد فخنقته العبرة والتفت إلیه المنصور وقال: أتعرف رأس من هذا؟ فقال: نعم:

فتی کان تحمیه من الضیم نفسه * وینجیه من دار الهوان اجتنابها

فقال المنصور: صدقت ولکن أراد رأسی فکان رأسه أهون علیَّ ولوددت أنّه فاء إلی طاعتی، ویقول أیضاً: وحمل ابن أبی الکلام الجعفری رأسه إلی مصر(۱).

* * *

(۱) ابن المهنا: عمدة الطالب فی أنساب آل أبی طالب: ۱۰۹ـ ۱۱۰، ولعله دفنه فی المحل المعروف برأس الحسین ـ علیه السلام.ـ

(۳۶۰)

أصحاب الانتفاضة ۵ عیسی بن زید الثائر (... ـ ۱۶۸ هـ) أحد أولاد زید الثائر المعروف بـ«موتم الأشبال»، وکان وصی إبراهیم ـ قتیل

باخمرى ـ بن عبد اللّه المحض وحامل رايته، فلمّا قتل إبراهيم اختفى عيسى إلى أن مات، وكان أبو جعفر المنصور قد بذل له الاَمان وأكده وكان شديد الخوف منه لم يأمن وثوبه عليه، فقيل لعيسى فى ذلك فقال: واللّه لئن يبيتنَّ ليلة واحدة خائفاً منّى أحبّ إلىّ مما طلعت عليه الشمس. وإنّما يسمّى موتم الاَشبال لاَنّه قتل أسداً له أشبال فسمّى موتم الاَشبال. فخرج عيسى مع محمد بن عبد اللّه النفس الزكية ثم مع أخيه إبراهيم، وكان إبراهيم قد جعل له الاَمر بعده وكان حامل رايته فلمّا قتل إبراهيم استتر ولم يتم له الخروج فبقى مستتراً أيام المنصور وأيّام المهدى وأيام الهادى وصلّى عليه الحسن بن صالح سراً ودفنه.

وقد ذكر النسابة ابن عنبة من حياته شيئاً كثيراً يوَجّج الفوَاد ومما ذكره أنّه كان فى أيّام اختفائه يستقى الماء على جمل، وقال: حكى لى الشيخ النقيب تاج الدين بإسناده عن محمد بن زيد الشهيد: قال محمد بن محمد: قلت لاَبى محمد بن زيد: أُريد أن أرى عمى عيسى، فقال: اذهب إلى الكوفة فإذا وصلتها اذهب إلى الشارع الفلانى واجلس هناك فإنّه سيمر عليك رجل آدم طويل، له سجادة بين عينيه، يسوق جملاً عليه مزادتان، كلّما خطا خطوة كبّر اللّه سبحانه، وسبّحه وهلّله

(۳۶۱)

وقدّسه، فذلك عمك عيسى فقم إليه فسلّم عليه، قال محمد بن محمد بن زيد فذهبت إلى الكوفة فلمّا وصلتها جلستُ حيث أمرنى أبى فلم ألبث أن جاء الرجل الذى وصفه لى أبى وبين يديه جمل عليه راوية فقمت إليه وأكببت على يديه أُقبّلهما فذعر منى فقلت: أنا محمد بن زيد (۱)فسكن ثم أناخ جمله وجلس إلىَّ فى ظل حائط هناك وحدثنى ساعة، وسألنى عن أهلى وأصحابه ثم ودّعنى وقال لى: يابنى لاتعد إلىّ بعد هذا فإنّى أخشى الشهرة (۲)

وقال صاحب المجدى: وكان من أصحاب محمد بن عبد اللّه قتيل «أحجار الزيت» فاختفى عيسى من يد المهدى ومات فى الاستتار على أيام الرشيد وكان شيخنا أبو الحسن يقول: كان ابن دينار يزعم أنّه قتل زيد ولابنه الحسين أربع سنين ولابنه عيسى سنة ولابنه محمد أربعون يوماً (۳)وعلى ذلك فقد توفى عيسى حوالى عام ۱۶۷ للهجرة.

________________* * *

(۱) كذا فى النسخة المطبوعة والصحيح محمد بن محمد بن زيد ولعل الحذف للسهولة.

(۲) ابن عنبة: عمدة الطالب، فى أنساب آل أبى طالب: ۲۸۶ ـ ۲۸۷.

(۳) أبو الحسن العلوى العمرى: المجدى فى أنساب الطالبيين: ۱۸۶ ـ ۱۸۷.

(۳۶۲)

أصحاب الانتفاضة ۶ الحسين بن على الفخىّ (... ـ ۱۶۹ هـ) هو الحسين بن على بن الحسن المثلث أى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ــ عليه السلام ــ قال صاحب المجدى: ومن ولد على زين العابدين الحسن المثلث، الحسين بن على وهو الشهيد صاحب فخ، خرج ومعه جماعة من العلويين زمن الهادى موسى بن المهدى بن المنصور بمكة، وجاء موسى بن عيسى ابن على ومحمد بن سليمان بن المنصور فقتلاهم بفخ يوم التروية سنة تسع وستين ومائة. وقيل: سنة سبعين، وحملا رأسه إلى الهادى، فأنكر الهادى فعلهما وأمضاءهما حكم السيف فيهم دون رأيه، ونقل أبو نصر البخارى عن محمد الجواد ابن على الرضا ــ عليهما السلام ــ أنّه قال: لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ (۱)

________________* * *

(۱) النسابة ابن عنبة: عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ۱۸۲ ـ ۱۸۳.

(۳۶۳)

أصحاب الانتفاضة ۷ محمد بن إبراهيم طباطبا (۱۷۳ ـ ۱۹۹ هـ) هو محمد بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن على الغمر بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (۱)

قال صاحب المجدى: أمّا إبراهيم بن إسماعيل بن الغمر فهو طباطبا ولقب بذلك لأنّه أراد أن يقول قبا فقال طبا، لردّة فى لسانه، وكان له خطر وتقدم وأبرزَ صفحتَه ودعا إلى الرضا من آل محمد. فولد إبراهيم بن إسماعيل بن الغمر ثلاثة عشر ولداً، منهم: بنتان وهما: لبابة وفاطمة، والذكور: جعفر، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وهارون، وعلى، وعبداللّه، ومحمد.

هذا هو الوالد وأمّا الولد أى محمد، يقول فى حقّه: «إنّه صاحب أبى السرايا يكنّى أبا عبد اللّه، خرج بالكوفة فجأة وانقرض ولده غير انّ رجلًا منهم يقال له محمد بن الحسين بن جعفر بن محمد هذا، صاحب أبى السرايا خرج إلى بلاد الحبشة فما نعرف له خبراً (٢)

---

(١) سيوافيك فى الفصل القادم أنّ الِإمام يحيى مؤسس الدولة الزيدية فى اليمن عام ٢٨۴ من أحفاد إبراهيم إذ نسبه: يحيى بن الحسين، بن القاسم بن إبراهيم طبا طبا.

(٢) النسابة العلوى العمرى: المجدى: ٧٢.

(٣۶۴)

وقال ابن عنبة: ومن ولد إبراهيم طباطبا أيضاً محمد بن إبراهيم ويكنى أبا عبد اللّه أحد أئمة الزيدية، خرج بالكوفة داعياً إلى الرضا من آل محمد، وخرج معه أبو السرايا (السرى بن منصور) الشيبانى فى أيام المنصور، فغلب على الكوفة ودعا بالآفاق ولقّب بأمير المؤمنين وعظم أمره ثم مات فجأة، وانقرض عقبه، وكان من ولده محمد بن الحسين بن جعفر بن محمد هذا، خرج إلى الحبشة فما يعرف له خبر. وفى بعض النسخ مات ١٩٩هـ وقيل: سمّاه أبو السرايا سماً ومات منه واللّه أعلم (١).

وقال الطبرى فى حوادث سنة ١٩٩هـ: وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة يدعو إلى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنّة وهو الذى يقال له ابن طباطبا وكان القيم بأمره فى الحرب وتدبيرها وقيادة جيوشه أبا السرايا واسمه السرى بن منصور (٢)

وبما أنّ أبا السرايا جاء اسمه فى ذكر لفيف من الثائرين، نذكر عنه شيئاً.

يقول خير الدين الزركلىّ: السرى بن منصور الشيبانى ثائر شجاع من الُامراء العصاميين فجمع عصابة كان يقطع بها الطريق، ثم لحق بيزيد بن مزيد الشيبانى بأرمينيا ومعه ثلاثون فارساً فجعله فى القواد فاشتهرت شجاعته، ولما نشبت فتنة الَامين والمأمون انتقل إلى عسكر هرثمة بن أعين وسار معه نحو ألفى مقاتل وخوطب بالَامير، ولما قتل الَامين نقص هرثمة من أرزاقه وأرزاق أصحابه فخرج فى نحو مائتى فارس فحصر عامل عين التمر وأخذ ما معه من المال ففرّقه فى أصحابه، ثم استولى على الَانبار وذهب إلى الرقة وقد كثر جمعه فلقيه بهما ابن

---

(١) ابن عنبة: عمدة الطالب: ١٧٢.

(٢) الطبرى: التاريخ: ٧|١١٧.

(٣۶۵)

طباطبا العلوى (محمد بن إبراهيم) وكان قد خرج على بنى العباس، فبايعه أبو السرايا وتولّى قيادة جنده، واستوليا على الكوفة، فضرب بها أبو السرايا الدرهم، وسيّر الجيوش إلى البصرة ونواحيها، وعمل على ضبط بغداد، وامتلك المدائن وواسطاً، واستفحل أمره، وأرسل العمال والُامراء إلى اليمن والحجاز وواسط والَاهواز، وتوالت عليه جيوش العباسيين فلم تضعضعه إلى أن قتله الحسن بن سهل وبعث برأسه إلى المأمون ونصبت جثته على جسر بغداد (١)

وقد فصل أبو الفرج الكلام حول خروج أبو السرايا ولقائه مع محمد بن إبراهيم يرجع ملخصه إلى ما ذكره خير الدين، ولذلك اقتصرنا عليه (٢)

و ليعلم أنّ القاسم الرسّى الذى يعتبر الِامام الثانى للزيدية من فريق الَائمة المجتهدين هو أخو محمد بن إبراهيم، كما أنّ الِامام الهادى

الذى أسس دولة فيها هو حفيد القاسم الرسّى، فالكل من أغصان الشجرة الطيبة العلوية.

* * *

(۱) خير الدين الزركلى: الأعلام: ۳|۸۲ نقلاً عن البداية والنهاية: ۱۰|۲۴۴ ومقاتل الطالبيين: ۳۳۸، والطبرى: التاريخ: ۱۰|۲۲۷.

(۲) انظر: أبو الفرج الأصفهانى، مقاتل الطالبيين: ۵۱۸ ـ ۵۳۶.تحقيق سيد أحمد صقر.

(۳۶۶)

أصحاب الانتفاضة ۸ محمد بن محمد بن زيد بن على (۱۸۲ ـ ۲۰۲ هـ)

يحدّث صاحب المجدى عن أبيه فيقول: محمد بن زيد الشهيد بن على بن الحسين ــ عليه السلام ــ وكان بليغاً، وله أحد عشر ولداً، منهم: محمداً الأكبر وكان على عهد المأمون وهو صاحب أبى السرايا بعد ابن طباطبا قبره بمرو، وكان سقى سماً (۱).

وقال ابن عنبة: وكان لمحمد بن زيد الشهيد عدّة بنين، منهم محمد بن محمد ابن زيد. ولما خرج أبو السرايا وأخذ البيعة لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل (المذكور آنفاً) وتوفى «محمد» فجأة نصب أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن زيد هذا، ولقبه «الموَيد» فندب الحسن بن سهل إليه هرثمة بن أعين، فحاربه وأسره وحمله إلى الحسن بن سهل فحمله الحسن إلى المأمون، فتعجب المأمون من صغر سنه وقال: كيف رأيت اللّه فى الصنع بابن عمك؟ فقال محمد بن محمد بن زيد:

رأيت أمين اللّه فى العفو والحلم * وكان يسيراً عنده أعظم الجرم

فأعرض عن جهلى وداوى سقامه * بعفو جرى عن جلده هبوه السقم

وتوفى محمد بن محمد بن زيد بمرو وسقاه المأمون السم ۲۰۲ هـ وهو ابن عشرين سنة، فيقال: إنّه كان ينظر كبده يخرج من حلقه قطعاً فيلقيه فى طشت ويقلبه بخلال فى يده (۲______________)

(۱) النسابة العلوى العمرى: المجدى: ۱۸۴.

(۲) ابن عنبة: عمدة الطالب: ۳۰۰، لاحظ أيضاً مقاتل الطالبيين: ۳۴۳ و ۵۱۷ من الطبعة الأُخرى.

(۳۶۷)

أصحاب الانتفاضة ۹ محمد بن القاسم بن على بن عمر ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (... ـ بعد ۳۱۹ هـ)

قال صاحب المجدى: أمّا الوالد أى القاسم بن على بن عمر فهو يكنى بـ «أبى على» وكان شاعراً وقد اختفى ببغداد، وأمّا الولد فقد أشخصه الرشيد من الحجاز وحبسه وأفلت من الحبس (۱)

وقال ابو الفرج: محمد بن القاسم يكنى أبا جعفر، وكانت العامة تلقّبه الصوفى، لِانّه كان يُدْمِن لبس ثياب من الصوف الأبيض، وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد وحسن المذهب، وكان يذهب إلى القول بالعدل والتوحيد ويرى رأى الزيدية الجارودية، خرج فى أيام المعتصم بالطالقان، فأخذه عبد اللّه بن طاهر ووجّه به الى المعتصم (۲)

يقول المسعودى: وفى هذه السنة أى ۲۱۹ هـ أخاف المعتصم، محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمهم اللّه، وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع فى نهاية الوصف، فلمّا خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان، فتنقل فى مواضع كثيرة من كورها كمرو، وسرخس والطالقان ونسا، فكانت له هناك حروب وكوائن وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير

(۱) النسابة العلوى: المجدى: ۱۴۹.

(۲) أبو الفرج الأصفهانى: مقاتل الطالبيين: ۳۸۲.

(۳۶۸)

من الناس، ثم حمله عبد اللّه بن طاهر إلى المعتصم، فحبسه فى أزج اتخذه فى بستان بسر من رأى. وقد تنوزع فى محمد بن القاسم،

فمن قائل یقول: إنّه قتل بالسم، ومنهم من یقول: إنّ ناساً من شیعته من الطالقان أتوا ذلک البستان فتأتوا للخدمة فیه من غرس وزراعة، واتخذوا سلالم من الجبال واللبود والطالقانیة ونقبوا الاَزج وأخرجوه، فذهبوا به فلم یعرف له خبر إلی الیوم، وقد انقاد إلی إمامته خلق کثیر من الزیدیة إلی هذا الوقت وهو سنة ۳۳۳هـ (۱_____________)

(۱) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۴۶۴ ـ ۴۶۵.

(۳۶۹)

الفصل الثالث أئمة الزیدیة ودولتهم فی الیمن

الفصل الثالث أئمة الزیدیة ودولتهم فی الیمن

قد تعرفت علی أسماء وحیاة الثائرین بعد زید الشهید إجمالاً، وهوَلاء الاَماثل قاموا فی وجه الظلم فی مناطق مختلفة، بصورة انتفاضات ناجحة وغیر ناجحة.

ویأتی الآن دور الثائرین الاَفاضل، الموَسسین دولاً فی قطر کبیر من الاَقطار الثلاثة وهوَلاء عبارة عن:

أئمة الزیدیة وتأسیس الدولة فی الیمن.

أئمة الزیدیة وتأسیس الدولة فی طبرستان.

أئمة الزیدیة وتأسیس الدولة فی المغرب.

وإلیک البیان ابتداء من أئمتهم فی الیمن وأوّل ثائرهم وفی الحقیقة موَسس دولتهم هو: ۱ یحیی بن الحسین بن القاسم الرسی بن إبراهیم طباطبا قال صاحب المجدی فی حقّ والده: الحسین بن القاسم الرسّی کان سیداً کریماً ولد له یحیی، وهو أبو الحسین الهادی، الجلیل، الفارس، الدیّن، إمام الزیدیة وکان مصنفاً، شاعراً، ظهر بالیمن مات سنة ۲۹۸هـ وکان یتولی الجهاد بنفسه

(۳۷۰)

ویلبس جبة صوف وکان قشفاً رحمه اللّه (۱)

وقال ابن عنبة: أمّا أبو عبد اللّه الحسین بن القاسم الرسی وکان سیداً کریماً، فأعقب من رجلین:

۱ ـ أبو الحسین یحیی الهادی.

۲ ـ أبو محمد عبد اللّه السید العالم.

أمّا یحیی الهادی بن الحسین بن القاسم الرسّی یکنی أبا عبد اللّه، کان إماماً من أئمة الزیدیة، جلیلاً فارساً، ورعاً، مصنفاً، شاعراً، ظهر بالیمن ویلقب بالهادی إلی الحقّ، وکان یتولی الجهاد بنفسه ویلبس جبة صوف، له تصانیف کبار فی الفقه قریبة من مذهب أبی حنیفة، وکان ظهوره بالیمن أیام المعتضد سنة ۲۸۰ هـ وتوفی هناک عام ۲۹۸ هـ وخُطِبَ له بمکة سبع سنین، وأولاده أئمة الزیدیة وملوک الیمن وقد ولی الحکومة بعد رحیل الهادی ولداه:

۱ ـ أبو القاسم محمد المرتضی، قام بالاَمر بعد أبیه.

۲ ـ أحمد الناصر قام بالاَمر بعد تنازل أخیه.

وسیوافیک ترجمة الوالد والولدین فی الفصل السادس المختص ببیان أعلامهم المجتهدین، وإلیک أسماء الاَئمة الذین کان لهم الحکم إلی قیام الجمهوریة عام ۱۳۸۲هـ

وقد توالت الاِمامة من عقب الاِمام یحیی بعد الولدین إلی قیام الجمهوریة العربیة فی أرض الیمن إلاّ فی فترات قلیلة، فلاَجل إیقاف القاریَ علی أسمائهم نأتی بالقائمة التالیة ومن أراد التفصیل فلیرجع إلی الکتب المعدّة لذلک_____________.

(۱) النسابة العلوی العمری: المجدی: ۷۸.

(۳۷۱)

سلسلة أئمة الزيدية فى اليمن:

قد قام غير واحد من الزيدية بذكر أئمتهم حسب التسلسل الزمنى، وتصدّيهم لاَمر الاِمامة منهم:

أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت ۸۴۰هـ) فى مقدمة البحر الزخار قال: «باب فى تعداد أئمة الزيدية» والمقصود الدعاة دون المقتصدين هو مرتب على مراتبهم فى القيام ــ عليهم السلام ــ أولهم على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه بويع له فى المدينة...

ثم ولده الحسن بن على قام يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان...

ثم أخوه الحسين بن على قام حين أتى نعى معاوية...

ثم الحسن بن الحسن قام ودعا وبايعه خلق كثير...

ثم زيد بن على قام يوم الاَربعاء...

ثم يحيى بن زيد قام ودعا ...

ثم ساق أسماء الاَئمة إلى والده الاِمام المهدى على بن محمد بن على بن منصور بن يحيى بن مفضل بن الحجاج بن على بن يحيى بن القاسم بن الاِمام يوسف الداعى بن يحيى بن أحمد الناصر بن الهادى إلى الحق ولد سنة ۷۰۵ هـ وتوفى سنة ۷۷۴هـ (۱)

ولا تعجب من ذكر الاِمام على بن أبى طالب والحسنين، والحسن بن الحسن، وزيد بن على دون الاِمام زين العابدين، من أئمة الزيدية مع أنّ زيداً تولد وقام بالدعوة بعد قرن وربع وذلك لاَجل أنّ المراد من الزيدية هى يتَّبُع المنهج________________

(۱) البحر الزخار: ۲۲۵ ـ ۲۳۱، آخر كتاب الجواهر والدرر فى سيرة سيد البشر.

(۳۷۲)

الخاص فى باب الاِمامة وهو الذى قام ودعا إلى إمامته وبويع وخرج، وله من المؤهلات والمواصفات المذكورة فى بابها، والاِمام والسبطان مشوا على هذا الدرب دون الاِمام السجاد ــ عليه السلام ــ.

وممن قام بتدوين أسماء وحياة أئمة الزيدية مؤلف كتاب «التحف شرح الزلف» فقد نظم أسماء الاَئمة نظماً وشرحها شرحاً، والمؤلف أُنموذج السلف السيد مجد الدين بن محمد بن منصور الحسن المؤيدى شيخ الزيدية فى العصر الحاضر باليمن فقد أتى بأسمائهم وقليلاً من حياتهم إلى الاِمام المتوكل على اللّه يحيى بن الاِمام المنصور باللّه محمد بن يحيى الذى قام بعده وفاة أبيه سنة ۱۳۲۲هـ قال: فجنّد الجنود وخفقت له الرايات، وصفت البنود، وفى أيامه النعمة الكبرى والمنة العظمى إخراجه الاَتراك وإجلاؤهم من اليمن وفى هذا التاريخ (۱۳۶۵هـ) أوامره ونواهيه فى أرض اليمن جارية (۱)

وقد سبق زمن تأليف الكتاب على دعوة الاِمامين بعد المتوكل ولم يذكر منهما شيئاً أعنى:

۱ ـ الناصر لدين اللّه أحمد بن يحيى حميد الدين (ت ۱۳۸۲هـ) .

۲ ـ المنصور باللّه محمد البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين.

حيث لم يحكم الثانى إلاّ أياماً قلائل وأُزيل عن الحكم بقيام الثورة وإعلان الجمهورية بقيام أحد العسكريين باسم السلال عام ۱۳۸۳هـ

وبما أنّا استوفينا ذكر الاَئمة الدعاة حتى عصر الاِمام يحيى الهادى نذكر سلسلة الزيدية بعد عصره إلى زماننا هذا، وقد استخرجت القائمة من عدّة مصادر ولم نذكر فيها الدعاة الذين ليسوا بأئمة بل هم حسب مصطلح الزيدية مقتصدون________________،

(۱) التحف شرح الزلف: ۱۹۴ ولاحظ أيضاً كتاب اليمن عبر التاريخ: ۲۵۰ ـ ۲۵۹ تأليف أحمد حسين شرف الدين وهو يذكر أئمّة الزيدية باليمن فقط.

(۳۷۳)

وقد عقد فی البحر الزخار باباً لَاسماء هوَلاء أیضاً (۱)

وقد استعنت فی تنظیم القائمة، أحد الفضلاء أعنی الشیخ علی الیمنی دامت إفاضاته.

۱ ـ الِإمام المرتضی لدین اللّه محمد بن یحیی وهو ابن الهادی یحیی بن الحسین، بویع له بالِإمامة فی غرة محرم سنة ۲۹۹ هـ بعد وفاة الهادی واستمر فی الحکم عشرة أشهر ثم تنازل عن الحکم لما رأی من تخاذل بعض الناس، وتوفی فی أیام أخیه الناصر أحمد سنة عشر وثلاثمائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وکان یلقب بجبریل الَارض لنسکه، ودفن بجوار الهادی فی مدینة صعدة فی الیمن.

۲ ـ الِإمام الناصر أحمد بن الهادی یحیی بن الحسین، بویع له بعد تنازل المرتضی محمد وکان حین وفاة الهادی فی الحجاز ثم قدم بعد ذلک، وکانت له حروب مع القرامطة وهزمهم فی جمیعها وصفت له أکثر الیمن، واستمر فی الحکم حتی توفی سنة ثلاثمائة وخمسة وعشرین ودفن بجوار أبیه وأخیه.

۳ ـ المنصور باللّه القاسم بن علی بن عبد اللّه العیانی قام ببلاد خثعم من أرض الشام ثم خرج إلی الیمن وتوفی سنة ثلاث وتسعین وثلاثمائة بقریة عیان شمال الیمن وهو من ذریة محمدبن القاسم بن إبراهیم طباطبا.

۴ ـ الِإمام الناصر أبو الفتح الدیلمی وهو أبو الفتح بن الحسین بن محمد من ذریة علی بن الحسن بن زید بن الحسن بن علی بن أبی طالب، قام فی بلاد الدیلم شمال إیران فی عام ثلاثین وأربعمائة، ثم خرج إلی الیمن فاستولی علی أکثر الیمن واستشهد سنة نیف وأربعین أو خمسین وأربعمائة فی وقعة بینه وبین علی بن محمد الصلیحی.

---

(۱) البحر الزخار: المقدمة|۲۲۵، والمراد من المقتصدین هم الذین لم یتمکنوا من الخروج وإن کانت لهم دعوة.

(۳۷۴)

۵ ـ الِإمام المتوکل علی اللّه أحمد بن سلیمان من ذریة الناصر أحمد بن الهادی، استولی علی جمیع الیمن وخطب له بینبع وخیبر وتوفی فی ربیع سنة ست وخمسین وخمسمائة عن ست وستین سنة.

۶ ـ الِإمام المنصور باللّه عبد اللّه بن حمزة ینتهی نسبه إلی عبد اللّه بن الحسین ابن القاسم بن إبراهیم طباطبا، دعوته سنة أربع وتسعین وخمسمائة ویعتبر مجدد المذهب الزیدی فی القرن السابع الهجری، توفی فی محرم سنة أربع عشرة وستمائة عن عمر یناهز الثانیة والخمسین.

۷ ـ الِإمام المهدی أحمد بن الحسین من ذریة محمد بن القاسم بن إبراهیم طباطبا، دعا إلی اللّه سنة ست وأربعین وستمائة وقتل سنة ست وخمسین وستمائة.

۸ ـ الِإمام المنصور باللّه الحسن بن بدر الدین دعا فی الخامس والعشرین من شوال سنة سبع وخمسین وستمائة وتوفی سنة سبعین وستمائة عن أربع وسبعین عاماً.

۹ ـ الِإمام المتوکل علی اللّه المطهر بن یحیی وکانت دعوته سنة ست وسبعین وستمائة وتوفی فی سنة سبع وتسعین وستمائة.

۱۰ ـ الِإمام المهدی محمد بن المطهر وکانت دعوته سنة إحدی وسبعمائة وتوفی سنة ثمان وعشرین وسبعمائة عن سبعین عاماً، ویعتبر من المجددین للمذهب الزیدی فی القرن الثامن.

۱۱ ـ الِإمام الموَید باللّه یحیی بن حمزة ینتهی نسبه إلی الِإمام علی بن موسی الرضا من جهة الِإمام الجواد ــ علیه السلام ــ ثم الِإمام علی الهادی ـ علیه السلام ـ وکان قیامه سنت تسع وعشرین وسبعمائة وتوفی سنة تسع وأربعین وسبعمائة.

۱۲ ـ الِإمام المهدی لدین اللّه علی بن محمد، کانت ولادته سنة سبعمائة وخمسة للهجرة ودعوته سنة سبعمائة وخمسین للهجرة وتوفی فی جمادی

(۳۷۵)

الآخرة سنة سبعمائة وأربعة وسبعین للهجرة وقیل فی ربیع الَاوّل من نفس العام.

۱۳ ـ الإمام الهادى لدين اللّه على بن المؤيد، كانت دعوته سنة ست وسبعمائة وتوفى فى العاشر من محرم سنة ست وثلاثين وثمانمائة عن ثمانين سنة، ومدّة حكمه ما يقرب من أربعين سنة.

۱۴ ـ الإمام المهدى لدين اللّه أحمد بن يحيى المرتضى، ولادته سنة سبعمائة وأربعة وستين وكانت دعوته سنة سبعمائة وثلاثة وتسعين فأُسر وحبس فلمّا آيس الهادى على بن المؤيد من خروجه من الحبس دعا لنفسه، وتوفى المهدى فى سنة ثمانمائة وأربعين للهجرة.

۱۵ ـ الإمام المتوكل على اللّه المطهر بن محمد وهو من ذرية عبد اللّه بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم طباطبا.

كان قيامه فى سنة ثمانمائة وإحدى وأربعين وتوفى فى صفر سنة تسع وسبعين وثمانمائة.

۱۶ ـ الإمام الهادى عز الدين بن الحسن، كانت دعوته فى تسعة شوال سنة ثمانين وثمانمائة ويعتبر مجدداً للدين فى القرن التاسع الهجرى، وحكم اليمن ومكّة وكانت وفاته فى رجب سنة تسعمائة عن خمس وخمسين عاماً.

۱۷ ـ الإمام المتوكل على اللّه يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى، كانت بيعته فى جمادى الأُولى سنة اثنتى عشرة وتسعمائة وفى أيامه خرج الجراكسة والأتراك من اليمن وتوفى سنة خمس وستين وتسعمائة وهو ابن سبع وثمانين سنة.

۱۸ ـ الإمام الهادى الحسن بن عز الدين، كانت دعوته أواخر أيام الإمام شرف الدين وذلك بإشارة من الإمام شرف الدين بعد ذهاب بصره، فبويع له سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وتوفى سنة سبع وثمانين وتسعمائة عن سبع وسبعين سنة.

(۳۷۶)

۱۹ ـ الإمام الناصر لدين اللّه الحسن بن على بن داود، بويع له سنة أربع وثمانين وتسعمائة، أسّره الأتراك سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة فى سادس عشر من شهر رمضان وسجن فى اليمن سنة ثم أُرسل إلى القسطنطينية وبقى مسجوناً إلى أن توفى سنة أربع وعشرين وألف للهجرة.

۲۰ ـ الإمام المنصور باللّه القاسم بن محمد بن على، بويع له فى محرم سنة ألف وستة هجرية، وهو مجدد القرن الحادى عشر، وهو وأولاده الذين أخرجوا الأتراك من اليمن وتوفى سنة ألف وتسعة وعشرين هجرية.

۲۱ ـ الإمام المؤيد باللّه محمد بن القاسم بن محمد، بويع له بعد وفاة أبيه القاسم بن محمد وتوفى بعد صلاة الجمعة فى اليوم الثامن من شهر رجب فى سنة ألف وأربع وخمسين للهجرة، وفى أيامه تم خروج الأتراك نهائياً من اليمن.

۲۲ ـ الإمام المتوكل على اللّه إسماعيل بن القاسم بن محمد، بويع له بعد وفاة المؤيد سنة أربع وخمسين وألف وتوفى فى جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وألف وامتدّ حكمه إلى ظفار عمان.

۲۳ ـ الإمام المنصور باللّه القاسم بن المؤيد باللّه محمد بن القاسم بن محمد، بويع له بعد وفاة عمه المتوكل على اللّه إسماعيل وتوفى سنة ألف وسبعة وعشرين للهجرة النبوية على صاحبها وآله السلام.

۲۴ ـ الإمام المؤيد باللّه محمد بن المتوكل على اللّه إسماعيل، دعا بعد وفاة المؤيد وتوفى سنة سبع وتسعين وألف للهجرة.

۲۵ ـ الإمام المتوكل على اللّه إسماعيل بن أحمد بن عبد اللّه الكبسى المغلس دعوته سنة إحدى وعشرين ومائتين وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين ويعتبر مجدداً للمذهب الزيدى فى القرن الثانى عشر.

۲۶ ـ الإمام المنصور باللّه أبو محمد أحمد بن هاشم بن المحسن، كانت

(۳۷۷)

دعوته سنة ألف ومائتين وأربع وستين وتوفى سنة ألف ومائتين وتسع وستين.

۲۷ ـ الإمام المنصور باللّه محمد بن عبد اللّه الوزير، كانت دعوته سنة ألف ومائتين وسبعين ثم اعتزل بعد سنة من قيامه وتوفى سنة ألف وثلاثمائة وسبعة.

۲۸ ـ الِامام المتوكل على اللّه المحسن بن أحمد الحوثى، كانت دعوته فى سنة ألف ومائتين وإحدى وسبعين وتوفى سنة ألف ومائتين وخمس وتسعين.

۲۹ ـ الِامام المهدى لدين اللّه أبو القاسم محمد بن القاسم بن إسماعيل الحسينى يرجع نسبه إلى الِامام يحيى بن حمزة الحسينى، كانت دعوته سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين للهجرة ثم أُخذ بعد ذلک وسجنه الَاتراک وتوفى سنة ألف وثلاثمائة وتسعة عشر للهجرة.

۳۰ ـ الِامام الهادى لدين اللّه شرف الدين بن محمد الحسينى، يرجع نسبه إلى الِامام يحيى بن حمزة الحسينى خرج أواخر القرن الثالث عشر أثناء سجن الِامام المهدى وتوفى سنة ألف وثلاثمائة وسبعة.

۳۱ ـ الِامام المنصور باللّه محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين وهو من ذرية الِامام القاسم بن محمد، دعا سنة سبع وثلاثمائة وهو وابنه الِامام يحيى حميد الدين من أخرج الَاتراک من اليمن وتوفى سنة ألف وثلاثمائة واثنين وعشرين.

۳۲ ـ الِامام المتوكل على اللّه يحيى بن محمد حميد الدين، دعا بعد وفاة والده المنصور باللّه محمد فى سنة ألف وثلاثمائة واثنين وعشرين، وهو الذى أخرج الَاتراک نهائياً من اليمن وله المنة الكبرى فى إبقاء اليمن بعيداً عن الاستعمار والَاجانب، واستمرّ حكم الِامام يحيى حتى استشهد سنة ألف وثلاثمائة وسبع وستين.

هوَلاء هم الَائمة الذين حكموا اليمن بعد الهادى يحيى بن الحسين وهم

(۳۷۸)

الذين أجمعوا على إمامتهم وكان هناک غيرهم ممن حكم اليمن إلاّ أنّهم لم يصلوا إلى درجة الِامامة عندهم وهم إمّا دعاة أو محتسبون، وجاء بعد الِامام يحيى من أخذ بثأره الِامام أحمد بن يحيى حميد الدين كان عالماً جليلًا وفارساً شجاعاً وكان عادلاً فى حكمه إلّا أنّه لم تكتمل شروط الِامامة فيه واستمر حكمه إلى سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة وثمانين للهجرة.

* * * (۳۷۹)

الفصل الرابع أئمة الزيدية ودولتهم فى طبرستان

الفصل الرابع أئمة الزيدية ودولتهم فى طبرستان

وقد أسّس بعض الثائرين على منهج زيد الثائر دولة زيدية فى طبرستان، وهم بين داع وإمام، أو بين إمام جهاد، وإمام اجتهاد، نعم هنا مشكلة وهو اجتماع إمامين فى عصر واحد وإن كانا فى قطرين، وسيوافيک أنّ الناصر الَاطروش من أئمة الزيدية فى طبرستان كان معاصراً مع الِامام الهادى يحيى بن الحسين الذى توفى ۲۹۸هـ وإليک أسماءهم وقليلًا من حياتهم:

۱ ـ الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (ت ۲۷۰هـ) .

قال المسعودى: وفى خلافة المستعين وذلک فى سنة ۲۵۰هـ ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل، بن الحسن، بن زيد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ـ رضى اللّه عنهم ـ فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد وما زالت فى يده إلى أن مات سنة سبعين و مائتين(۱).

وقال الجزرى: وفيها توفى الحسن بن زيد العلوى، صاحب طبرستان، فى رجب وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وولى مكانه أخوه

(۱) المسعودى: مروج الذهب: ۴|۶۸.

(۳۸۰)

محمد بن زيد.

وكان الحسن جواداً مدحه رجل فأعطاه عشرة آلاف درهم، وكان متواضعاً للّه تعالى.

حكى عنه أنّه مدحه شاعر فقال: اللّه فرد، وابن زيد فرد، فقال: بفيك الحجر، ياكذاب، هلا قلت اللّه فرد، وابن زيد عبد. ثم نزل عن مكانه، وخرّ ساجداً للّه تعالى، وألصق خده بالتراب وحرم الشاعر (١)

٢ ـ أخوه: محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل، فقام مكانه أخيه «الحسن» وحاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد إلى الديلم فى سنة ٢٧٧هـ فصارت فى يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة، وصار فى جملته وانقاد لدعوته والقول بطاعته (إلى أن توفى سنة ٢٨٧هـ بعد ما أُثخن فى معركة الحرب مع السامانيين) وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان إلى الرضا من آل محمد وكذلك من طرأ بعدهما ببلاد طبرستان (٢)

٣ ـ الإمام الناصر للحقّ الاَطروش، أبو محمد: الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر الاَشرف (٣)بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (٢٣٠ ـ ٣٠٤هـ) وستوافيك ترجمته فى الفصل القادم.

٤ ـ الحسن بن القاسم بن الحسن بن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط (ت ٣١٦هـ) .

قال المؤيدى: هو الاِمام الداعى إلى اللّه أبو محمد الحسن بن القاسم بن________________

(١) الجزرى: الكامل: ٧|٤٠٧.

(٢) المسعودى: مروج الذهب: ٤|٦٨.

(٣) إنّما يوصف بالاَشرف لكونه من جانب الاَب والاَُمّ علوياً فى مقابل عمر الاَطرف إذ كان علوياً من جانب الاَب.

(٣٨١)

الحسن بن على بن عبد الرحمن الشجرى: كان هذا الاِمام من أركان الناصر للحق الحسن بن على الاطروش، وكان يضرب بعدله المثل، واستشهد سنة ست عشرة وثلاثمائة وله اثنتان وخمسون سنة، وأقام أود الدين الحنيف فى نيسابور والرى ونواحيهما وفى الجبل والديلم.

وقال المؤيدى فى الزلف:

كذا الحسن بن القاسم بن الفرد بعده * فلم يبق فى جيلان للحقّ مانع (١) ٥ ـ محمد بن الحسن بن القاسم بن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط (ت ٣٦٠هـ) .

قال المؤيدى: هو الاِمام أبو عبد اللّه المهدى لدين اللّه محمد بن الاِمام الحسن بن القاسم بن على بن عبد الرحمن الشجرى بن القاسم بن الحسن بن زيد ابن الحسن السبط.

وهذا الاِمام الذى جمع بين القاسمية والناصرية بعد التباين العظيم بسبب الاختلاف فى الاجتهاد فأظهر القول بأنّ كل مجتهد يصيب فى الاجتهاديات وهو الذى قيل فيه لو مادت الاَرض لشىء لعظمه لمادت لعلم أبى عبد اللّه الداعى ووالده الاِمام الحسن بن القاسم الذى تقدم بعد الاِمام الناصر الاطروش.

قام ببغداد ثم وصل الديلم وبايعه من علماء الاَُمّة أربعة آلاف، سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة قبضه اللّه بـ«هوسم» سنة ٣٦٠هـ روى عن الاِمام أبى طالب أنّه مات مسموماً (٢)

وبذهاب هوَلاء، ذهبت الدولة الزيدية فى طبرستان ولهم إلى الآن آثار وقبور تزار________________.

(١) مجد الدين الموَيدى: التحف شرح الزلف: ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) التحف شرح الزلف: ٨٣ ـ ٨٤.

الفصل الخامس الدولة الزيدية فى المغرب

الفصل الخامس الدولة الزیدیة فی المغرب الادارسة :

کان لعبد اللّه المحض أی عبد اللّه بن الحسن بن الحسن السبط ـ علیه السلام ـ ستة أبناء قد ذکرنا أسماءهم عند ذکر ثورة محمد بن عبد اللّه النفس الزکیة، منهم: ۱ ـ إدریس بن عبد اللّه المحض : قال المسعودی: لما خرج محمد بن عبد اللّه المحض المعروف بالنفس الزکیة تفرق إخوته فی البلاد، یدعون إلی إمامته، فکان فیمن توجه، ابنه علی بن محمد إلی مصر، فقتل هناک، وسار ابنه الحسن إلی الیمن فحبس فمات فی الحبس، وسار إخوة موسی إلی الجزیرة، ومضی أخوه یحیی إلی الریّ، ثم إلی طبرستان، ومضی أخوه إدریس بن عبد اللّه إلی المغرب فأجابه خلق من الناس فبعث المنصور من اغتاله بالسم فیما احتوی علیه من مدن المغرب (۱)

قال العلوی العمری النسابة: کان إدریس بن عبد اللّه مع الحسین صاحب________________

(۱) المسعودی: مروج الذهب: ۳|۳۹۶.

(۳۸۳) الفخ (۱)، فلما قتل الحسین انهزم حتی لحق بالمغرب فسمّ هناک (۲).

وقال ابن عنبة: لما قتل الحسین انهزم إدریس حتی دخل المغرب فسمّ هناک بعد أن ملک، وکان قد هرب إلی فاس وطنجة ومعه مولاه راشد ودعاهم إلی الدین فأجابوه وملکوه، فاغتم الرشید (هارون) لذلک حتی امتنع من النوم ودعا سلیمان ابن جریر الرقی متکلم الزیدیة وأعطاه سماً، فورد سلیمان بن جریر متوسماً بالمذهب فسرّ به إدریس بن عبد اللّه ثم طلب منه عزة ووجد خلوة من مولاه راشد فسقاه السم فهرب، فخرج راشد خلفه فضربه علی وجهه ضربة منکرة وفاته، وعاد وقد مضی إدریس لسبیله.

کانت بیعة إدریس بن عبد اللّه فی شهر رمضان سنة ۱۷۲هـ واستمر بالأمر إلی ست سنین إلاّ ستة شهر (۳)

وقال الزرکلی: إدریس بن عبد اللّه بن الحسن المثنی بن الحسن بن علی بن أبی طالب: مؤسس دولة الاَدارسة فی المغرب وإلیه نسبتها، أوّل ما عرف عنه أنّه کان مع الحسین بن علی بن الحسن المثلث، فی المدینة أیام ثورته علی الهادی العباسی سنة ۱۶۹هـ ثم قتل الحسین، فانهزم إدریس إلی مصر فالمغرب الاَقصی سنة ۱۷۲هـ ونزل بمدینة ولیلی (علی مقربة من مکناس وهی الیوم مدینة قصر فرعون) وکان کبیرها یومئذ إسحاق بن محمد فعرّفه إدریس بنفسه، فأجاره وأکرمه، ثم جمع البربر علی القیام بدعوته، وخلع طاعة بنی العباس، فتم له الاَمر (یوم الجمعة ۴ رمضان ۱۷۲هـ) فجمع جیشاً کثیفاً وخرج به غازیاً فبلغ بلاد تادَلة________________

(۱) فخ ـ بفتح أوّله وتشدید ثانیه ـ واد بمکة قتل فیه الحسین بن علی بن الحسن العلوی یوم الترویة سنة ۱۶۹ هـ وقتل معه جماعة من أهل بیته وفیه دفن عبد اللّه بن عمرو جماعة من الصحابة، انظر مراصد الاِطلاع، ما دة فخ.

(۲) النسابة العلوی العمری: المجدی: ۶۲.

(۳) ابن عنبة: عمدة الطالب: ۱۵۷ ـ ۱۵۸.

(۳۸۴) (قرب فاس) ففتح معاقلها، وعاد إلی ولیلی، ثم غزا تلمسان فبایع له صاحبها، وعظم أمر إدریس فاستمر إلی أن توفی مسموماً فی ولیلی فی عام ۱۷۷ هـ وهو أول من دخل المغرب من الطالبیین، ومن نسله الباقی إلی الآن فی المغرب شرفاء العلم (العلمیون) والشرفاء الوزانیون، والریسیون، والشبیهیون، والطاهریون الجوطیون، والعمرانیون، والتونسیون (أهل دار القیطون) والطالبیون، والغالبیون، والدباغیون، والکتانیون، والشفشاویون، والوَدْغیریون، والدرقاویون، والزکاریون(۱).

* * *

۲ ـ إدریس بن إدریس بن عبد اللّه المحض :

یقول ابن عنبة: وأعقب إدریس بن عبد اللّه المحض من ابنه إدریس وحده، وکان إدریس بن إدریس لما مات أبوه حملاً، وأُمه أم ولد بربریة، ولما مات إدریس ابن عبد اللّه وضعت المغاربة التاج علی بطن جاریته أُم إدریس فولدته بعد أربعة أشهر، قال الشیخ أبو

نصر البخاری: قد خفی علی الناس حدیث إدریس لبعده عنهم ونسبوه إلی مولاه راشد، وقالوا: «إنّه احتال فی ذلک لبقاء الملک له، ولم یعقب إدریس بن عبد اللّه ولیس الاَمر کذلک فإنّ داود بن قاسم الجعفری وهو أحد کبار العلماء وممن له معرفة بالنسب، حکی أنّه کان حاضراً قصة إدریس بن عبد اللّه وسمّه وولادة إدریس بن إدریس، قال: وکنت معه بالمغرب فما رأیت أشجع منه ولا أحسن وجهاً، وقال الرضا بن موسی الکاظم ــ علیهما السلام: «ــ إدریس بن إدریس ابن عبد اللّه من شجعان أهل البیت واللّه ماترک فینا مثله» وقال أبو هاشم داود بن القاسم بن إسحق بن عبد اللّه بن جعفر الطیار: أنشدنی إدریس بن إدریس لنفسه ـ أبیاتاً شعریة ـ.

---

(۱) الزرکلی: الاَعلام : ۱ |۲۷۹.

(۳۸۵)

وکان لِإدریس بن إدریس بن عبد اللّه المحض أحد عشر رجلًا وبنتین: رقیة وأُم محمد، ولکنه أعقب من سبعة، وهم:

۱ ـ القاسم ۲ ـ عیسی ۳ ـ عمر ۴ ـ داود ۵ ـ یحیی ۶ ـ عبد اللّه ۷ ـ حمزة.

وقد قیل: إنّه أعقب من غیر هوَلاء أیضاً ولکل منهم ممالک فی بلاد المغرب هم بها ملوک إلی الآن

(۱)

وفی تعلیقة الکتاب: والذی أولدهم إدریس بن إدریس أحد عشر رجلًا، وبنتین: رقیة وأُم محمد، والذی أعقب فیهم سبعة، والذی ملک الاَمر منهم فی بلاد المغرب محمد واستمر بالاَمر ثمانی سنین ثم توفی فی شهر ربیع الاَوّل سنة ۲۲۱ هـ وقام بعده أولاده ثم أحفاده وکان آخرهم الحسن بن القاسم کنون بن محمد بن القاسم بن إدریس الذی تولی الملک سنة ۳۴۸ وقتل سنة ۳۷۵ وبموته انقرضت دولة الاَدارسة من بلاد المغرب وقد ملکوا الاَمر ۲۰۰ سنة تقریباً.

وقال ابن عذاری المراکشی: أخذت الهجرات العربیة تنثال علی مراکش من أفریقیة والاَندلس، فقرر إدریس الثانی تأسیس عاصمة له وشرع فی إنشاء مدینة فاس عام ۱۹۲ هـ حیث سکن البربر المنطقة الشرقیة والعرب المنطقة الغربیة، وقد أصبحت هذه المدینة مرکزاً من أکبر مراکز الإِسلام علمیاً ودینیاً وتجاریاً وصناعیاً.

قام إدریس الثانی بحملات عسکریة فی جبال أطلس وظل یتنقل بعدها بین فاس وتلمسان وولیله إلی أن مات مسموماً عام ۲۱۳ هـ فی ظروف غامضة.

ترک اثنی عشر ولداً هم: محمد وأحمد و عبد اللّه وعیسی وإدریس وجعفر________________

(۱) ابن عنبة: عمدة الطالب: ۱۵۹ ومعنی ذلک بقاء حکمهم وسلطتهم إلی أوائل القرن التاسع.

(۳۸۶) ویحیی وحمزة وعبد اللّه والقاسم وداود ویحیی، ولّی منهم: محمد بن إدریس، ففرّق البلاد علی إخوته بأمر جدته البربریة «کنزة» ولکن الخلاف نشأ بین بعض الإِخوة ولم تستقرّ بعدها دولة الاَدارسة بسبب منازعة الخوارج لهم برئاسة عبد الرزاق الخارجی الصفری إلی أنّ انتهت عام ۳۲۳هـ (۱)

وقال الزرکلی: إدریس بن إدریس بن عبد اللّه بن الحسن المثنی، أبو القاسم: ثانی ملوک الاَدارسة فی المغرب الاَقصی، وبانی مدینة فاس. ولد فی ولیلی (بجبل زرهون. علی نحو ۳۰ کم من مکناس) وتوفی أبوه وهو جنین، فقام بشوَون البربر راشد (مولی أبیه إدریس الاَوّل وأمینه) وقتل راشد سنة ۱۸۶هـ فقام بکفالة إدریس أبو خالد العبدی، حتی بلغ الحادیة عشر، فبایعه البربر فی جامع ولیلی سنة ۱۸۸هـ فتولّی ملک أبیه وأحسن تدبیره وکان جواداً فصیحاً حازماً، أحبته رعیته. واستمال أهل تونس وطرابلس الغرب والاَندلس إلیه (وکانت فی ید العباسیین بالمشرق، یحکمها ولاتهم) وغصت ولیلی بالوفود والسکان فاختلط مدینة «فاس» سنة ۱۹۲ هـ وانتقل إلیها. وغزا بلاد المصامدة فاستولی علیها، وقبائل نفزة (من أهل المغرب الاَوسط) فانقادت إلیه، وزار تلمسان ـ وکان أبوه قد افتتحها ـ فأصلح سورها وجامعها وأقام فیها ثلاث سنوات، ثم عاد إلی فاس. وانتظمت له کلمة البربر وزناتة، واقتطع المغربین (الاَقصی والاَوسط) عن

دولة العباسيين من لدن السوس الاَقصى إلى وادى شلف. وصفا له ملك المغرب وضرب السكة باسمه وتوفى بفاس

(۲)فى ۳۱۲هـ وكان قد ولد عام ۷۷۱هـ وبذلك يكون عمره ۳۶عاماً________________.

(۱) ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب فى أخبار الاَندلسى والمغرب: ۲۱۰ كما فى الزيدية للدكتور أحمد محمود صبحى: ۱۱۳.

(۲) الزركلى: الاَعلام: ۱ |۲۷۸.

الفصل السادس الاَعلام المجتهدون من الزيدية

الفصل السادس الاَعلام المجتهدون من الزيدية إنّ أعلام الزيدية بين إمام جهاد واستشهاد وإمام فقه واجتهاد، فمن الطبقة الاُولى:

۱ ـ يحيى بن زيد.

۲ ـ محمد النفس الزكية.

۳ ـ إبراهيم بن عبد اللّه.

۴ ـ عيسى بن زيد.

۵ ـ الحسين الفخيّ.

۶ ـ يحيى بن عبد اللّه .

۷ ـ ابن طباطبا.

۸ ـ محمد بن محمد بن زيد، وغيرهم.

وقد تعرفت على موجز أحوالهم وجهادهم واستشهادهم.

نعم هناك أئمة فقه واجتهاد أشادوا هذا المذهب بتفكيرهم وبجهادهم العلمى المتواصل عبر القرون منضماً إلى حروبهم مع المتمردين والظالمين، وها

(۳۸۸)

نحن نأتى على ذكر لفيف منهم مع الاِشارة إلى حياتهم وتأليفاتهم، وأفضل مرجع لدراسة أحوالهم إلى القرن السابع، كتاب «الحدائق الوردية فى مناقب أئمة الزيدية»، تأليف أبى الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلى (۵۸۲ـ ۶۵۲هـ).

وقد ألّف فى ذلك المجال كتب تتضمن حياة أئمة الزيدية نشير إلى أسمائها:

۱ ـ «قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون» لوجيه الدين عبد الرحمن بن على (ت۹۴۴هـ) نشرها القاضى محمد بن على الاَكوع.

۲ ـ «مصادر الفكر العربى الاِسلامى» فى اليمن لعبد اللّه الحبشى، طبع بيروت ـ ۱۹۷۸ م.

۳ ـ «اتحاف المهتدين بذكر الاَئمة المجدّدين» لمحمد بن محمد بن يحيى «زبارة» (ت ۱۳۸۰هـ) .

۴ ـ «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكانى (ت ۱۲۵۰هـ) .

۵ ـ «حكام اليمن المجتهدون» لعبد اللّه محمد الحبشى، طبع بيروت.

۶ ـ «مطلع البدور، ومجمع البحور» لابن أبى الرجال صفى الدين (ت ۱۰۹۲هـ) مخطوط.

۷ـ «طبقات الزيديّة» تأليف إبراهيم بن القاسم الشهارى (ت ۱۱۵۳هـ) مخطوط.

إلى غير ذلك ممّايقف عليه المتتبع فى آثار الزيدية.

* * (۳۸۹) ۱ أحمد بن عيسى بن زيد بن على (۱۵۷ ـ ۲۴۷ هـ) الاِمام أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليهم السلام ـ يكنّى أبا عبد اللّه، وأُمّه عاتكة بنت الفضل بن عبد الرحمن بن العباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

ولد يوم الثانى من شهر محرم الحرام سنة ۱۵۷هـ توفى والده وهو صغير السن.

قال أبو الفرج الاَصفهانى: إنّه وُشىَ إلى هارون بأحمد بن عيسى والقاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين فأمر بإشخاصهما إليه من الحجاز فلمّا وصلا إليه، أمر بحبسهما فحبسا فى سعة عند الفضل بن الربيع مكاناً عنده قال: فاحتال بعض الزيدية فدسّ إليهما فالوذجاً فى حاجات أحدهما مُبْنج فأطعما المُبْنج الموكّلين فلمّا علما إلى ذلك قد بلغ فيهم خرجا، ـ إلى أن قال: ـ ولم يزل مدّة ببغداد مستتراً، وقد بلغ الرشيد خبره، فوضع الرصد فى كل موضع، وأمر بتفتيش كل دار، يتّهم صاحبهما بالتشيع وطلب أحمد فيها، فلم يزل ذلك دأبه حتى أمكنه التخلص فمضى إلى البصرة فأقام بها (۱)

وقال الذهبى: أحمد بن عيسى بن زيد له كتاب «الصيام» روى عن حسين (يريد الحسين بن علوان) روى عنه محمد بن منصور الكوفى (۲)

وقال السيد المؤيّدى: الإمام أبو عبد اللّه أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن________________

(۱) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ۴۰۸ ـ ۴۰۹.

(۲) الذهبى: ميزان الاعتدال: ۱|۱۲۷ برقم ۵۱۲.

(۳۹۰)

الحسين السبط ــ عليهم السلام ــ فقيه آل محمد، وله الاَمالى المعروفة بعلوم آل محمد سمّاها الإمام المنصور باللّه «بدائع الاَنوار» توفى وقد جاوز الثمانين سنة ۲۴۷هـ وقد كان حبسه الرشيد ثم أخرجه اللّه تعالى وبقى فى البصرة إلى أن توفّى.

أولاده: محمد وعلى (۱)

أقول: يروى عن حسين بن علوان كثيراً ومحمد بن بكر العلائى، وعن محمد ابن بكر عن أبى الجارود عن أبى جعفر الباقر ــ عليه السلام.ــ

وروى عنه: ابناه: على ومحمد، ومحمد بن المنصور المرادى بواسطة ابنيه المذكورين وبلا واسطة ولم يرو عن أبيه.

وأمّا كتاب الاَمالى فهو الذى طبع باسم «رأب الصدع» فى ثلاثة أجزاء بتحقيق العلامة على بن إسماعيل بن عبد اللّه المؤيد الصنعانى وصدر عن دار النفائس ببيروت عام ۱۴۱۰هـ وقال محقق الكتاب إنّه كصحيح البخارى عند أهل البيت النبوى الشريف (۲)

وقد أخرج المؤلف فيه ۲۷۹۰ حديثاً عن الرسول وأئمة أهل البيت والباقر والصادق ــ عليهم السلام ، ــ وقد أكثر النقل عن النبى الاَكرم ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عن غير طريق على وأبنائه ــ عليهم السلام ، ــ كما حدّث عن أبى جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ والكتاب جدير بالمطالعة والدراسة والاستفادة والاعتماد عليه، عند صحّة السند، فلا يتمّ جامع حديثى للشيعة إلاّ بنقل ما ورد فيه عن أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ

وقد استخرج المحقّق ـ المغفور له ـ مصادر ما رواه عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عن طريق الصحابة والتابعين،وقصرت يده عن استخراج ما رواه عن أئمة أهل البيت ــ عليهم السلام ــ عن المصادر الحديثية الشيعيّة، ليكون آية للصحة والإتقان. وذيّل الجزء الثالث برسالة أسماها: «تعريف برواة الاَحاديث والآثار الواردة فى الكتاب» وهى ممتعة.

الجامع لاَحاديثه هو أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد المرادى. وإليك________________

(۱) المؤيدى: التحف شرح الزلف: ۴۵.

(۲) رأب الصدع: ۱|۱۱.

(۳۹۱)

سند الحديث الاَوّل:

أخبرنا أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد، قال: حدثنى أحمد بن عيسى بن زيد عن حسين بن علوان، عن أبى خالد، عن زيد عن آبائه عن على ـ عليه السلام ـ وإليك ترجمتهم:

١ ـ محمـد بن منصور بن يزيـد (١)ولقـد رجعت فی ترجمـة محمـد بن منصور المرادی إلی العلامـة بدر الدين أحد العلماء الكبار فی اليمن والذی يزور حالياً الجمهورية الإسلامية فی إيران، وحرّر شيئاً ما هذا ملخصه:

ترجمة محمد بن منصور الكوفی المرادی مؤلف الامالی:

قال العلامة أحمد بن صالح ابن أبی الرجال أحد كبار علماء الزيدية فی كتابه مطلع البدور:

شيخ العترة والشيعة، عذب الشريعة، لمن أراد بحار الشريعة محمد بن منصور المقری المرادی كان الأئمة يجلّونه إجلال الأب الكريم وهو ينزلهم فی منزلهم الشريف العظيم، وكان شيخاً معمّراً قد ذكر فی عمره بخط بعض الطلبة كلام لم يتفق عندی فانقله.

وهو الـذی جمع أمـالی أحمـد بن عيسـی، وهو أحـد الأربعـة الـذين اعتمـد عليهم فی الجـامع الكـافی، لأنّ مؤلف الجامع الكافی وهو صاحب «المقنع» وهو الـذی قال الـذهبی فيه: الامام المحـدث الثقـة العالم مسـند الكوفة أبو عبد اللّه محمد بن علی بن الحسن بن عبد الرحمن العلوی جمع كتاباً فيه علم الأئمة بالعراق فاجتمع فيه ما لم يجتمع فی غيره.

وقال السيد العلاّمة صارم الدين إبراهيم بن محمد ــ عليه السلام ــ لمحمد بن منصور، تفسير، قلت: وذكر بعض شيوخنا رضی اللّه عنه أنّ لمحمد بن منصور________________

(١) لم يترجمه الذهبی فی سير أعلام النبلاء، ولافی ميزان الاعتدال، ولا جمال الدين المزّی فی تهذيب الكمال.

(٣٩٢)

كتاب التفسير الكبير، وكتاب التفسير الصغير، وكتاب أحمد بن عيسی ـ عليه السلام ـ لعله يريد الأمالی وسيرة الأئمة العادلة، وكتاب رسالة بخراسان، وبعض ينسبها إلی الحسن بن زيد بطبرستان. انتهی.

وقـال ابن النـديم: المرادی من الزيديـة وهو أبو جعفر محمـد بن منصور المرادی الزيـدی وله من الكتب: كتاب التفسير الكبير، كتاب التفسير الصغير، كتاب أحمـد بن عيسـی، كتاب سـيرة الأئمة العادلة، وله كتب فی الاحكام مثل طهارة وصـلاة وغير ذلك علی تلاوة كتب الفقه، وله كتاب الخميس. كتاب رسالته علی لسان بعض الطالبيين إلی الحسن بن زيد بطبرستان (١)

٢ ـ أحمد بن عيسی بن زيد، وقد مرت ترجمته.

٣ ـ حسين بن علوان، قال النجاشی: الكلبی ولاءً كوفی عامی (غير شيعی) وأخوه الحسن يكنّی أبا محمد، ثقة، رويا عن أبی عبد اللّه ــ عليه السـلام ــ وليس للحسن كتاب، والحسن أخص بنا وأولی، روی الحسـين عن الأعمش، وهشام بن عروة، وللحسين كتاب تختلف رواياته (٢)

٤ ـ أبو خالد: قال النجاشـی: عمرو بن خالد الواسـطی عن زيد بن علی له كتاب كبير رواه عنه نصـر بن مزاحم المنقری وغيره (٣)روی الصـدوق فی أماليه بإسـناده عن عمرو بن خالـد قال: قال لی زيـد بن علی بن الحسـين: فی كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج اللّه به علی خلقه، وحجّـة زماننـا ابن أخی جعفر بن محمـد ــ عليه السـلام ــ لايضـل من تبعه ولاـ يهتـدی من خالفه (٤)وضعفه الذهبی تبعاً لعادته من تضعيف شيعة أهل البيت ــ عليهم السلام ــ ومواليهم (٥________________)

(١) ابن النديم: الفهرست: ٢٤٤.

(٢) النجاشی: الرجال: برقم ١١.

(٣) النجاشی: الرجال: برقم ٧٦٩.

(٤) المامقانی: تنقيح المقال: ٢|٣٣٠ برقم ٨٦٩١.

(٥) الذهبی: ميزان الاعتدال: ٣|٢٥٧ برقم ٦٣٥٩.

(٣٩٣) ٢ القاسم الرسی (١٦٩ ـ ٢٤٦هـ)

القاسم بن إبراهيم (طباطبا) بن إسـماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنی المعروف بالقاسم الرسـی، فهو الحجر الأساس لظهور الأئمـة فی

اليمن وهو جد الإِمام الهادى يحيى بن الحسين الذى خرج فى اليمن وأسّس حكومة زيدية فيها طالت قروناً.

وممن ترجمه: أبو الحسن حسام الدين حميد الدين المحلى فقد ذكر نسبه، وصفاته، وطرفاً من مناقبه وأحواله وزهده وقسماً من الوصايا والحكم والآداب المنقولة منه، ثم شرح دعوته وقال: لما استشهد أخوه محمد بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو بمصر دعا إلى نفسه وبثّ الدعاة وهو على حال الاستتار فأجابه عالَم من الناس من بلدان مختلفة، وجاءته بيعة أهل مكة، والمدينة، والكوفة، وأهل الرىّ، وقزوين، وطبرستان وتخوم الديلم، وكاتبه أهل العدل من البصرة والأهواز، وحثّوه على الظهور وإظهار الدعوة.

وأقام ــ عليه السلام ــ بمصر نحو عشر سنين واشتد الطلب له هناك من عبد اللّه ابن طاهر فلم يمكنه المقام، فعاد إلى بلاد الحجاز وتهامة وخرج جماعة من دعاته من بنى عمه وغيرهم إلى بلخ والطالقان والجوزجان، فبايعه كثير من أهلها وسألوه أن ينفذ إليهم بولد له ليظهروا الدعوة، فانتشر خبره قبل التمكن من ذلك، فوجهت الجيوش فى طلبه فانحاز إلى حىّ من البدو، واستخفى فيهم وأراد الخروج بالمدينة فى وقت من الأوقات فأشار عليه أصحابه بأن لا يفعل ذلك ـ إلى أن قال: ـ ولم يزل على هذه الطريقة، مثابراً على الدعوة، صابراً على التغرّب والتردّد فى النواحى والبلدان متحملاً للشدة مجتهداً فى إظهار دين اللّه.

ولما تهيّأت مقدمات ظهوره وكانت له بيعات كثيرة فى أوقات مختلفة أوّلها

(۳۹۴)

(سنة ۱۹۹هـ) والبيعة الجامعة كانت سنة ۲۱۹ هـ فى منزل محمد بن منصور المرادى بالكوفة. فشلت دعوته ولم تساعده المقادير إلى كل ما أراد، فانتقل إلى الرسّ فى آخر أيامه، وهى أرض اشتراها وراء جبل أسود بالقرب من ذى الحليفة، وبنى هناك لنفسه ولولده وتوفى بها سنة ۲۴۶هـ وله سبع وسبعون سنة، ودفن فيها ومشهده معروف يزوره من يريد زيارته.

وله من المؤلفات:

۱ ـ الدليل الكبير، وقد بالغ فيه فى الكلام على الفلاسفة.

۲ ـ الدليل الصغير.

۳ ـ كتاب العدل والتوحيد الكبير، وفيه من أُصول العدل والتوحيد وتصديق الوعد والوعيد والمبالغة فى الكلام على الجبرية على لطافة حجمه، ما يشهد بغزارة علمه، ووفور فهمه.

۴ ـ الرد على ابن المقفّع.

۵ ـ الرد على النصارى.

۶ ـ كتاب المسترشد.

۷ ـ كتاب الرد على المجبرة.

۸ ـ كتاب تأويل العرش والكرسى.

۹ ـ كتاب المسألة وفيها مناظرته مع الملحد

۱۰ ـ كتاب تثبيت الإِمامة وتقديم أمير المؤمنين على المشايخ.

۱۱ ـ كتاب الفرائض والسنن.

۱۲ ـ كتاب الطهارة.

۱۳ ـ كتاب صلاة اليوم والليلة.

۱۴ ـ كتاب مسائل على بن جهشيار.

۱۵ ـ كتاب الناسخ والمنسوخ.

۱۶ ـ كتاب سياسة النفس (۱ـــــــــــــــــ).

(۱) حسام الدين المحلى: الحدائق الوردية: ۲|۲ ـ ۶؛ ولاحظ الاَعلام للزركلى: ۵|۱۷۱. التحف شرح الزلف ۶۳ ـ ۷۰.

(۳۹۵) ۳ يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى (۲۴۵ ـ ۲۹۸هـ)

هو الاِمام الهادى إلى الحقّ المبين، أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم ابن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب. ولد بالمدينة المطهرة سنة ۲۴۵هـ وحمل إلى جده القاسم فوضعه فى حجره المبارك وعوّذه، وقال لابنه: بم سمّيته؟ قال: يحيى، وقد كان للحسين أخ يسمى يحيى توفى قبل ذلك، فبكى القاسم حين ذكره وقال: هو واللّه، يحيى صاحب اليمن. ـ إلى أن قال: ـ أقام اللّه به الدين فى أرض اليمن وأحيا به رسوم الفرائض والسنن، فجدد أحكام خاتم النبيين، وآثار سيد الوصيين. قيامه سنة ۲۸۰هـ وله مع القرامطة الخارجين عن الاِسلام نيف وسبعون وقعة كانت له اليد فيها كلها، ومع بنى الحارث نيف وسبعون وقعة ـ إلى أن قال: ـ وخطب له بمكة المشرفة سبعة سنين كما ذكر ذلك فى عمدة الطالب وغيره، وقبضه اللّه إليه شهيداً بالسم وهو فى ثلاث وخمسين سنة ليلة الاَحد لعشر بقين من ذى الحجّة سنة ۲۹۸هـ ودفن يوم الاِثنين فى قبره الشريف المقابل لمحراب جامعه الذى أسّسه بصعدة (۱)

ذكر حسام الدين المحلّى طرفاً من مناقبه وأحواله وسيرته، وأنّه الموَسس للدولة الزيدية فى اليمن، وإليك فهرساً من أسماء كتبه التى ذكرها المحلى وقال: وصنف التصانيف الفائقة والكتب البديعة_______________:

(۱) مجد الدين الموَيدى: شرح الزلف: ۶۲ ـ ۷۰ بتلخيص.

(۳۹۶)

۱ ـ كتاب المنتخب فى الفقه، وهو من جلائل الكتب وفيه فقه واسع وعلم رائع. ۲ ـ كتاب الفنون فى الفقه، مهذب ملخص. ۳ ـ كتاب المسائل. ۴ ـ كتاب مسائل محمد بن سعيد. ۵ ـ كتاب الرضاع. ۶ ـ كتاب المزارعة. ۷ ـ كتاب أُمهات الاَولاد. ۸ ـ كتاب الولاء. ۹ ـ كتاب القياس.

ومنها فى التوحيد كتب جليلة القدر: ۱ ـ كتاب التوحيد ۲ ـ كتاب المسترشد ۳ ـ كتاب الاِرادة والمشيئة ۴ ـ الرد على ابن الحنفية فى الكلام على الجبرية ۵ ـ نوادر القرامطة ۶ ـ كتاب أُصول الدين ۷ ـ كتاب الاِمامة ۸ ـ كتاب إثبات النبوة والوصية ۹ ـ كتاب الرد على الاِمامية ۱۰ـ كتاب البالغ المدرك ۱۱ ـ كتاب المنزلة بين المنزلتين ۱۲ ـ كتاب الحملة ۱۳ ـ كتاب الديانة ۱۴ ـ كتاب الخشية ۱۵ـ كتاب تفسير خطايا الاَنبياء ۱۶ ـ كتاب الرد على ابن جرير ۱۷ ـ كتاب التفسير فى ۶ أجزاء ۱۸ ـ كتاب معان القرآن فى ۹أجزاء ۱۹ ـ كتاب الفوائد جزءان إلى غير ذلك، وقد ذكر عبد اللّه بن محمد الحبشى له ۷۷ أثراً أتى بأسمائها وخصوصياتها ومحل نسخها المخطوطة.

وقد طبع منه كتابان:

الاَوّل: كتاب الاَحكام وقد طبع فى جزأين وهو يشمل الكتب التالية:

۱ ـ الطهارة. ۲ـ الصلاة. ۳ ـ الجنائز. ۴ ـ الزكاة. ۵ ـ الصيام. ۶ ـ الحجّ. ۷ ـ النكاح. ۸ ـ الطلاق. ۹ ـ الرضاع. ۱۰ ـ النفقات. ۱۱ـ البيوع. ۱۲ـ الشفعة. ۱۳ـ الشركة. ۱۴ ـ المضاربة. ۱۵ ـ الرهن. ۱۶ ـ الكفالة، والضمان، والحوالة، والوكالة.۱۷ ـ الغصب والاِقرار. ۱۸ ـ التفليس. ۱۹ ـ الصلح. ۲۰ ـ الاِيمان، والنذور، والكفارات. ۲۱ـ الدعوى. ۲۲ ـ المزارعة. ۲۳ ـ الهبة، والصدقة، والعمرى، والرقبى، والعارية، والوديعة. ۲۴ ـ الضالة، واللقطة، واللقيط. ۲۵ـ الحدود. ۲۶ ـ الديات، والجراحة، والجنايات. ۲۷ ـ الفرائض. ۲۸ ـ الصيد.

(۳۹۷)

۲۹ ـ الذبائح. ۳۰ـ الاَطعمة والاَشربة واللباس. ۳۱ ـ الوصايا. ۳۲ ـ القاضى، والقضاء، والشهادات. ۳۳ ـ السير. ۳۴ ـ الزهد، والآداب، وغيره من محاسن الاَخلاق.

الثانى: كتاب الردّ والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية أجاب فيه على ثلاث وأربعين سوَالاً ـ وجهه الحسن على القائلين

بالاختيار.

قال الإمام، فى صدر الكتاب: فإنّه وقع إلينا كلام الحسن (۱)بن الحنفية، يوَكد فيه الجبر، ويشدد فى ذلك منه الأمر، ويزعم فيه أنّ اللّه سبحانه جبر العباد أجمعين من الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع الثقلين على كل الأعمال من صالح أو طالح فرأينا أن نجيبه فى ذلك وننقض عليه ما جاء به من المهالك ونثبت عليه فى ذلك كله لربنا وسيدنا وخالقنا ما هو أهله مما هو عليه وما لا يجوز لخلق اللّه، أن يقول بغيره فيه، فاختصرنا له فى قوله الجواب، وتركنا خشية التطويل، كثيراً من الأسباب، فلينظر من نظر فى قولناوقوله، وجوابنا لسوَاله بلب حاضر ورأيٍ حيٍّ صادر، يبن له الحقّ إن شاء اللّه ويثبت فى قلبة الصدق (۲)

طبعت الرسالة ضمن رسائل العدل والتوحيد فى ۱۷۷ صفحة.

وطبعته معها، رسائل أُخر عام ۱۴۰۰هـ فى بيروت بإشراف سيف الدين الكاتب المجاز من جامعة الأزهر.

وقد خرج مرتين، مرة سنة ۲۸۰ هـ حتى بلغ موضعاً يقال له الشرفة بالقرب من صنعاء وأذعن له الناس بالطاعة، وأقام مدّة يسيرة، حتى خذله أهل البلاد، فعاد إلى الحجاز ثم وصلت كتبهم إليه سنة ۲۸۳ هـ فأجاب طلبهم________________.

(۱) وهو من أحفاد محمد الحنفية، أعنى: الحسن بن على بن الحسن بن على بن محمد الحنفية، ألّف رسالة يوَكّد فيها الجبر، طبعت الرسالة فى ضمن البدايات الكلامية من جانب المستشرقين.

(۲) الإمام الهادى يحيى بن الحسين: الرد والاحتجاج ضمن رسائل العدل والتوحيد: ۱۹.

(۳۹۸)

وقد ذكر الموَيدى قسماً من أشعاره وقصائده، ومما قال:

نحن الفواطم لهونا طعن القنا * ومدامنا حرب يدور رحاها

ومما كتب إلى بنى حرث مع كتاب:

خذوا حذركم منى فإنّى مسيِّر * إليكم جيوش اللّه واللّه غالب (۱)

* * *

---

(۱) حسام الدين المحلى: الحدائق الوردية: ۲|۱۳ ـ ۲۱، عبد اللّه محمد الحبشى: حكام اليمن الموَلفون المجتهدون ۲۱ ـ ۴۵.

(۳۹۹) ۴ الناصر للحقّ، الأطروش أبو محمد الحسن بن على (۲۳۰ ـ ۳۰۴هـ)

هو أبو محمد الحسن بن على بن الحسن، بن على بن عمر الأشرف بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب ــ عليهم السلام .ــ أحد الأئمة الزيديين، موَسس دولتها فى طبرستان، صاحب التآليف والتصانيف، وقد كان مع محمد بن زيد إلى أن قتل محمد بجرجان فجرّه القضاء إلى بلاد الديلم وهم كفار فأسلموا على يديه، وظهروا وذلك سنة ۲۸۷هـ بعد ظهور الهادى فى اليمن بسبع سنين (۱) واستنقذهم من الضيم وبقى على هذه الحالة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلى أن استولى على أهلها سنة ۳۰۱هـ

ذكره حسام الدين المحلى وحكى طرفاً من مناقبه فقال: وحكى أنّه ـ عليه السلام ـ حضر لغذاء بعض الأشراف فلما سمع البكاء من داره، قال: هذا الميت الذى يبكى عليه مات حتف أنفه على فراشه وبين أهله وعشيرته، وإنّما الأسف على أُولئك النفوس الطاهرة التى قتلت تحت أديم السماء، وفرّق بين الأجساد والروَوس، وعلى الذين قتلوا فى الحبوس وفى القيود والكبول.

وله تآليف نذكرها:

۱ ـ كتاب «البساط» ۲ ـ كتاب فى التفسير احتج فيه بألف بيت من الشعر________________

(۱) التقدير بالسبع باعتبار القيام الأوّل، لأنّه قام أوّلاً سنة ۲۸۰ هـ ولم يكن ناجحاً، وقام ثانياً عام ۲۸۳ هـ

(۴۰۰)

۳ ـ كتاب «الحجاج الواضحة»، وفيه دلائل حسنة على إمامة أمير المؤمنين. ۴ـ كتاب «الأمالى»، إلى غير ذلك مما يبلغ إلى أربعة عشر كتاباً واسع وأُلّفَ فى فقهه كتاب «الحاصر لفقه الناصر» للسيد المؤيد باللّه، وكتاب «الناظم» للسيد أبى طالب، وكتاب «الموجز» للشيخ أبى القاسم البستى، وكتاب «الإبانة» للشيخ العالم أبى جعفر محمد بن يعقوب الهوسمى، (هذه الكتب الأربعة أُلفت فى فقه الناصر وجميع أهل الجبل من الزيدية كلهم على مذهبه فى الفروع) توفى ليلة الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة ۳۰۴هـ وله أربع وسبعون سنة. ومن أحسن شعره قصيدة أوّلها:

أناف على السبعين ذا الحول رابع * ولابد لى إلاّ إلى اللّه راجع

وصرت تقومنى العصا * أدبّ كأنّى كلما قمت راكع (۱)

وكانت مدّة ظهوره بـ «آمل» ثلاث سنين وأشهراً ودفن فيها ومشهده هناك معروف. وعلى ضوء ذلك فلو كانت إمامته مختصة بهذه السنين الأخيرة فلا ـ يكون فى وقت واحد إمامان. ولكن المعروف أنّه دعا إلى نفسه قبل ذلك كما عرفت حيث دخل بلاد ديلم عام ۲۸۷هـ داعياً إلى نفسه.

قال مجد الدين المؤيدى: وكان يرد بين الصفين متقلداً مصحفه وسيفه، ويقول: أنا ابن رسول اللّه وهذا كتاب اللّه، فمن أجاب إلى هذا وإلاّ فهذا. قال محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه، ولم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحقّ. وقال ابن حزم: كان الأطروش، فاضلاً حسن المذهب، عدلاً فى أحكامه، ولى طبرستان_______________...

(۱) حسام الدين المحلى: الحدائق الوردية: ۲|۲۸ ـ ۴۰. والتحف شرح الزلف: ۷۰ ـ ۷۳.

(۴۰۱)

وقال الإمام أبو طالب: وكان يحث الناس على نصرة الهادى يحيى بن الحسين (۱) ويقول من يمكنه أن ينصره وقرب منه فنصرته واجبة عليه. ومن تمكن من نصرتى وقرب منى فلينصرنى. كان طويل القامة يضرب إلى الأُدمة، به طرش من ضربة.

أولاده:

أبو الحسن الأديب الشاعر، وأبو القاسم جعفر وأبى الحسين أحمد وقد أشار، مؤلف التحف إلى تعاصر الإمامين: الهادى والناصر فى قطرين بقوله:

وعاصره فى الجيل أفضل قائم * وأبسل من يدعى إذا انحاز هالع (۲) * * *

---

(۱) فى المصدر الحسن وهو مصحف الحسين.

(۲) المؤيدى: التحف شرح الزلف: ۷۰ ـ ۷۳.الهالع: الجبان

(۴۰۲) ۵ الإمام المرتضى أبو القاسم محمد بن يحيى (۲۷۸ ـ ۳۱۳هـ)

هو ابن الإمام الهادى بايعه الناس بعد وفاة والده سنة ۲۹۹هـ وأقام بصعدة وفى يده بلاد همدان ونجران وخولان، وسيّر جنوده لقتال القرامطة، فقتلوا فى كل فج واستقامت له الأُمور، وبويع يوم الخميس لإحدى وعشرين ليلة مضت من ذى القعدة من سنة ۲۹۹هـ وكان ورعاً متقللاً من المعاش كثير العبادة مؤثراً للعلم والعمل وقد تخلّى عن الحكم بعد سنتين لأخيه الناصر بعد أن رأى أشياء ساءته من عشيرته وله من العمر ۳۲ سنة.

مؤلفاته:

۱ ـ الأُصول فى العدل والتوحيد ۲ ـ تفسير القرآن ۷ أجزاء ۳ ـ جواب ابن فضل القرمطى ۴ ـ جواب مسائل ابن مهدى ۴ أجزاء ۵ ـ رسالة الإمام المرتضى إلى أهل طبرستان ۶ ـ الرسائل السبع المنتقاة ۷ ـ الرد على الروافض ۸ ـ الرد على القرامطة أتباع على بن فضل ۹ ـ الشرح والبيان فى تفسير القرآن.

وله شعر جید، وله قصیدة مطلعها:

یاحی همدان انّ اللّه فضلکم * بنصر آل رسول اللّه فی الکتب (۱) ولما تنازل ورثه فی الحکم أخوه الآتی:

* * *

(۱) حسام الدین المحلی: الحدائق الوردیة: ۲ | ۴۱ـ ۴۶، الحبشی: حکام الیمن: ۴۶.

(۴۰۳) ۶ الناصر لدین اللّه أحمد بن یحیی ابن الحسین

ولـد الاِمام الهادی (... ـ ۳۲۰هـ) ذکر حسام الـدین المحلی طرفاً من مناقبه وشعره وظهوره وأجمل الکلام فی سبب تنازل أخیه الاِمام المرتضی عن الحکم لصالحه، وقد کانت بیعته سنة ۳۰۱ هـ یقول: وبویع له بالخلافة یوم الجمعة فی مسجد الهادی إلی الحقّ (والده) واجتمع إلیه خلق کثیر من النـاس، ثم أقبلت نجران وأهل همـدان فبایعوه علی الطاعـة، فأرسل قواده واعماله إلی جمیع مخالفیه وساس الاَُمور أحسن سیاسة، وکـانت أکثر حروبه مع الباطنیـة، إلی أن وافته المنیـة سنة ۳۲۰هـ وکانت مـدّة ظهوره نحو عشرین سنة ودفن بصعده إلی جنب أخیه وأبیه ومشاهدهم معروفة مزورة(۱).

* * *

(۱) حسام الدین المحلی: الحدائق الوردیة: ۲|۴۶ ـ ۵۳، وحکام الیمن للحبشی: ۵۴ وفیه أنّه توفی عام ۳۲۵ هـ .

(۴۰۴) ۷ الاِمام السید المؤید أبو الحسین أحمد بن الحسین بن هارون (۳۳۳ ـ ۴۱۱هـ)

من أئمـة الزیدیـة فی أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس، ترجمه حسام الـدین المحلی فی الحدائق الوردیة وقال: نسب تعنو له الاَنوار، وتغض مـن شـعاعها الشـموس والاَقمـار، ینتهی إلی جوهر النبی ــ صـلی الله علیه وآله وسـلم ــ جـواهره، ونمت إلی عنصـره الکریم عناصره، وهذا هو الفضل الرائق، والحسب الفائق.

کان وحیـد عصـره وفریـد دهره، والحافظ لعلوم العترة ــ علیهم السـلام ــ والناصـر لفقه الذریة الکرام فَأُخذ عنه مذهب الزیدیة، وقرِیَ علیه الکلام علی طریقة البغدادیة وکان فی الاَصل إمامیاً فوضح له الحقّ فانقاد له أحسن انقیاد واختلف أیضاً إلی أبی الحسین علی بن إسماعیل بن إدریس. وقُرأ علیه فقه الزیدیة والحنفیة وروی عنه الحدیث عن الناصر للحق ــ علیه السلام.ــ

وکـان أبو الحسـین هـذا من أجلـة أهـل طبرسـتان رئاسـة وستراً وفضـلاً وعلمـاً، قال مصـنف سـیرته: وکان ــ علیه السـلام ــ فی الورع والتقشف والاحتیاط والتفرد إلی حد یقصـر العبارَة عنه، والفهم عن الاِحاطة وتصوّف فی عنفوان شبابه حتی بلغ فی علومهم مبلغاً منیعاً وحلّ التصوف والزهد محلاّ ً رفیعاً وصنف سیاسة المریدین.

وکان یحمل السـمک من السوق إلی داره، وکانت الشـیعة یتشبثون ویتبرکون بحمله فلا یمکن أحداً من حمله، ویقول: أنا أحمله قسراً للهوی وترکاً للتکبر لا لاعواز من یحمله.

(۴۰۵)

وکان قدس اللّه روحه یجالس الفقراء وأهل المسکنة ویکابر أهل السیر والعفة ویمیل إلیهم، وکان یرد الهدایا والوصایا إلی بیت المال وکان یکثر ذکر الصالحین وإذا خلی بنفسه یتلو القرآن بصوت حزین إلی آخر ما ذکره (۱)

وقال الزرکلی: أحمد بن الحسین بن هارون الاَقطع، من أبناء زید بن الحسن العلوی الطالبی القرشی، أبو الحسین: إمام زیدی، من أهل طبرستان. مولده بها فی آمل، ودعوته الاَُولی سنة ۳۸۰ بویع له بالدیلم ولقب بالسید «المؤید باللّه» ومدة ملکه عشرون سنة. وکان غزیر العلم، له مصنفات فی الفقه والکلام، منها «الاَمالی» و« التجرید» فی علم الاَثر، و «شرحه» فی أربعة مجلدات (۲)

أقول: له ترجمة ضافیة فی مقدمة الجزء الاَوّل من کتابه «شرح التجرید فی فقه الزیدیة».

وما ذكره حسام الـدين المحلى من أنه كان إمامياً، ثم صار زيدياً، حقّ، وقد نبه بذلك الشيخ الطوسى فى أوائل كتاب التهذيب ناقلاً عن الشيخ المفيد أنّه قال: إنّ أبا الحسين الهارونى العلوى كان يعتقد الحقّ ويدين بالإمامة فرجع عنها لما التبس عليه الأمر فى اختلاف الأحاديث وترك المذهب، ودان بغيره لما لم يتبين له وجوه المعانى فيها. وهذا يدل على أنّه دخل فيه على غير بصيرة واعتقد المذهب من جهة التقليد، لأنّ الاختلاف فى الفروع لا يوجب ترك ما ثبت بالأدلة من الأُصول (٣).

أقول: قد ذكرنا علل اختلاف الأخبار المروية عن أئمة أهل البيت وذكرنا أسبابها المختلفة، مقرونا بالشواهد فى محاضراتنا فى الأُصول (۴)وكان الشيخ أبا______________

(١) حسام الدين المحلى: الحدائق الوردية: ٢|٦۵ـ ٦٦.

(٢) الزركلى، الأعلام: ١|١١٦.

(٣) الطوسى: التهذيب: ١|٢ـ٣.

(۴) المحصول: ۴|۴٢٩ ـ ۴٣٧.

(۴٠٦)

الحسين لم يكن واقفاً عليها عن كثب، وإلاّ لما ترك المذهب، وقد وصل إلينا من كتبه، كتابه «شرح التجريد فى فقه الزيدية» فى ثلاثة أجزاء كبار ـ على القطع الرحلى، نشرته مكتب عنبر بدمشق عام ١۴٠۵ والكتاب شرح لفتاوى الإمامين: القاسم بن إبراهيم الرسى، والهادى يحيى بن الحسين بوجه مبّسط، وقد تجلّى فيه تبحره فى الفقه الزيدى بعيداً عن الفقه الحنفى كما هو ظاهر لمن طالع الكتاب بالإمعان والدقة ولأبى الحسين الهارونى، شعر رائق منه ما يمدح به الصاحب بن عباد نقتبس منه ما يلى:

سقى عهدها، صوب من المزن الهاطل * يحيّى بها تلك الربا والمنازل

منازل نجم الوصل فيهن طالع * يضىء ونجم الهجر فيهن آفل

إلى أن يقول:

ألا أيّها ذا الصاحب الماجد الذى * أنا مله العليا غيوث هواطل

أنامل لو كنت تشير إلى الصفا * تفجر للعافين منها جداول

إليك عميد المجد سارت ركابهم * وليس لهم إلاّ علاك وسايل

وأسعدتهم والنحس لولاك ناجم * وأعذرتهم والذل لولاك شامل

فكل زمان لم تزينه عاطل * وكل مديح غير مدحك باطل (١______________)

(١) شرح التجريد: قسم المقدمة: بقلم يوسف بن السيد محمد المؤيد الحسن: ٧١ ـ ٧٢.

(۴٠٧) ٨ الحاكم الجشمى (۴١٣ ـ ۴٩۴هـ)

المحسن بن محمد بن كرامة الجشمى البيهقى، المعروف بـ«الحاكم الجشمى»، أحد المفسرين العظام المتبحرين فى علام الكلام، شيخ الزمخشرى. قرأ بنيسابور وغيرها. واشتهر بصنعاء «اليمن» وتوفى مقتولاً بمكة. له تآليف يبلغ إلى اثنين وأربعين، وإليك بعضها:

١ ـ «التهذيب» فى تفسير القرآن، فى ثمانية أجزاء، ويوجد منها الجزء ۴، ٦، ٨ فى مكتبة الفاتيكان تاريخ كتابتها سنة ۵٦۵هـ

٢ ـ شرح عيون المسائل فى علم الكلام.

٣ ـ التأثير والموَثر فى الكلام.

۴ ـ المنتخب فى فقه الزيدية .

۵ ـ السفينة فى التاريخ إلى زمانه فى أربعة أجزاء.

٦ ـ تحكيم العقول فى الأُصول.

۷ـ الإمامة على مذهب الزيدية.

۸ـ الرسالة التامة فى نصيحة العامة.

۹ـ جلاء الأَبصار فى علم الحديث.

۱۰ـ «تفسيران » بالفارسية، مبسوط وموجز (۱)

إنّ الكعبى المعتزلى ألف كتاباً باسم «ذكر المعتزلة» وأكمله عبد الجبار القاضى المعتزلى بكتاب أسماه «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» وقد استدركه الحاكم الجشمى بطبقتين من طبقات المعتزلة: الحادية عشرة، والثانية عشرة، وقد طبعه فوَاد السيد، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية عام ۱۴۰۶هـ

(۲)______________)

(۱) الزركلى، الأَعلام: ۵|۲۸۹.

(۲) لاحظ: بحوث فى الملل والنحل: ۳|۴۰۸ـ ۴۰۹.

(۴۰۸) ۹ أبو سعيد نشوان بن سعيد الحميرى (... ـ ۵۷۳هـ) كان أوحد أهل عصره، وأعلم أهل زمانه فى اللغة والنحو والإنسان والتواريخ وسائر ما يتصل بفنون الأدب، شاعراً، كاتباً خطيباً مفوها. وكانت له فى الفرائض اليد الطولى.

قال السيوطى: الفقيه العلاّمة المعتزلى النحوى اللغوى، كذا ذكره الخزرجى، وقال: كان أوحد أهل عصره، وأعلم أهل دهره، فقيهاً نبيلاً، عالماً متفنّناً، عارفاً بالنحو واللغة والأُصول والفروع والأَنساب والتواريخ وسائر فنون الأَدب، شاعراً فصيحاً بليغاً مفوهاً.

صنف: شمس العلوم فى اللغة، ثمانية أجزاء.

قال فى البلغة: سلك فيها مسلكاً غريباً، يذكر الكلمة من اللغة، فإن كان لها نفع من جهة الطلب ذكره، فاختصره ولده فى جزأين وسمّاه «ضياء الحلوم».

وقال ياقوت: استولى نشوان على تلاع وحصون وقدّمه أهل جبل صَبِر، حتى صار ملكاً.

وقال غيره: مات بعد عصر يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجّة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

(۱)

وكان نشوان ذا نفس وثّابة، طموحة إلى المعالى، لاترضى إلاّ بالوصول إلى قمة المجد والجمع بين شرف العلم وشرف الملك.

---

(۱) بغية الوعاة: ۲|۳۱۲ برقم ۲۰۵۷.

(۴۰۹) موَلفاته:

۱ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم، وهو من كتب الأَدب الهامة ألّفه فى ثمانية أجزاء ورتبه على حروف المعجم، وهو أشبه بدائرة المعارف الرائجة فى عصرنا، وقد اختصر هذا الكتاب ابنه فى جزأين وسمّاه «ضياء الحلوم» كما مرّ وقد نشرت منتخبات منه فى أخبار اليمن بعناية عظيم الدين أحمد مطبوعة فى مطبعة بريد فى مدينة ليدن فى سنة ۱۹۱۶م.

۲ـ القصيدة الحميرية أو النشوانية، وهى خلاصة السيرة لملوك حمير، والإذواء والإقبال، مطلعها.

الأَمر جد وهو غير مزاح * فاعمل لنفسك صالحاً ياصاح

۳ـ كتاب القوافى

۴ـ التبيان فى تفسير القرآن

۵ـ أحكام صنعاء وزبيد

۶ـ ارجوزة فى الشهور الرومية

۷ـ رسالة على التصريف

آخرها رسالة «الحور العين وتنبيه السامعين».وقد طبعت عام ۱۳۶۷هـ بتحقيق كمال مصطفى وذكر ترجمة المؤلف فى أوّله شكر اللّه مساعيه. وقدّم له المحقق محمد زاهد الكوثرى. ومن قرأ الكتاب يقف على أنّه كان زيدياً، ومع ذلك ربما لا يصرح بمذهبه.

ومن ذلك ما يذكره فى باب الإمامة عدّة نظريات، منها: نظرية إبراهيم بن سيار النظام، وهى إمامة أكرم الخلق وخيرهم عند اللّه، فمن كان أتقى الناس للّه،

(۴۱۰) وأكرمهم عند اللّه، وأعلمهم باللّه، وأعملهم بطاعته، كان أولاهم بالإمامة، والقيام فى خلقه، كائناً من كان منهم، عربياً كان أو أعجمياً، ثم يقول: قال مصنف الكتاب: وهذا المذهب الذى ذهب إليه النظام هو أقرب الوجوه إلى العدل وأبعدها عن المحاباة (۱).

ومن المعلوم أنّ الضابط الذى أعطاه النظام وقبله المؤلف لا ينطبق إلاّ على على ــ عليه السلام، ــ مع ذلك لم يصرّح المؤلف بالاسم. وقد خص فصلاً لفضل زيد

(۲)وذكر خروجه: ويظهر منه أنّ باليمن فى عصره كان فرقتين فقط:

الجارودية من الزيدية، والمباركية من الإسماعيلية

(۳)

وفى الكتاب بحوث واسعة حول الفرق الإسلامية، ولأجل ذلك صار الكتاب ممتعاً.

وقد ترجمه الزركلى

(۴)ولم يزد شيئاً عما جاء فى مقدمة ذلك الكتاب________________.

(۱) الحور العين: ۲۵۲.

(۲) الحور العين: ۱۸۸.

(۳) نفس المصدر: ۱۵۶.

(۴) الأعلام: ۸|۲۰. (۴۱۱) ۱۰ الإمام المنصور باللّه: عبد اللّه بن حمزة بن سليمان (۵۶۱ـ ۶۱۴هـ)

عبد اللّه بن حمزة بن سليمان المنتهى نسبه إلى إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الحسن بن المثنى، كان آية فى الحفظ، قرأ الأُصولين على حسام الدين أبى محمد الحسن بن محمد الرصاص. وألف كتباً كثيراً وله شعراً رائق نقلها حسام الدين المحلى فى الحدائق الوردية وترجم له، ترجمة ضافية استغرق خمسين صفحة ذكر أنّه دعا لنفسه عام ۵۹۳هـ وبويع عام ۵۹۴هـ وتوفى عام ۶۱۴ هـ بأرض حولان، قال عبد اللّه الحبشى: تسلم الإمامة بتكليف من أهل عصره. وكان يأمل فى دعوة الأمير عماد الدين بن يحيى فاعتذر عنها وتحملها الإمام عبد اللّه، على مشقّة. وفى بداية دعوته جاءت رسائل من أهل حصن «ميتك» يطلبونه لتخليصهم من نفوذ بنى حاتم. وكانوا قد استولوا على ناحيتهم فاعتذر فلم يقبلوا عذره وما زالوا به حتى أقبل عليهم وخلّصهم من بنى حاتم. ويقول المؤرخون: إنّه قبل أن يدخل حصن «ميتك» أرسل إلى أهله يقول: «قد ملكت هذا الحصن ولكم فيه حقّ العمارة ولست أُقيم إلاّ برضاكم، فإن تأذنوا لى وإلاّ خرجت عنه» فقالوا بأجمعهم: رضينا بك، فأقام بين ظهرانيهم سنتين وثلاثة أشهر.

وأكثر أخباره معارك مع سلاطين بنى حاتم، وكان قد أتى من مصر إلى اليمن سيف الإسلام «طغتكين» سنة ۵۷۹هـ فوقعت بينه وبين الإمام بعض المعارك كتلك الوقعة التى قتل فيها أخوه الإمام محمد بن حمزة.

وما زالت الحروب بينهم حتى مات «طغتكين» سنة ۵۹۳هـ وتم الصلح

(۴۱۲)

بينه وبين السلطان على بن حاتم بعد أن جدّد لنفسه الدعوة.

وله كتب فى شتى المواضيع من الفقه وأُصوله والكلام والحديث والأدب:

۱ـ صفوة الَاخيار فى أَصول الفقه ۲ـ حديقة الحكم النبوية شرح الَاربعين السلفية ۳ـ الشافى فى أَصول الدين أربعة أجزاء۴ـ الرسالة الهادية بالَادلة البادية فى السبى ۵ـ الَاجوبة الكافية بالَادلة الوافية ۶ـ الدرة اليمنية فى أحكام السبى والغنيمة ۷ـ الاختيار المنصورية فى المسائل الفقهية ۸ـ الاِيضاح لعجمة الاِفصاح أكثره يتعلق بالسير ۹ـ كتاب الفتاوى مرتب على كتب الفقه ۱۰ـ الرسالة القاهرة بالَادلة الباهرة فى الفقه ۱۱ـ الرسالة الحاكمة بالَادلة العالمة ۱۲ـ الرسالة الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة.۱۳ـ العقيدة النبوية فى الاُصول الدينية. ۱۴ـ الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة. ۱۵ـ الرسالة النافعة بالَادلة القاطعة ۱۶ ـ الرسالة الكافية إلى أهل العقول الوافية ۱۷ـ الرسالة الناصحة بالَادلة الواضحة. ۱۸ـ الجوهرة الشفافة الرادعة للرسالة الطوافة ۱۹ـ الَاجوبة الرافعة للاِشكال ۲۰ـ الزبدة فى أُصول الدين ۲۱ـ العقد الثمين فى الاِمامة ۲۲ـ القاطعة للَاوارد فى الجهاد ۲۳ـ كتاب تحفة الاِخوان ۲۴ـ الرسالة التهامية ۲۵ـ ديوانه.

ومن شعره الرائق قوله فى حقّ الوصى:

بنى عمنا! إنّ يوم «الغدير» * يشهد للفارس المعلم

أبينا على وصى الرسول * ومن خصه باللوا الَاعظم

لكم حرمة بانتساب إليه * وها نحن من لحمه والدم

لَان كان يجمعنا هاشم * فأين السنام من المنسم؟

وإن كنتم كنجوم السماء * فنحن الَاهلّة للَانجم

ونحن بنو بنته دونكم * ونحن بنو عمه المسلم

حماه أبونا أبو طالب * وأسلم والناس لم تسلم

(۴۱۳)

وقد كان يكتم إيمانه * فأمّا الولاء فلا يكتم

وأى الفضائل لم نحوها * ببذل النوال وضرب الكمى؟

قفونا محمد فى فعله * وأنتم قفوتم أبا مجرم (۱)

هدى الملك هدى العروس * فكافئتموه بسفك الدم

ورثنا الكتاب وأحكامه * على مفصح الناس والَاعجم

فإن تفزعوا نحو بارئكم * فزعنا إلى آية المحكم

أشرب الخمور وفعل الفجور * من شيم النفر الَاكرم؟

قتلتم هداة الورى الطاهرين * كفعل يزيد الشقى العمى

فخرتم بملك لكم زائل * يقصر عن ملكنا الَادوم

ولابد للملك من رجعه * إلى مسلك المنهج الَاقوم

إلى النفر الشمّ أهل الكسا * ومن طلب الحقّ لم يظلم(۲) وقد ترجمه الزركلى فى الَاعلام وذكر صورة تآليفه مشيراً إلى المخطوط منه والمطبوع وذكر «العقد الثمين» ورمز بعلامة «خ» مشيراً إلى أنّه مخطوط (۳)مع أنّه طبع فى الثمانينات بعد قيام الجمهورية وهو رد على الاِماميّة، ولَاجل إيقاف القارىَ على نماذج من نقده على الاِمامية نأتى بنظره فى النص على إمامة على، وهو ممن يقول بأنّ النص كان خفياً لا جليّاً، قال:

الخلاف بين الشيعة فى على بن أبى طالب أمير المؤمنين فى وجوه:

أحدها: فى كيفية النصّ عليه ــ عليه السلام ــ بعد اتفاقهم على ثبوت إمامته بالنص.

---

(۱) يعنى أبا مسلم الخراسانى، عبد الرحمن القائم بالدعوة العباسية سنة ۱۲۹هـ

(۲) مصادر الترجمة: الحدائق الوردية: ۲|۱۳۲ ـ ۱۸۲. الغدير: ۵|۳۹۶ ـ ۴۰۰، حكّام اليمن: ۸۲.

(۳) الزركلى: الأعلام: ۴|۸۳ ولاحظ: التحف شرح الزلف: ۱۰۳ ـ ۱۰۵.

(۴۱۴)

ثانيها: فى حاله بعد ظهور قتله وإخبار الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بذلك وإخبار على ــ عليه السلام ــ بذلك من بعده وكون ذلك معلوماً بالضرورة.

وثالثها: فى حكم المتقدمين عليه، المخالفين له:

ونحن نترك كلامه فى الأمرين الأخيرين ونقتصر بكلامه فى الأمر الأوّل، وقد اختار أن النصّ على إمامته لم يكن جلياً بل كان خفياً ولكن الإمامية تقول بكونه جلياً قال: وأمّا الإمامية فقد ادّعوا أنّ النصّ جلى بحيث نعلم أنّ الجميع اضطروا إلى العلم بالمراد، وان الكلّ علموا أنّ قصد النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كون على إمام الاُمّة بعده بلا فصل.....

ثمّ أشكل عليه بقوله: إنّه لو كان المراد من النصّ معلوماً بالضرورة لاستغنوا عن الكشف والبيان كما هو الحال فى الاُمور الضرورية، مثلًا إنّا لا ننصب لأهل الإسلام الدليل على أنّ الصلوات خمس، وأنّ الزكاة مفروضة فى الأموال، وأنّ الحجّ إلى بيت اللّه، وأنّ نبىّ هذه الاُمّة محمّد رسول اللّه، لما كانت هذه معلومة ضرورة، لم تفتقر إلى بيان ولا كشف. ولما رأى علماءهم المبرزين كالشريف المرتضى الموسوى ومن تقدمه وتأخر عنه من أهل الكلام، بالغوا فى تبيين معنى الآية والخبر بل الأخبار علمنا أنّهم من اعتقاد الضرورة، على شفا جرف هار، لأنّ من تحمل المشقة فى إظهار الظاهر كان عابثاً وكيف يكشف المكشوف أو مجتهد فى صفة المشاهد المعروف.

ولأنّا قد اتفقنا نحن وإيّاهم ونحن الجم الغفير والعدد المتعذر الانحصار الكثير، فكيف لم يحصل العلم لكلّنا أو بعضنا. ونحن وإيّاهم قد اتفقنا على أنّ الإمام بعد رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بلا فصل على بن أبى طالب وأنّ من تقدم عليه فقد أخطأ وعصى، فلو كان ما ذكروا من النصّ يوصل إلى الضرورة لوصلنا لاتفاقنا نحن وإيّاهم على العلم بالدليل وكيفية ترتيب الاستدلال فلو حصل العلم لهم، لحصل

(۴۱۵)

لنا ضرورة (۱).

يلاحظ عليه: أوّلًا: أنّ الإمامة ـ حسب عقيدة الشيعة ـ من الاُصول التى يعتبر فيها العلم، ولا يكفى فيها الظن والحدس ولا خبر الآحاد، والمراد من العلم، هو العلم بما صدر عنه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فإذا كان المطلوب فيها العلم، ثم الاعتقاد وعقد القلب فهو يطلب لنفسه أن يكون النص الوارد فى ذلك المجال جلياً مورثاً للعلم واليقين، ذابّاً للشك والريب عن أذهان المكلّفين حاضرهم وغائبهم، وكل من وصل إليه خطابه إلى يوم القيامة، وإلّا فلا ينتج إلّا الظن والشك غير المفيدين فى ذلك الباب.

وبعبارة اُخرى: إذا كان الإعلام بإمامة على واجباً على النبى من اللّه سبحانه، اذاً لا يخلو الأمر من حالتين: إمّا أن يكون مع تمكنه من النص الجلىّ، أو لا ـ معه، والثانى لا ـ تصدقه حياة النبى خصوصاً القسم الأخير منها، عندما استقر الاسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه (۲)فكان النبى، مطاعاً ومهاباً ، منذ وعى الوحى الإلهى بملأ قلبه" الّذِينَ يُبَلّغُونَ رِسالاتِ اللّه وَيَخْشَونَهُ وَلا يَخْشَونَ أحداً أبداً وَكَفى باللّه حسيباً("الأحزاب ـ ۳۹) وعلى ضوء ذلك فكان فى وسع النبى، التنصيص الواضح بولاية الإمام فى أنّه سبحانه جعله إماماً للناس بعد رحيله. إذاً العدول عنه إلى النص الخفى، تعريض للاُمّة، للتفرقة والنزاع، وزرع لبذر الخلاف والنقاش ومع أنّه سبحانه يقول: "وَاعَتَصِمُوا بِحَبلِ اللّهِ جَميعاً ولا تَفَرَّقوا ("آل عمران ـ ۱۰۳) .

ثانياً: أنّ القضايا البديهية فى المنطق تنقسم إلى أقسام، بعضها غنية عن________________

(۱) الإمام المنصور باللّه حمزة بن عبد اللّه بن سليمان: العقد الثمين: ۷ ـ ۸.

(۲) اقتباس من کلام الاِمام علی نهج البلاغة: الخطبة ۵۶.

(۴۱۶)

الکشف والبیان والبرهنة والاستدلال دون البعض الآخر والمجموع عبارة عن:

۱ ـ الاَوّلیات ۲ ـ المشاهدات ۳ ـ المتواترات ۴ ـ التجربیات ۵ ـ الحدسیات ۶ ـ الفطریات.

ولکل تعریف واحد، والثلاثة الاُول وإن کانت غنیة عن البرهنة والاستدلال، لکن الثلاثة الاَخیرة، بحاجة إلیها. مع کونها من أُصول الیقینیات والبدیهیات لدى المنطقیین.

مثلاً کون نور القمر مستفاداً من الشمس من الحدسیات، لکن الاِذعان بالحکم المذکور غیر غنى عن البیان، ولاَجل ذلک یستدل علیه بتشکل القمر عند اعتراض الاَرض بینه وبین الشمس، ومثلها التجربیات التی لا ـ تفارق عن بذل الجهد، فی طریق المطلوب أیّاماً وشهوراً. وأمّا الفطریات فمصطلح المنطقیین فیها غیر مصطلح القرآن، فهی عندهم عبارة عما لا یصدقه العقل بمجرد تصور طرفیها ـ کالاَوّلیّات ـ بل لا بد من وسیط إلاّ أنّ هذا الوسیط لیس مما یذهب عن الذهن حتى یحتاج إلى الفکر.

وعلى ذلک فلیس کل قضیة ضروریة، غنیة عن الکشف والبیان.

إنّ الاِمام ابن حمزة جعل القضایا الضروریة مساویة للاَوّلیّات التی یصدقها العقل لذاتها وبدون سبب خارج عن ذاتها مثل قولنا، الکل أعظم من الجزء وغفل عن أنّ المراد من النصّ الجلی هو المفید للعلم بالضرورة وإن کانت الاِفادة متوقفة على أُمور بسیطة، لو التفت إلیها، لحصل العلم، فبذل الجهد فی الاستدلال بحدیث الغدیر، سنداً ومضموناً لا ینافی کونها من القضایا الیقینیة المفیدة للیقین ولو بعد التأمل فی أُمور حوله.

وثالثاً: أنّ النبی الاَکرم ألقى حدیث الغدیر الذی هو من أوضح الاَدلة على إمامة علی ــ علیه السلام ــ فی منصرفه عن حجة الوداع فی أرض تسمى بـ«غدیر

(۴۱۷)

خم»، ألقاه فی محتشد عظیم ضمّ إلى نفسه أزید من ثمانین ألف صحابی من أقطار مختلفة.

وقد وقف من شهد الواقعة على مقاصد النبی ومآربه، من غیر شک ولا تردید فیها، ولکن ابتعاد الاَجیال اللاحقة، عن عصر الرسول، صار سبباً، لاختفاء کثیر من القرائن اللفظیة والحالیة التی کان لها دور فی تبیین المقصود فمست الحاجة بجمعها وترصیفها على وجه، تحکی لنا الواقعة على ما هی علیها، بلا ـ زیادة ولا نقیصة حتى یصیر الغائب کالحاضر فی فهم المراد، وینتقلا بالضرورة إلى معنى واحد.

وبعبارة أُخرى: الغرض من البیان والکشف إحضار الواقعة بمالها من الخصوصیات المسموعة والمرئیة فی عقلیة الغائب حتى یکون هو والحاضر فی رحاب الخطاب سیان، وهذا طبیعة کل قضیة حصل الفصل الزمنی بینها والجیل اللاحق، فلیس للقائل بصحة الواقعة إلاّ مسیر واحد، وهو إخراج الواقعة عن ملفّ التاریخ وتصویرها على وجه کأنّ الجیل اللاحق، یرى نفس ما رآه السابق حتى یکون الجیلان أمام التاریخ سواسیة، ومثل ذلک لا یُخرج الواقعة عن کونها جلیة. * * * (۴۱۸) ۱۱ الموَید باللّه یحیى بن حمزة بن علی (۶۶۹ ـ ۷۴۹هـ)

هو الاِمام الموَید باللّه، أبو إدریس یحیى بن حمزة بن علی بن إبراهیم بن یوسف بن علی بن إبراهیم بن محمد بن أحمد بن إدریس بن جعفر بن علی التقی ابن محمد الجواد بن الاِمام علی الرضا.

وهو المعروف بعلمه الجم، واطّلاعه الواسع، وتوغّله فی علم الکلام وبروزه فی أسرار البلاغة والفصاحة، یعرّفه الموَیدی بقوله:

هذا الاِمام من منن اللّه على أرض الیمن، وأنواره المضیئة فی جبین الزمن، نفع اللّه بعلومه الاَئمة وأفاض من برکاته على هذه الاُمّة، قام بالحکم بعد وفاة الاِمام محمد بن المطهر سنة ۷۲۹هـ وتوفی ۷۴۹هـ عن عمر یناهز ۸۲ سنة.

وأمّا مؤلفاته فهى كثيرة جداً وقد وصل إلينا منها الكتاب الآتى:

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، فرغ منه مؤلفه سنة ۷۲۸ هـ طبع بالقاهرة عام ۱۳۳۲ هـ بمطبعة المقتطف فى ثلاثة أجزاء وهذا الكتاب من حسنات الدهر، وقد أفادنا كثيراً عند البحث عن إعجاز القرآن فى محاضراتنا فى الإلهيّات.

ومن تأليفاته المهمة أيضاً:

الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأُصول المسائل الدنيوية، ومنه نسخة فى المكتبة العربية فى اليمن برقم ۸۸ وهذا هو الكتاب الذى استخرجه الدكتور أحمد

(۴۱۹)

محمود صبحى آراء المؤلف الكلامية منه وضم إليه آراء مختلف المتكلمين الذين أدلوا بآرائهم حول مختلف الموضوعات.

غير أنّ الذى أبرزه بين العلماء هو كتابان:

الأوّل: كتاب الطراز على ما عرفت.

الثانى: كتاب الانتصار فى الفقه، وهو الينبوع الذى نهل منه ابن المرتضى (وستوافيك ترجمته) وهو المادة الأُولى لكتاب البحر الزخار.

ويذكر أنّه فى ۱۸ مجلداً، وقد ذكر غير واحد من المترجمين له كتاب:

الديباج الوضى فى الكشف عن أسرار كلام الوصى، وهو شرح لكتاب نهج البلاغة الذى جمعه الشريف الرضى (۱)

* * *

---

(۱) المؤيدى: التحف شرح الزلف: ۱۲۰ ـ ۱۲۳، وانظر حكام اليمن: ۱۳۳ ـ ۱۴۸، ولاحظ الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراءه الكلامية تأليف الدكتور أحمد محمود صبحى، نشره عام ۱۴۱۰هـ

(۴۲۰) ۱۲ أحمد بن يحيى بن المرتضى المهدى لدين للّه (۷۶۴ ـ ۸۴۰ هـ) مؤلّف البحر الزخار ابن المرتضى أحد الأئمّة الزيديين اللامعين، لايشق غباره، فهو بحر لا يبارى فى الفقه والأُصول ولنذكر شيئاً من حياته: قال مجد الدين المؤيدى:

الإمام المهدى لدين اللّه، أحد من ارتضع من العلوم لبابها، واكترع من لجج البحار عبابها، هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل الكبير بن عبد اللّه الحجاج بن على بن يحيى بن القاسم بن يوسف بن الإمام يحيى بن الإمام الناصر لدين اللّه أحمد بن يحيى الحسين بن القاسم الرسىّ.

تلقى العلوم الأدبية واللغوية والدينية من أُسرته وبلغ إلى حد بايعه العلماء بالإمامة بعد وفاة الإمام الناصر صلاح الدين بن محمد عام ۷۹۳ هـ بينما بايع الوزراء ابن الإمام الناصر يعنى على بن صلاح. فصارت الغلبة نصيب الثانى فسجن ابن المرتضى، ولقد كان التوفيق حليفه فى السجن فتفرغ للتأليف وانتج آثاراً لها مكانة كبرى فى الأوساط العلمية لا سيما الزيدية إلى أن وافته المنية عام ۸۴۰هـ

وينقل المؤيد أنّ الهادى بن إبراهيم يستعطف علىّ بن صلاح الذى سجن

(۴۲۱)

ابن المرتضى ويطلب منه إطلاق سراحه بالأبيات الشعرية التالية:

فقلت له فداك أبى وأُمى * تلطف بالقرابة والرحامة

فإنّ السيد المهدى منكم * بمنزلة تحق له الفخامة

ألم يكن جدك المهدى خالاً * له وكفى بذاك فى الرحامة

أخاف إذا استمر القيد فيه * تجىء مقيداً يوم القيامة

فيسألك الإله بأى ذنب * تقيده وتحبسه ظلامة (۱) أُعتقل ابن المرتضى فى سجن صنعاء سبع سنوات ثم أفرج عنه فتوجه إلى «ثلاء»

سنة ٨٠١ هـ إلى صعدة سنة ٨٠٢ هـ وفى سنة ٨١٦ هـ رحل إلى بلاد حجّة وتزوج هناك وعكف إلى التأليف وترك الترقب بالمهدى وأراح قلبه من مشاكل السياسة، وقد ترجمه غير واحد من الاَعلام منهم: الشوكانى، قال:

(ولد) بمدينة ذمار يوم الاثنين لعله سابع شهر رجب سنة ٧٧٥هـ خمس وسبعين وسبعمائة (٢) قرأ فى علم العربية فلبث فى قراءة النحو والتصريف والمعانى والبيان قدر سبع سنين. وبرع فى هذه العلوم الثلاثة وفاق غيره من أبناء زمانه ثم أخذ فى علم الكلام على صنوه الهادى، وعلى القاضى يحيى بن محمد المدحجى فسمع على الآخر الخلاصة وحفظ الغياضة ثم شرح الاُصول للسيد مانكديم، ثم أخذ فى علم اللطيف فقرأ تذكرة ابن متويه على القاضى المذكور مرة. ثم على القاضى على بن عبد اللّه بن أبى الخير مرة اُخرى ثم قرأ عليه المحيط والمعتمد لاَبى الحسين البصرى ومنتهى السوَل. وسمع على الفقيه على بن صالح السيرة النبوية ونظام الغريب، ومقامات الحريرى. وعلى المقرىَ المعروف بابن_______________

(١) التحف شرح الزلف: ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) ويروى أنّه ولد ٧٧٤ هـ كما عليه المقدم للكتاب البحر الزخار.

(٤٢٢)

النساخ الكشاف، وعلى أخيه الهادى المتقدم علم الفقه وقرأ غير ذلك وتبحر فى العلوم واشتهر فضله وبعد صيته وصنف التصانيف.

ففى اُصول الدين: «نكت الفرائد فى معرفة الملك الواحد» و «القلائد وشرحها الدرر الفرائد» و «الملل وشرحها الاُمنية والاَمل» و «رياضة الاَفهام فى لطيف الكلام» وشرحها «دامغ الاَوهام» وفى اُصول الفقه: «كتاب الفصول فى معانى جوهرة الاُصول» و «معيار العقول وشرحه منهاج الوصول» وفى علم النحو: «الكوكب الزاهر شرح مقدمة طاهر» و «الشافية شرح الكافية» و «المكلّل بفرائد معانى المفصل» و «تاج علوم الاَدب فى قانون كلام العرب» و «أكليل التاج وجوهرة الوهاج» وفى الفقه: «الاَزهار» وشرحه «الغيث المدرار» فى أربعة مجلدات «والبحر الزخار» فى مجلدين.

وفى الحديث: كتاب «الاَنوار فى الآثار الناصة على مسائل الاَزهار» فى مجلد لطيف وكتاب «القمر النوار فى الرد على المرخصين فى الملاهى والمزمار».

وفى علم الطريقة: «تكملة الاَحكام» وفى الفرائض: «كتاب الفائض» .

وفى المنطق: «القسطاس» وفى التاريخ: «الجواهر» و «الدرر» وشرحها يواقيت السير. وقد انتفع الناس بمصنفاته لاسيما الفقهية فإنّ عمدة زيدية اليمن فى جميع جهاته على الاَزهار وشرحه والبحر الزخار (١)

وقد بسط الكلام فى سيره وآثاره على بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين.

قال: فلاحظ من سيرة المهدى ــ عليه السلام ــ انّه بعد أن خرج من سجن صنعاء جنّد نفسَه للجهاد والجلاد، ولكن جهادُه وجلاده فى هذه الفترة لم يكن مع المنصور على بن صلاح ولا مع غيره وإنّما كان مع الجهلِ والبدعِ والضلالاتِ_______________،

(١) الشوكانى: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع: ١|١٢٢.

(٤٢٣)

جاهَد هذا الثالوثَ الرهيبَ بلسانه، وبيانه، وسلوكه، وخرج بنفسه من أجل ذلك إلى القرية وتجول فى السهول حيثما تسكن القبائل وتأوى إليها النسور القشاعم من أحفاد الاَنصار وأشبال أحفاد الاَنصار، وفيها حمل راية الجهاد ونادى بوجوب الاجتهاد وبحرية وقدسية الفكر والرأى للانتقاد الحرّ والاستنباط الحرّ من مصادر الاِسلام الاُولى كتاب اللّه وسنّة رسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والاستفادة من الثروات الفكرية التى خلَفها الاَئمة الهادونَ، والعلماء المجتهدون فى كل أصقاع الاَرض، ومن أجل ذلك ألّف المؤلفات الشاملة وحرر الرسالات الصادعة وبدّد الشبهات بالحجج النيرات، ولذا ظهرت بعض مؤلفاته فى هذه الفترة على النحو التالى: فى «ثلا» وبعد خروجه من السجن ألف كتاب (البحر الزخار) الجامع لمذاهب علماء الاَمصار وفيه تظهر آراؤه وأنظاره الخاصة فى كل

المسائل التى اشتمل عليها الكتاب.

وفى سنة ۸۱۶ هـ سافر من «ثلا» إلى بلاد مسور وفيه مكث ما شاء اللّه وبدأ فى كتابة «غايات الأفكار» وهو شرح لما تضمنه كتاب «البحر الزخار» من العلوم.

وبعد أن سافر إلى الأهنوم وأصلح أحوال أهله رجع إلى «الحيمة» لنفس الغرض، ومنها استدعاه أهل حراز لإصلاح شأنهم ومكث فى «حراز» ما شاء اللّه وفيه ألف «الدامغ» و «منهاج الوصول لمعيار العقول» و كتاب «علوم الأدب» و «القسطاس فى المنطق» و «القاموس الفائض فى الفرائض» ثم رجع إلى «مسور» لزيارة أولاده وفى هذه الفترة ألف «القمر النوار» .

ثم نزل «الدقائق» من بلاد «لاعة» وفيها ألف «حياة القلوب» .

وفى سنة ۸۳۶هـ توفى الإمام الهادى على بن المؤيد وأوصى بتسليم ما كان بيده من الحصون إلى الإمام المهدى صاحب الترجمة فأمر ابنه الحسن بن المؤيد بتعهدها وافتقادها، أمّا الإمام نفسه فقد رحل إلى ظفير حجّة، حيث اتّخذه وطناً له

(۴۲۴)

وذلك فى سنة ۸۳۸ هـ وفى سنة ۸۴۰هـ توفاه اللّه شهيداً بالطاعون وقبره بالظفير مشهور رحمه اللّه وجزاه خيراً وألحقنا به صالحين (۱)

آثاره المعروفة :

ثم إنّ الذى شهّر الإمام ابن المرتضى هو آثاره القيمة نذكر منها ما يلى:

۱ ـ البحر الزخار الجامع لمذاهب أهل الأمصار:

وقد طبع مرة واحدة عام ۱۳۶۸ مبتوراً مشتملاً على أربعة فنون:

۱ـ الأحكام الفقهية ۲ ـ الفرائض الشرعية ۳ ـ الغرائب من فقه السيرة النبوية المسمّى بالدرة ۴ ـ تكملة الأحكام والتصفية عن بواطن الآثار.

ثم طبع ثانياً عام ۱۳۹۳هـ منضماً إلى الكتب التالية:

۱ ـ أُصول الدين، ۲ ـ أُصول الفقه، ۳ ـ علم اللطيف (الفلسفة) ۴ ـ الملل والنحل ۵ ـ آيات الأحكام ۶ ـ تاريخ سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر، وعترته المنتجبين الزهر.

وقد طبع الكتاب فى سبعة أجزاء، والجزء الأوّل باسم المقدّمة، والكتاب مشتمل على عشرة فنون، وهو موسوعة كبيرة أحتفل بها العلماء فى الأوساط المتنورة.

۲ ـ كتاب الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار :

وقد حظى الكتاب بالاهتمام البالغ من قبل المقلّدين والمجتهدين وربما يقال نظمت ونضدت فيه مسائل الفقه، أو ثمانية وعشرين ألفاً من مسائل الشريعة منطوقاً ومفهوماً وعليه اعتمدت الزيدية حتى عصرنا هذا_______________.

(۱) البحر الزخار، ج ۱: المقدمة بقلم على بن عبد الكريم بن محمد الفضيل شرف الدين:۱۹ـ ۲۶.

(۴۲۵)

والحقّ أنّه لم يحظ متن فقهى من متون الأئمة بمثل ما حظى به متن الأزهار من عناية العلماء واهتمامهم بتعليقاتهم، وهو بين الزيدية، كالعروة الوثقى عند الإمامية.

ولقد ألّف بعده كتابان: الآثار، والهداية على غرار الأزهار، ولكن لم يحرزا القبول والأوّل لحفيد المؤلّف شرف الدين المتوفى سنة ۹۶۵هـ والثانى لصارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير المتوفى سنة ۹۲۴هـ

وهناك من قام بمناقشة المضمون وكيفية الاستنباط كالعلامة الجلال فى كتابه ضوء النهار، ورد عليه، ابن الأمير فى كتابه «منحة الغفّار».

إلى أن وصلت النوبة للشوكانى فقام بالتعليق عليه مع النقد اللاذع وسمّى كتابه بـ«السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» والاسم يعرب عن المسمّى وهو بصدد هدم ما بناه الإمام، وتخريب ما أرساه وقد أثار هذا النوع من التأليف مشاعر أكثر رجالات العلم المتحررين، فكتبوا ردوداً عليه.

وأما تصانيفه فيبلغ عدد الجمع ۳۳ وقد طبع قسم منها ضمن البحر الزخار وتعرفت على فهرسته فى ترجمة الشوكانى له.

ولم يكتف الإمام بالرسائل والمواعظ والمؤلفات فى نشر علومه وأفكاره، بل قرض الشعر ونظّم القصائد الهادفة، وله قصيدة تذكر أبناء فاطمة الزهراء ـ سلام اللّه عليها ـ ويقول:

إذا ما رأيت الفاطمى تمردا * أقام على كسب المعاصى وأخلدا

فذاك الذى لما أكتسى ثوب عزة * تبدل أثواب الدناءة وارتدا

فياسوءتا للفاطمى إذا أتى * أسير المعاصى يوم يلقى محمدا

فلو لم يكن إلاّ الحياء عقوبة * ولم يخش أن يصلى الجحيم مخلّدا

(۴۲۶)

لكان له واللّه أعظم وازعٍ * من النكر والفحشاء كهلاً وأمردا

فقل لبنى الزهراء إن محمدا * بنى لكموا بيت التقاء وشيدا

وأنّ أباكم حيدر بعده الذى * حماه وقد قامت إلى هدمه العدى

فلا تهدموا بنيان والدكم وقد * تحسى أبوكم دونه جرع الردا

فشّر فتىً فى العالمين فتى أتى * وقد أصلحت كفا أبيه فأفسدا

نظرة فى كتاب طبقات المعتزلة:

إنّ من سبر كتاب طبقات المعتزلة لابن المرتضى يقف على أنّه يرى منهج الاعتزال صورة صحيحة للإسلام، وأنّه والاعتزال، وجهان لعملة واحدة حيث ذكر للمعتزلة اثنتى عشر طبقة إلى عصره. بالشكل التالى:

الطبقة الأُولى: الخلفاء الأربعة وعبد اللّه بن العباس وعبد اللّه بن مسعود وغيرهم من الصحابة.

الطبقة الثانية: الحسنان اللّذين منهما اشتهر القول بالتوحيد والعدل ثم ذكر أسماء عدّة من تلك الطبقة.

الطبقة الثالثة: الحسن بن الحسن المثنى، وعبد اللّه بن الحسن وأولاده: النفس الزكية وغيره (۱)ومن أولاد على أبو هاشم عبد اللّه بن محمد الحنفية.

الطبقة الرابعة: غيلان بن مسلم الدمشقى وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد إلى أن انتهى إلى الطبقة الأخيرة________________.

(۱) لو كان المقياس فى تنظيم الطبقات هو التقدم الزمنى، فالأولى عد أولاد عبد اللّه بن الحسن من الطبقة اللاحقة.

(۴۲۷)

إنّ واصل بن عطاء هو مؤسس منهج الاعتزال، وقد انتقل إلى أحد الأُصول الخمسة أى المنزلة بين المنزلتين من النقاش الدائر بينه وبين الحسن البصرى، ثم تكامل المنهج وتصقّل عبر العصور فكيف يكون الاعتزال صورة أُخرى للإسلام؟

ومن قرأ كتاب طبقات المعتزلة للإمام ابن المرتضى، لا يشك فى أنّ الكاتب معتزلى مائة بالمائة، ومع ذلك هو زيدى متمسك بأهداب المذهب الزيدى كذلك فكيف جمع بينهما. لا أدرى، ولعله، اعتزل فى غير باب الإمامة.

* * (۴۲۸) ۱۳ الإمام المنصور باللّه القاسم بن محمد على (۱۰۲۹) مؤلف كتابى : الاساس، والاعتصام هو الإمام الأجل المنصور باللّه أبو محمد القاسم بن محمد بن على بن محمد ابن على بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين الأملحى بن على بن يحيى بن محمد ابن يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام الداعى إلى اللّه يوسف بن الإمام المنصور باللّه يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام

الهادی إلی الحقّ یحیی بن الحسین قام بعد إیاسه من خروج الإمام الناصر الحسن بن علی فی المحرم سنة ست وألف وطهّر الأرض من الردی. ونشر فیها الإیمان والهدی ولقد جدد اللّه بعلمه وسیفه الدین الحنیف وأحیی بجهاده واجتهاده معالم الشرع الشریف وطلع علیه السلام من أیّام الشدائد إلی الحصن المنیع جبل برط من بلد همدان بن زید.

قبضه اللّه ثانی عشر شهر ربیع الأوّل سنة تسع وعشرین وألف عن اثنتین وستین سنة.

أولاده:

محمد وعلی الشهید ـ أحمد ـ والحسن ـ والحسین ـ وإسماعیل وإسحاق درج ـ ویحیی ـ وعبد اللّه ـ ویوسف.

مؤلفاته:

ومن مؤلفاته الاعتصام فی السنة بلغ فیه إلی الحجّ وأتمه السید العلامة أحمد ابن یوسف زیارة المتوفی سنة ۱۲۵۲هـ المرقاة ـ فی أُصول الفقه.

(۴۲۹)

الإرشاد والتحذیر وغیر ذلک.

والأساس فی أُصول الدین الذی یقول فیه الأبیات البلیغة من البحر الکامل.

هذا الأساس کرامة فتلقه * یاصاحبی بکرامة الإنصاف

واحرز نفیساً من نفائس نثره * جمعت بغوص فی خِضَمٍّ صاف

جمع المهیمن بیننا فی دینه * جمعاً یفی بإصابة وتصادف(۱) وله شروح.

وقال مجد الدین فی مقدمة کتاب الاعتصام: هو الذی ألّف اللّه به الدین بعد شتاته، ووصل به حبل الاسلام بعد انبتاته، ورفع بدعوته من الملة الحنفیة اعلامها، وأنفذ بجهاده من الشریعة المطهرة فی الأقطار أحکامها، وجلی الظلم، وکشف به البهم، ذو الآیات الظاهرة والبراهین الزاهرة، والأخلاق النبویة، والعلوم العلویة، الذی کشف به غیاهب ظلم الظالمین، الإمام الأعظم الداعی إلی التی هی أقوم، أبو محمد مولانا الإمام أمیر المؤمنین، وسید المسلمین، والصادع بالحقّ المبین، المحیی لطریقة سلف الأئمة السابقین، المنصور باللّه القاسم بن محمد بن علی بن محمد بن علی بن الرشید بن أحمد بن الأمیر الحسین بن الأمیر علی بن یحیی العالم البر بن محمد العالم التقی بن یوسف الأصغر الأشل بن الإمام الداعی إلی اللّه القاسم بن الإمام الداعی إلی اللّه یوسف الأکبر بن الإمام المنصور باللّه یحیی بن الإمام الناصر لدین اللّه أحمد بن الإمام الهادی إلی الحقّ یحیی بن الحسین الحافظ بن الإمام ترجمان الدین القاسم بن إبراهیم الغمر بن إسماعیل الدیباج بن إبراهیم الشّبه بن الحسن الرضی بن الحسن السبط بن أمیر المؤمنین وسید الوصیین وأفضل الصدیقین علی بن أبی طالب وابن فاطمة البتول الزهراء________________،

(۱) مجد الدین: التحف فی شرح الزلف:

(۴۳۰)

والصدیقة الکبری، سیدة نساء الأعاجم والأعارب ابنة سید المرسلین، وختم النبیین أحمد الأمین، صلوات اللّه وسلامه وتحیاته وإکرامه علیهم أجمعین ما أنهلت السحایب، وأنارت الکواکب وانزاحت بأنوار هدایتهم الغیاهب (۱)

هذا وکتابه الأکیاس خیر دلیل علی شجاعته الأدبیة فی بیان الحقّ، وترک التقیة أو المماشاة مع أهل السنّة قال فی فصل «حکم أبی بکر فی فدک».

«قال الإمام یحیی والإمام المهدی ــ علیهما السلام : ــ وحکم أبی بکر فی فدک صحیح، لأنّه حکم باجتهاده.

قلنا: هو المنازع، وأیّما منازع حکم لنفسه فحکمه باطل إجماعاً، ولو لم یخالف اجتهاده قال الشاعر:

ومن یکن القاضی له من خصومة * أضرّ به إقراره وجحوده

وأيضاً فانّ الِامام عندهما ــ (عليهما السلام) ــ على ــ عليه السلام ، ــ وهو لم يرض ولايته، فكيف يصح قضاوَه.

وأيضاً كانت اليد لفاطمة ــ عليها السلام ، ــ لاَنّ فى الرواية أنّها (ـ عليها السلام ـ) أتته تطلب حقها بعد أن رفع عاملها، فايجاب البينة عليها خلاف الِاجماع.

وأيضاً اعتمد على خبره وهو: «نحن معاشر الاَنبياء لا نورث ما خلفناه صدقة» مع احتمال أن يكون معناه: أنّ الصدقة (أى الزكاة التى لا تحلّ لبنى هاشم غير موروثة بل تصرف فى مصرفها).

ولفاطمة ــ عليها السلام ــ أن تعتمد على خبرها وخبر على والحسن والحسين ــ عليهم السلام . ــ صح لنا ذلك من رواية الهادى ــ عليه السلام (ــ فى كتاب «تثبيت الِامامة») (أُم أيمن (أنّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنحلها) مع أنّه نصّ صريح لا يحتمل التأويل (۲ــــــــــــــــــــــــــ)

(۱) الاعتصام بحبل اللّه المتين، المقدمة: ۱ ، بقلم مجد الدين بن محمد المؤيدى. مفتى الزيدية فى اليمن حالياً.

(۲) القاسم بن محمد: الاَساس لعقائد الاَكياس: ۱۶۵.

(۴۳۱)

ومع ذلك نرى أنّه يتعتع ويتلعثم فى بيان حكم من تقدم الوصى.

ولا يجترى أن يحكم بأنّهم بغوا على الِامام وعصوه قال:

واختلف فى حكم من تقدم الوصى ــ عليه السلام .ــ

والحقّ أنّهم إن لم يعلموا استحقاقه ــ عليه السلام ــ دونهم بعد التحرى فلا إثم عليهم، وإن أخطأوا لقوله تعالى": وَلَيْسَ عَلَيْكُم جُناحٌ فيما أخطأتم به ("الاَحزاب ـ ۵) ولم يفصل.

وقوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم : (ــ رفع عن أُمتى الخطأ والنسيان) ولم يفصل.

وإن علموا فخطيئتهم كبيرة للِاجماع على أنّ منع إمام الحقّ من تناول الواجب أو منع الواجب منه بغى عليه، والِاجماع على أنّ البغى عليه فسق، لاَنّه اتباع لغير سبيل الموَمنين واللّه تعالى يقول:

"ويَتَّبِعْ غَيرَ سَبِيلِ المُوَْمِنينَ نُوَلِّهِ ما تَولّى ونُصْلِهِ جَهَنَّم وساءَتْ مَصِيرا ("النساء ـ ۱۱۵) ولعل توقف من أئمتنا ــ عليهم السلام ــ لعدم حصول العلم بأنّهم علموا أو جهلوا (ذلك) ومعارضة إبقائهم على الاَصل من الجهل باستحقاقه (ـ عليه السلام ـ) ، بأنّ الاَصل فى أعمال المكلفين التى تعلق بالحقوق العمد، ألا نرى أن رجلاً قتل رجلاً، ثم ادعى الخطأ أنّه لا يقبل قوله بالِاجماع.

وبوجوب حمل علماء الصحابة على السلامة، وعدم الِاخلال بتعريفهم، إذ مثل ذلك واجب لقوله تعالى": إنَّ الذِينَ يَكتُمونَ ما أنزَلنا مِنَ البيِّناتِ والهُدَى مِن بعد ما بيّناهُ للناسِ فِى الكِتابِ أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ ويَلْعَنُهُمُ اللاعِنُون ("البقرة ـ ۱۵۹) ولنقل تعريفهم إياهم نقلاً لم يبلغ حد التواتر وجب الوقف فى حقهم دون علماء الصحابة لحصول العلم بتلبّسهم بالمعصية، وهو اغتصاب إمامته ـ عليه السلام ـ ، ولم يحصل مثل ذلك فى حقّ علماء الصحابة (۱ــــــــــــــــــــــــــ)

(۱) القاسم بن محمد : الاَساس لعقائد الاَكياس: ۱۶۲ ـ ۱۶۳.

(۴۳۲) (۴۳۳)

الفصل السابع شخصيات زيدية ذات اتجاهات خاصة

الفصل السابع شخصيات زيدية ذات اتجاهات خاصة الطابع الفريد للمذهب الزيدى، هو أنّه عقلىّ فى الاَُصول والعقائد، يقتفى أثر الدليل والبرهان ويتعرض للشكوك والشبهات، ويجيب عنها، وهو يرافق المعتزلة فى أكثر المسائل إلاّ ما يرجع إلى الِامامة، ويناضل الاَشاعرة فى غالبها. ومع أنّ المذهب الاَشعرى، هو المذهب المعتدل بين المذهب العقلى المحض (الاعتزال) والنقلىّ المحض

(الحشوية) فالمذهب الزيدى لايرافقه إلاّ فى الاَقل القليل فى مجال العقائد.

وأمّا اتجاهه فى الفقه فهو نفس ذلك الاتجاه، فالفقه الرائج بين الزيدية هو فقه الاِمام يحيى الهادى (۲۴۵ ـ ۲۹۸ هـ) ، موَلّف «الاَحكام» ولكنه حنفىّ الاتجاه، يعمل بالقياس والاستحسان، ويرجّح بالعقل عند تعارض الاَدلة.

هذا هو طابع المذهب الزيدى، ومع ذلك ترى أنّ شخصيات بارزة نقضوا ذلك الاِطار، وتحرّروا عن القيد الذى ضربه المذهب عليهم، وهم بين:

متفتّح مع السلف وأهل الحديث، أو موَيد للحركة الوهابية المدّمرة لآثار الرسالة باسم مكافحة الشرك.

والممثّل للاتجاه الاَوّل، هو ابن الوزير فى القرن الثامن، كما أنّ الممثّل للاتجاه الثانى، الاَمير الصنعانى فى القرن الثانى عشر، والجامع بين الاتجاهين فى القرن الثالث عشر هو الشوكانى وبما أنّه كان لهم دور فى تطوير المذهب الزيدى فى بعض الاَدوار، وإن غاب نجمهم بعد حين، ناسب أن نشير إلى زوايا من حياتهم وتفكيراتهم حسب التسلسل الزمنى.

(۴۳۴)

زيدى تسنّن ۱ ابن الوزير محمد بن إبراهيم (۷۷۵ ـ ۸۴۰ هـ)

هو محمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى بن المفضل بن المنصور، بن محمد، بن العفيف، بن مفضل بن الحجاج، بن علىّ، بن يحيى بن القاسم، ابن الاِمام الداعى يوسف، ابن الاِمام المنصور باللّه يحيى بن الناصر أحمد ابن الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى اللّه عنهم جميعاً، ولد فى رجب عام ۷۷۵هـ وتوفى فى محرم عام ۸۴۰هـ مجتهد باحث، من أعيان اليمن وهو أخو الهادى بن إبراهيم تعلّم بصنعاء وصعدة ومكة، وأقبل فى أواخر عمره على العبادة (۱)

يعرّفه ابن حجر العسقلانى: أنّه مقبل على الاشتغال بالحديث، شديدُ الميل إلى السنّة بخلاف أهل بيته (۲)

ويقول الشوكانى: «وكلامه لا يشبه كلام أهل عصره ولا كلام من بعده بل هو نمط من كلام ابن حزم وابن تيمية وهو فى عداد أئمة الزيدية المجتهدين الذين لا يرفعون إلى التقليد رأساً ولا يشوبون دينهم بشىء من البدع الذى لا يخلو أهل مذهب من المذاهب شىء منها» (۳)

وكلامه فى كتاب «إيثار الحقّ على الخلق» يعرف موقفه من المذاهب________________

(۱) الشوكانى: البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع: ۲|۸۱ برقم ۳۹، وقد ذكر نسبه الزركلى بغير ماذكرناه، وماذكرناه هو المعتمد، لاَنّ الشوكانى من أهل البيت.

(۲) المصدر نفسه: ۸۳.

(۳) المصدر نفسه: ۸۳.

(۴۳۵)

الكلامية يقول فيه:

لقد رأيت مصنفى كتب المذاهب ينتصر فيها المصنف لمذهب واحدٍ فى القوىّ والضعيف، ولم يسلك أحد منهم مسلك مصنفى كتب الفقه التى تذكر فيها مذاهب أهل الملة الاِسلامية، ويقوّى فيها ما قوّته الدلائل البرهانية سواء أكانت لقريب أم بعيد، لصديق أم بغيض، وكتب العقائد أحقّ بسلوك هذا المسلك من كتب الفروع، أمّا كون الحقّ واحداً فصحيح، ولكن لا يستلزم أن يكون الصواب فى جميع المواضع المتفرقة قد اجتمع لفرقة منها إلاّ ما حصل فيه إجماع من الاُمّة والعترة، وانّ من أندر الاَشياء أن يحرص المتكلم على معرفة الحقّ فى أقوال المخالفين.

والذى وسّع دائرة المراء والضلال هو البحث عما لا ـ يُعلَم والسعى فيما لا ـ يُدرك والاشتغال بالبحث عن الدقائق التى لاطريق إلى

معرفتها، السير فى الطريق التى لا توصل إلى المطلوب. وليس طلب أى علم بجحود ولا كل مطلوب بموجود.

إنّ المحتاج إليه من المعارف الاِسلامية فى الاَصول سبعة أُمور كلها فطرية جليّة وهى:

١ ـ إثبات العلوم الضرورية التى يبتنى الاِسلام على ثبوتها.

٢ ـ ثبوت الربّ عزّ وجلّ.

٣ ـ توحيده سبحانه وتعالى.

۴ ـ كماله بأسمائه.

۵ ـ ثبوت النبوّات.

۶ ـ الاِيمان بجميع الاَنبياء وعدم التفريق بينهم.

٧ ـ ترك الابتداع فى الدين بالزيادة على ما جاء به الاَنبياء أو النقص عنه.

(۴۳۶)

هذه الاَُمور السبعة تكفى العامّى فإن تعرض فيها لشبهة قادحة تمكن من حلها عن طريق القرينة الجلية (١)

إنّ ما ذكره ابن الوزير من أنّه يكفى العامّى الاعتقاد بالاَُمور وإن كان أمراً صحيحاً، لكن إلزام الجميع بالعمل على نمط واحد، أمر لا يقبله العقل وهل يصح إيقاف البحث على وجوه أصحاب العقول والاَدمغة الكبيرة، كالفارابى وابن سينا، وابن رشد والرازى ونصير الدين الطوسى ومن جاء بعدهم بحجّة أنّه يكفيهم تحصيل البرهان على الاَُمور المذكورة.

إنّ تحريم الحوار الصحيح والمناظرة المبتنِية على الاَُسس الصحيحة ممّا دعى إليه الذكر الحكيم، وأحاديث العترة الطاهرة وقد قدّمنا شيئاً من ذلك فى غضون الاَجزاء السابقة.

أظنّ انّ الوزير تأثر بالتيار السلفىّ الذى أثاره ابن تيميّة (۶۶۱ ـ ۷۲۸ هـ) وتلميذه ابن القيّم (ت ۷۵۱هـ) قريباً من عصره وبلغ إلى أرض الحجاز واليمن، ولقد كانت الاَذهان الساذجة، أرضاً خصبة لتلك الفكرة فإنّها كانت تحمل حقاً وباطلاً فمن جانب تدعو إلى الاجتهاد الحرّ وترك التقليد، لاِمام من أئمة الفقه، ومن جانب آخر، يدعو إلى إغلاق العقل وإعدامه فى مجال المعارف وتقليد حرفية النصوص الواردة فيها. وإن انتهى إلى القول بالتشبيه والتجسيم والجهة، غاية الاَمر يتبرّأون من مضاعفاتها، بلفظ «بلا كيف».

إنّ ابن الوزير مع ذكائه وتوقّده، تأثر بموجة الفكر السلفى، وابتدع من حيث لا يشعر، فزعم أنّ السلفية مذهب، مع أنّه ليس بمذهب وليس السلف خيراً من الخلف، ولا الخلف بأقصر منهم عقلاً ووعياً، والحجّة هو الكتاب والسنّة الصحيحة والعقل الصريح الذى لولاه، لانسدّ باب المعرفة، فما معنى ترجيح

____

(١) إيثار الحقّ على الخلق.

(۴۳۷) السلف على الخلف، ورفض تقليد الاَئمة الفقهية، ووضع قيد السلفية على العقول والاَفئدة مكان تقليدهم.

يقول الشوكانى: إنّ صاحب الترجمة لما ارتحل إلى مكة وقرأ علم الحديث على شيخه ابن ظهيرة قال له: ما أحسن يا مولانا لو انتسبتَ إلى الاِمام الشافعى أو أبى حنيفة؟ فغضب وقال: لو احتجت إلى هذا النسب والتقليدات، ما اخترت غير الاِمام القاسم بن إبراهيم (الرسى) أو حفيده الهادى.

ثم إنّه أتى بأسماء كتبه: وإليك ما ذكره:

١ ـ العواصم والقواصم فى الذب عن سنّة أبى القاسم.

٢ ـ الروض الباسم وهو مختصر كتاب العواصم (وقد طبع فى مصر فى إدارة الطباعة المنيرية) .

٣ ـ ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، يقول الشوكانى: وهو كتاب فى غاية الاِفادة والاِجادة على أُسلوب مخترع لا يقدر على مثله إلاّ مثله، طبع بمصر عام ١٣٤٩هـ

۴ ـ نصر الاَعيان على شر العميان، ردّ فيه على المعرى.

۵ ـ البرهان القاطع فى معرفة الصانع ألّفه عام ۸۰۱ هـ وطبع بمصر عام ۸۰۱هـ.

۶ ـ التنقيح فى علوم الحديث.

۷ ـ إيثار الحقّ على الخلق، المطبوع بمصر عام ۱۳۱۸هـ.

إلى غير ذلك مما ذكره الشوكانى وغيره

۱) ______________)

(۱) البدر الطالع: ۲|۹۰، الاَعلام للزركلى: ۵|۳۰۰. (۴۳۸)

زيدى تسنّن وتوهّب ۲ ابن الاَمير: محمد بن إسماعيل (۱۰۹۹ ـ ۱۱۸۶ هـ)

موَلّف سبل السلام هو محمد بن إسماعيل بن صلاح، ينتهى نسبه إلى الاَمير يحيى بن حمزة الحسنى، الذى تعرفت عليه.

ولد بكحلان، ثم انتقلت أُسرته عام ۱۱۱۰هـ إلى صنعاء عاصمة اليمن، وتعلّم النحو والبيان وعلوم الفقه وأُصول الدين، ثم سافر إلى الحجاز مرتين، وأخذ علوم الحديث هناك وبرع فى العلوم المختلفة حتى برع أقرانه وتفرّد بالرئاسة العلمية فى صنعاء وأظهر الاجتهاد والوقوف مع الاَدلة ونفر من التقليد وزيّف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية.

ومن كتبه النافعة كتاب «سبل السلام فى شرح بلوغ المرام» لابن حجر.

أمّا بلوغ المرام فقد ألّفه الحافظ ابن حجر العسقلانى، وجمع فيه كل الاَحاديث التى استنبط الفقهاء منها الاَحكام الفقهية مبيناً عقب كلّ منها، من أخرجه من أئمة الحديث كالبخاريّ ومسلم، ومالك، وأبى داود، وغيرهم موضحاً درجة الحديث من صحة أو حسن أو ضعف، مرتّباً له على أبواب الفقه، وضمّ إلى ذلك فى آخر الكتاب قسماً مهماً فى الآداب والاَخلاق والذكر والدعاء.

أمّا الشرح فالاَصل كما يقوله الشوكانى هو «البدر التمام» للمغربى، اختصره

(۴۳۹)

محمد بن إسماعيل الاَمير، فبيّن لغته وسبب الضعف فيما ضعّفه الحافظ ابن حجر، إذ أنكره، أو وهمه أو أعلّه، وذكر ما يدلّ عليه الحديث من الاَحكام الفقهية ومن قال بها من كبار المجتهدين صحابة وتابعين وأئمة المذاهب ـ رض ـ ومن خالفها مبيّناً نوع المخالفة ودليلها، ثم يقضى بالكتاب والسنّة غير متحيز إلى مذهب من المذاهب (۱)

قال الشوكانى: وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن: منها فى أيام المتوكل على اللّه القاسم بن الحسين، ثم فى أيّام ولده الإمام المنصور باللّه الحسين بن القاسم، ثم فى أيام ولده الإمام المهدى العباس بن الحسين، وتجمع العوام لقتله مرّة بعد مرّة حفظه اللّه من كيدهم، وكفاه شرّهم وولاه الإمام المنصور باللّه، الخطابة بجامع صنعاء فاستمر كذلك إلى أيّام ولده المهديّ ـ إلى أن قال: ـ وكانت العامة ترميه بالنصب مستدلين على ذلك بكونه عاكفاً على الاَُمّهات، وسائر كتب الحديث، عاملاً بما فيها، ومن صنع هذا الصنع رمته العامّة بذلك لا سيما إذا تظهر بفعل شيء من سنن الصلاة كرفع اليدين وضمّهما (القبض والتكتف) (۲).

هنا ملاحظات :

۱ ـ إنّ ابن الاَمير بلغ درجة الاجتهاد المطلق، فرفض الالتزام بمذهب خاصّ وقام يعمل برأيه وهو بغية كل طالب داع. لكن المظاهرة على مخالفة العامة لماذا ؟!فإنّ رفع اليد وضمها الذى يعبر عنه فى الفقه الإمامى بالتكتف أو قبض اليد اليسرى باليمنى، كما هو التعبير الرائج اليوم، سنّة وليس بفرض ـ لو لم يكن بدعة أُموية ـ (۳) أو ما كان من واجب ابن الاَمير عقلاً ـ ترك السنّة، لدفع الفتنة.

---

(۱) سبل السلام مقدمة المحقّق: محمد بن عبد العزيز الخولى الطبعة الرابعة ـ ۱۳۷۹، والبدر الطالع: ۲|۱۳۷، برقم ۴۱۷.

(۲) الشوكانى: البدر الطالع: ۲|۱۳۴.

(۳) لاحظ: الاعتصام بالكتاب والسنّة للمؤلف: ۶۱.

(۴۴۰)

وقد روى أنّ الإمام الشافعى زار مرقد الإمام أبى حنيفة وصلى فيه ولم يَقنُت، ثم سئل عن ترك القنوت مع أنّه مذهبه، قال توقيراً للإمام فإنّه لا يرى القنوت سائغاً.

هذا هو عقل الإمام الشافعى وتدبيره وليكن لنا أُسوة:

۲ ـ إنّ الاقتصار بما فى بلوغ المرام من الروايات، فى مقام الإفتاء شاهد صدق على أنّ الرجل ترك مذهب أهل البيت تماماً، وتفتح على روايات أهل السنّة وصار ينقض ويبرم فى ظل أحاديثهم. ومن المعلوم أنّ التظاهر بتلك الفكرة فى الأوساط الزيدية يثير حفيظة الأكثرين وليس المروى عن أئمة أهل البيت، بأدنى مما روى عن الصحابة والتابعين.

۳ ـ يبدو أنّ ابن الأمير كان إنساناً ساذجاً متأثراً بكل تيّار يصل إليه إذا رافق نفسيته، ولما بلغ إليه خروج محمد بن عبد الوهاب فى نجد، ووقف على رأيه من تدمير آثار الرسالة والنهى عن التوسل والزيارة أخذ بترويج أفكاره ولم يقتصر بذلك وقد ألّف كتاباً فى ذلك المضمار أسماه «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» واسمه يحكى عن مدى تعصبه بالتوهّب، قد أكثر عنه النقل السيد الأمين ـ قدّس سرّه ـ فى كتاب كشف الارتياب (۱) وهذا يعرب عن ان ابن الأمير اغترّ بمنهجه من دون دراسة وتحليل ثم إنّه أنشأ قصيدة فى مدح الداعى وهنّأ به وقال:

سلام على نجد ومن حلّ فى نجدٍ * وإن كان تسليمى على البعد، لا يُجدى

إلى أن يقول:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنّه * يُعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى

ثم هو يتعاطف مع مقولة الحركة ومحتواها، ويقول فى مدح محمد بن عبد الوهاب________________:

(۱) كشف الارتياب: ۱۰.

(۴۴۱)

ويعمر أركان الشريعة، هادماً * مشاهد ضلّ الناس فيه عن الرشد

أعادوا بها معنى «سواع» ومثله * « يغوث» و «ود» بئس ذلك من ودٍّ

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها * كما يهتف المضطر بالصمد الفردِ

وقد سرّنى ما جاءنى من طريقة * وكنت أرى هذه الطريقة لى وحدى

ولما أتته الأنباء عن قائد الحركة بأنّه يسفك الدماء، وينهب الأموال، ويكفّر الأُمة المحمدية فى جميع الأقطار، تراجع عن التأييد شكلياً لا من حيث المحتوى، وقال فى قصيدة نقض فيها، قصيدته الأُولى، مستهلها:

رجعتُ عن القول الذى قلتُ فى النجدى * وقد صحّ لى عنه خلاف الذى عندى

ظننت به خيراً وقلت عسى عسى * نجد ناصحاً يهدى الأنام ويستهدى

فقد خابَ فيه الظنّ لا خاب نصحنا * وما كل ظنٍّ للحقائق لى مهدى

ثم أخذ فى ردّ شكل تطبيق المبدأ، فقال:

أبن لى أبن لى لماذا سفكتَ دماءهم * لماذا نهبت المال قصداً على عمد

وقد عصموا هذا وهذا بقول: لا * إله سوى اللّه المهيمن ذى المجد

وهذا لعمرى غير ما أنت فيه من * تجاريك فى قتل لمن كان فى نجد

فمالك فى سفك الدماء قطّ حجّة * خف اللّه واحذر ما تسرّ وما تبدى

(۴۴۲)

لقد عزب عن ابن الاَمير أنّه هو الذى أحلّ سفك دمائهم حيث شبههم فى قصيدته الاُولى عبّاد «سواع» و «ود» وهل يكون دم الوثنى ! محترماً مصوناً.

إنّ الاَمير ندم حين ما لا ينفعه الندم، وقد أظهر الندامة بعد سفك الدماء الطاهرة، وقتل النفوس الاَبرياء، ونهب الاَموال، وتدمير البيوت والخيام، بحجّة أنّهم يتوسلون بالنبى، أو يزورون قبره الشريف ومن قرأ تاريخ الوهابية الاَثيمة يقف على أنّه أُسس على قتل الآف من الرجال والنساء والاَطفال، الذين كانوا يقولون: لا إله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه، يصلّون، يزكون، ويحجّون ومانقموا منهم إلاّ أنّهم كانوا يعزّرون النبى الاَكرم، ويمجّدون نبى التوحيد، ويتبرّكون بآثاره، كما كانت الصحابة متبركين بها.

وعلى كل تقدير فقد تخلّى ابن الوزير عن المذهب الزيدى وتحول إلى سلفى وهابى، وتسرع فى تأييد موقف ابن عبد الوهاب، فلو كان مذهب السلف، الإخافة وسلّ السيف، وضرب الرقاب، وتدمير آثار الرسالة، وإنساء الاَنبياء والاَولياء عن الاَذهان، وإثبات جهة الفوق والاستواء على العرش الذى هو فوق السموات والاَرض، والجسمية والغضب والضحك واليد اليمنى والشمال، والاَصابع والكف للّه سبحانه بمعانيها اللغوية، فألف سلام اللّه على الخلف مع بدعه المزعومة، وتوسلاّته المختلقة بزعمهم.

(۴۴۳)

زيدى تسنّن وتوهّب ۳ محمد بن على بن محمد بن عبد اللّه الشوكانى الصنعانى (۱۱۷۲ ـ ۱۲۵۰هـ) أحد الشخصيات البارزة فى اليمن الخضراء قد ترجم لنفسه فى كتابه البدر الطالع وقال:

نشأ بصنعاء فقرأ القرآن على جماعة من المعلمين، وختمه على الفقيه حسن ابن عبد اللّه الهبل، وجوّده على جماعة من مشايخ القرآن، بصنعاء ثم حفظ الاَزهار للإمام المهدى، ومختصر الفرائض للعصيفرى، والملحة للحريرى، والكافية والشافية لابن الحاجب، والتهذيب للتفتازانى، والتلخيص للقزوينى، والغاية لابن الإمام، وبعض مختصر المنتهى لابن الحاجب، ومنظومة الجزرىّ، ومنظومة الجزار فى العروض وآداب البحث للعضدى ورسالة الوضع له أيضاً. وكان حفظه لهذه المختصرات قبل الشروع فى الطلب، وبعضها بعد ذلك، ثم قبل شروعه فى الطلب كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التواريخ ومجاميع الاَدب من أيام كونه فى المكتب فطالع كتباً عدّة، ومجاميع كثيرة، ثم شرع فى الطلب وقرأ على والده رحمه اللّه شرح الاَزهار، إلى آخر ما ذكره من الكتب التى قرأها على مشايخه أو سمعها من أساتذته و ـ ذكر ـ أنّه سمع البخارى من أوّله إلى آخره على السيّد العلامة على بن إبراهيم، وسمع صحيح مسلم جميعاً وسنن الترمذى جميعاً وبعض موطأ مالك وبعض شفاء القاضى عياض على السيد العلامة عبد القادر بن أحمد، وكذلك سمع منه بعض جامع الاُصول، وبعض سنن النسائى وبعض سنن

(۴۴۴)

ابن ماجة، وسمع جميع سنن أبى داود وتخريجها للمنذرى، وبعض المعالم للخطابى ـ إلى أن قال: ـ وكذلك بعض المنتقى لابن تيميّة على السيد القادر بن أحمد وكذلك سمع شرح بلوغ المرام (۱)

لقد ترك الشوكانى آثاراً فى التفسير والفقه والحديث والكلام وهنا نذكر من آثاره ما يلى:

۱ ـ فتح القدير فى التفسير، وقد طبع فى خمسة أجزاء جمع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير.

۲ ـ نيل الاَوطار شرح منتقى الاَخبار فى الحديث، والمنتقى تأليف الشيخ أبو البركات شيخ الحنابلة مجد الدين عبد السلام بن عبد اللّه الحرّانى (۵۴۲ ـ ۶۲۱ هـ) جد ابن تيمية.

۳ ـ القول المفيد فى أدلّة الاجتهاد والتقليد.

۴ ـ إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والميعاد والنبوات، ردّ به على موسى بن ميمون الاَندلسى اليهودى.

إنّ الإلمام بحياة الشوكانى دراسة وقراءة، أُستاذاً وشيخاً، تعرب عن أنّه كان سلفىّ المذهب، متحرّراً عن التقيّد بمذهب أحد الاَئمة،

وكتابه «نيل الاَوطار» يشهد على ذلك. وقد أوجد هزّة فى الاَوساط اليمنية، وهو وإن أخذ من السلفية، بهذا الجانب، الجميل، ولكنّه تورّط فى مغبّة لوازم التجسيم والتشبيه، وتتلخص عقائده فى الاُمور التالية:

أوّلاً: يرى حمل صفات اللّه تعالى الواردة فى القرآن والسنّة على ظاهرها من غير تأويل، وقد ألّف رسالة فى ذلك سمّاها: «التحف بمذهب السلف» ويذكر فى تفسير قوله سبحانه": وَسِعَ كُرسيّهُ السَّمواتِ والاَرض ("البقرة ـ ٢٥٥) أنّ________________

(١) الشوكانى: البدر الطالع: ٢|٢١۴ ـ ٢١٧.

(۴۴۵)

الكرسى جسم وردت به الآثار بصفته. ثم ذكر الاَقوال الاُخر.

وقال: والحقّ هو الاَوّل، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقى إلى مجرد خيالات وضلالات (١).

والمتتبع فى تفسيره يجد أنّه يقوى مذهب السلف فى غالب المواضع حتى روَية اللّه فى الآخرة لو سلم كونها مذهب السلف.

ثانياً: لا ـ يرى للمجتهد تقليد أئمة المذاهب الفقهية، وهو فى تلك الفكرة مصيب مشكور، لكنّه أفرط فى تطبيق الآيات الذامة للمشركين فى تقليدهم الآباء، على مقلدى أئمة المذاهب (٢)

نحن نقدر كسر قيد الالتزام بالمذاهب الفقهية للمستطيع استخراج الاَحكام عن أدلتها الشرعية، لكن المجتهد المطلق عبارة عمن استوعب الاَدلّة واستقصاها ومنها الاَحاديث المروية عن أئمة أهل البيت التى رواها شيعتهم من زيدية وإسماعيلية وإمامية، لكن الاَسف أنّ المتخرجين فى حقول الفقه إمّا مقلد لاَئمة الفقه أو خارج عن هذا الإطار، ولكنّه ضارب عن أحاديث العترة، مع أنّها أحد الثقلين.

ثالثاً: إنّ الرجل جمع بين القولين المتضادين، فمن جانب يرى أنّ الشهداء أحياء حقيقة لا مجازاً.

قال فى تفسير قوله تعالى": وَلا ـ تَقُولُوا لِمَنْ يُقتَلُ فِى سَبيلِ اللّهِ أمواتاً بَل أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزقُون ("آل عمران ـ ١٥۴) :

(١) الشوكانى: فتح القدير: ١|٢٧٧ ـ ٣٧٣، ط، دار المعرفة بالاُفست بيروت، لبنان وكل ما ننقله فهو من هذه الطبعة.

(٢) لاحظ فتح القدير، سورة الاَعراف، تفسير قوله سبحانه: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا آباءنا عليها...) (الآية ٢٨) .

(۴۴۶)

أى لاـتقولوا لمن يقتل فى سبيل اللّه هم أموات بل هم أحياء، ولكن لا تشعرون بهذه الحياة عند مشاهدتكم لاَبدانهم بعد سلب أرواحهم، لاَنكم تحكمون عليها بالموت فى ظاهر الاَمر بحسب ما يبلغ إليه علمكم، الذى هو بالنسبة إلى علم اللّه كما يأخذ الطائر فى منقاره من ماء البحر وليسوا كذلك فى الواقع بل هم أحياء فى البرزخ (١)

ومن جانب آخر يرى التوسل بالاَنبياء مخالفاً للذكر الحكيم وقد أفاض الكلام فى الإنكار على التوسل عند تفسير قوله سبحانه": قُل لا أَملِكُ لِنَفسى ضَرّاً وَ لا نَفعاً إلاّ ما شاءَ اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أجَلٌ إذا جاءَ أَجَلُهُم فلا يَسْتَأخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُون ("يونس ـ ۴٩) فقد ذكر فى تفسير الآية نفس ما ورثه من ابن تيمية ولاعق قصعته محمد بن عبد الوهاب (٢) ولولا ـ خوف الإطالة لاَتيت بنص كلامه ليقف القارىَ على وحدة النسج، وبما أنّنا أفضنا فى الجزء الرابع من هذه الموسوعة الكلام فى التوسل، نطوى الكلام غير أنّا نذكر هنا نكته وهى:

إنّ المتوسل لايدّعى أنّ النبىّ ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يملك نفعه أو ضرّه، حتى يقال: إنّه لا يملك نفع نفسه ولا ضره، فكيف بغيره، وإنّما يقول: إنّ الاَنبياء والصديقين والشهداء أحياء حسب ما قرره الشوكانى، والصلة بيننا وبينه موجودة، فنطلب منهم الدعاء كما نطلبه منهم فى حال الحياة، وربّما توسل بذواتهم ومقاماتهم، وذلك لاستمطار رحمته سبحانه، وجلب رضوانه، والمخاطب الحقيقى لقضاء الحاجة هو اللّه سبحانه والركائب مناخة على أبوابه سبحانه.

رابعاً: إنّ الشوكانى وإن كسر قيد الالتزام بمذهب الزيدية، ولكنّه لم يتخلّ عنه تماماً فى بعض الموارد من تفسيره فربما يذكر بعض

الروايات الدالّة على________________

(۱) فتح القدير: ۱|۱۵۹.

(۲) فتح القدير: ۲|۴۴۶ ـ ۴۵۰.

(۴۴۷)

إمامة على عليه الصلاة والسلام، لكن بشكل هادئ، حيث ذكر فى تفسير قوله سبحانه": إنّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ ("المائدة ـ ۵۵) قولين:

أحدهما: إنّها نزلت فى حقّ عبادة بن الصامت، وثانيهما: أنّها نزلت فى حقّ على، وأخرج الخطيب فى المتفق والمفترق عن ابن عباس، قال: تصدّق علىّ بخاتم وهو راكع. فقال: النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للسائل: «من أعطاك هذا الخاتم؟» قال: هذا الراكع، فأنزل اللّه فيه": إنّما وَلِيُّكُم اللّهُ وَرَسُولهُ "وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، قال: نزلت فى على بن أبى طالب إلى آخر ما ذكره (۱)

ويذكر فى تفسير قوله سبحانه": إنّما يُريدُ اللّه لِيُذهِبَ عَنْكُمْ الرِّجسَ أهلَ البيتِ وَيُطَّهِّرَكُم تَطهيرا ("الاَحزاب ـ ۲۳) قولين:

الاَوّل: أنّها نزلت فى زوجات النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ ثم قال: قال أبو سعيد الخدرى ومجاهد، وقتادة إنّ أهل البيت المذكورين فى الآية على وفاطمة والحسن والحسين خاصة، ومن حججهم الخطاب فى الآية بما يصلح للذكور لا للإناث، وهو قوله: «عنكم ، وليطهركم» ولو كان للنساء خاصة لقال: عنكنّ، يطهركنّ. وأجاب الاَوّلون عن هذا التذكير باعتبار لفظ الاَهل كما قال سبحانه": أتعجبينَ مِنْ أمرِ اللّهِ رحمةُ اللّهِ وبركاتُهُ عَليكُمْ أهلَ البَيتِ "وكما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ يريد زوجته أو زوجاته، فيقول: هم بخير. ثم إنّه ذكر أدلّة القولين وخرج بأنّ الحقّ شموله للطائفتين (۲)

ولعلّ هذا الجمع الذى لجأ إليه، كان مقتضى ظروفه، وإلاّ فكيف يمكن________________

(۱) فتح القدير: ۲|۳۵۰.

(۲) فتح القدير: ۴|۲۷۹ ـ ۲۸۰.

(۴۴۸)

القول بالجمع، وهو خرق للاِجماع المركب أوّلاً ومخالف للروايات المتضافرة من أنّ النبى الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جمع علياً وابنيه وزوجته تحت الكساء وقال: هوَلاء أهل بيت، ولم يجز لاُمّ سلمة أن تدخل تحت الكساء.

لكنه قد قصر فى بعض المواضع، حيث لم يذكر نزول قوله سبحانه": اليومَ أكمَلتُ لَكُمْ دينَكُمْ وأتممتُ عليكُمْ نِعمَتى ورضِيتُ لكمُ الإسلامَ دِيناً ("المائدة ـ ۳) فى حقّ على مع تضافر الروايات. وفسر إكمال الدين بإكمال ظهوره على الاَديان كلها، وغلبته لها (۱)

نعم، ذكر فى تفسير قوله سبحانه": يا أيُّها الرَّسولُ بلِّغْ ما أُنزلَ إليكَ مِنْ ربِّكَ وإنْ لَمْ تَفعَلْ فَما بلَّغْتَ رسالَتَهُ واللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ ("المائدة ـ ۶۷) قال: أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبى سعيد الخدرى، قال: نزلت هذه الآية على رسول اللّه يوم غدير خم فى على بن أبى طالب رضى اللّه عنه، وقال: وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول اللّه: (يا أيّها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك "أنّ علياً مولى المؤمنين" وإنْ لَمْ تَفعلْ فَما بلَّغتَ رِسالَتَهُ واللّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاس ("۲)

وعلى كل تقدير فما يذكره فى حقّ أئمة أهل البيت أثر من آثار نشأته بين الزيدية، ولكنّه فى مجال العقيدة سلفىّ، يتمسك بحرفية القرآن ويجوّز الروَية فى الآخرة (۳). ويذهب فى مجال الفقه إلى حجّية كل صحابى من غير فرق بين المعلوم والمجهول، حتى ألّف كتاباً باسم «القول المقبول فى ردّ خبر المجهول من غير صحابة الرسول» (۴)ويصدر عن الصحاح والمسانيد ويخالف مذهب الزيدية

---

(۱) فتح القدير: ۲|۱۱.

(۲) فتح القدير: ۲|۶۰.

(۳) فتح القدير:۱|۸۶ فى تفسير قوله سبحانه: (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهرة).

(۴) نيل الأوطار: المقدمة (و) .

(۴۴۹)

كثيراً. وكتابه المعروف «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» يعد ثورة عارمة على الزيدية فى المجالات الفقهية. وإليك الكلام فى هذا الكتاب.

قصة «السيل الجرار المتدفق» :

ألّف أحمد بن يحيى بن المرتضى (۷۷۵ ـ ۸۴۵هـ) كتاباً باسم «الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار».

ثم شرحه باسم «الغيث المدرار». ألّفه على مذهب الإمام الهادى الزيدى فى الفروع، يقول المقدِّم لكتاب البحر الزخار فى مقدمته: «والكتاب لشموله وتحقيقه، وبلاغة أُسلوبه، وحسن تبويبه يعدّ من آيات الإمام (أحمد بن يحيى بن المرتضى) التى اختصه اللّه بها ومنحه إياه لنفع المؤمنين وانتشال الجاهلين من ظلام الحيرة إلى نور المعرفة والهدى» (۱)

وقد ألّفه الإمام فى السجن بين عام «۷۹۴ ـ ۸۰۱هـ » وبما أنّ الكتاب باقة أزهار من الفقه الهادوى فيظن أنّه راجع إليه بعد الخروج من السجن إلّا إذا كانت المصادر فيه متوفّرة وقد كان العمل عليه فى المحاكم والأوساط العلمية.

ومن المعلوم أنّ فكرة التحرير من الفقه الهادوى، الذى غرس بذرتها ابن الوزير، وسقاها ابن الأمير، على طرف النقيض من محتويات الكتاب واشتهاره بين العلماء ولأجل ذلك قام الشوكانى بنقده بكتاب أسماه «السيل الجرار، المتدفق على حدائق الأزهار» فأثار بكتابه هذا، والاسم الذى سمّاه به حفيظة كثير من الزيديين قال فى مقدمة الكتاب:

فإنّ مختصر الأزهار لما كان مدرس طلبة هذه الديار فى هذه الأعصار ومعتمدهم الذى عليه فى عباداتهم ومعاملاتهم المدار، وكان قد وقع فى كثير من ـــــــــــــــــــــــــــ

(۱) مقدمة البحر الزخار: ۱۸.

(۴۵۰)

مسائله الاختلاف بين المختلفين من علماء الدين والمحققين من المجتهدين: أحببت أن أكون حكماً بينه وبينهم ثم بينهم أنفسهم عند اختلافهم فى ذات بينهم، فمن كان أهلاً للترجيح ومتأهلاً للتقسيم والتصحيح فهو إن شاء اللّه سيعرف لهذا التعليق قدره ويجعله لنفسه مرجعاً ولما ينوبه ذخراً، وأمّا من لم يكن بهذا المكان ولا بلغ مبالغ أهل هذا الشأن ولا جرى مع فرسان هذا الميدان فهو حقيق بأن يقال له: «ماذا يغشّك ياحمامة فادرجى» وقد طبع الكتاب فى مجلدات أربعة قام بطبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بعد قيام الجمهورية العربية فى اليمن. وذلك أيضاً فى طريق أهدافه من هدم آثار الإمامة فى اليمن ولو بيد علمائها.

وفى الختام نذكر تأليفه المفيد وهو «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، ألّفه لغاية خاصة وهو أنّ الخلف ليس بأقل من السلف، ولامسوغ للتقليد لأئمة الفقه بل يجب التحرر عن الالتزام بفقه إمام خاص، قال فى مقدمته: فإنّه لما شاع على ألسن جماعة من الرعاع، اختصاص سلف هذه الأُمّة بإحراز فضيلة السبق فى العلوم دون خلفها. حتى اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأربعة تعذّر وجود مجتهد بعد المائة السادسة كما نقل عن البعض، أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون. وكانت هذه المقالة بمكان من الجهالة لا ـ يخفى على من له أدنى حظّ من علم، وأنزر نصيب من عرفان، وأحقر حصة من فهم، لأنّها قصر للتفضّل الإلهى، والفيض الربانى على بعض العباد دون البعض، وعلى أهل عصر دون عصر، وأبناء دهر دون دهر بدون برهان ولا قرآن على أنّ هذه المقالة المخذولة والحكاية المرذولة تستلزم خلو هذه الأعصار المتأخرة عن قائم بحجج اللّه، ومترجم عن كتابه وسنّة رسوله، ومبيّن لما شرعه لعباده، وذلك هو ضياع الشريعة بلا مرية، وذهاب الدين بلا شك وهو تعالى قد تكفّل بحفظ دينه

(۴۵۱)

وليس المراد حفظه في بطون الصحف والدفاتر، بل إيجاد من يبيّنه للناس في كل وقت وعند كل حاجة.

حداني ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم مما بلغني خبره إلى عصرنا هذا، ليعلم صاحب تلك المقالة أنّ اللّه وله المنّة قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف، بل ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها، من يقلّ نظيره من أهل العصور المتقدمة كما سيقف على ذلك من أمعن النظر في هذا الكتاب وحلّ عن عنقه، عرى التقليد وقد ضممت إلى العلماء من بلغني خبره من العباد والخلفاء والملوك والرؤساء والأُدباء ولم أذكر منهم إلاّ من له جلالة قدر ونبالة ذكر وفخامة شأن دون من لم يكن كذلك (۱)

وطبع الكتاب في جزئين يشتمل الجزء الاَوّل على ۳۵۴ ترجمة للشخصيات العلمية والسياسية، وقد وقع الخطأ في أرقام تراجم الجزء الثاني فالظاهر منه أنّ الجزئين يحتوى على ترجمة ۵۹۶ شخصية وقد فرغ من تأليف الكتاب عام ۱۲۱۳هـ

ثم إنّ النسابة المعروف اليمني محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة، ذيّله بملحق، أتى فيه بترجمة ۴۴۰ شخصية من مشاهير اليمن لكن على وجه الاختصار، وقد ترجم من عثر عليه من تراجم من بعد القرن السابع إلى أثناء القرن الثاني عشر من رجال اليمن الميمون، ولم يسجّل فيه تراجم الرجال الذين ذكروا في كتاب «نيل الاَوطار من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث» ألّفه في القاهرة عام ۱۳۴۸ هـ شكر اللّه مساعيه_______________.

(۱) الشوكاني: البدر الطالع: ۱|۲.

(۴۵۳) (۴۵۲)

الفصل الثامن فرق الزيدية في كتب تاريخ العقائد

الفصل الثامن فرق الزيدية في كتب تاريخ العقائد قد ذكر مؤرخو العقائد، للزيدية فرقاً بين مقتصر على الثلاثة، وإلى مفيض إلى ستة، وثمانية، وإليك نصوصهم حسب التسلسل الزمني في التأليف:

۱ ـ قال الاَشعري: «والزيدية» ست فرق:

فمنهم: الجارودية: أصحاب «أبي الجارود» وإنّما سمّوا «جارودية» لاَنّهم قالوا بقول: «أبي الجارود» يزعمون أنّ النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ نصّ على علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الاِمام من بعده وأنّ الناس ضلّوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ثم «الحسن» من بعد علي هو الاِمام ثم «الحسين» هو الاِمام من بعد الحسن.

وافترقت الجارودية فرقتين: فرقة زعمت أنّ علياً نصّ على إمامة «الحسن» وأنّ الحسن نص على إمامة «الحسين» ثم هي شورى في ولد الحسن وولد الحسين فمن خرج منهم يدعو إلى سبيل ربّه وكان عالماً فاضلاً فهو الاِمام، وفرقة زعمت أنّ النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ نص على «الحسن» بعد علي وعلى «الحسين» بعد الحسن ليقوم واحد بعد واحد.

وافترقت الجارودية في نوع آخر ثلاث فرق: فزعمت فرقة أنّ «محمد بن عبد اللّه بن الحسن» لم يمت وأنّه يخرج ويغلب، وفرقة أُخرى زعمت أنّ «محمد

(۴۵۴)

بن القاسم» صاحب الطالقان حي لم يمت وأنّه يخرج ويغلب، وفرقة قالت مثل ذلك «يحيى بن عمر» صاحب الكوفة.

والفرقة الثانية من الزيدية، «السليمانية»: أصحاب «سليمان بن جرير الزيدي» يزعمون أنّ الاِمامة شورى وانّها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وانّها قد تصلح في المفضول وإن كان الفاضل أفضل في كل حال، ويثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر.

وحكى «زرقان» عن سليمان بن جرير أنّه كان يزعم أنّ بيعة أبي بكر وعمر خطأ لا يستحقان عليها اسم الفسق من قبل التأويل، وانّ

الاَمّة قد تركت الاَصلح فى بيعتهم أياهما، وكان سليمان بن جرير يقدم على عثمان ويكفره عند الاَحداث التى نقمت عليه، ويزعم أنّه قد ثبت عنده أنّ على بن أبى طالب لايضل ولاتقوم عليه شهادة عادلة بضلالة، ولايوجب علم هذه النكتة على العامة إذ كان إنّما تجب هذه النكتة من طريق الروايات الصحيحة عنده.

والفرقة الثالثة: من الزيدية: «البترية»: أصحاب «الحسن بن صالح بن حى» وأصحاب «كثير النواء» وإنّما سمّوا «بترية» لاَنّ «كثيراً» كان يلقب بالاَبتر، يزعمون أنّ علياً أفضل الناس بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأولاهم بالإمامة، وأنّ بيعة أبى بكر وعمر ليست بخطأ، لاَنّ علياً ترك ذلك لهما، ويقفون فى عثمان وفى قتلته ولايقدمون عليه بإكفار، وينكرون رجعة الاَموات إلى الدنيا، ولايرون لعلى إمامة إلاّ حين بويع، وقد حكى أنّ «الحسن بن صالح بن حى» كان يتبرّأ من عثمان رضوان اللّه عليه بعد الاَحداث التى نقمت عليه.

والفرقة الرابعة من الزيدية: «النعيمية»: أصحاب «نعيم بن اليمان» يزعمون أنّ علياً كان مستحقاً للإمامة وأنّه أفضل الناس بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم، ـ وأنّ الاُمّة ليست بمخطئة خطأ أثم فى أن ولّت أبا بكر وعمر رضوان اللّه

(۴۵۵)

تعالى عليهما، ولكنها مخطئة خطأ بيّناً فى ترك الاَفضل وتبرّأوا من عثمان ومن محارب على وشهدوا عليه بالكفر.

والفرقة الخامسة من الزيدية: يتبرّأون من أبى بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الاَموات قبل يوم القيامة.

والفرقة السادسة من الزيدية: يتولّون أبا بكر وعمر، ولايتبرّأون ممن برىء منهما، وينكرون رجعة الاَموات ويتبرّأون ممن دان بها وهم «اليعقوبية» أصحاب رجل يدعى «يعقوب» (۱)

* * *

۲ ـ قال المسعودى: إنّ الزيدية كانت فى عصرهم ثمانية فرق: أوّلها الفرقة المعروفة بـ«الجارودية» وهم أصحاب أبى الجارود زياد بن المنذر العبدى، وذهبوا إلى أنّ الإمامة مقصورة فى ولد الحسن والحسين دون غيرهما، ثم الفرقة الثانية المعروفة بـ«المرئية»، ثم الفرقة الثالثة المعروفة بـ«الاَبرقية»، ثم الفرقة الرابعة المعروفة بـ«اليعقوبية» وهم أصحاب يعقوب بن على الكوفى. ثم الفرقة الخامسة المعروفة بـ«العقبية» ثم الفرقة السادسة المعروفة بـ«الاَبترية» وهم أصحاب كثير الاَبتر والحسن بن صالح بن حى. ثم الفرقة السابعة المعروفة بـ«الجريرية » وهم أصحاب سليمان بن جرير. ثم الفرقة الثامنة المعروفة بـ«اليمانية» وهم أصحاب محمد بن يمان الكوفى، وقد زاد هوَلاء فى المذاهب وفرّعوا مذاهب على ما سلف من أُصولهم (۲)

۳ ـ قال نشوان الحميرى: افترقت الزيدية ثلاث فرق: بترية وجريرية

(۱) الاَشعرى: مذاهب الإسلاميين: ۶۶ ـ ۶۹.

(۲) المسعودى: مروج الذهب: ۲|۱۸۳.

(۴۵۶)

وجارودية. فقالت البترية: إنّ علياً ـ عليه السلام ـ كان أفضل الناس بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأولاهم بالإمامة، وأنّ بيعة أبى بكر وعمر ليست بخطأ، لاَنّ علياً ـ عليه السلام ـ سلم لهما ذلك، بمنزلة رجل كان له حقّ على رجل فتركه له، ووقفت فى أمر عثمان، وشهدت بالكفر على من حارب علياً، وسمّوا البترية، لاَنّهم نسبوا إلى كثير النواء، وكان المغيرة بن سعيد يلقب كثيراً بـ«الاَبتر».

وقالت الجريرية: إنّ علياً كان الإمام بعد رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأنّ بيعة أبى بكر وعمر كانت خطأ لا يستحق عليه اسم الكفر، ولاـ اسم الفسوق، وأنّ الاُمّة قد تركت الاَصلح، وبرئت من عثمان سبب أحداثه، وشهدت عليه وعلى من حارب علياً بالكفر.

وقالت الجارودیة: إنّ رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ نصّ علی علی ــ علیه السلام ــ بالإشارة والوصف دون التسمیة والتعیین، وإنّه أشار إلیه ووصفه بالصفات التی لم توجد إلاّ فیه، وإنّ الاُمّة ضلت وکفرت بصرفها الاَمر إلی غیره، وإنّ رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ نصّ علی الحسن والحسین ـ علیهما السلام ـ بمثل نصّه علی علی، ثم إنّ الإمام بعد هوَلاء الثلاثة لیس بمنصوص علیه، ولکن الإمامة شوری بین الاَفاضل من ولد الحسن والحسین، فمن شهر منهم سیفه ودعا إلی سبیل ربّه وباین الظالمین، وکان صحیح النسب من هذین البطنین، وکان عالماً زاهداً شجاعاً، فهو الإمام.

وافترقت الجارودیة فی نوع آخر ثلاث فرق:

أ ـ فرقة زعمت أنّ محمد بن عبد اللّه النفس الزکیة بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب لم یمت ولا یموت، حتی یملاَ الاَرض عدلاً، وأنّه القائم المهدی المنتظر عندهم، وکان محمد بن عبد اللّه خرج علی المنصور فقتل بالمدینة.

ب ـ وفرقة زعمت أنّ محمد بن القاسم بن علی بن عمر بن علی بن

(۴۵۷)

الحسین ابن علی بن أبی طالب، حی لم یمت ولا ـ یموت، حتی یملاَ ـ الاَرض عدلاً، وأنّه المهدی المنتظر عندهم، وکان محمد بن القاسم هذا خرج علی المعتصم بالطالقان فأسره المعتصم، فلم یدر بعد ذلک کیف خبره.

وفرقة زعمت أنّ یحیی بن عمر بن یحیی بن الحسین بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب حی لم یمت، وأنّه القائم المنتظر عندهم، ولایموت حتی یملاَ الاَرض عدلاً، وکان یحیی بن عمر هذا خرج علی المستعین، فقتل بالکوفة. هذه روایة أبی القاسم البلخی عن الزیدیة، ولیس بالیمن من فرق الزیدیة غیر الجارودیة، وهم بصنعاء وصعدة وما یلیهما (۱)

دراسة حول فرق الزیدیة :

قد تعرفت علی کلمات الموَرّخین فی فرق الزیدیة، فهی بین ما یحصرهم فی ثلاث، إلی آخر یعدهم ست فرق، إلی ثالث یحسبهم ثمانی فرق، وهذا الاختلاف یکشف عن وجود غیوم تُلبّد سماء الواقع، ولکن الذی یهمنا هنا، مسألة أُخری، أنّ هذه الفرق، کلها قد بادت وذهبت أدراج الریاح مع بقاء الزیدیة فی الیمن، والذی یمیز الزیدیة عن سائر الفرق الإسلامیة لیس شیء مما ورد فی عقائد هذه الفرق وإنّما هو عبارة عن القول بإمامة زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه ووجوب الخروج ـ الثورة ـ علی الظلمة، واستحقاق الإمامة بالفضل والطلب لا بالوراثة مع القول بتفضیل علی کرم اللّه وجهه وأولویته بالإمامة وقصرها من بعده فی البطنین الحسن والحسین (۲______________)

(۱) نشوان الحمیری: الحور العین: ۱۵۵.

(۲) علی بن عبد الکریم الفضیل شرف الدین: الزیدیة نظریة وتطبیق: ۱۱ المطبوع عام ۱۴۰۵ هـ ط. عمان.

(۴۵۸)

ولایوجد الیوم فی الیمن بین الزیدیة من المفاهیم الکلامیة المنسوبة إلی الفرق کالجارودیة، أو السلیمانیة، أو البتریة أو الصالحیة، إلاّ مفهوم واحد، وهو المفهوم العام الذی تعرفت علیه وهو القول بإمامة زید والخروج علی وجه الظلمة واستمرار الإمامة فی بطن الحسنین، وأنّها بالطلب والفضل وأمّا أسماء تلک الفرق والعقائد المنسوب إلیهم فلا توجد الیوم إلاّ فی بطون الکتب والموَلّفات فی الفرق الإسلامیة کالملل والنحل ونحوها.

فإذا کانت الحال فی الیمن کما ذکره الفضیل شرف الدین فالبحث عن هذه الفرق من ناحیة إیجابیاتها وسلبیاتها لیس مهماً بعد ما أبادهم الدهر، وإنّما اللازم دراسة المفهوم الجامع بین فرقهم، نعم هناک أمرین هامین یجب التنبیه علیهما:

۱ ـ فی تسمیتهم بالزیدیة:

إنّ موَرخی العقائد یسمّونهم بالزیدیة شأنهم شأن سائر الفرق التابعة لإمامها من غیر فرق بین کونه إماماً فی الاُصول والعقائد کالشیخ

الَاشعری، أو إماماً فی الفقه والاَحکام کالحنفی والشافعی، فتصور لنا هذه التسمیة (الزیدیة) أنّ هذه الفرق تلقّت أَصولها وفروعها من إمامهم زید الشهید، کما أخذت الاَشاعرة أُصولها من الشیخ الاَشعری، والحنفیة من إمامها أبی حنیفة.

ولکن هذه التسمیة بهذا المفاد خاطئة جداً، لاَنّه لم تکن لزید عقیدة خاصة فی المسائل الکلامیة حتی یکون أتباعه عیالاً له فی هذا المجال، کما أنّه لم یکن له کتاب فقهی استدلالی حتی یرجع المقلّدون، إلیه فی الفروع.

نعم إنّ الثابت عن زید الشهید، أنّه کان یقول بالتوحید والعدل شأن کل علوی یقتفی أثر الاِمام علی بن أبی طالب ـ علیه السلام.ـ فلیس القول بهذین الاَصلین دلیلاً علی أنّهم اقتفوا زیداً فی هذین الاَصلین.

(۴۵۹)

کما أنّ الثابت عنه فی مجال الفقه یعود إلی المسند الذی تعرفت علیه، وهو لا ـ یتجاوز عن نقل أحادیث فقهیة، ولا یعلم منه مدی فقاهته واستطاعته فی استخراج الفروع من الاَُصول، وعلی فرض التسلیم بذلک فالفقهاء المعروفون بالزیدیة ابتداء من الاِمام أحمد بن عیسی، إلی الاِمام القاسم الرسّی، إلی الاِمام یحیی الهادی، إلی الناصر الاَطروش، حتی تصل النوبة إلی الاِمام المجتهد یحیی بن حمزة والاِمام المهدی بن المرتضی موَلّف «البحر الزخار» إلی غیرهم من فقهاء کبار، فهوَلاء لم یعلم من أحوالهم أنّهم اعتمدوا فی فتاواهم علی فتوی إمام مذهبهم زید، بل المعلوم خلافه، فإنّ الفقه المعروف بالفقه الزیدی إنّما وصل إلی ما وصل من السعة نتیجة جهد هوَلاء الفقهاء الکبار، فهذا الفقه عطاء بحوثهم الشخصیة التی لیس لها صلة بزید.

ویوَید ذلک: إنّ المذهب الزیدی یحرم التقلید علی کل متمکن من أخذ الحکم من کتاب اللّه وسنة رسول اللّه ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ أو غیرهما من الاَدلّة الشرعیة، ولا یبیحه فی الفروع إلاّ لغیر المتمکن من الاجتهاد، لقوله تعالی": فَاسألُوا أهلَ الذِّکْرِ إنْ کُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون ("النحل ـ ۴۳) (۱)

فإذا کان الاَمر کذلک فالعطاء الموجود فی الفقه الزیدی وأُصوله یرجع إلی رجال المذهب الزیدی علی اختلاف طبقاتهم، وهم بین إمام فی المذهب کالاِمام القاسم بن إبراهیم المتوفی عام ۲۴۲ هـ وحفیده الاِمام الهادی یحیی بن الحسین المتوفی عام ۲۹۸هـ والاِمام الناصر الاَطروش الحسن بن علی المتوفی عام ۳۰۴هـ

(۱) علی بن عبد الکریم الفضیل شرف الدین: الزیدیة نظریة وتطبیق: ۱۱.

(۴۶۰)

إلی مخرّج للمذهب وهم الذین استخرجوا من کلام الاَئمة أو احتجاجاتهم أحکاماً لاتتعارض مع الکتاب والسنة ومن رجال هذه الطبقة:

۱ ـ العلاّمة محمد بن منصور المردی المتوفی حوالی عام ۲۹۰هـ

۲ـ العلاّمة أبو العباس أحمد بن إبراهیم المتوفی سنة ۳۵۳هـ

۳ـ العلاّمة أحمد بن الحسین بن هارون الحسنی المتوفی عام ۴۱۶هـ

۴ـ العلامة أبو طالب یحیی بن الحسین بن هرون الحسنی المتوفی سنة ۴۲۴هـ

إلی محصّل، وهم الذین اهتموا بتحصیل أقوال الاَئمة وما استخرج منها، ونقلوها إلی تلامذتهم بطریق الروایة أو المناولة لموَلفاتهم، منهم:

العلاّمة القاضی زید بن محمد الکلاوی الجیلی الملقب بحافظ أقوال العترة.

وسیأتی تفصیل طبقات رجال المذهب الزیدی فی خاتمة المطاف ضمن الاَمر الثامن (۱)

فإذا کان المذهب الزیدی قد نضج فی هذه الاَعصار وتبلور فی ظل جهود هوَلاء الفطاحل الاَعلام، فهو عطاء علمائهم ومفکّریهم فی الکتاب والسنّة وسائر القواعد الاجتهادیة، ولا یمت إلی إمامهم زید بصلة.

فعلى ذلك، فإنّ هؤلاء فى فقههم قبل كونهم زيديين، رسّيون، انتساباً إلى الإمام الاَوّل القاسم بن إبراهيم، وهادويون انتساباً إلى الإمام الثانى يحيى بن الحسين، أو ناصريّون انتساباً إلى الإمام الناصر الاَطروش الحسن بن على.

وممن يدعم تلك الفكرة عالم اليمن الحالى السيد مجد الدين المؤيدى فى تقديمه على كتاب «الزيدية نظرية وتطبيق» يقول: فأمّا المذهب الفقهى المعروف المتداول بين أهل الفقه فى اليمن فليس المراد به المذهب الزيدى كما يتوهم ولا مذهب جملة أهل البيت، بل المراد به فى الاَصل كما نص عليه الاَعلام المحقّقون قواعد وأُصول أخذوها من أقوال الإمام القاسم بن إبراهيم وأولاده وحفيده الهادى________________

(۱) لاحظ ص ۵۲۴.

(۴۶۱)

إلى الحقّ وولديه المرتضى والناصر عليهم السلام نصاً أو تخريجاً، ثم توسعوا فى ذلك فصاروا يذهّبون على ما ترجح عندهم على مقتضى تلك القواعد وإن خالف نصّ الإمام الهادى إلى الحقّ ــ عليه السلام ، ــ الذى هو إمام المذهب على التحقيق فضلاً عن غيره، ولهذا رجّح كثير من الاَئمة الاَعلام للمتابع أن يأخذ بالنص ويترك التخريج المخالف له ومنهم الإمام المجدد للدين المنصور باللّه القاسم بن محمد فإنّه ضعف التخاريج غاية التضعيف وبسط القول فى ذلك بما فيه الكفاية فى كتابه الإرشاد وكذا غيره من الاَئمة ــ عليهم السلام (ــ ۱)

والذى يثبت أنّ المذهب الزيدى حصيلة التفكير الحرّ فى الكتاب والسنّة ولايمت إلى الإمام زيد، هو وجود الاجتهاد وعدم غلق بابه خلال العصور المتقدمة، من دون أن يتخذوا آراء الإمام الواحد حقاً غير قابل للخدش كما عليه الاَحناف والشوافع والحنابلة والمالكية.

يقول الفضيل شرف الدين: العلم المميز للمذهب الزيدى على امتداد التاريخ الإسلامى هو التجديد المستمر دون التقيد باجتهاد فرد واحد من أئمته أو علمائه أو التمحور الفكرى حول ما توصلوا إليه من اجتهادات. فإنّ المطّلع المتتبع لتاريخ الفكر الزيدى يعلم بأنّه بقى منفتحاً على جميع المذاهب الإسلامية المعتبرة يأخذ منها ماله أساس ومستند من كتاب اللّه والصحيح من سنّة رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ دونما تعصب، أو جمود، أو انغلاق، بل أنّ من قواعد المذهب عدم جواز التقليد عند المتمكنين من العلماء القادرين على استنباط الاَحكام من الكتاب والسنّة. وبذلك بقى المذهب وعلماؤه روّاد تجديد وإصلاح يعملون لإيجاد حلول لمختلف قضايا الحياة المتجدّدة فى كل العصور إيماناً منهم بأنّ الدين الإسلامى الحنيف الذى أُنزل على خاتم الاَنبياء ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ليبلّغه إلى البشرية جمعاء هذا الدين قد________________

(۱) تقديم السيد مجد الدين على كتاب الزيدية نظرية وتطبيق |و ـ ز .

(۴۶۲)

جاء واسعاً رحباً ليستوعب مختلف قضايا البشرية فى مختلف المجتمعات والعصور ويضع لها الحلول الإيجابية الناجعة، وإلاّ لما كان القرآن آخر الكتب السماوية المنزلة، ولما كان محمد خاتم الرسل والاَنبياء وآخرهم حتى قيام الساعة (۱)

فإذا كان هذا هو الطابع الاَوّل للمذهب الزيدى فمن المستحيل نسبه إلى الإمام الثائر زيد الشهيد الذى لم ترث منه الزيدية إلاّ بضع أحاديث من غير تحليل.

والكلام الحقّ إنّ الزيدى عبارة عن من يقول بالعدل والتوحيد وإمامة زيد ابن على بعد الاَئمة، الثلاثة على والسبطين ــ عليهم السلام ــ ووجوب الخروج على الظلمة، واستحقاق الإمامة بالفضل والطلب، هذا هو العنصر المقوم فى كون الرجل زيدياً، وأما سوى ذلك مما يوجد فى كتبهم فهو عطاء علمائهم المفكرين طيلة القرون.

وهناك من أعلام الزيدية من يصرّ على خلاف تلك النظرية، فيرى أنّ إطلاق اسم الزيدية على أتباع الإمام زيد يرجع إليه مستدلاً بقول الإمام محمد بن عبد اللّه النفس الزكية: «أما واللّه لقد أحيا زيد بن على ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عموداً إذا اعوجّ ولم

نحو إلاّ أثره ولم نقتبس إلاّ من نوره» (۲)

يلاحظ عليه: أنّ النص لا يـدلّ على وجود التسـمية، كما لا يدل على أنّ هناك منهجاً كلامياً أو فقهياً لزيد الثائر، وإنّما يدلّ على اتباع أثره فى أصل واحد وهو الثورة على الظالمين لإِحياء ما اندثر من السـنن، ونحن بدورنا نجلّ زيد الشـهيد عن أن يفرق وحدة المسلمين وبالأَخص شـيعة جـده أمير المؤمنين ويقسـمهم إلى زيـدى وغير زيـدى فيوسع الصدع بدل رأبه، قال سـبحانه": قُلْ هُوَ القَادِرُ على أن

(۱) الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق|أ.

(۲) تقديم السيد مجد الدين على كتاب الزيدية نظرية وتطبيق|د.

(۴۶۳)

يَبعَثَ عَلَيكُمْ عَذاباً مِن فَوْقِكُم أوْ مِنَ تَحتِ أرْجُلِكُمْ أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيـاتِ لَعَلّهُمْ يَفْقَهُون ("الاَنعام ـ ۶۵) .

وفى نهاية المطاف إنّى أُرجح قول من يقول إنّ هذه النسبة لم يطلقها الاِمام زيد على أتباعه ولا أطلقها فى البداية أتباعه على أنفسهم، ولما جاء الثائرون بعـد زيد، ناهجين منهجه، صارت اللفظة إشارة لمن يسـلك مسـلكه فى مجال الخروج على الظلمة وإنقاذ المسـلمين من كابوس الأُمويين أو العباسـيين، من دون أن يكون فيه دلالـة على مـذهب كلامى أو فقهى. وعلى ذلك فالزيدية شـعار حرية وعزة وكرامـة، وجهـاد وتضـحية فى سبيل اللّه وليس شـعاراً لمـذهب خاص سوى ما عرفت من الاِيمان بإمامـة الاِمام على وسـبطيه ــ عليهم السلام. * * * ــ

الفصل التاسع فى عقائد الزيدية

الفصل التاسع فى عقائد الزيدية قد ساقنا الغور فى حياة زيد الثائر الشهيد، إلى الحكم بأنّه لم يكن صاحب منهج كلامى، ولا فقهىّ فلو كان يقول بالعـدل والتوحيد، ويكافح الجبر والتشبيه، فلاَجل أنّه ورثهما عن أبيه وجده عن على ــ عليهم السـلام ــ وإن كان يفتى فى مورد أو موارد فقـد كان يصـدر عن الحديث الذى يرويه عن الرسول الاَعظم عن طريق آبائه الطاهرين وهذا المقدار من المؤهلات لا يصيّر الاِنسان، من أصحاب المناهج فى علمى الكلام والفقه.

نعم جـاء بعـد زيـد، مفكرون وعـاة، وهم بين دعـاة للمـذهب، أو بنـاة للدولـة فى اليمن وطبرسـتان، فسـاهموا فى إرساء مـذهب باسـم المذهب الزيدىّ، متفتحين فى الأُصول والعقائد مع المعتزلة، وفى الفقه وكيفية الاستنباط مع الحنفية، ولكن الصلة بين ما كان عليه زيد الشهيد فى الأُصول والفروع وما أرسوه هوَلاء فى مجالى العقيدة والشريعة منقطعة إلاّ فى القليل منهما.

أين زيـد ربيب البيت العلوىّ، من القول بالأُصول الخمسـة التى تبناهـا واصـل بن عطـاء وعمرو بن عبيـد، ومن جاء بعـدهما من أعلام المعتزلة، حتى صارت مندسّة فى مذهب الزيدية، بلا زيادة ونقيصة إلى يومنا هذا؟

أين زيد الذى انتهل من المعين العذب العلوىّ الذى رفض العمل بالقياس والاسـتحسان، من القول بأنّهما من مصادر التشريع الاِسلامى كما عليه المذهب

(۴۶۶)

الفقهى للزيدية؟

ومن ألمّ بحيـاة أئمـة أهـل البيت ابتـداءً بالاِمام على ــ عليه السـلام ــ وانتهاءً إلى حياة الاَئمـة كالصادقين والكاظم والرضا، يقف على أنهم ــ عليهم السـلام ــ فى منتأى من القول بهـذا وذاك، كيف وكـان النزاع بينهم وبين مشايـخ المعتزلـة قائمـاً على قـدم وساق وقد حفظت كتب الحـديث والسـير، لفيفاً منها، وكان الرفض للقياس والاسـتحسان والظنون التى ما أُنزل بها من سـلطان، شـعار مذهبهم، به

كانوا يُعرفون وبه كانوا يمُيزون لكن ـ للأسف ـ نجد دخول هذه العناصر فی مذهب الزيدية الذی ينتمی إلی أئمة أهل البيت، علیّ ــ عليه السلام ــ ومن بعده.

اتفقت الاُمّة الإِسلامية ولا ـ سيما الإِمامية والزيدية علی أنّ الرسول أوصی بالتمسک بالثقلين وأنّه لا يعدل بهما إلی غيرهما، وشبّه الرسول الأعظم ــ صلی الله عليه وآله وسلم ــ أهل بيته بسفينة وقال: «مثل أهل بيتی كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». وبالتالی أمر بركوبها فی تمام الطريق، ولايشک أحد فی أنّ الباقرين والكاظمين من أئمة أهل البيت، ومع ذلک فقد فارقت الزيدية هوَلاء فی حياتهم العلمية والعملية وبالتالی اقتدوا ببعض الأئمة دون البعض الآخر، وركبوا السفينة فی بعض الطريق لا فی جميعها وصار هذا وذاک سبباً لحدوث شقة كبيرة بين المذهب الزيدی، وماكان عليه متأخرو أئمة أهل البيت الذی وعاه عنهم شيعتهم من عصر الإِمام علی إلی آخر الأئمة الاثنی عشر ــ عليهم السلام، ــ واشتهر باسم المذهب الإِمامی.

ولا أُغالی إذا قلت: إنّ المذهب الزيدی مذهب ممزوج ومنتزع من مذاهب مختلفة فی مجالی العقيدة والشريعة ساقتهم إلی ذلک، الظروف السائدة عليهم وصار مطبوعاً بطابع مذهب زيد، و إن لم يكن له صلة بزيد إلاّ فی القسم القليل.

ومن ثم التقت الزيدية فی العدل والتوحيد، مع شيعة أهل البيت جميعاً، إذ

(۴۶۷)

شعارهم فی جميع الظروف والأدوار، رفض الجبر، والتشبيه، والجميع فی التديّن بذينک الأصلين عيال علی الإِمام علی بن أبی طالب ــ عليه السلام.ــ

كما أنّهم التقوا فی الاُصول الثلاثة:

۱ ـ الوعد والوعيد.

۲ ـ المنزلة بين المنزلتين.

۳ ـ الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر.

مع المعتزلة حيث أدخلوا هذه الاُصول فی مذهبهم، وحكموا بخلود مرتكب الكبيرة فی النار إذا مات بلا توبة، وحرمانه من الشفاعة لأنّها للعدول دون الفساق، فهی إذاً بمعنی ترفيع الدرجة لا الحط من الذنوب كل ذلک أخذاً بالأصل الأوّل، كما جعلوا الفاسق، فی منزلة بين المنزلتين فهو عندهم لا ـ موَمن ولا ـ كافر بل هو فاسق، أخذاً بالأصل الثانی، ولكنّهم تخبّطوا فی الأصل الثالث وزعموا أنّه أصل مختص بالمعتزلة والزيدية، مع أنّ الإِمامية يشاركونهم فی هذه الاُصول عند اجتماع الشرائط، أی وجود دولة إسلامية يرأسها الإِمام المعصوم أو النائب عنه بإسم الفقيه العادل.

إنّ الزيدية التقت فی القول بحجّية القياس والاستحسان والإجماع بما هو هو، دون كونه كاشفاً عن قول المعصوم، وحجية قول الصحابی وفعله، مع أهل السنّة ولذلک صاروا أكثر فرق الشيعة اعتدالاً ـ عند أهل السنّة ـ وميلاً إلی التفتح معهم.

ولكنّ العلامة الفارقة والنقطة الشاخصة التی تميز هذا المذهب عما سواه من المذاهب، ويسوقهم إلی التفتح مع الإِمامية والإِسماعيلية هو القول بإمامة علی والحسنين بالنص الجلی أو الخفی عن النبی الأكرم ــ صلی الله عليه وآله وسلم ــ

(۴۶۸)

والقول بأنّ تقدم غيرهم عليهم كان خطأ وباطلاً.

هذا هو واقع المذاهب، وعموده الفقری، فقد أخذوا من كل مذهب ضغثاً.

نعم كانت عناية مشايخ الزيدية فی العصور الأوّلية، بالنقل عن الصادقين والأخذ بقولهما أكثر من الذين جاءوا بعدهم. وهذا أحمد بن عيسی بن زيد، موَلف الأمالی فقد أكثر فيها النقل عنهما وعن غيرهما من أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، ولكن أين هو من البحر الزخار لابن المرتضی (۷۶۴ ـ ۸۴۰هـ) أو سبل السلام للأمير محمد بن إسماعيل الأمير اليمنی الصنعانی (۱۰۵۹ ـ ۱۱۸۲هـ) أو الروض

النضير للسباعى، أو نيل الَاوطار فى شرح منتقى الَاخبار للشوكانى (۱۱۷۳ ـ ۱۲۵۰هـ) ، فإنهم لايصدرون فى عامة المسائل إلاّ ما شذ، إلاّ عما يصدر عنه فقهاء أهل السنة، فالمصادر الحديثية هى الصحاح والمسانيد، والحجج الفقهية بعد الكتاب والسنّة، هى القياس والاستحسان، وكأنّه لم يكن هنا باقر ولا صادق، ولاكاظم ولا رضا ــ عليهم السلام ــ ونسوا وتناسوا مقاماتهم وعلومهم.

نحن نأتى فى هذه العجالة بأُصول عقائدهم مستندين إلى ما ألفه الاِمام المرتضى فى مقدمة البحر الزخار، مقتصرين على الروَوس دون الشعب المتفرقة منها. وفى هذه القائمة لعقائدهم يتجلى مدى انتمائهم، للمعتزلة أو للسنّة والشيعة، والنص لابن المرتضى بتلخيص منّا.

۱ ـ صفاته عين ذاته، ويستحق بها صفاته لذاته لا لمعان (زائدة) خلافاً للَاشعرية حيث يقول: «لمعان قديمة بذاته ليست إياه ولا بعضه ولا غيره».

وقد أشار بذلك إلى المعانى الزائدة التى أثبتها الَاشعرى وهى ثمانية مجموعة فى قول بعضهم:

حياة، وعلم، وقدرة، وإرادة * كلام وإبصار وسمع مع البقاء

۲ ـ لا يُرى سبحانه، ولا يجوز عليه الروَية وإلاّ لرأيناه الآن لارتفاع الموانع

(۴۶۹)

الثمانية (۱). ولا اختص بجهة يتصل بها الشعاع.

۳ ـ ليس بذى ماهية: وعليه المعتزلة والزيدية وأكثر الخوارج والمرجئة.

۴ ـ حسن الَاشياء وقبحها عقليان، وأكثر الزيدية على أنّه يقبح الشىء لوقوعه على وجه من كونه ظلماً أو كذباً أو مفسدة إذ متى علمناه كذلك، علمنا قبحه.

۵ ـ مريد بإرادة حادثة: هو سبحانه مريد بإرادة حادثة. خلافاً للكلابية والَاشعرية حيث قالوا بإرادة قديمة، وقالت النجارية بإرادة نفس ذاته، قلنا: إذاً للزم إيجاده جميع المرادات، إذ لا اختصاص لذاته ببعضها.

۶ ـ متكلم بكلام: وكلام اللّه تعالى فعله الحروف والَاصوات.

۷ ـ فعل العبد غير مخلوق فيه: وخالفت الجهمية وجعلت نسبته إلى العبد مجازاً كطال وقصر.

وقالت النجارية والكلابية وضرار، وحفص: خلق للّه وكسب للعبد، لنا وقوعه بحسب دواعيه وانتفاوَه بحسب كراهيته مستمراً بذلك يعلم تأثير الموَثر (العبد) سلمنا لزوم سقوط حسن المدح والذم، وسبّه لنفسه، تعالى اللّه عن ذلك.

۸ ـ تكليف ما لا يطاق قبيح: وكانت المجبرة لا تلتزمه حتى صرح الَاشعرى بجوازه، لنا تكليف الضرير بنقط المصحف ومن لا جناح له بالطيران، معلوم قبحه ضرورة وقوله تعالى": إلاّ وسعها ."

۹ ـ المعاصى ليس بقضاء اللّه.

۱۰ ـ لا يطلق على اللّه أنّه يضل الخلق.

۱۱ ـ الوعد والوعيد: وهو أصل فى كلام المعتزلة والزيدية وقد عقد ابن المرتضى باباً وفرع عليه فروعاً والغاية المتوخاة منها، الحكم بخلود المسلم الفاسق فى النار، وإن شئت قلت: خلود مرتكب الكبيرة الذى مات بلا توبة فيها

(۱) أشار فى التعليقة إلى الموانع الثمانية فلاحظ.

(۴۷۰)

ولم أعثر على نصّ فى كلام ابن المرتضى، ولكن صرّح به غير واحد من علمائهم ونأتى بنص العالم المعاصر الزيدى فى كتابه «الزيدية نظرية وتطبيق» قال:

أمّا الزيدية وسائر العدلية فقالوا: من مات موَمناً فهو من أصحاب الجنّة خالداً فيها أبداً، ومن مات كافراً أو عاصياً لم يتب فهو من أصحاب السعير خالداً فيها أبداً لقوله تعالى": ومَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها أبَداً ("الجن ـ ۲۳) وقوله": وإنّ

الفُجّارَ لَفِي جَحِيم* يَصْلَوْنَها يَومَ الـدِّين وَما هُمْ عَنْها بِغائِبينَ ("الانفطار ـ ۱۶) وقوله تعالى": بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وأحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدونَ ("البقرة ـ ۸۱) (۱)

۱۳ ـ مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر: بل فاسق وفى منزلـة بين المنزلتين وهـذا أحـد أُصول المعتزلة لكن الزيدية أدخلوه فى الاَصل السابق الوعد والوعيد، قال ابن المرتضى:

والفاسق (مرتكب الكبيرة) ليس بكافر، خلافاً للخوارج، ولا مؤمن خلافاً للمرجئة إذ هو مدح والفسق ذم فلا يجتمعان (۲)

۱۴ ـ الإمامة تجب شرعاً لا عقلاً وعليه إجماع الصحابة.

۱۵ ـ النص على إمامة عليّ والحسنين: الاَشعرية: لم ينص ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على إمام بعده، وقالت الزيدية: بل نصّ على عليّ والحسنين (۳)وقالت البكرية على أبى بكر.

۱۶ ـ عقد الإمامة: وتعقد الإمامة بالدعوة مع الكمال ولا تنعقد بالغلبة________________

(۱) على بن عبـد الكريم: الزيدية نظرية وتطبيق: ۷۶ وقـد أوضـحنا عدم دلالة الآيات على مايرونه فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة عند البحث عن هذا الاَصل عند المعتزلة فلاحظ.

(۲) عزب عن المرتضـى إنّما لا يجوز الجمع بين المـدح والـذم إذا كان المبـدأ واحداً أى إذا ذمّ ومدح لاَجل ملاك واحد. دونما إذا كان المبدأ مختلفاً والحيثيات، متعددة فهو من حيث إيمانه فى القلب ممدوح ومن حيث اقترافه المعصية مذموم.

(۳) وقـال محقق الكتاب: ومنها قوله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم: «ـ الحسن والحسـين إمامان قاما أو قعـدا وأبوهما خير منهما » رواه الاَمير الحسين فى كتاب الشفا ورواه الاَمير الحسن بن بدر الدين فى العقد الثمين.

(۴۷۱)

خلاف الحشوية.

وأوضـحه المحقّق فى هامش الكتاب وقال مع عـدم المنازع فيفوز بـذلك أو بأن تحصل له البيعة من الاَكثرية مع وجود المنازع، وكل ذلك بعد سبق ترشيحه من ذوى الحل والعقد لمعرفة حصوله على الشروط المؤهلة له.

۱۷ ـ معـدن الإمامـة البطنان: الزيديـة: على أنّ معدن الإمامة البطنان، للإجماع على صـحتهما ولا دليل على غيرهما، وقالت الإمامية: بل أولاد الحسين وقالت الاَشعرية بل قريش.

۱۸ ـ الإمامان فى زمان واحـد: أكثر الزيديـة لا يصـلح إمامان فى زمان فقالت الكراميـة والزيديـة: يصـح، لنا إجماع الصـحابة بعـد قول الاَنصار: منّا أمير ومنكم أمير وإذا عقد لإثنين فى وقت واحد بطلا ويستأنف كنكاح وليّين.

۱۹ ـ ومن اعتبر العقـد: كفى بيعه واحـد برضا أربعـة من أهل الحل والعقد وقال أبو القاسم البلخى: يكفى واحد وإن لم يرض غيره، لنا لم يعقد عمر و أبو عبيدة لاَبى بكر إلاّ برضا سالم وبشير وأُسيد وبايع عبد الرحمن عثمان، برضا الباقين (۱).

۲۰ ـ الإمام بعد الرسول عليّ، ثم الحسن ثم الحسين ـ عليهم السلام ـ للاَخبار المشهورة.

۲۱ ـ القضاء فى فدك صحيح خلافاً للإمامية وبعض الزيدية. لنا: لو كان باطلاً لنقضه على ولو كان ظلماً لاَنكره بنو هاشم والمسلمون. (۲)

۲۲ ـ خطأ المتقدمين على عليّ فى الخلافة قطعى، لمخالفتهم، ولا يقطع________________

(۱) أُنظر كيف يستدل بفعل من ترك وصية الرسول حسب اعترافه على مسألة أُصولية.

(۲) ولعله لم يبلغه قول على ـ عليه السـلام ـ فى فدك: «نعم قد كانت فى أيدينا فدك من كل ما أظلته السـماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسـخت عليها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم اللّه» كما تبلغه خطبـة الصديقـة الطاهرة حول فـدك التى كان بنو هاشم يحفظونها ويعلّمونها أولادهم.

(۴۷۲)

لفسقهم إذ لم يفعلوه تمرداً بل لشبهة فلا تمنع الترضية عليهم لتقدم القطع بإيمانهم فلا يبطل بالشك فيه.

۲۳ ـ خطأ طلحة والزبير وعائشة قطعى لبغيهم على إمام الحقّ.

۲۴ ـ توبة الناكثين: الاَكثر أنّه قد صحت توبتهم، وقالت الاِمامية وبعض الزيدية: لا.

۲۵ ـ الاَكثر أنّ معاوية فاسق لبغيه، لم تثبت توبته فيجب التبرّى منه.

۲۶ ـ يجب الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر: بالقول والسيف مع اجتماع الشروط قالت الحشوية: لا وقالت الاِمامية: بشرط وجود الاِمام لنا": وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمّة ("آل عمران ـ ۱۰۴") فَقاتِلُوا الَّتى تَبْغِى ("الحجرات ـ ۱۰") .

هذه روَوس عقائد الزيدية استخرجناها من كتاب القلائد فى تصحيح الاعتقاد، المطبوع فى مقدمة البحر الزخار ص ۵۲ ـ ۹۶ والموَلف ممن يشار إليه بين علماء الزيدية، وهو موَلف البحر الزخار، ومن أحد أئمة الفقه والاجتهاد فى القرن التاسع.

* * *

النص بالجلى أو الخفى على إمامة على ـــ عليه السلام :ـــ

إنّ كتب تاريخ العقائد طفحت بهذا العنوان، فمثلاً نقلوا بأنّ الجارودية ذهبت إلى أنّ النبى ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ نصّ على إمامة علىّ بالوصف دون النص (۱) ومعنى هذا أنّ النبى الاَكرم ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ قد بيّن الملامح العامة للاِمام، وكان على ـــ عليه السلام ـــ هو المصداق الوحيد لهذه الملامح______________.

(۱) الاَشعرى: مقالات الاِسلاميين: ۶۷، البغدادى: الفرق بين الفرق: ۳۰.

(۴۷۳)

وقال النوبختى عن الجارودية: إنّ النبى ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ نصّ على علىّ ـــ عليه السلام ـــ بالوصف دون التسمية، والناس مقصرون إذا لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف (۱)

وربما يعبرون بأنّ النبى ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ نصّ على ولاية الاِمام نصاً خفياً غير جلى.

هذه الكلمات ونظائرها توجد، فى التعبير عن المذهب الجارودى فى مقام الاِمامة.

وأمّا السليمانية أو الجريرية فأظهروا المرونة أكثر من الجارودية، فقد قالوا: إنّ الاِمامة شورى وأنّها تنعقد بعقد رجلين من خيار الاَُمّة، وأجازوا إجازة المفضول وأثبتوا إمامة أبى بكر وعمر، وزعموا أنّ الاَُمّة تركت الاَصل فى البيعة لها، لاَنّ علياً كان أولى بالاِمامة منهما، إلاّ أنّ الخطأ فى بيعتهما لم يوجب كفراً ولافسقاً(۲).

والذى أظن ـ وظنّ الاَلمعى صواب ـ أنّ النظرتين قد صدرتا تقية وصيانة لوجودهم بين أهل السنّة. ومع أنّ الزيدية يرفضون التقية كما سيوافيك، ولكنّهم عملوا بها حيث لا يشاوَون، فإنّهم قد عاشروا أهل السنّة فى بيئة واحدة ومجتمع واحد تربطهم أحكام واحدة، حيث رأوا أنّ التعبير عن واقع المذهب أى وجود النصّ على الاسم وإن شئت قلت: وجود النصّ الصريح يستلزم تفسيق الصحابة، وهذا لا يتلائم وطبيعة حياتهم، فلذلك جعلوا من هذا التعبير واجهة لعقيدتهم الواقعية فجمعوا ـ حسب زعمهم ـ بين العقيدة والهدف فى الحياة. كيف وأئمة أهل البيت ـــ عليهم السلام ـــ عن بكرة أبيهم يرون النصّ على خلافة على ـ عليه السلام ـ وهذا المميز لشيعة أئمة أهل البيت عن غيرهم. والذى يميز الشيعة عن غيرهم من الفرق هو هذا العنصر فقط، وما سوى ذلك عقائد كلامية مستخرجة

---

(۱) النوبختى: فرق الشيعة: ۷۴.

(۲) الاَشعرى: مقالات الاِسلاميين: ۶۸، البغدادى: الفرق بين الفرق: ۳۲.

(۴۷۴)

من الكتاب والسنّة.

فإن كان ما ذكرناه مقبولاً ـ لدى القارئَ وإلاّ فإنّ هذا النوع من التفكير تطرّق إلى المذهب الزيدى فى العصور السابقة عن طريق معاشرتهم مع معتزلة بغداد، الذين قالوا بأفضلية الإمام على ـ عليه السلام ـ وجواز تقديم المفضول على الفاضل.وقد مرّ تحقيق القول فى ترجمة حمزة بن عبد اللّه فلاحظ. (۴۷۵) العقد الثمين فى معرفة ربّ العالمين تأليف الاَمير الحسين بن بدر الدين محمد (۵۸۲ ـ ۶۶۲) بعد أن أخرجت عقائد الزيدية من كتاب البحر الزخار، وقفت على رسالة مختصرة باسم العقد الثمين فى معرفة ربّ العالمين لموَلّفه العلامة الاَمير الحسين بن بدر الدين محمد المطبوع باليمن، نشرته دار التراث اليمنى صنعاء، و مكتبة التراث الإسلامى بصعده وهى من أوائل الكتب الدراسية فى حقل أُصول الدين والموَلّف من أجلّ علماء الزيدية، وأكثرهم تأليفاً وتعد كتبه من أهم الاَصول التى يعتمد عليها علماء الزيدية ويدرسونها كمناهج (۱)وإليك نصها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه المختصّ بصفات الإلهية والقدم، المتعالى عن الحدوث والعدم، الذى لم يسبقه وقت ولا زمان، ولاتحويه جهة ولا مكان، جلّ سبحانه. دلّ على ذاته بما ابتدعه من غرائب مصنوعاته، وعجائب مخلوقاته، حتى نطق صامتها بالإقرار بربوبيته بغير مَذْوَد، وبرز مجادلاً لكل من عطّل وألحد.

وصلواته وسلامه على سيدنا محمد الذى هو بالمعجزات موَيد، وفى المرسلين مرَجّب ومسوّد، وعلى آله الغرّ الهداة، والولاة على جميع الولاة، وعلى_______________

(۱) إقرأ ترجمته فى: تاريخ اليمن الفكرى: ۳|۲۸۹ و ۳۰۸، والاعلام: ۲|۲۵۵، التحف شرح الزلف: ۱۷۸.

(۴۷۶)

صحابته المكرّمين الموَيدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: التوحيد [الدلالة على أن اللّه تعالى خالق العالم]

أيّها الطالب للرشاد، والهارب بنفسه عن هُوّة الإلحاد.

فإذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربى اللّه.

فإن قيل لك: بم عرفت ذلك؟

فقل: لاَنّه خلقنى، ومن خلق شيئاً فهو ربّه.

فإن قيل لك: بمَ عرفت أنّه خلقك؟

قل: لاَنّى لم أكن شيئاً ثم صرتُ شيئاً، ولم أكن قادراً ثم صرت قادراً، و [كنت] صغيراً ثم صرت كبيراً، ولم أكن عاقلاً ثم صرت عاقلاً، وشاهدت الاَشياء تحدث بعد أن لم تكن؛ فرأيت الولد يخرج ولا يعلم شيئاً، ثم يصير رضيعاً، ثم طفلاً، ثم غُلاماً، ثم بالغاً، ثم شاباً، ثم كهلاً، ثم شيخاً. ثم رأيت نحو ذلك من هبوب الرياح بعد أن لم تكن، وسكونها بعد هبوبها، وطلوع الكواكب بعد أُفولها، وأفولها بعد طلوعها، وظهور السحاب وزواله، وكذلك المطر والنبات والثمار المختلفات. وكل ذلك دلائل الحدوث.

وإذا كانت محدَثة فلا بد لها من محدِث، لاَنّها قد اشتركت فى الجسميّة، ثم افترقت هيئاتها وصورها؛ فننظر سماءً، وأرضاً، وثماراً، وأشجاراً، وآباراً، وبحوراً، وأنهاراً، وإناثاً، وذكوراً، وأحياءً، وأمواتاً، وجمعاً، وأشتاتاً.

(۴۷۷)

وكذلك ننظر إلى الاَعراض الضروريات المعلومات، فإنّها اشتركت فى كونها أعراضاً، ثم افترقت وانقسمت بين شهوةٍ ونفرةٍ، وحياةٍ وقدرةٍ، ويبوسةٍ ورطوبة، وطُعومٍ مكروهة ومحبوبة، وروائح شتى، وحرّ وبرد، ووجاء وفناء، وألوان متضادّة على المحل، وموت يقطع

الرزق والأمل.

فنعرف أنّه لابد من مخالف خالف بينها، وأحدث ماشاهدنا حدوثه منها، وأنّه غيرٌ لها، لأنّها لاتُحدِث نفسها، إذ الشيء لايُحدثُ نفسه، لأنّه يُؤدّى إلى أن يكون قَبلَ نفسه، وغيراً لها، وكذلك لاتصوّر أنفسها، ولاتخالف بين هيئتها، ولايقع ذلك بشىء مما يقوله الجاهلون، من طبع أو مادّة، أو فلك، أو نجم، أو علّة، أو عقل، أو روح، أو نفس، أو غير ذلك مما يقولونه؛ لأنّ ذلك إن كان من قبيل الموجبات لم تخلُ: أن تكون موجودة، أو معدومة. والموجودة لا تخل: أن تكون قديمة، أو محدثة. ولايجوز ثبوت ذلك لعلّة قديمة ولامعدومة، لأنّه لو كان كما زعموا لكان يلزم وجود العالم بما فيه فى الأزل، واستغناوَه عن تلك العلل.

ولا يجوز أن يكون ثبوت ذلك لعلّة محدثة، لأنّها لاتخلو: إمّا أن تكون مماثلة لما تقدم [منها]، أو مخالفة [له]، إن كانت مماثلة وجب أن يكون معلولها متماثلاً، وفى علمنا باختلاف ذلك العالم دلالة على بطلان القول بأنّه عن علة مماثلة أو علل متماثلات.

ولا يجوز أن يكون لعلة مخالفة، ولا علل مخالفة، لأنّها حينئذ تكون قد شاركت العالم فى الاختلاف؛ الذى لأجله احتاج إليها، فيدور الكلام إلى ما لا يعقل ولا ينحصر من العلل.

فيجب الاقتصار على المحقّق المعلوم، والقضاء بأنّ الذى أحدثها وصوّرها، وخالف بينها هو الفاعل المختار، وهو الحىّ القيوم.

(۴۷۸)

فصل [فى أنّ اللّه تعالى قادر]

فإن قيل: ربّك قادر، أم غير قادر؟

فقل: بل هو قادر؛ لأنّه أوجد هذه الأفعال التى هى العالم، والفعل لا يصح إلاّ من قادر.

أوجده تعالى لا بمماسّة، ولا بآلة": إنَّما أَمْرُهُ إِذَا أَرادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ["يس: ۸۲].

فصل [فى أنّ اللّه تعالى عالم]

فإنّ قيل: أربك عالم، أم غير عالم؟

فقل: بل هو عالم، وبرهان ذلك ما نشاهده فيما خلقه من بدائع الحكمة، وغرائب الصنعة؛ فإنّ فيها من الإحكام والترتيب، ما يعجز عن وصفه اللبيب، [وكل ذلك لا يصح إلاّ من عالم، كما أنّ الكتابة المحكمة لا تصح إلاّ من عالم بها، وهو تعالى لا يختص بمعلوم دون معلوم، فيجب أن يعلم جميع المعلومات، على كل الوجوه التى يصح أن تعلم عليها.

وهو سبحانه يعلم ما أجنّه الليل، وأضاء عليه النهار، ويعلم عدد قطر الأمطار، ومثاقيل البحار، ويعلم السرّ ـ وهو ما بين اثنين ـ وما هو أخفى ـ وهو ما لم يخرج من بين شفتين" ـ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أكْثَرَ إلاّ هُوَ مَعَهُمْ ["المجادلة: ۷] بعلمه لايلاصقهم، وهو شاخص عنهم ولايفارقهم].

(۴۷۹)

فصل [فى أنّ اللّه تعالى حى]

فإن قيل: أربك حىّ، أم لا ؟

فقل: بل حىٌّ، لأنّه تعالى لو لم يكن حيّاً لم يكن قادراً، ولا عالماً، لأن الميّت والجماد لا يفعلان فعلاً، ولايحدثان صنعاً.

فصل [فى أنّ اللّه تعالى قديم]

فإن قيل: أربّك قديم، أم غير قديم؟

فقل: هو موجود لا أوّل لِوجوده؛ لأنّه لو كان لوجوده أوّلٌ لكان محدَثاً، ولو كان محدثاً لاحتاج إلى محدِث، إلى ما لا يتناهى، وذلك محالٌ، فهو قديم، قادر، حىٌّ، عليم، لم يزل ولا يزال، ولايخرج عن ذلك فى حال من الأحوال، لأنّه لو لم يكن كذلك لم يكن له بدٌّ من فاعل فعله، وجاعلٍ ـ على صفات الكمال ـ جعله، أو يكون لعلّة، وقد ثبت أنّه تعالى قديم؛ فلايصح القول بشىء من ذلك.

فصل [فی أنّ اللّه تعالی سميع بصير]

فإن قيل: أربك سميع بصير؟

فقل: أجل لأنّه حیٌّ كما تقدم، ولايعتريه شیء من الآفات، لأنّ الآفات لاتجوز إلاّ على الأجسام، وهو تعالی ليس بجسم، لأنّ الأجسام محدَثة كما تقدم، وهو تعالی قديم أيضاً.

(۴۸۰)

فصل [فی أنّ اللّه تعالی لايشبه الأشياء]

فإن قيل: أربّك مشبه الأشياء؟

فقل: ربّی لايشبه الأشياء؛ لأنّ الأشياء سواه: جوهرٌ، وعرَضٌ، وجسم. ولايجوز أن يكون جوهراً، ولا عرضاً؛ لأنّهما غير حيّين ولاقادرين، وهو تعالی حیّ قادر، ولأنّهما محدَثان وهو قديم ولا يجوز أن يكون جسماً، لأنّا قد بيّنا أنّه خالق الأجسام، والشیء لايخلق مثله، ولأنّ الجسم مؤلّف مصنوع، يفترق ويجتمع، ويسكن ويتحرّك، ويكون فی الجهات، وتسبقه الأوقات، وكل ذلك شواهد الحدوث، وقد ثبت أنّه تعالی قديم، فلا يجوز أن يكون محدَثاً بل ليس كمثله شیء وهو السميع البصير.

وإذا لم يكن جوهراً ولاجسماً ولاعرضاً لم يوصف بالكيف، ولا ـ الأين، ولا الحيث، ولا البين، ولا الوجه، ولا الجنب، ولا اليدين، لم يقطعه بعد، ولم يسبقه قبل، ولم يجزّئه بعضٌ، ولا جمعه كلٌّ، ليس فی الأرض ولا فی السماء، ولا حلّ فی متحيّز أصلاً، ولا حدّه فوقٌ ولاتحت، ولايمين، ولا شمال، ولا خلفٌ، ولا أمام، ولا يجوز عليه المجیء ولا الذهاب، ولا الهبوط ولا الصعود.

كان قبل خلق العالم ولا ـ مكان، ويكون بعد فناء العالم ولا مكان، وهو خالق المكان مستغن عن المكان، وخالق الزمان فلم يتقدمه زمان، ليس بنور ولا ظلام، لأنّ جميع ما ذكر فان فی القدم.

ولأجل ذلك نقول: إنّه لا ـ يجوز أن يقال: هو طويل، ولا قصير، ولا عريض ولا عميق، ولا شويه ولامليح، ولا أن يقال: هو يسترّ أو يغتمّ، أو يظنّ أو يهتمّ، أو يعزمُ، أو يوَلّم، أو يلتذّ أو يشتهی، أو ينفرُ، لأنّ ذلك كلّه شواهد الوجود بعد العدم، ومنافٍ لما هو عليه من صفات الكمال والعظمة والجلال.

(۴۸۱)

فصل [فی آيات الصفات]

فإن قيل: إنّه قد ذكر فی القرآن": يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ("المائدة: ۶۴) ، وإنّ له جنباً، وعيناً، وأعيناً، ونفساً، وأيدٍ، لقوله": مِمّا عَمِلَتْهُ أَيْدِينا" [يس: ۷۱] ووجهاً.

فقل: يداه نعمتاه، ويَدُهُ قُدْرَتُه، والأيدی هی: القدرة، والقوة أيضاً.

وجنباً فی قوله تعالی": يَاحَسْرَتی عَلَی مَافَرَّطْتُ فِیْ جَنْبِ اللّه ["الزمر: ۵۶]، أی: فی طاعته.

ونفساً فی قوله تعالی": تَعْلَمُ مَا فِیْ نَفْسِی وَلاَ ـ أَعْلَمُ ما فِی نَفْسِكَ ["المائدة: ۱۱۶]، المراد به: تعلم سرّی وغيبی، ولا ـ أعلم سرّك وغيبك.

ووجهه: ذاته، ونفسه: ذاته، وقوله تعالی": فَثَمَّ وَجْهُ اللّه ["البقرة: ۱۱۵]، أی الجهة التی وجّهكم إليها.

وما ذكر من العين والأعين فالمراد به الحفظ والكَلاءة والعلم.

وقوله": اسْتَوی عَلَی العَرْشِ ["الأعراف: ۵۴]، استواه: استيلاوه بالقدرة والسلطان، ليس كمثله شیء، ولا يشبهه ميّت ولا حی.

فصل [فی أنّ اللّه تعالی غنی]

فإن قيل: أربك غنی أم لا ؟

فقل: إنّه غنیٌّ لم يزل ولا ـ يزال، ولا ـ تجوز عليه الحاجة فی حال من الأحوال، لأنّ الحاجة لا ـ تجوز إلاّ ـ على من جازت عليه المنفعة

والمضرة، واللّذة والاَلم، وهذه الاَمور لاتجوز إلاّ على من جازت عليه الشهوة والنفرة، وهما لا يجوزان إلاّ على الاَجسام؛ فيستَرُّ الجسم بإدراك ما يشتهيه ويلتذ به، وينمو ويزداد بتناوله،

(۴۸۲)

ويغتم بإدراك ما ينفر عنه ويتضرر به، وينقص بتناوله. وقد ثبت أنّه تعالى ليس بجسم، بل هو خالق الجسم، فكيف يخلق مثل ذاته، أو تشاركه الاَجسام فى صفاته؟! بل لا يجوز عليه شيء من ذلك.

فصل [فى أنّ اللّه لا يُرى بالاَبصار]

فإن قيل: أربك يرى بالاَبصار، أم لا يرى؟

فقل: هذه مقالة باطلة عند أُولى الاَبصار، لاَنّه لو رئى فى مكان لدل ذلك على حُدُوثه، لاَنّ ما حواه محْدُودٌ محدث.

فإن قيل: إنّه يرى فى غير مكان. فهذا لا يعقل، بل فيه نفى الروية، وقد قال تعالى": لاتُدْرِكُهُ الاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الاَبْصَارَ ["الاَنعام: ۱۰۳]، فنفى نفياً عاماً لجميع المكلفين، و [لجميع] أوقات الدنيا والآخرة.

وقال اللّه تعالى لموسى ـ لما سأله الروية" ـ لَنْ تَرَانِي ["الاَعراف: ۱۴۳]، ولم يسأل موسى ـ عليه السلام ـ الروية لنفسه، بل عن سوَال قومه، كما حكاه اللّه فى قصص قومه": فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوْا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ["النساء: ۱۵۳]، ولو سألها لنفسه لصعق معهم. ولما لم يقع منه خطيئة إلا سوَاله لهم الروية من دون إذن، قال لربه عزّ وجلّ": أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنّا" [الاَعراف: ۱۵۵].

فصل [فى أنّ اللّه تعالى واحد]

فإن قيل: أربّك واحدٌ لا ثانى له، أم لا ؟

فقل: بلى هو واحد لا ثانى له فى الجلال، متفرد هو بصفات الكمال؛ لاَنّه لو

(۴۸۳)

كان معه إله ثان لوجب أن يشاركه فى صفات الكمال على الحد الذى اختصّ بها، ولو كان كذلك لكان على ما قدر قادراً، ولو كان كذلك لجاز عليهما التشاجر والتنازع، ولصح بينهما التعارض والتمانع، ولو قدّرنا هذا الجائز لاَدى إلى اجتماع الضدين من الاَفعال، أو عجز القديم عن المراد، وكل ذلك محال، تعالى عنه ذو الجلال؛ لقوله": لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاّ اللّه لَفَسَدَتا ("الاَنبياء: ۲۲) ، ولقوله عزّ قائلاً": أَم جَعَلُوا للّه شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَىءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ ["الرعد: ۱۶] فتبين أنّ الخلق يشهد بإله واحد، وأنّه ليس هناك خلق ثانٍ يشهد بإله ثان، وهذا واضح؛ فإنّ هذا العالم دليلٌ على إله واحد وهو الذى أرسل الرسل، وأوضح السبُل.

ويَدُل على ذلك قوله عزّ وجلّ": فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إلهَ إلاّ اللّه ["محمد: ۱۹]، وقوله": شَهِدَ اللّه أَنَّهُ لا إلهَ إلاّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوْا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ ["آل عمران: ۱۸]، وقوله": وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌج" البقرة: ۱۶۳]، وقوله": قُلْ هُوَ اللّه أَحَدٌ ["الصمد: ۱]. (العدل) [فصل فى أنّ اللّه تعالى عدل حكيم]

فإن قيل: أربّك عدل حكيم؟

فقل: أجل، فإنّه لا يفعل القبح ولا يُخِلُّ بالواجب من جهة الحكمة، وأفعاله كلّها حسنة.

وإنّما قلنا: إنّه لا يفعل القبيح لاَنّه إنّما يقع ممن جهلَ قُبْحه، أو دعته حاجة إلى فِعْلِه وإن عَلِمَ قبحَه، وهو تعالى عالم بقبح القبائح؛ لاَنّها من جملة المعلومات

(۴۸۴)

وهو عالم بجميعها كما تقدم، وغنىّ عن فعلها كما تقدم أيضاً، وعالم باستغنائه عنها، وكل من كان بهذه الاَوصاف فإنّه لا يفعل

القبيح، ألا ـ ترى أنّ من مُلْكه ألفى ألف قنْطارٍ من الذَّهب؛ فإنّه لا يسرق الدّانق، لعلمه بقبح السرق، وغناه عن أخذ الدانق، وعلمه باستغنائه عنه، وكذلك لو قيل للعاقل: إن صدقت أعطيناك درهماً، وإن كذبت أعطيناك درهماً، فإنّه لا يختار الكذب ـ فى هذه الحال ـ على الصدق، [وهما] على وتيرة واحدة، وطريقة مستمرة، ولاعِلّة لذلك إلّا ما ذكرناه.

فصل [فى أنّ أفعال العباد منهم] (۱)

فإن قيل: هل ربّك خَلَق أفعال العباد؟

فقل: لا ـ يقول ذلك إلّا أهل الضلال والعناد، كيف يأمرهم بفعل ما قد خَلَق وأمضى، أو ينهاهم عن فعل ما قَدْ صَوَّر وقضى، ولأنّ الإنسان يلحقه حكم فعله من المدح والثّناء، والذمّ والاستهزاء، والثواب والجزاء، فكيف يكون ذلك من العلى الأعلى؟! ولأنّه يحصل بحسب قصدِه ودواعيه، وينتفى بحسب كراهته وصرفه على طريقة واحدة، ولأن اللّه تعالى قد أضاف أفعال العباد إليهم، فقال: "يَكْسِبُونَ ، "و" يَمْكُرُونَ ، "و" يَفْعَلُونَ ، "و" يَصْنَعُونَ ، "و" يَكْفُرون ، "و" يَخْلُقُونَ إِفْكاً ، "ونحو ذلك فى القرآن كثير، ولكنّه تعالى أمَرَ تخييراً، ونهى تحذيراً، أَقدَرَهُم على فعل الضِّدين، وهداهم النجدين، ومكّنهم فى الحالين، لم يمنعهم عن فعل المعاصى جبراً، ولا قهرهم على فعل الطاعات قهراً_______________،

(۱) التعبير موهم للتفويض وهنا تفترق الزيدية عن الإمامية، فانّ لأفعال العباد عند الإمامية نسبتين: نسبة إلى اللّه سبحانه، ونسبة إلى العبد، ولأجل وجود النسبة، فأفعالهم منسوبة إليهم بالمباشرة وهم الفاعلون حقيقة، وإلى اللّه سبحانه بنحو من النسب إمّا بالتسبيب، أو اللطف منها، ولأجل ذلك روى عن الأئمة ــ عليهم السلام ــ أنّه: «لا جبر ولاتفويض».

(۴۸۵)

ولو شاء لفعل كما قال عزّ وجلّ": وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ["يونس: ۹۹ج يريد به مشيئة الإجبار لا مشيئة الاختيار، لأنّه لو أكرههم لم يكونوا مكلّفين، ولَبَطل الغرض ببعثة المرسلين.

فصل [فى أنّ اللّه لا يعذب أحداً إلّا بذنبه]

فإن قيل: ربّك يعذب أحداً بغير ذنبه؟

فقل: لا يعذب أحداً إلّا بذنبه؛ لأنّ عقاب من لا ذنب له ظلم، والظلم قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح، وقد قال تعالى": وَلاَتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى ["الأنعام: ۱۶۴].

فصل [فى أنّ اللّه لا يقضى إلّا بالحق] (۱)

فإن قيل: أربك يقضى بغير الحق؟

فقل: كلّا، بل لا يقضى بالكفر والفساد، لما فى ذلك من مخالفة الحكمة والسداد، لقوله تعالى": وَاللّهُ يَقْضِي بِالحقِّ ["غافر: ۲۰]، فلا يجوز القول بأنّ المعاصى بقضاء اللّه تعالى وقَدَره بمعنى الخلق والأمر، لأنّها باطلٌ، ولأنّ إجماع المسلمين منعقدٌ على أنّ الرضى بالمعاصى لا ـ يجوز، وإجماعهم منعقد على أنّ الرضا بقضاء اللّه واجب، ولا ـ مخلص إذاً من ذلك إلّا بالقول بأنّ المعاصى ليست

(۱) العنوان حسن جداً، لكن إخراج المعاصى عن مجال قضائه وإرادته سبحانه يستلزم التفويض الممقوت، فالحق أنّ كل ما يوجد فى الكون من حسن وجميل، وإيمان وكفر، وطاعة وعصيان، ليس خارجاً عن قضائه وعلمه وإرادته لكن على وجه لا يستلزم الجبر ولا يسلب الاختيار. والتفصيل يطلب من محله.

(۴۸۶)

بقضاء اللّه؛ بمعنى أنّه خلقها، ولا ـ أنّه أمر بها، وأمّا أنّه تعالى عالم بها فهو تعالى عالم بها، لأنّها من جملة المعلومات، وعِلْمُه بها لم يحمل العبد على فعلها، ولم يجبره على صنعها كما تقدم.

فصل [فی أنّ اللّه لا يكلف أحداً فوق طاقته]

فإن قيل: هل ربك يُكلّف أحداً فوق طاقته؟

فقل: لا، بل لا يكلف أحداً إلّا ما يطيق؛ لاَنّ تكليف ما لا يطاق قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح، فقد قال تعالى": لَا يُكَلّفُ اللّه ُنَفْساً إلّا وُسْعَهَا ["البقرة: ۲۸۶]، والوسع: دون الطّاقة، وقال": إلاّ مَا آتَاهَا ["الطلاق: ۷].

فصل [فی أنّ اللّه لا يريد شيئاً من القبائح] (۱)

فإن قيل: أربک يريد شيئاً من القبائح؟

فقل: إنّه تعالى لا يريد شيئاً منها، فلا يريد الظلم، ولا يرضى الكفر، ولا يحب الفساد، لاَنّ ذلک كله يرجع إلى إرادة القبيح، وإرادة القبيح هی قبيحة، وهو تعالى لا يفعل القبيح.

ألا ترى أنّه لو أخبرنا مُخبرٌ ظاهرةُ العدالة، بأنّه يريد الزنا والظلم لسقطت عدالته، ونقصت منزلته، عند جميع العقلاء، ولا علّة لذلک إلّا أنّه أتى قبيحاً، وهو إرادة القبيح.

وقد قال تعالى": وَاللّه لَا يُحِبُّ الفَسَادَ ["البقرة: ۲۰۵].

وقال": وَلَايَرْضَى لِعِبادِهِ الكُفْرَ ["الزمر: ۷۱].

وقال": ومَا اللّهُ يُريدُ ظُلماً للعِبادْ ["غافر: ۳۱ـــــــــــــــــــــــــــ].

(۱) مضى الكلام فيه فی التعليقة السابقة.

(۴۸۷)

فصل [فی أنّ اللّه لا يفعل ما هو مفسدة]

فإن قيل: فهل ربّک يفعل لعباده ما هو مَفْسَدة؟

فقل: كلاّ ـ بل لا ـ يفعل إلّا الصّلاح، ولايبلوهم إلّا بما يدعوهم إلى الفلاح، سواء كان ذلک محنة أو نعمة؛ لاَنّه تعالى لا يفعل إلّا الصّواب والحكمة كما تقدم، فإذا أمرضهم وابتلاهم أو امتحنهم بفوت ما أعطاهم، فلابُدّ من اعتبار المكلفين؛ ليخرج بذلک عن كونه عَبَثاً، وقد نبّه على ذلک بقوله تعالى": أوَ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِی كُلِّ عَامٍ مَرّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا هُمْ يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ["التوبة: ۱۲۶]، ولابُدّ من العِوَض الموفّى على ذلک بأضعاف مضاعفة، ليخرج بذلک عن كونه ظلماً، وقد ورَدَ ذلک فی السنّة كثيراً، والغَرَضُ الاختصار. (النبوة) فصل [فی معرفة النبی ــ صلى الله عليه وآله وسلم]ــ

فإن قيل: فقد أكملت معرفة ربّک، فمن نبيک؟

فقل: محمّد ــ صلى الله عليه وآله وسلم.ــ

فإن قيل: فما برهانک على ذلک؟

فقل: لاَنّه جاء بالمعجزة عقيب ادّعائه النبوّة، وكل من كان كذلک فهو نبیّ صادق.

فإن قيل: فما برهانک على أنّه جاء بالمعجز عقيب ادّعائه النبوّة؟

فقل: المعلوم ضرورة أنّه كان فی الدنيا قبيلةٌ تُسمّى قريش، وأن فيهم قبيلة تسمّى: بنو هاشم، وأنّه كان فيهم رجلٌ اسمه: محمد بن عبد اللّه، والمعلوم ضرورةً

(۴۸۸)

أنّه ادّعى النبوة، وأنّه جاء بالقرآن بعد ادعاء النبوة، وأنّه مشتمل على آيات التحدّی، وأنّه كان يتلوها على المشركين ويسمعونها وهم النّهاية فی الفصاحة، والمعلوم ضرورةً شدّةُ عداوتهم له.

وإنّما قلنا: بأنّه معجز لاَنّه تحداهم على أنّ يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم على أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، ثم تحداهم بأنّ يأتوا

بسورة من مثله فلم یقدروا علی ذلک؛ لاَنّهم لو قدروا علی معارضته ـ مع شدّة عداوتهم له وعلمهم بأنّ معارضته بمثل ما جاء به تبطلُ دعواه ـ لما عدلوا عنها إلی الشّاقّ من محاربته، التی لا تدل علی بطلان دعواه، فدلّ ذلک علی کونه معجزاً.

ولاَنّ القرآن مشتمل علی الاِخبار بالغیوب المستقبلة، وعلی الاِخبار عن الاَُمور الماضیة، فکان الاَمر علی ما أخبر فی الماضی والمستقبل، فدَلّ ذلک علی کونه معجزاً، لایقدر علیه أحد من البشر.

وله معجزات کثیرة تقارب ألف معجزة، نحو: مجیء الشجرة إلیه، وجریها علی الماء کالسفینة، وسیر الشّجرة، وإحیائه الموتی، وتسبیح الحصی فی یده، ونحو ذلک کثیر، وإنما قلنا بأنّ من کان کذلک فهو نبی صادق؛ لاَنّ إظهار المعجز علی أیدی الکَذّابین قبیح، وهو تعالی لا یفعله، وإذا ثبت صدقُهُ وصحّت نبوته، وجب تصدیقه فیما أخبرنا به عن الاَنبیاء والمرسلین قبله، ووجب القضاء بصحة نبوتهم وتصدیق رسالتهم، وهذا واضح.

فصل [فی معرفة القرآن]

فإن قیل: فما اعتقادک فی القرآن؟

فقل: اعتقادی أنّه کلام اللّه تعالی، وأنّه کلام مسموع محدثٌ مخلوق.

فإن قیل: فما دلیلک علی ذلک؟

(۴۸۹)

فقل، أمّا قولی: إنّه کلام اللّه تعالی، فلقوله تعالی": وَإنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِکِینَ اسْتَجَارَکَ فَأَجِرْهُ حَتّی یَسْمَعَ کَلاَمَ اللّه ["التوبة: ۶]، المعلوم أن الکلام الذی سمعه المشرکون لیس بشیء غیر هذا القرآن، ولاَنّ المعلوم ضرورة أنّ النبی ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ کان یدین ویخبر بذلک، وهو لا یدین إلاّ بالحق، ولا یخبر إلاّ بالصدق، لاَنّ ظهور المعجز علی یدیه قد استأمن وقوع الخطأ فیما یدین به، وظهور الکذب فیما یخبر به.

وأمّا قولی: إنّه مسموعٌ فذلک معلوم بالحسّ ولقوله تعالی": إِنّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ("الجن: ۱) والمعلوم ضرورة أنّ ذلک المسموع هذا القرآن.

وأمّا قولی: إنّه محدَثٌ؛ فلاَنّه فعل من أفعاله تعالی، والفاعل متقدم علی فعله بالضّرورة، ومایتقدمه غیره فهو مُحدَث، ولاَنّ بعضه متقدم علی بعض، وذلک یدل علی أنّه محدَث، ولقوله تعالی": مَا یَأْتِیهِمْ مِنْ ذِکْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ[" الاَنبیاء: ۲]. والذکر هو القرآن، لقوله تعالی": وإنّهُ لَذِکْرٌ لکَ ولِقَوْمِکَ ["الزخرف: ۴۴]، أیْ شَرَفٌ لک ولقومک.

وأمّا قولی: إنّه مخلوقٌ؛ فلاَنّه مُرَتَّبٌ منظومٌ علی مقدارٍ معلوم موافقٍ للمصلحة. بهذه الصِّفةِ المنزَّلة جَازَ وَصفهُ بأنّه مخلوقٌ، ولِما رواه عمر بن الخطاب، عن النبی ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ أنّه قال: «کان اللّه ولا شیء ثم خلق الذکر»، والذکر هو القرآن کما تقدم.

ثم قل: وأعتقد أنّه حقّ لا باطل فیه، لقوله تعالی": وَإنّهُ لَکِتابٌ عَزِیزٌ * لا یَأْتِیهِ البَاطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ["فصلت: ۴۱ و ۴۲].

ثم قل: وأعتقد أنّه لا تناقض فیه ولا تعارض ولا اختلاف"، وَلَوْ کَانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللّهِ لَوَجَدُوْا فِیهِ اخْتِلاَفاً کَثیراً ["النساء: ۸۲].

(۴۹۰) (الإمامة) فصل [فی إمامة الاِمام علی ــ علیه السلام] ــ فإن قیل: من أوّلُ الاَئمة بعد رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ، ــ وأولی الاَُمّة بالخلافة بعده بلا فصل؟

فقل: ذلک أمیر الموَمنین وسید الوصیین علی بن أبی طالب.

فإن قیل: هذه دعوی، فما برهانک؟

فقل: الکتاب، والسنّة، وإجماع العترة.

أمّا الکتاب، فقوله تعالی": إِنّما وَلِیُّکُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِینَ آمَنُوا الّذِینَ یُقِیْمُونَ الصَّلاةَ وَیُؤْتُونَ الزَّکَاةَ وَهُمْ رَاکِعُونَ ["المائده: ۵۵]، ولم یوَتِ الزکاةَ فی حالِ رکوعه غیرُ علی ــ علیه السلام، ــ وذلک أنّ سائلاً سأل علی عهد رسول اللّه ــ صلی الله علیه وآله وسلم ــ

فی حال ركوع عليٍ فی الصلاة، وذلك فی مسجد النبی ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ــ فلم يعطه أحدٌ شيئاً، فأشار إليه ــ عليه السلام ــ بخاتمه وهو راكع ونواه زكاة، فأخذه السائلُ، فنزل جبريل ــ عليه السلام ــ بهذه الآية على رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فی الحال، فكانت فی على ــ عليه السلام ــ خاصة دون غيره من الاُمّة. وهی تفيد معنى الاِمامة لاَنّ الوليّ هو: المالك للتصرّف، كما يقال هنا: ولی المرأة، وولی اليتيم، أی المالك للتصرف عليهما.

وأمّا السنّة، فخبر الغدير، وهو قوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه. قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه، وانصر مَنْ نصره، واخذل مَنْ خَذَلَهُ»، فقال له عمر: بخ بخ لك يا ابن أبی طالب، أصبحت مولای ومولى كل موَمن وموَمنة.

وروينا عن المؤيد باللّه بإسناده إلى الصادق جعفر بن محمد الباقر أنّه سُئِلَ

(۴۹۱)

عن معنى هذا الخبر، فقال: سئل عنها ـ واللّه ـ رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال: «اللّه مولای أولى بی من نفسی لا أمر لی معه، وأنا ولی الموَمنين أولى بهم من أنفسهم لا ـ أمر لهم معی، ومن كنت مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معی، فعلی مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه».

وإذا ثبت ذلك فإنّه يفيد معنى الاِمامة؛ لاَنّا لا نعنی بقولنا: فلان إمام إلاّ أنّه أولى بالتصرف فی الاُمّة من أنفسهم، ولاَنّ لفظ المولى لا يفهم منه [إلاّ] مالك بالتصرف، كما يقال: هذا مولى العبد، أی المالك للتصرف فيه، وهذا يفيد معنى الاِمامة كما تقدم.

ومما يدلّ على ذلك من السنّة: (خبر المنزلة) وهو معلوم كخبر الغدير، وهو قوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لعلی: «أنت منّی بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لانبيّ بعدی»، فاستثنى النبوة، فدَلَّ ذلك على شموله لخصال الفضل كلها، ومن جملتها مِلْك التصرف على الاُمّة، وأنّه أولى الخلق بالتصرف منهم، وذلك معنى الاِمامة كما تقدم.

وأمّا الاِجماع فإجماع العترة منعقد على ذلك.

فصل [فی إمامة الحسنين]

فإن قيل: لمن الاِمامة بعد علی ــ عليه السلام ؟ــ

فقل: هی للحسن ولده من بعده، ثم هی للحسين من بعد أخيه ـ عليهما السلام ـ

فإن قيل: فما الدليل على إمامتهما؟

فقل: الخبر المعلوم، وهو قول النبی ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما»، وهذا نصُّ جَلِيّ على إمامتهما،

(۴۹۲)

وفيه إشارة إلى إمامة أبيهما، لاَنّه لا يكون خيراً منه إلاّ إمام شاركه فی خصال الاِمامة وزاد عليه فيها، فيكون حينئذ خيراً منه، وهذا واضح، والاِجماع منعقد على أنّه لا ولاية لهما على الاُمّة فی زمن النبی ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ــ ولا فی زمن علی ـ عليه السلام ـ إلاّ عن أمرهما، وأنّه لا ولاية للحسين فی زمن أخيه الحسن إلاّ عن أمره، فبقيت الاِمامة مخصوصة بالاِجماع.

فصل [فی الاِمامة بعد الحسنين] (۱)

فإن قيل: لمن الاِمامة بعدهما؟

فقل: هی محصورة فی البطنين ومحظورة على من عدا أولاد السبطين، فهی لمن قام ودعا من أولاد من ينتمی نسبه من قِبَل أبيه إلى أحدهما، متى كان جامعاً لخصال الاِمامة، من: العِلْم الباهر، والفضل الظاهر، والشجاعة، والسخاء، وجودة الرأی بلا امتراء، والقوة على تدبير الاُمور، والورع المشهور.

فإن قيل: ما الذى يدل على ذلك؟

فقل: أمّا الذى يدلّ على الحصر فهو أنّ العقل يقضى بقبح الإمامة، لاَنّها تقتضى التصرف فى أُمور ضارة من القتل، والصّلب، ونحوهما، وقد انعقد إجماع المسلمين على جوازها فى أولاد فاطمة ــ عليها السلام، ــ ولا دليل يدل على جوازها فى غيرهم، فبقى من عداهم لا يصلح، ولاَنّ العترة أجمعت على أنّها لاتجوز فى غيرهم، وإجماعهم حجّة.

وأمّا الذى يدلّ على اعتبار خصال الإمامة التى ذكرنا فهو إجماع المسلمين.

فإن قيل: فسّروا لنا هذه الخصال.

فقل: أمّا العلمُ، فإنّه يكون عارفاً بتوحيد اللّه وعدله، وما يدخل تحت ذلك_______________،

(۱) الإمامية قائلة بالنصّ بعدهما إلى الإمام الثانى عشر، فالمخالفة بين الطائفتين واضحة فى هذا المقام.

(۴۹۳)

وأن يكون عارفاً بأُصول الشرائع وكونها الاَدلة، وهى أربعة: الكتاب، والسنّة، والإجماع، والقياس، والمراد بذلك أن يكون فهماً فى معرفة أوامر القرآن والسنّة ونواهيهما، وعامّهما، وخاصّهما، ومجملهما، ومبينهما، وناسخهما، ومنسوخهما، عارفاً بمواضع الوفاق، وطُرُق الخلاف فى فروع الفقه، لئلّا يجتهد فى مواضع الإجماع، فيتحرى فى معرفة القياس والاجتهاد، ليمكنه ردّ الفرع إلى أصله.

وأمّا الفضل، فأن يكون أشهر أهل زمانه بالزيادة على غيره فى خصال الإمامة أو كأشهرهم.

وأمّا الشجاعة، فإنّه يكون بحيث لا يجبن عن لقاء أعداء اللّه، وأن يكون رابط الجأش وإن لم يكُثُر قَتْلُه وقِتالُه.

وأمّا السخاء، فأن يكون سخياً بوضع الحقوق فى مواضعها.

وأمّا جودة الرأى، فأن يكون بالمنزلة التى يُرْجَعُ إليه عند التباس الاَُمور.

وأمّا القوة على تدبير الاَُمور، فلا يكون منه نقص فى عقله، ولا آفة فى جسمه، يضعف لاَجل ذلك عن النظر فى أُمور الدّين وإصلاح أحوال المسلمين.

وأمّا الورع، فأن يكون كافّاً عن المقبحات، قائماً بالواجبات.

فرع [فى طريق معرفة مواصفات الإمام]

فإن قيل: فما الطريق إلى إثبات كونه على هذه الخصال؟

فقل: أمّا كونه عالماً فيحصل العلم به للعلماء بالمباحثة والمناظرة، ويحصل لغيرهم من الاَتْباع العلم بكونه عالماً بوقوع الإطباق والإجماع على كونه كذلك.

وأمّا سائر الخصال فلابد من حصول العلم بكونه عليها، وإن كان غائباً، فإنّه يحصل العلم التواترى بذلك، وكذلك حكم العلم إذا كان غائباً، فإن طريق العلم به

(۴۹۴)

الاَخبار المتواترة للعلماء وغيرهم، وإن كان حاضراً فلابد من حصول العلم بكونه جامعاً لها، لاَنّها من أُصول الدين، فلايأخذ بالاَمارات المقتضية للظن بكونه جامعاً لها.

فصل [الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر]

فإن قيل: فماذا تدين به فى الاَمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

فقل: أدين اللّه تعالى أنّه يجب الاَمر بالمعروف الواجب والنهى عن المنكر؛ لقوله تعالى": وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون ["آل عمران: ۱۰۴]، وإنما قلنا: إنّه يجب الاَمر بالمعروف الواجب؛ لإجماع المسلمين أنّه لا يجب الاَمر بالمعروف المندوب، فلم يبق إلاّ القضاء بالاَمر بالمعروف الواجب مع الإمكان وإلاّ بطلت فائدة الآية،

ومعلوم خلاف ذلك، وقلنا: يجب النهى عن كل منكر لإجماع المسلمين على ذلك؛ ولأنّ المنكرات كلها قبائح فيجب النهى عنها جميعاً مع الإمكان، كما يلزم الأمر بالمعروف الواجب مع الإمكان. (المعاد) فصل [فى الوعد والوعيد] فإن قيل: فماذا تدين به فى الوعد والوعيد؟

فقل: أدين اللّه بأنّه لابدّ من الثواب للمؤمنين إذا ماتوا على الإيمان مستقيمين، ودخولهم جنات النعيم": لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِمُخْرَجِينَ ["الحجر: ۴۸"] خَالِدِينَ فِيْها أَبَداً ."

(۴۹۵)

وأدين اللّه بصحة ما وعد به من سعة الجنة، وطيب مساكنها، وسرُرها الموضوعة، ومآكلها المستلذة المستطابة، وفواكهها الكثيرة التى ليست بمقطوعة ولا ـ ممنوعة، وأنهارها الجارية التى ليست بمستقذرة ولا آسنة، ولا متغيرة ولا آجنةٍ، وملابسها الفاخرة، وزوجاتها الحسان الطاهرة، والبهية النّاضِرة، ونحو ذلك مما بيّنه اللّه تعالى فى كتابه المجيد، وهو حقّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأدين اللّه تعالى أنّه لابدَّ من عقاب الكافرين فى جهنم بالعذاب الأليم، وشراب الحميم، وشجرة الزَّقُّوم طعام الأثيم، وأنّهم يخلّدون فيها أبداً، ويلبسون ثياباً من نار، وسرابيل من القَطِران، كلّما نضجت جلودُهم بدّلهم اللّه جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وكل ذلك معلوم من ضرورة الدين.

فصل [فى أهل الكبائر]

فإنّ قيل: ماذا تدين به فى أهل الكبائر سوى أهل الكفر؟

فقل: أُسمّيهم: فُسّاقاً، ومجرمين، وطغاة، وظالمين، لإجماع الأُمّة على تسميتهم بذلك، ولا أُسمّيهم كفاراً على الإطلاق، ولامؤمنين (۱) لفقد الدلالة على ذلك.

وأدين اللّه تعالى بأنّهم متى ماتوا مُصرّين على الكبائر فإنّهم يدخلون نار جهنم، ويخلّدون (۲)فيها أبداً، ولا يخرجون فى حال من الأحوال، لقوله تعالى:

(۱) عند الإمامية أنّهم مؤمنون وللإيمان درجات ومراتب وقد أوضحنا الحال فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة عند الكلام عن الأصل الرابع للمعتزلة: المنزلة بين المنزلتين.

(۲) عند الإمامية أنّهم غير مخلدين وقد أوضحنا الحال فى الجزء الثانى عند الكلام فى الوعد والوعيد عند المعتزلة.

(۴۹۶)

"إنَّ المُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهّنمَ خَالِدُونَ ["الزخرف: ۷۴]، والفاسق عاصٍ، كما أنّ الكافر عاصٍ، فيجب حمل ذلك على عمومه، إلاّ ما خصّيته دلالةٌ. وقوله تعالى": : والَّذينَ لا ـ يَدْعون مَعَ اللّهِ إلهاً آخرَ لاَ ـ يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتِى حَرَّمَ اللّه إلاّ بالحقّ وَلاَ يَزْنُوْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيامَةِ وَيَخَلُد فِيهِ مُهَاناً ["الفرقان: ۶۸ ـ ۶۹]. وإجماع العترة على ذلك، وإجماعهم حجة.

فصل [فى صفة المؤمن وما يجب فى حقّه]

فإن قيل: فمن المؤمن، وما يجب فى حقه؟

فقل: المؤمن من أتى بالواجبات، واجتنب المُقَبّحات، فمن كان كذلك؛ فإنّا نسميه: مؤمناً، ومسلماً، وزكياً، وتقياً، وبراً، ووليّاً، وصالحاً، وذلك إجماع، ويجب: إجلاله، وتعظيمه، واحترامه، وتشميته، وموالاته، ومودّته، وتحرم: معاداته، وبُغضُه، وتحظر: نميمته، وغيبَتُهُ، وهو إجماع أيضاً، ومضمون ذلك أن تُحِبَّ له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، وبذلك وردت السنّة.

فصل [فى صفة الكافر]

فإن قيل: فمن الكافر؟

فقل: من لم يَعْلَمْ له خالقاً، أو لم يَعْلَم شيئاً من صفاته التى يتميز بها عن غيره، من كونه قادراً لذاته، عالماً لذاته، حياً لذاته، ونحو ذلك من صفاته المتقدمة، فمن جحد شيئاً من ذلك أو شك أو قلد، أو اعتقد أنّه فى مكان دون مكان، أو أنّه

(۴۹۷)

فى كل مكان، أو شكّ فى ذلك، أو اعتقد له شريكاً أو أنّه يفعل المعاصى أو يُريدها، أو يَشُكّ فى شىء من ذلك، أو جحد رَسُولَ اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أو ردّ ما عُلم من الدّين ضرورة باضطراب أو شك فى شىء من ذلك، فهو كافرٌ بالإِجماع، ويجوز أن نسمّيه: فاجراً، وفاسقاً وطاغياً، ومارقاً، ومجرماً، وضالماً، وآثماً، وغاشماً، ونحو ذلك من الاَسماء المشتقة من أفعاله بلا خلاف.

وإن كان يُظهرُ الاِيمان ويبطنُ الكفر، جاز أن نسميه مع ذلك: منافقاً، بالاِجماع.

ومن كانت هذه حالته ـ أعنى غير المنافق ـ جاز قتله وقتاله، وحصره، وأخذ ماله، وتجب معاملته بنقيض ما ذكرنا أنّه يجب من حقّ المؤمن، وقد ذكرنا أحكامه مفصّلة فى (ثمرات الاَفكار فى أحكام الكفار) . فصل [فى صفة الفاسق]

فإن قيل: فمن الفاسق وما حكمه؟

قلنا: أمّا الفاسق فهو مُرْتَكِبُ الكبائر سوى الكفر، نحو الزانى، وشارب الخمرة، والقاذف، ومن فرّ من زحف المسلمين غير متحرفٍ لقتال ولا متحيز إلى فئة، وتاركُ الجهاد بعد وجوبه عليه، وتاركُ الصلاة، والصيام، والحج، مع وجوب ذلك عليه، غيرُ مُستحلّ لتركه ولا مستخفّ، والسارق من سرق عشرة دراهم ـ أى قفلة ـ فما فوق بغير حق، ونحو ذلك من الكبائر، فمن فعل ذلك أو شيئاًمنه، فإنّه يجوز أن نسميه بالاَسماء المتقدمة قبل هذه فى الكافر، إلاّ لفظ: الكافر، والمنافق، فإنّ ما عداهما إجماع أنّه يجوز تسميته به، وأمّا المنافق فلا بد من دلالة تدل على

(۴۹۸)

جواز إطلاقه عليه، وأمّا لفظ: الكافر، فمنعه كثير من العلماء، وأجاز إطلاقه جماعةٌ مع التنبيه، فقالوا: هو كافر نعمة، وهو الصحيح؛ لاَنّه مروى عن على ـ عليه السلام ـ وهو إجماع العترة، ولِمُوافقة الكتاب.

وأمّا حكمه فحكم الكافر فيما تقدم إلاّ القتل والقتال، وأخذ الاَموال فلا يجوز إلاّ بالحق، ولايجوز قتله على الاِطلاق، وكذلك حصره فلا يجوز بحال من الاَحوال. فرع [فى الفرق بين فعل اللّه وفعل العبد]

فإن قيل: ما الفرق بين فعل اللّه وبين فعل العبد؟

فقل: فعل اللّه جواهر وأعراض وأجسام، يعجز عن فعلها جملة الاَنام، ومضمونه أنّ كلما وقف على قصد العبد واختياره تحقيقاً أو تقديراً فهو فعله، ومالم يكن كذا فليس بفعله. فصل [فى أنّه لا بد من الموت والفناء]

ثم قل أيُّها الطالب للنجاة: وأدين اللّه تعالى بأنّه لا بد من الموت والفناء، والاِعادة بعد ذلك للحساب والجزاء، والنفخ فى الصور، وبعثرة القبور، والحشر للعرض المشهور، والاِشهاد على الاَعمال بغير زور، ووضع الموازين، وأخذ الكتب بالشمال واليمين، والبعث والسوَال للمكلفين، وأن ينقسموا فريق فى الجنّة وفريق فى السعير، وكل ذلك معلوم من ضرورة الدين، وأنّه لابد من المناصفة بين المظلومين والظالمين، لدلالة العدل بيقين.

(۴۹۹)

فصل [فى الشفاعة]

فإن قيل: ما تقول فى الشفاعة؟

فقل: أدين اللّه تعالى بثبوتها يوم الدين، وإنما تكون خاصة للموَمنين (۱)ـ دون من مات مصرّاً من المجرمين على الكبائر ـ ليزيدهم نعيماً إلى نعيمهم، وسروراً إلى سرورهم، ولمن ورد العَرْضَ وقد استوت حسناته وسيئاته، فيشفع له النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ــ ليرقى درجة أعلى من درجة غير المكلفين من الصبيان والمجانين، وإنّما قلنا: إنّه لا بد من ثبوتها، لقوله تعالى ": عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ

رَبُّکَ مَقَاماً مَحْمُوداً ["الإسراء: ۷۹]، قیل: هو الشفاعة، وقال ــ صلى الله علیه وآله وسلم: «ــ من کذب بالشفاعة لم ینالها یوم القیامة».

وأمّا أنّها تکون لمن ذکرناها، فلقوله تعالى": مَا لِلظّالمینَ مِنْ حَمِیم وَلاَشَفِیع یُطَاعُ ["غافر: ۱۸"]، مَا لِلظّالِمینَ مِنْ أَنْصَار [" البقرة: ۲۷۰]، وقول النبى ــ صلى الله علیه وآله وسلم: «ــ لیست شفاعتى لأَهل الکبائر من أُمتى»، وقوله تعالى": وَلاَیَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضَى" [الأنبیاء: ۲۸] کل ذلک یدلُّ على ما قلنا.

وتم بذلک ما أردنا ذکره للمسترشدین، تعرّضاً منّا لثواب ربّ العالمین، ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هدیتنا، وهب لنا من لدنک رحمة إنّک أنت الوهاب. وصلّ اللّهم وسلم على محمد صفیک وخاتم أنبیائک، وعلى آله سفن النجاة آمین. وتوفنا مسلمین آمین اللّهمّ آمین.

* * *

(۱) أراد بالمؤمنین العدول وعند الإمامیة یعم العادل والفاسق وقد بینا الدلیل فى الجزء الثالث عند الکلام فى الشفاعة عند المعتزلة.

وهذه المواضع الثلاثة ، هى من مواضع الاتفاق بین المعتزلة والزیدیة .

(۵۰۰) مصباح العلوم فى معرفة الحىّ القیوم وهناک رسالة أُخرى فى عقائد الزیدیة باسم «مصباح العلوم فى معرفة الحىّ القیوم» للعلامة أحمد بن الحسن الرصاص المتوفّى عام ۶۰۰ ـ أو ـ ۶۵۰وعلى کل تقدیر فالرسالة تنتمى إلى النصف الأَوّل من القرن السابع کالرسالة السابقة وهى معروفة بالثلاثین مسألة، وقد حقّقها الدکتور محمد عبد السلام کفافى أُستاذ الآداب الإسلامیة بجامعة القاهرة وجامعة بیروت العربیة وقوّم نصّها بالعثور على مخطوطات فى مکتبة المتحف البرطانى بلندن، ولها نسخ فى مکتبات أوربا یقول المحقق: «والظاهر من کثرة عدد النسخ أنّ هذه الرسالة کانت ذائعة بین أتباع المذهب الزیدى ولاعجب فى ذلک فهى تلخص معتقداتهم تلخیصاً وافیاً فى صفحات قلائل» (۱)

إنّ تعاصر المؤلفین وتقارب مضامین الرسالتین، ورغبة القراء إلى الاختصار حفزتنا إلى نشر الرسالة الأُولى فقط.

---

۱ ـ مصباح العلوم : المقدمة ۵.

(۵۰۱)

الفصل العاشر فى أُمور متفرقة

الفصل العاشر فى أُمور متفرقة

الأَوّل: حلقات المناظرة بین الإمامیة والزیدیة :

یشهد التاریخ على أنّ حلقات المناظرة کانت تنعقد فى الجامعات وبیوت الشخصیات فى عصر الشیخ المفید (۳۳۶ ـ ۴۱۳هـ) ویشارک فیها الإمامى والزیدى والمعتزلى وغیرهم، وکان الشیخ یناظر کل هذه الفرق، ببلاغة تثیر إعجاب المشارکین.

وقد ذکر السید المرتضى (۳۵۵ ـ ۴۶۳هـ) قسماً من هذه المناظرات فى کتابه «الفصول المختارة» الذى اختاره من کتاب «العیون والمحاسن» لأُستاذه الشیخ المفید، وقد طبع الأَوّل دون الثانى.

ونذکر هنا أجوبة الشیخ للاعتراضات الثلاثة التى طرحها أحد شیوخ الزیدیة المعروف بالطبرانى ویدور الجمیع على محاور ثلاثة.

إنّ الإمامیة حنبلیة من جهات ثلاث:

۱ ـ یعتمدون على المنامات کالحنابلة.

۲ ـ یدّعون المعجزات لأَکابرهم کالحنابلة.

۳ ـ یرون زیارة القبور مثلهم.

(۵۰۲)

وإليك الاعتراضات والاَجوبة بنصهما.

قال الشيخ: كان يختلف إليّ حدَث من أولاد الاَنصار ويتعلّم الكلام فقال لى يوماً: اجتمعت البارحة مع الطبرانى شيخ من الزيدية، فقال لى: أنتم يامعشر الاِمامية حنبلية وأنتم تستهزئون بالحنبلية، فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال: لاَنّ الحنبلية تعتمد على المنامات وأنتم كذلك، والحنبلية تدّعى المعجزات لاَكابرها وأنتم كذلك، والحنبلية ترى زيارة القبور والاِعتكاف عندها وأنتم كذلك، فلم يكن عندى جواب أرتضيه، فما الجواب؟

الجواب على الاعتراض الاَوّل:

قال الشيخ أدام اللّه عزّه: فقلت له: أرجع فقل له: قد عرضتُ ما ألقيته إليّ على فلانٍ، فقال لى: قل له إن كانت الاِمامية حنبلية بما وصفت أيها الشيخ فالمسلمون بأجمعهم حنبلية والقرآن ناطق بصحة الحنبلية وصواب مذاهب أهلها، وذلك أنّ اللّه تعالى يقول": إذْ قَالَ يُوسُفُ لاِبيهِ ياأبَتِ إنّى رَأيتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكَباً وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأيتُهُمْ لِى ساجِدِينَ * قَالَ يابُنَىَّ لاتَقصُصْ رُوَياكَ عَلَى إخوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيداً إنّ الشَّيطانَ لِلاِنسانِ عَدُوٌّ مُبين ("يوسف: ۴ ـ ۵) .

فأثبتَ اللّه جلّ اسمه المنام وجعل له تأويلاً عرفه أولياءه ــ عليهم السلام ــ وأثبتته الاَنبياء ودان به خلفاوَهم وأتباعهم من الموَمنين واعتمدوه فى علم ما يكون وأجروه مجرى الخبر مع اليقظة وكالعيان له.

وقال سبحانه": وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتيانِ قالَ أحَدُهُما إنّى أرانى أعصِرُ خَمراً وَقالَ الآخرُ إنّى أرانى أحمِلُ فَوقَ رَأسى خُبزاً تَأكُلُ الطَيرُ مِنهُ نَبّئنا بِتَأويله إنّا نراكَ مِنَ المُحسِنين ("يوسف ـ ۳۶) .

فتبأهما ــ عليه السلام ــ بتأويله وذلك على تحقيق منه لحكم المنام، وكان سوَالهما له مع جهلهما بنبوته دليلاً على أنّ المنامات حقّ عندهم، والتأويل لاَكثرها

(۵۰۳)

صحيح إذا وافق معناها، وقال عزّ اسمه": وَقالَ المَلِكُ إنّى أرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عُجافٌ وَسَبْعَ سُنْبلاتٍ خُضرٍ وَأُخَرُ يابِساتٍ يا أيّها المَلاَ أفْتُونى فى روَياى إن كُنتُمْ لِلروَيا تُعَبرُونَ * قَالوا أضغاثُ أحلامٍ وَما نَحْنُ بِتَأويلِ الاَحلامِ بعالِمين ("يوسف: ۴۳ ـ ۴۴) ثم فسرها يوسف ــ عليه السلام ــ وكان الاَمر كما قال.

وقال تعالى فى قصة إبراهيم وإسماعيل ــ عليهما السلام": ــ فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعىَ قَالَ يابُنَىَّ إنّى أرى فى المنامِ أنّى أذبَحُكَ فَانظُرْ ماذا تَرى قال يا أبتِ افعل ما تُوَمر سَتَجِدُنى إن شاءَ اللّهُ مِنَ الصابِرين ("الصافات: ۱۰۲) فأثبتا ـ عليهما السلام ـ الروَيا وأوجبا الحكم ولم يقل إسماعيل لاَبيه ــ عليه السلام ــ يا أبت لا تسفك دمى بروَيا رأيتها فإنّ الروَيا قد تكون من حديث النفس، وأخلاط البدن وغلبة الطباع بعضها على بعض كما ذهبت إليه المعتزلة.

فقول الاِمامية فى هذا الباب ما نطق به القرآن، وقول هذا الشيخ هو قول الملاَ من أصحاب الملك حين قالوا": أضغاث أحلام "ومع ذلك فإنّا لسنا نثبت الاَحكام الدينية من جهة المنامات وإنّما نثبت من تأويلها ما جاء الاَثر به عن ورثة الاَنبياء ــ عليهم السلام.ــ

الجواب على الاعتراض الثانى :

فأمّا قولنا فى المعجزات فهو كما قال اللّه تعالى": وَأوحَيْنا إلى أُمّ مُوسى أن أرضِعيه فإذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَألقيهِ فى اليَمِّ وَلا تَخافِى وَلا تَحزَنى إنّا رادُّوه إلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلين ("القصص ـ ۷) .

فَضمَّنَ هذا القولُ تصحيح المنام إذ كانَ الوَحى إليها فى المنام، وضمَّنَ المعجز لها لعلمها بما كان قبل كونه.

وقال سبحانه فى قصة مريم ــ عليها السلام": ــ فَأشارت إليهِ قَالوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِى المَهدِ صَبِيا * قالَ إنّى عَبدُ اللّه آتانِىَ الكِتابَ وَجَعَلَنى نَبيّاً * وَجَعَلَنى

(۵۰۴)

مُبارَكـاً أينَ مـا كُنْتُ وَأوصـانى بالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيّاً ("مريم ـ ۲۹ ـ ۳۱) فكان نطق المسيح ــ عليه السلام ــ معجزاً لمريم ــ عليهما السلام ــ إذ كان شاهداً ببراءة ساحتها. وأُمّ موسى ــ عليه السلام ــ ومريم لم تكونا نبيين ولا مرسلين ولكنهما كانتا من عباد اللّه الصالحين. فعلى مذهب هذا الشيخ كتاب اللّه يصحح الحنبلية.

الجواب على الاعتراض الثالث :

وأمّا زيارة القبور فقد أجمع المسلمون على وجوب زيارة رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ حتى رووا «منْ حجَّ ولم يزره متعمداً فقد جفاه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وثلم حجّهُ بذلك الفعل»، وقد قال رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ من سلّم عليّ من عند قبرى سمعته، ومن سلّم عليَّ من بعيد بلغته» سلام اللّه عليه ورحمته وبركاته وقال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ للحسن ـ عليه السلام ـ: «من زارك بعد موتك أو زار أباك أو زار أخاك فله الجنّة».

وقال أيضاً: فى حديث له أوّل مشروح فى غير هذا الكتاب: «تزوركم طائفة من أُمتى تريد به برّى وصلَتى فإذا كان يوم القيامة زرتها فى الموقف فأخذت بأعضادها وأنجيتها من أهواله وشدائده».

ولا خلاف بين الاُمّة أنّ رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لما فرغ من حجّة الوداع لاذ بقبر درس فقعد عنده طويلاً ثم استعبر فقيل له: يارسول اللّه ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر أُمّى آمنة بنت وهب سألت اللّه فى زيارتها فأذن لى.

وقال ــ صلى الله عليه وآله وسلم: «ــ قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا ـ فزوروها وكنت نهيتكم عن ادّخار لحوم الاَضاحى ألا فادخروها».

وقد كان أمر فى حياته ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بزيارة قبر حمزة ـ عليه السلام ـ وكان ــ عليه السلام ــ يلمّ به وبالشهداء، ولم تزل فاطمة ــ عليها السلام ــ بعد وفاته ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ تغدو إلى قبره وتروح لزيارته وكان أهل بيته والمسلمون يثبرون على زيارته وملازمة قبره ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فإن كان ما تذهب إليه الاِمامية من زيارة مشاهد الاَئمة ــ عليهم السلام ــ حنبلية وسخفاً من

(۵۰۵)

الفعل، فالاِسلام مبنى على الحنبلية ورأس الحنبلية رسول اللّه ــ صلى الله عليه وآله وسلم، ــ وهذا قول متهافت جداً يدلّ على قلة دين قائله وضعف رأيه وبصيرته.

ثم قال له: يجب أن تعلم أنّ الذى حكيت عنه قد حرّف القول وقبّحه ولم يأت به على وجهه، والذى نذهب إليه فى الروَيا أنّها على أضرب: فضرب منه يبشر اللّه به عباده ويحذرهم. وضرب تهويل من الشيطان وكذب يخطر ببال النائم. وضرب من غلبة الطباع بعضها على بعض، ولسنا نعتمد على المنامات كما حكاه لكننا نأنس بما نبشر به، ونتخوف مما نحذر منها ومن وصل إليه شيء من علمها عن ورثة الاَنبياء ــ عليهم السلام ــ مَيزّ بين حقّ تأويلها وباطله ومتى لم يصل إليه شيء من ذلك كان على الرجاء والخوف.

وهذا يسقط ما لعله سيتعلق به فى منامات الاَنبياء ــ عليهم السلام ــ من أنّها وحى لاَنّ تلك مقطوع بصحتها وهذه مشكوك فيها مع أنّ منها أشياء قد اتفق ذوو العادات على معرفة تأويلها حتى لم يختلفوا فيه ووجدوه حسنا.

وهذا الشيخ لم يقصد بكلامه الاِمامية ولكنه قصد الاُمّة ونصر البراهمة والملاحدة، مع أنى أعجب من هذه الحكاية عنه وأنا أعرفه يميل إلى مذهب أبى هاشم ويعظّمه ويختاره، وأبو هاشم يقول فى كتابه «المسألة فى الاِمامة»: إنّ أبا بكر رأى فى منام كان عليه ثوباً جديداً عليه رقمان ففسره على النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال له: إن صدقت روَياك تبشر بخير (فستخبر بولدين خ) وتلى الخلافة سنتين، فلم يرض شيخه أبو هاشم أن أثبت المنامات حتى أوجب بها الخلافة وجعلها دلالة على الاِمامة. فيجب على قول هذا الشيخ الزيدى عند نفسه أن يكون أبو هاشم رئيس المعتزلة عنده حنبلياً بل يكون عنده أبو بكر حنبلياً بل رسول اللّه ــ صلى الله عليه

وآله وسلم ــ لاَنّه صحح المنام وأوجب به الاَحكام، وهذا من بهرج المقال (۱ــــــــــــــــــــــــــــ)

(۱) السيد المرتضى : الفصول المختارة : ۱۲۸ ـ ۱۳۲ .

(۵۰۶)

الثاني: وجود المزاملة بين الطائفتين:

إنّ السبر فی التاريخ يثبت بأنّ المزاملة العلمية والاجتماعية بين الشيعة الزيدية والشيعة الاِمامية فی الاَعصار السابقة كانت وطيدة. وكانت كل طائفة تعرف ما عند الطائفة الاُخرى من العقائد والاَحكام، والاَدب والشعر. وكانت المجالس المنعقدة فی الجامعات والبيوت تحتفل بهما معاً. فكان يدور بينهما النقاش والاِفادة والاستفادة، ويظهر ذلك من كتاب الشيخ المفيد أعنى الفصول المختارة. كما يظهر أيضاً من الرجوع إلى كتابه أوائل المقالات على أنّ له رسالة خاصة فی عقائد الجارودية من الزيدية.

كل ذلك يعرب عن صلة وثيقة بين الطائفتين. ولا إشكال أنّ الصلة كانت لصالحهما. ولكن لانعلم فی أی عصر ضعفت هذه الصلة إلى أن كادت أن تنقطع.

فلاَجل ذلك لانكاد نرى زيديّاً فی جامعة النجف الاَشرف وسائر حوزات الشيعة الاِمامية وبالعكس إلاّ نادراً. كما لا نرى أی صلة بين الطائفتين فی الكتب الموَلفة فی العصور الاَخيرة من عصر ابن المرتضى إلى يومنا هذا.

ولعلّ الاَجواء والظروف السياسية قد أوجدت تلك الهوة ما بينهما فخسرت الطائفتان علمياً وأدبياً إذ هما صنوان يقومان على جذور واحدة.

اسأله سبحانه أن يعيد الوحدة ما بين المسلمين عموماً، وبين الطائفتين خصوصاً.

(۵۰۷)

الثالث: نشر الثقافة الزيدية :

إنّ الزيدية ـ بحق ـ تركت ثروة علمية فی جميع مجالات العلوم الاِسلامية خصوصاً فی الاَدب والكلام والفقه، وتراثهم الباقی، وفهارس مكتباتهم يشهد على ذلك بوضوح. ولعل أحد العلل فی تطور علومهم خصوصاً فی الفقه عدم التزامهم بالاَخذ بالمذاهب الفقهية المعروفة وإن كانوا متأثرين بالفقه الحنفی.

فوجود الاجتهاد واستمراره فی حياتهم من عصر القاسم الرسیّ إلى يومنا هذا ضخّم ثقافتهم، وأعطى لها أبعاداً كثيرة.

غير أنّ من الموَسوف عليه عدم اطّلاع المسلمين على تلك الثقافة لاَنّها صارت محصورة فی اليمن وما والاها.

وقد قام العلاّمة البحاثة السيد أحمد الحسينی دام علاه بفهرسة كتبهم بعد رحلتين إلى اليمن الخصيب فجاء مجهوده مطبوعاً فی أجزاء ثلاثة ذكر فيها أسماء (۳۳۴۶) من كتبهم المختلفة حسب الحروف الاَبجدية وأردفها بالفهارس العامة أهمها فهرس أسماء الموَلفين فقد ذكر أسماء الموَلفات حين التعرض لاَسماء الموَلفين وبذلك يغنی الاِنسان عن ملاحظة كل كتاب فی محله. ومن حسن الحظ أنّ مكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحفل بمخطوطات كثيرة للزيدية فعلى المهتمين بالتراث الاِسلامی السعی فی تصويرها قبل أن تندثر.

وللتعرف على الشخصيات الزيدية وعلى ثقافاتهم وكتبهم لا محيص من الرجوع إلى كتبهم المختلفة فی التراجم والرجال والتاريخ.

ومن هذه الكتب ما نذكره فيما يلی والكل مخطوط لم ير النور:

(۵۰۸)

۱ ـ نسمة السحر فی ذكر من تشيع وشعر: تأليف يوسف بن يحيى الحسنی الصنعانی (۱۱۲۱هـ) ترجم فيه لمائة وأربعة وتسعين من شعراء الشيعة المتقدمين والمتأخرين منهم.

۲ ـ نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الاَلف: تأليف السيد محمد بن محمد زبارة الحسنی الصنعانی ۱۳۸۰ هـ ترجم لاَعلام اليمن فی القرون الاَربعة بعد الاَلف الهجری إلى سنة ۱۳۷۵هـ وقد أسمى لكل قرن اسماً.

۳ ـ مطلع البدور ومجمع البحور: تأليف القاضى أحمد بن صالح أبى الرجال الصنعانى (ت ۱۰۹۲هـ) وهو فى أربعة أجزاء تشتمل على أكثر من ۱۳۶۰ ترجمة.

۴ـ نشر كتاب الحدائق الوردية: لحميد الدين المحلى نشراً جديداً يناسب روح العصر.

إلى غير ذلك من الكتب التى تعرّف أئمة الزيدية وشخصياتهم.

نعم أُلّفت فى العصور الاَخيرة كتب فى تاريخ اليمن لها قيمتها، وللموَلفين أجرهم.

(۵۰۹)

الرابع: صيغة الحكومة الاِسلامية لدى الزيدية:

إنّ للحكومة الاِسلامية حسب ما يعطى الاِمعان فى الكتاب والسنّة وسيرة المسلمين أُسساً وأركاناً ثلاثة لكلٍّ شأنه ومكانته:

۱ ـ السلطة التشريعية :

للسلطة التشريعية مراحل ثلاث بعضها بيد اللّه سبحانه، والبعض الآخر موكول إلى الاَُمّة الاِسلامية فى ضمن شرائط:

۱ ـ التشريع والتقنين للّه خاصة بالاَصالة فلا شارع ولا مقنّن سواه ولا يحق لاَحد ـ كان من كان وبلغ ما بلغ من العلم والثقافة والمكانة الفكرية والاجتماعية ـ أن يشرّع حكماً أو يحلّ حلالاً أو يحرم حراماً فكل ذلك موكول إلى اللّه سبحانه، إذ الحكم، حكمان: إلهى وجاهلىّ ولا ثالث لهما فإذا لم يكن معزوّاً إليه، فهو حكم جاهلى قال سبحانه": أَفَحُكمُ الجاهِلِيةِ يَبْغُون وَمَن أحسَنُ مِنَ اللّهِ حُكماً لِقَومٍ يُوقِنُون("المائده ـ ۵۰) .

نعم هناك مرحلتان: مفوضتان إلى فريق من الاَُمّة لهم صلاحيّات خاصة وهما:

۱ ـ مرحلة التشخيص: أى استنباط الحكم الاِلهى من الكتاب والسنّة، فهى للفقهاء العدول، يبذلون جهدهم لفهم حكم اللّه واستخراجه من الاَدلّة الشرعية.

۲ ـ مرحلة التخطيط وتبيين برامج البلاد حسب الضوابط الاِسلامية وهى للخبراء وذوى الاِطلاع من الاَُمّة وهذا ما يصطلح عليه اليوم بالمجلس النيابى.

والفرق بين صيغة الحكومة الاِسلامية والاَنظمة البشرية الغربية والشرقية، هو أنّ سلطة التشريع بيد اللّه سبحانه فيها دون تلك الاَنظمة إذ فيها بيد وكلاء

(۵۱۰)

الشعب فالمجلس النيابى عندهم مجلس التقنين والتشريع وعند المسلمين مجلس التخطيط والتنظيم فى ضوء قوانين السماء.

۲ ـ السلطة التنفيذية :

المراد بالسلطة التنفيذية فى مصطلح اليوم هو هيئة الوزراء وما يتبعها من دوائر ومديريات منتشرة فى أنحاء البلاد ومهمّتها تنفيذ ما يقرره مجلس الشورى من تصميمات وقرارات ومخطّطات فى شتى حقول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبالتالى يقع على عاتقها مهمة إدارة البلاد بصورة مباشرة، لها ألوان وصيغ فى الاَنظمة البشرية وأما لونها فى الحكومة الاِسلامية فليس إلاّ كون السلطة ـ إذا لم يكن هناك نصّ من اللّه سبحانه على شخص خاص ـ موضع رضا الاَُمّة لاَنّها تتسلم زمام السلطة المباشرة على نفوس الناس وأموالهم وأرواحهم، ولولا الرضا لعاد إلى الاستبداد المبغوض عند الشرع والعقل وقد بسطنا الكلام حول السلطة التنفيذية وصلاحياتها من التخصص، والوثاقة، والزهد، والعدل، وكونها موضع رضا الاَُمّة فى كتابنا: «مفاهيم القرآن» (۱)

۳ ـ السلطة القضائية:

إنّ القضاء يلعب دوراً كبيراً فى تبديل الاختلاف إلى الوئام، والتنازع إلى التوافق وبالتالى ينشر العدل ويصون الحقوق والحرمات، غير أنّه لاـ يصلح ذلك المقام إلاّـ لفريق من الشعب يتمتعون بالبلوغ والعقل والاِيمان والعدالة وطهارة المولد والعلم بالقانون الاِلهى

والذكورة، سليم الذاكرة، وعندئذ يحقّق القاضى أهدافه السامية________________.

(۱) مفاهيم القرآن : ۲ | ۲۰۵ ـ ۲۱۰ .

(۵۱۱)

لا استبداد فى الحكومة الإسلامية :

وما ذكرناه يوقف الإنسان على صورة بسيطة من الحكومة الإسلامية المتجلية فى نظرية الإمامة أو الخلافة وليس فيها أى استبداد وسلب الحريات، وأمّا تخصيص التشريع باللّه سبحانه، فلأنّه سبحانه أعرف بمصالح عباده، ولأنّ التقنين سلطة على الأموال والنفوس وهى فرع وجود الولاية عليهما، ولا ـ ولاية لأحد على أحد إلاّ ـ للّه سبحانه، فلأجل ذلك خصّ التشريع به سبحانه، وأمّا المرحلتان الباقيتان أعنى الإفتاء والتخطيط، فيقوم به فريق منهم، لهم صلاحيات وقابليّات. فالإفتاء وإن كان رهن شروط ولكنه لا يشترط فيه رضا الأُمّة، لأنّه مقام علمى، يتوقف على حيازته ويكفى ثبوت الصلاحية له، اقترانه بتصديق الخبراء.

نعم التصدى للتخطيط، رهن رضا الأُمّة وتحقيق الرضا وتجسيدها يتبع مصالح العصر وشعور الأُمّة.

وأمّا السلطة التنفيذية، فلو كان الحاكم منصوباً من اللّه سبحانه، فهو المتبع، كما فى مورد الرسول، والإمام المنصوص بعده، وإلا فالسلطة لفريق من الأُمّة، يتمتع بصفات وقابليات مذكورة فى السنّة، أهمها كونها موضع رضا الأُمّة، ويتجسّد رضاهم بصورة مختلفة مذكورة فى محلها.

ومثلها السلطة القضائية فلا يصلح لها إلاّ فريق لهم صفات ومؤهلات، وتنتهى سلطته، إلى رضا الأُمّة الذى يتجسد بصور شتى.

نظرية الإمامة لدى الزيدية :

إنّ المطروح لدى الزيدية من الإمامة غير ما ذكرنا ولو كان الملاك لتبيين مذهبهم ما ذكره كتّاب العقائد من غيرهم، وابن المرتضى من أنفسهم، فنظام الإمامة فى غير مورد المنصوص عليه عندهم، أمر لا يلائم روح الكتاب والسنّة ولا

(۵۱۲)

متطلبات العصر، لأنّهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين على بن أبى طالب والحسن والحسين (بالتنصيص السماوى) وزيد بن على ولإمامة كل فاطمىّ دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد (۱)

وقال الشهرستانى: إنّهم (الزيدية) يعتبرون فى نظام الإمامة اتّباع كلّ فاطمى عالم، شجاعُ، سخى، خرج بالإمامة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين ــ عليهما السلام ــ وربّما جوّزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة (۲)

ويقول ابن المرتضى وتنعقد بالدعوة مع الكمال.

الإمعان فى كتب الزيدية حول الإمامة أو ما حرروه بأقلامهم، يعرب عن أنّ دعائم الإمامة عندهم ثلاثة:

۱ ـ الوراثة: كون الداعى فاطميّاً.

۲ ـ الدعوة إلى الإمامة.

۳ ـ الخروج بالسيف.

ولكن باب المناقشة فيها مفتوح.

أمّا المبدأ الأوّل فإذا كان الإمام منصوصاً من قبل اللّه فالمتبع أمره فاطمياً كان أو لا، وإن كان أمره سبحانه فى غير الإمام على ــ عليه السلام ــ منطبقاً عليه، لكن لا بملاك كونهم فاطميين بل بملاكات خاصة أهّلتهم لأن يكونوا أُولى الأمر، وواجبى الطاعة قال سبحانه: "أطِيعُوا اللّهَ وَأطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولى الأمر مِنكُم ("النساء ـ ۵۹______________) .

(۱) المفيد أوائل المقالات: ۳۹، طبعة جماعة المدرسين.

(۲) ۲ ـ الشهرستانی : الملل والنحل : ۱ | ۱۵۴ .

(۵۱۳)

وإذا كان غير منصوص فاللازم كون الإِمام ذا قابليات توَهّله لاشغال منصب الإِمامة سواء أكان فاطمياً أم لا، فالإِصرار على هذا المبدأ خصوصاً فيما إذا كان غير الفاطمی أبصر وأعلم، وأتقى وأزهد وأوقع فی القلوب، غير صحيح.

ثم إنّ المبدأ الثانی والثالث يثيران الرغبة والطمع فی كل فاطمی يرى نفسه عادلًا، وعالماً وشجاعاً فعند ذلك ينتهی الاَمر إلى النزاع والتشاجر وربما ـ لا سمح اللّه ـ إلى إراقة الدماء.

وحاصل الكلام: أنّ مكافحة الاستبداد ورفض ابتزاز أمر الاَُمّة بلا رضا منها، رهن أحد أمرين:

۱ ـ أن يصدر من اللّه الرحمن الرحيم على عباده، الواقف على مصالحهم ومفاسدهم، تنصيص على ولاية أحد، كالنبی الاَعظم وأئمة أهل البيت عند الشيعة.

۲ ـ مشاركة الشعب فی بناء النظام حتى يكون مورد رضاهم بنحو من الاَنحاء ولاشیء ثالث، وإلاّ ـ فلو لم يكن هذا ولا ذاك كثر الطالب وزادت الدعوة وربما ينتهی إلى حروب دامية، وما ذكره الإِمام يحيى بن الحسين لحسم النزاع لايفيد شيئاً حيث قال: إن تشابها فی العلم فالإِمامة لاَورعهما وإن تشابها فی الورع والعلم، فالإِمامة لاَزهدهما، وإن تشابها فی ذلک كله فالإِمامة لاَسخاهما، وإن تشابها فلاَشجعهما، فلاَرحمهما....

إنّ ما ذكره من الضابط لحسم مادة الخلاف لو كانت مفيدة فإنّما تفيد فی رفع النزاع فی إمامة المسجد، لا فی رفع النزاع فی الزعامة الكبرى، إذ كل يزعم أنّه، أعلم، وأورع، وأزهد، وأسخى، وأشجع، وربما يحلف عليه ويجمع الجموع...

فلاَجل ذلك المأزق الذی يواجه فكرة الإِمامة لدى الزيدية عاد المفكرون

(۵۱۴)

من متأخّريهم إلى طرح الفكرة بشكل يلائم روح العصر ويقول أحد الكتاب:

أمّا الزيدية فلهم طريقان لاختيار الإِمام بعد المنصوص عليهم:

۱ ـ ترشيح الشخص العارف من نفسه، الاَهلية بواسطة منشور ـ الدعوة ـ يوضح فيه موجبات الدعوة وأهليّته للقيام بالإِمامة ومنهج عمله فيها.

وعند ذلک يجتمع العلماء والزعماء والمثقفون ـ رجال الحل والعقد ـ ويصلون لمناقشته واختياره ان كان غير معروف لديهم، ويتشاورون فيما بينهم فی موضوع كفاءته ومكانته، فإذا ارتضوه بعد ذلك بايعوه وإلاّ عدلوا إلى غيره.

۲ ـ يُرشِّح رجال الحل والعقد واحداً لمن يرونه صالحاً لهذا المنصب العظيم، وإذا وافقهم على ترشيحه بايعوه وإلاّ عدلوا إلى غيره

(۱)

ولعل هذه الاَُطروحة التی قدمها الفاضل المعاصر تزيح بعض النقاش حول النظرية، ويصوّرها تصويراً هادئاً قابلًا للتجسيد كما أنّ المعلّق على البحر الزخار، طرح نظرية الإِمامة بالشكل التالی معلقاً على قول ابن المرتضى «وتنعقد بالدعوة مع الكمال» قوله: مع عدم المنازع فيفوز بذلك أو بأن تحصل له البيعة من الاَكثرية مع عدم وجود المنازع، كل ذلك بعد سبق ترشيحه من ذوی الحل والعقد لمعرفة حصوله على الشروط المؤهلة له

(۲)

إنّ ما نقلناه عن العلمين وإن كان يهوّن الخطب فی مسألة الإِمامة، لكن التاريخ يشهد على أنّ السيرة جرت على سيادة من غلب، ولم يكن ترشيح الشخص، أو ترشيح رجال الحل والعقد واحداً من الصلحاء إلاّ حبراً على ورق إلاّ ________________

۱ ـ الزيدية نظرية وتطبيق : ۱۱۸ .

(۲) ابن المرتضى : مقدمة البحر الزخار: ۹۲ .

(۵۱۵) فى فترات قليلة.

هـذا ومـا مـاثله أعطت حجـة للوسائل الإعلاميـة أن تتهجم على نظام الإمامـة بأنّه حكومـة اسـتبدادية تسـلب فيها الحريات بإرادة الفرد السائس، ويرافق دائماً بالضـغط على الشـعب، وتثنى على الجمهوريـة بأنّ فيها ضـماناً على الحريات المعقولة ولم تزل الحرب الإعلامية قائمة على قدم وساق تدعمها المعسكرات الغربية والشرقية المحاربة لكل نظام دينى قائم فى أى قطر من أقطار العالم، إلى أن أُججّ نار الحرب المبيرة لكل رطب ويابس، فى بلـد فقير كاليمن التى لا تملك إلّا جمال الطبيعـة وانتهت إلى انتصار المخالفين فى ظل القوات المكثفـة التى كانت وراءها الجمهوريـة العربيـة المتحـدة، فى أيّام جمال عبـد الناصـر فسـقط نظام الإمامة سياسـيّاً وحكومياً وإن كانت القلوب المؤمنة متثبّثة بها.

فالمرجو من اللّه سبحانه أن يوفق المسـلمين لتوحيـد الكلمـة كما وفقهم لكلمـة التوحيـد، ويجمع شـملهم، ويثير شـعور المفكرين إلى واجبهم تجاه الحكومة الإسلامية إنّه بذلك قدير وبالإجابة جدير.

(۵۱۶) الخامس: المحاربة بين الطائفتين من الشيعة:

إنّ الزيديـة والإسـماعيلية، من الفرق الشـيعية، وبينهما مؤتلفات ومفترقات، وقـد اتفقت الطائفتان، على أنّ تحقيق القيادة الإسـلامية بعد رحيل النبى الأعظم ــ صـلى الله عليه وآله وسـلم ــ ليس بالبيعة والاختيار، ولا للأُمة فيها حظّ، ولا نصيب شأن كلّ مورد سبقت مشيئته على إرادة الأُمّة ومشيئتها، قـال سـبحانه": وَمـا كـانَ لِمُـؤمِنٍ وَلا ـ مُؤمِنَةٍ إذا قَضَـى اللّهُ وَرَسُـولُهُ أمراً أنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أمْرِهِمْ" (الأحزاب ـ ۳۶) بل تحقيقها بالنص من الرسول ــ صـلى الله عليه وآله وسلم ــ على فرد من آحاد الأُمّة وقد اتفقتا على أنَّ النصّ صدر منه فى على ــ عليه السـلام ــ وابنيه: الحسن والحسـين ــ عليهما السلام، ــ غير أنّ الزيدية قالت باستمرارها بعد الحسين السبط ــ عليه السـلام ــ بـالخروج والـدعوة وقـد تمثلت الضابطـة فى بادئ بـدئها بخروج الإمام زيـد، ثم ابنه يحيى وهكـذا، لكن الإسـماعيلية قالت باسـتمرار النصّ الإلهى بعـد الحسـين على إمامـة زين العابدين فابنه الإمام الباقر، فالإمام الصادق، وبعده ابنه إسـماعيل الذى هو مهدى الأُمّة عندهم وسيوافيك تفاصيل عقائدهم فى الجزء الثامن المختص بفرق الشيعة الباقية.

وطبيعـة الحـال كـانت تقتضـى سـيادة الوئـام والالتحـام بين الفرقتين والتعـايش الهـادئ فى البيئات التى تحتضن كلتا الفرقتين، كاليمن الخصـيب وجنوب الجزيرة كحضـرموت ونجران ولكن خاب الظنُّ وخسر، لأنّ تاريـخ اليمن تاريخ دمويّ يحكى عن كون الحرب لم تزل بينهما سجالاً ـ تبيد البلاد والعباد وتهلك الحرث والنسل ـ قروناً كثيرة.

إنّ أئمـة الزيديـة وإن خرجـوا بالسـيف وأعلنـوا الجهـاد، ولكن لم يكن جهـادهم مع المشـركين والكـافرين بـل كـانت مع إخـوانهم الإسماعيلية (القرامطة) وهذا هو الإمام الهادى مؤسس الدولة الزيدية فى اليمن فى أواخر القرن الثالث،

(۵۱۷) فقـد قـدم اليمن وقد غطتها القرامطة والباطنية فجرى له معهم نيف وثمانون وقعة (۱) ثم بـدت الحروب بين الطائفتين فى زمن المتوكـل على اللّه (المطهر بن يحيى) وبعـده الإمـام يحيى بن حمزة المؤيـد باللّه (۶۶۹ ـ ۷۶۹هـ) وكـان الانتصار فى أغلب الوقائع مع الزيدية، وفى النهاية لم تجد الإسماعيلية بداً من اللجوء إلى الجبال، والتحصن بها حفظاً لشؤونهم الدينية.

ومن جرّاء هذه الفتن والحروب المدمّرة، صارت حياة الطائفتين فى أغلب العصور، حياة دموية تأكل الحرب أخضـرهم ويابسهم وربما تشـعل فتيل الحرب بين مـدعيين للإمامـة من الزيديـة، باعتضاد كل بقبيلته وأُسـرته، وقـد انتهت الخلافات القبلية إلى ظهور الجمهورية فأطاحت بالإمامة على الإطلاق وقالت: لا زيد ولا عمرو، ولا إبراهيم ولا إسماعيل.

"وَاتَّقُوا فِتنَةً لا تُصِيبَنَّ الّذِينَ ظَلمُوا مِنكُمْ خاصَّة ("الأنفال ـ ۲۵__________) .

(۱) التحف شرح الزلف : ۶۴ .

(۵۱۸)

السادس: فى الصلة بين الزيدية والمعتزلة:

كانت الصلة العلمية بين الزيدية والمعتزلة موجودة، منذ ظهرتا على صفحة الوجود، حيث إنّ كلتا الطائفتين يرون العدل والتوحيد من الأُصول، ويكافحون الجبر والتشبيه، حتى أنّ الِامام «مانكديم» المستطهر باللّه أحمد بن الحسين بن أبى هاشم المتوفّى عام ۴۲۵هـ تتلمذ على القاضى عبد الجبار المعتزلى المتوفى عام ۴۱۵هـ وكتب ما أملاه الأُستاد، حول الأُصول الخمسة وقد طبع بهذا الاسم ولم يخالفه إلّا فيما يرجع إلى الِامامة (۱).

ولما قامت ملوك الغزاونة وسلاطين السلاجقة بتحريك الحنابلة والحشوية، بإبادة المعتزلة وقتلهم وتسعير النار فى مكتباتهم وآثارهم وفى عقر دارهم، عمد بعض الزيدية، بنقل ما أمكن من كتبهم من العراق إلى اليمن منهم القاضى عبد السلام (۵۵۰ ـ ۵۷۳هـ) فقد نقل المغنى للقاضى عبد الجبار، والأُصول الخمسة، وغيرهما من الآثار الكلامية لهم من العراق إلى اليمن وكانت اليمن تحتضن بها إلى أن نشرتها أخيراً البعثة العلمية المصرية بعد الفحص فى مكتبات اليمن، وللزيدية فضل حفظ بعض تراث المعتزلة من الاندثار والانطماس. ولولاهم لكانت مصيرها، مصير سائر الآثار للمعتزلة. قاتل اللّه العصبية العمياء.

(۱) راجع مقدمة الأُصول الخمسة بقلم محقّقها ص ۲۹ وقد ضبط وفاة «مانكديم» سنة ۴۲۵هـ والتحف شرح الزلف: ۸۸.

(۵۱۹)

السابع: عصارة من رسالة أحد المعاصرين الزيديين:

إنّ السيد العلامة بدر الدين الحوثى الحسنى اليمانى، ـ الذى زار قم وزارنا فى موَسستنا، وهو الشخصية العلمية الفريدة للزيدية حالياً بعد السيد العلامة مجد الدين المؤيّدى موَلف التحف فى شرح الزلف، نشر كتيباً باسم «الزيدية فى اليمن» بيّن فيه ملامح مذهب الزيدية وعقائدهم ومصادرهم الكبرى فى مختلف العلوم، وقدم لها الأُستاذ على أحمد الرازحى وقد أهدى نسخة إلينا نقتبس منها ما يلى:

الزيدية عنوان لطائفة عظيمة من طوائف المسلمين كان لها حضورها الملموس فى ميدانى الفكر والبسالة تحت ظلال قائدها العظيم الِامام زيد بن على شهيد الحقّ والعدل والكرامة.

ولئن كان لكل طائفة معالم بارزة تتميز بها وتعرف من خلالها، فانّ للزيدية معالم بارزة يراها لها الموالف والمخالف الذى لم يُعم التعصب عين بصيرته:

أحدها: وهو أولاها: المنزلة المنيفة التى يتبوّأها العقل عندها حيث تجعله الحاكم الذى لا يتعقبه أى حاكم غيره، والحجّة التى بها استحق الِانسان الخطاب من ربّ العالمين، ومن خلاله استوحت أُصول عقيدتها حين أقصاه الآخرون وصغروا عظيم منزلته.

ثانيهما: احترام آراء الآخرين من المخالفين لها فى الأُصول والفروع وعرضها عرضاً رفيقاً بعيداً عن أى تجريح أو تبديع أو تضليل حتى لكأنّ كتبها رياض غنّاء مما يخوّلها أن تكون تراثاً لكل الطوائف.

الثالث: صيحتها فى وجه الظلم والاستبداد، والقهر، وسحق الكرامات حين

(۵۲۰)

تحوّلت الخلافة إلى ملك عضوض، وحين تغيرت وشوهت بعض مفاهيم الِاسلام الناصعة على يدى حكام متسلطين لا يمتلكون أى شرعية (۱)

يقول السيد بدر الدين: إنّ الحركات العلمية ظهرت فى اليمن بفضل الِامامين الهادى وجده القاسم، وبما أنّ الزيدية لا يلتزمون التقليد للهادى بل كلَّ من تمكن من الاجتهاد، عمل بالدليل، ظهر بعض الخلافات بينهم، كما ظهر من بعضهم الميل إلى المعتزلة فى غير مسألة الِامامة وحصل من بعضهم إنكار ذلك لكن العقائد الأُصلية الهامّة لا يظهر بينهم فيه خلاف.

ثم إنّ الموَلف أتى بأُصول عقائد الزيدية التى منها التوحيد، والعدل والنبوات وصيانة القرآن من التحريف، والِايمان بالآخرة والبعث

بعـد الموت والشـفاعة التی هی زیادة خیر إلی خیر، لا إنقاذ أحد من النار والاِمامة التنصیصـیة إلی السـبط الشـهید، ثم جاء دور الدعوة والخروج وتحقق بزید الثائر ومن سار علی دربه...

وقد قام المؤَلف بتعریف الکتب والمصادر وقال:

وأهم کتبهم: کتب الهادی والقاسم.

منهـا: کتـاب الاَحکـام، والمنتخب والمجموعـة الفـاخرة التی تجمع عـدّة رسائـل للهادی، ومن محاسن الکتب وأنفعها کتب القاسم بن إبراهیم وهی کتب صغار بعضها فی مجموع القاسم.

ومن مراجع الزیدیة (فی الفقه) شـرح التجرید للاِمام المؤید باللّه أحمد بن الحسین الهارونی المدفون بلنجا (۲) ومن مراجعهم فی علم الکلام، حقائق________________

(۱) الزیدیة فی الیمن، قسم المقدمة ۳ـ ۵.

(۲) المعروف الیوم بلنگرود وقبره موجود هناک.

(۵۲۱)

المعرفة للاِمام أحمد بن سلیمان وهو من أئمة الزیدیة.

ومنها: کتاب الاَساس للاِمام القاسم بن محمد وهو من أئمة الزیدیة. وقد طبع الکتاب.

ومن مراجع الزیدیة فی الاَخیر فی الفقه شرح الاَزهار وحواشیه.

ومن مراجع الزیدیة فی الحدیث ما تضمنه شرح التجرید (للهارونی) .

وکتاب أمالی أحمـد بن عیسـی ومجموع زیـد بن علی، وأمالی أبی طالب المسـمی بـ«تیسـیر المطالب» ، وأمالی المرشـد باللّه وکتاب الاعتصام للاِمام القاسم بن محمد.

ومن مراجعهم فی التاریخ: «بلوغ الاَمانی» للسـید یحیی بن الحسین بن القاسم بن محمد، ومن کتبهم فی أسانید الکتب بلوغ الاَمانی فی إسناد کتب من آل من أُنزلت علیه المثانی.

ومن کتبهم فی الردّ علی المخـالفین: الشـافی للاِمـام المنصور باللّه عبـد اللّه بن حمزة وهو کتاب عظیم مطبوع، وفرائـد اللئالی فی الردّ علی المقبلی للمنصور باللّه محمد بن عبد اللّه الوزیر وهو مجلد ضخم.

ومن مراجع الزیدیـة فی أُصول الفقه: کتاب بدایـة العقول شـرح غایـة السؤال تألیف الحسـین بن الاِمام القاسم بن محمـد وهو مطبوع، وشرح الکافل.

ومن مراجع الزیدیة فی التفسـیر: کتاب المصابیح، تفسـیر الشرقی وهو کبیر غیر مطبوع، ولهم مؤلفات فی التفسیر یتعسر تحصیلها فیمیل الطلاب لقراءة الکشاف.

ثم أشار السید بدر الدین ببعض الفروع التی اتفقت فیها الزیدیة مع الاِمامیة وقال:

ومن مذاهبیهم فی الفقه أنّ مسح الخفین لا یجزی فی الوضوء، ومسح

(۵۲۲)

الخمـار لا یجزی فی الوضوء، وأنّ مس الـذکر لا ینقض الوضوء، ومن مـذاهبهم الاَذان بحیّ علی خیر العمل ولا یقولون: الصـلاة خیر من النوم ولاـ یجعلون الکف علی الکف فی الصـدر فی الصـلاة، ولاـ یؤمّنون بعـد الفاتحـة، وتثنیـة الاَذان إلّا التهلیل فی آخره وکـذا الاِقامـة. ومن مـذاهبهم الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحیم فی الصـلاة فی الفاتحة وفی السورة وأنّ الصـلاة جماعة لا تصح بإمامة الفاسق، ومن فی حکمه، وأن لاـ یعتـدّوا بجمعـة الظلمـة، وأنّ التکبیر علی الجنازة خمس، وأنّه لا یصـلّی علی المیت الفاسق، والمـذهب السائد عندهم فی الزکاة أنّه لا یجوز تسلیمها إلی الظلمة إلّا کرها.

ومن مذاهب الزيدية استحباب صيام يوم الشك بنية مشروطة، ومن مذاهبه أنّها لا تجب طاعة الظلمة ولا تجوز معاونتهم ولا موالاتهم، ويجب عندهم اتّباع أهل البيت ــ عليهم السلام ــ عملاً بحديث الثقلين: «إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب اللّه وعترتى أهل بيتى إنّ اللطيف الخبير نبّأنى أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

ومن مذاهبهم فى الصحابة أن فيهم الصالحين ومنهم من غيّر وبدّل، وفيهم منافقون فيجرح من ظهر فيه الجارح، ولا ـ ينزلّون منزلة المعصومين ولا يتبعون فيهم طريقة العامّة الّذين يقدسونهم على الإطلاق، والمذهب السائد فى الزيدية هو اجتناب كتب العامّة أو عدم اعتمادها فى الغالب اتّهاماً لكثير من رواتهم من الفئة الباغية والخوارج والدعاة إلى بدعتهم ولكنهم يأخذون منها ما يوافق الحقّ تأكيداً واحتجاجاً على المخالف، ومنهم من يرى قبول رواية كافر التأويل وفاسق التأويل ولكن لا يعتمد على ما فى تلك الكتب على حد اعتماد كتب أهل الحقّ(۱________________)

(۱) الزيدية فى اليمن: ۱۴ ـ ۱۵.

(۵۲۳)

هذا هو كلام السيد بدر الدين وهو بكلامه هذا يتفتح على الإمامية وكان لفيف من الزيدية عبر التاريخ على هذا الطريق، رحم اللّه الماضين من علمائنا وحفظ اللّه الباقين منهم.

"فَبَشِّرْ عِبادى * الّذِينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أحسَنَهُ أُولئِکَ الّذِينَ هَداهُمُ اللّه وَأُولئِکَ هُمْ أُولُوا الاَلباب ("الزمر: ۱۷ـ ۱۸) . (۵۲۴)

الثامن: فى طبقات رجال المذهب الزيدى :

وكما كان لكل مذهب، أعلام، فللمذهب الزيدى أيضاً أعلام منقسمة إلى الطبقات التالية:

۱ ـ طبقة المؤسّسين.

۲ ـ طبقة المخرجين.

۳ ـ طبقة المحصلين.

۴ ـ طبقة المذاكرين.

وقد اقتبسنا هذا التقسيم مما ذكره الكاتب المعاصر الزيدى على بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين فى كتابه: «الزيدية نظرية وتطبيق» فقد قسّم أعلام المذهب الزيدى إلى الطبقات التالية:

طبقة المؤسسين: وتساوى هذه الطبقة إمام المذهب فى نظر المذاهب الاُخرى، ومن هذه الطبقة:

۱ ـ الإمام زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ــ عليهم السلام ــ مات شهيداً سنة ۱۲۲هـ

۲ ـ الإمام القاسم بن إبراهيم مات سنة ۲۴۲هـ

۳ ـ حفيده الإمام الهادى إلى الحقّ يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم وهو المؤسس للمذهب فى اليمن مات سنة ۲۹۸هـ

۴ ـ الإمام الناصر الاَطروش الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر الاَشرف بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى اللّه عنهم وهو المؤسس للمذهب الزيدى فى خراسان مات سنة ۳۰۴هـ

(۵۲۵)

الطبقة الثانية: طبقة المخرجين للمذهب: وهم الذين استخرجوا من كلام الاَئمة أو احتجاجاتهم بواسطة القياس أو المفهوم، أحكاماً لا تتعارض مع الكتاب والسنّة لا جملة ولا تفصيلاً، ومن رجال هذه الطبقة:

۱ ـ العلاّمة محمد بن منصور المرادى مات سنة ۲۰۰هـ ونيف وتسعين.

۲ ـ العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم مات سنة ۳۵۳هـ

۳ ـ العلامة الإمام المؤيد باللّه أحمد بن الحسين بن هارون الحسنى مات سنة ۴۱۶هـ

۴ ـ العلامة الاِمام أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسنى مات سنة ۴۲۴هـ

۵ ـ العلامة على بن بلال الآملى مولى الاِمامين المؤيد باللّه وأبى طالب.

۶ ـ العلامة أحمد بن محمد الاَزرقى الهدوى.

والطبقة الثالثة: طبقة المحصلين: وهم الذين اهتموا بتحصيل أقوال الاَئمة وما استخرج منها ونقلوها إلى تلامذتهم بطريق الرواية أو المناولة لمؤلفاتهم، ومن رجال هذه الطبقة:

۱ ـ العلامة القاضى زيد بن محمد الكلاوى الجيلى الملقب بحافظ أقوال العترة وهو من أتباع المؤيد باللّه.

۲ ـ العلامة السيد على بن العباس بن إبراهيم راوى إجماعات أهل البيت، مات سنة ۳۴۰هـ تقريباً.

۳ ـ العلامة القاضى الحسن بن محمد بن أبى طاهر الرصاص، مات سنة ۵۸۴ هـ

۴ ـ العلامة الاِمام الحسين بن بدر الدين، مات سنة ۶۶۲هـ

(۵۲۶)

۵ ـ العلامة زيد بن على بن الحسن بن على البيهقى، مات فى تهامة فى عهد الاِمام أحمد بن سليمان وهو فى طريقه إلى مكّة المكرمة.

۶ ـ العلامة القاضى جعفر بن أحمد بن عبد السلام البهلولى، مات سنة ۵۷۳هـ

۷ ـ العلامة الاِمام عبد اللّه بن حمزة، مات سنة ۶۱۴هـ

والطبقة الرابعة، طبقة المذاكرين: وهم الذين راجعوا أقوال من تقدّمهم وبلغتهم بالرواية وفحصوها سنداً ومتنا وعرضوها على أُصول المذهب وقواعده المستمدة من صرائح الكتاب والسنّة ثم أقرّوا ما توافق معها واعتبروه هو المذهب، وما لم يوافقها لم يعتبروه مذهباً للفرقة الزيدية، وكان فى نظرهم رأياً خاصاً بصاحبه غير معاب عليه لاعتبار أنّ كل مجتهد فى الفروع مصيب (۱) ومن رجال هذه الطبقة:

۱ ـ العلامة القاضى محمد بن سليمان بن أبى الرجال الصعدى، مات سنة ۷۳۰هـ

۲ ـ العلامة القاضى عبد اللّه بن زيد العنسى، مات سنة ۶۶۷هـ

۳ ـ العلامة القاضى يحيى بن حسن البحيبح، وقد عاصر الاِمام يحيى بن حمزة.

۴ ـ العلامة الاِمام يحيى بن حمزة، مات سنة ۷۴۹هـ

۵ ـ العلامة الاِمام عز الدين بن الحسن المؤيدى، مات سنة ۹۰۰هـ

۶ ـ العلامة القاضى محمد بن يحيى حنش، مات سنة ۷۱۷هـ

۷ ـ العلامه القاضى يوسف بن أحمد بن عثمان الثلاثى، مات سنة ۸۳۲هـ

(۱) لعله يريد: انّه مأجور وإلاّ فالحق واحد فكيف يكون الكل مصيباً.

(۵۲۷)

۸ ـ العلامة الاِمام أحمد بن يحيى بن المرتضى، مات شهيداً بالطاعون سنة ۸۴۰هـ

ومعظم رجال طبقات المذهب الزيدى من العلماء المجتهدين. ولذلك فلا يصدق عليهم القول بأنّهم فى مستوى طبقة مجتهدى المذهب لاَنّ هذه الطبقة لاتظهر دائماً إلاّ بين رجال المذاهب التى لا توجب الاجتهاد على المتمكن منه وليس كذلك المذهب الزيدى. وبالتجوز يمكن أن يوجد فى طبقات المذهب من هو فى درجة المجتهد المنتسب. أمّا الاَكثر فهم فى درجة المجتهد المطلق. وقد ظهر من هوَلاء بعد طبقة المذاكرين الكثير ومنهم: الاِمام يحيى شرف الدين مات سنة ۹۶۵ هـ والاِمام القاسم بن محمد مات سنة ۱۰۲۹ هـ والاِمام محمد بن إسماعيل الاَمير مات سنة ۱۱۸۲هـ والاِمام عبد القادر بن أحمد عبد القادر بن الناصر شرف الدين مات سنة ۱۲۰۷ هـ وغيرهم.

وكانت كل المؤلفات الزيدية لاتقتصر على ذكر القول المختار لديها، وإنّما تجمع كل الأقوال المشهورة للأئمة والعلماء: أى أنّها مؤلفات أُممية وموسوعات لما تؤلف فيه. لذلك فالقول المختار للمذهب إنّما كان يؤخذ من أفواه المشائخ ويتناقل بالرواية، حتى جاء القاضى حسن بن أحمد الشيبى رحمه اللّه مات سنة ١١٦٩هـ فوضع كلمة (مذهب) فى كتابه شرح الأزهار على القول المختار للمذهب تمييزاً له عن سائر أقوال الأئمة والعلماء الزاخر بها كتاب شرح الأزهار المعروف واستحسن هذه العلامة سائر العلماء فى عصره. ولمكانته فى العلم والتقوى تلقّفها عنه الطلاب، وصارت نسخته من أهم المراجع فى ذلك عند الطلاب. كما ذكره المؤلف المؤرخ السيد محمد زباره رحمه اللّه فى ملحق البدر الطالع ص ٦٨ (١ ـــــــــــــــــــــــ)

(١) على بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية و تطبيق: ١٦ ـ ١٨.

(٥٢٨)

بلغ الكلام إلى هنا عشية يوم العشرين من ربيع الأوّل من شهور عام ١٣١٦هجرية.

بقى الكلام حول الفرق الباقية من الشيعة وأهمها: الإسماعيلية وبعدها الفطحية والواقفية والنصيرية وسنقوم ـ بإذن اللّه ـ بدراسة مذاهبهم فى الجزء الثامن وبه تتم أجزاء هذه الموسوعة المباركة إن شاء اللّه.

تم هذا الجزء بيد مؤلّفه جعفر السبحانى ابن الفقيه الشيخ محمد حسين السبحانى التبريزى. وأرجو من اللّه سبحانه أن يجعله خير وسيلة للصلة بين الطائفتين المتمسكتين بالثقلين كتاب اللّه وأهل البيت آمين رب العالمين.

* * *

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا و يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب٢٨، ج١/ ص٣٠٧).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ١٣٤٠ الهجريّة الشمسيّة (=١٣٨٠ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجريّة الشمسيّة (=١٤٢٧ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ–

فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جـهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضیّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتـُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تـُوافِی الحجمَ المتزاید و المتـّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفـِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز القائمية اصفهان للتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹